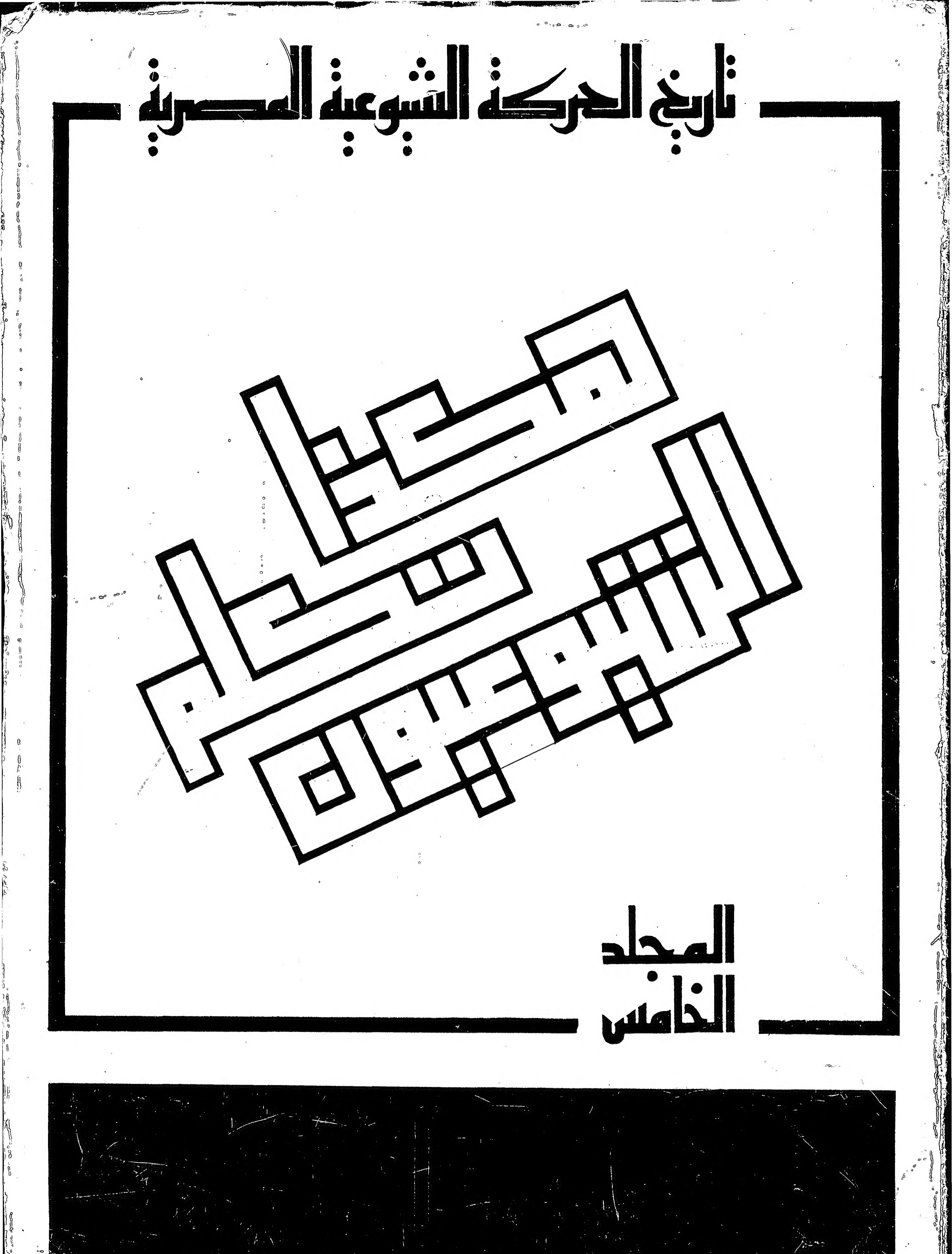
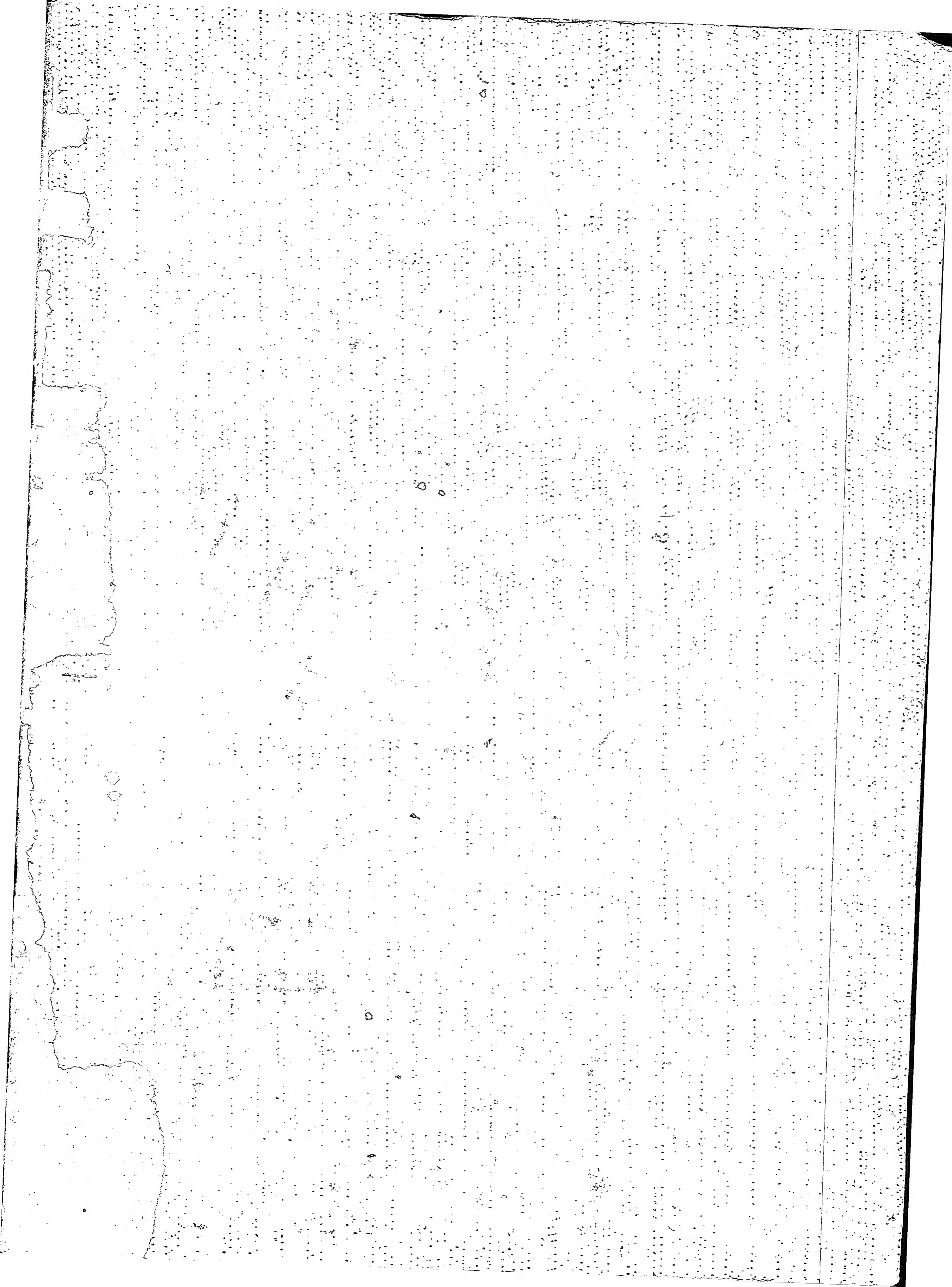

تاريخ الحركة الشيوعية المصرية
المجلد
الخامس



تاريخ الحركة الشيوعية المصرية
المجلد الخامس

هكـذا تكلـم الشيوعيـون

* محاضر نقـاش
* تقاريـــــر
* مذكــرات
* رســائـل
* تحقيقات قضائية
* بيانات انتخابية

د . رفعت السـعيد

تصميم الغلاف

للفنان عبدالغنى ابوالعينين

١ ــ الاقتراب من الخاتمة

نعم .. ها نحن نقترب من نقطة الانتهاء من هذه الدراسة .

عشرون عاما وأكثر ونحن ننسج الحلم معا ، بأن ننجز رحلتنا المشتركة عبر تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، تحديدا اثنان وعشرون عاما ، تسعة كتب ، أربعة آلاف وخمسمائة صفحة أو أكثر قليلا .. موسوعة متكاملة حاولت أن تحيط بمجمل تاريخ هذه الحركة سياسيا وتنظيميا ونضاليا .

ولست أزعم أن قدمت كل ما هو واجب ، لكننى وبإخلاص حاولت كل ما هو ممكن . كما أننى لا أزعم أننى قلت كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة ، فقط أزعم أننى بذلت قصارى الجهد .. وربما ما هو أكثر ــ بحثا واستقصاء ، تصحيحا وتصويبا ، تجميعا للحقائق واستكمالا لها ، ولم يكن الأمر سهلا ولا يسيرا .

فما هو بالأمر السهل أن يقذف انسان بنفسه الى غمار مجهول يمتد قرابة القرن ، وأن يواصل رحلته عبر شوك خاص وعام ليصل بها نحو شاطئ الختام .

وكانت لكل مرحلة مصاعبها الخاصة ، وشوكها المميز ، فالمراحل الأولى ــ مطلع القرن وما قبله بدت فى أول الأمر ضبابا كثيفا لا تقتحمه العين مهما تفحصت ، لكن الضباب ما لبث أن لان وتبدد أمام اصرار الباحث ، وأمام الالحاح المضنى عبر صحف الفترة ووثائق السفارات وملفات القضايا وذكريات الرجال ، وأمام استقصاء كل ما كتب أو نشر مما يسمى فى عالم التاريخ بمعلومات الدرجة الأولى ، أى تلك المعلومات المستقاة مباشرة من مصادرها الأولية وليست منقولة عن طريق غير مباشر .. وكان ذلك كله مضنيا وشيقا ورائعا ..

فما أجمل أن تمسك بالخيط الصحيح وتتشبث به بحثا عن الحقيقة حتى تجدها ... والأمثلة عديدة منها مثلا أن تلتقط معلومة عابرة عن أول منشور شيوعى وزع فى مصر (مارس ١٨٩٧) فتتشبث بالخيط لتصل الى النص الكامل

والى اسم من قبض عليه من موزعيه ، وجنسيتهم والمناسبة التى صدر فيها ... الخ ... أو أن تتهادى اليك معلومات عن أن الاسكندرية كانت لفترة فى عام ١٩٠٢ محطا لتهريب اعداد (الايسكرا) المجلة التى كان يصدرها لينين فى أوروبا ليهربها الى روسيا .. فتنزع عنك ثياب الدهشة وتبحث عن ابرة فى كومة من قش حتى تهتدى الي مطعم سباستوبول وصاحبه والمخزن الذى احتوى هذه الشحنات وأسماء البحاره والسفن والموانى .. ووزن الكميات المهربة وكل ما هو مطلوب من معلومات ..

والرجال .. الذين وردت أسماؤهم كرموز لهذا النضال المبكر ، والذين شقوا الخطى الأولى لرحلة الاشتراكية المصرية عبر صخر صلد .. هؤلاء المناضلين ، تلتقط أسماءهم وتعيش معها تستجمع كل ما هو متاح عنها من معلومات ، حتى تشعر وكأنك تتعارف معهم ، تتآخى ، يتجسدون أمامك مجموعة من حقائق ونضال مبهر ، حتى ليخيل اليك أنك كنت معهم ، وأنك توشك أن تلتقى بهم ، فتسير متلفتا بحثا عنهم ..

هذه المرحلة الأولى كنت أتصور أنها هى الأكثر صعوبة ، وأن الخطى التالية ، أيسر ، فأنت تقترب مما تعرف ، ومما عشت وفعلت ، والصناع الحقيقيون لهذا النضال ملء السمع والبصر يمكن الحديث اليهم ومراجعتهم فيما حدث وما قيل .. لكن — وبصراحة مريرة — كانت الخطى التالية هى الأصعب ، فشوك الذات ، ومواطىء الخلاف لم تزل تدمى الكلمات وتلتوى بها فى بعض الأحيان ، والكثيرين يمتلكون تحفظات احتفظوا بها عبر سنوات ، ولم يكن الزمن بقادر على تجاوزها ، والبعض يتطلع الى ما تكتب بحرص الراغب فى الاستزادة لنفسه والانكار للاخرين ، والبعض يقيس ما تكتب عنه أو عن غيره بالمساحة ، مؤملا أن تمنحه مساحة أوفر حتى ولو على خلاف الحقيقة .. وينسى هؤلاء وأولئك أننى ما كان لى أن أهب كل هذه السنوات ، وهذا الجهد كى تصبح كلماتى مطية لغرض شخصى كبر أم صغر .. وأننى لم أفعل ذلك كله تصفية لحساب قديم أو جديد ، فما من شىء يستحق كل هذا الجهد ، وكل هذا العمر الا الحقيقة ذاتها ، الا الدرس الذى يبقى لنا وللأجيال القادمة من اليساريين أن تتعلم منه ..

وعلى أية حال ... فلقد حرصت طوال رحلة الاثنين وعشرين عاما ألا أكون مؤرخا لحساب أحد أو متحيزا ضد أحد ، ولقد حاولت جهدى ألا أعطى أحدا

أى قدر من المجاملة، وألا أجامل الا الحقيقة ذاتها ..

ولعل هذا التشبث بالموقف، والاصرار على عدم الخضوع للابتزاز سواء عبر صداقة قديمة أو قادمة، عبر خصومة قد تبدو محيرة فى أسبابها .. لعل ذلك كله قد منحنى غضب الكثيرين سواء من أصدقاء الأمس أو اليوم، أو من خصوم الأمس واليوم.

لقد حرصت على ألا أجامل أحدا مهما كانت علاقتى به أو صداقتى له، حتى نفسى أبعدتها رغما عنها وحرمت عليها أن تطل عبر هذه الأسطر، فبرغم كل ما كان، لم يرد اسمى فى كل هذه الصفحات الا مرة أو مرتين وعندما كان ذكره ضروريا وحذفه طمسا للحقيقة.

ومع ذلك، وأمام غضب البعض أو تحيزهم فاننى أقول وبصراحة أننى لم أغلق لاباب الابداع ولا باب الانتقاد، لقد أديت ما اعتقدت أنه واجبى، وعلى الاخرين من منتقدين أو غاضبين أو يشمروا عن أقلامهم ويسجلوا ما أرادوا .. ولعل أيه كتابات أخرى ستكون اضافة مكملة للصورة ..

وأيضا .. فأننى لم أكتب لارضاء أحد أو اغضاب أحد، ولعله من الصعب أن أمضى كل هذه السنوات وأن أنفق كل هذا الجهد لغرض كهذا ..

فما كتبت الا متطلعا للمستقبل، وللاجيال القادمة وبهدف أن أقدم لها التراث مجمعا والدرس مستخلصا لتتقن كيف تصحح المسار الحالى والمقبل ..

ولعل ما منحنى القدرة على المواصلة، هو يقينى أن الزمن سيطوى كل الأهواء الشخصية وسيبقى الجهد والدرس الحقيقة التاريخية .. وأن الأجيال القادمة هى الحكم الذى ارتضى حكمه .. وأتقبله.

ولعلها سوف تقدر الفارق بين أن تضنى نفسك جهدا وبحثا وبين أن تكتفى بالنقد والانتقاد ..

والفارق سيكون كبيرا عندما نضع فى ميزان المستقبل مجلدات هذه الدراسة فى كفه وبمقابلها نضع كومة الانتقادات والثرثرات والشتائم.

ومن الآن أرتضى حكم الحاضر والمستقبل.

واذا كانت ندرة المعلومات تمثل عقبة صعبة أمام المؤرخ فان وفرتها هى أيضا مشكلة حقيقية، فأمام الندرة أنت تشعر بالعجز، وأمام الوفرة أنت تشعر بالحيرة، ماذا تختار وماذا تترك؟ خاصة وأن الأمر ليس أكاديميا صرفا فأنت

مطالب بأن تقدم المعلومات المتوازنة ، وفق حجمها الحقيقى ، فلقد تتوافر معلومات شتى عن حدث ليس بالهام ، ولقد تضن عليك مصادر المعلومات بما هو ضرورى للتعرف على الحدث الأكثر أهمية ويكون من الخطأ أن تنساق وراء الكم وان تتجاهل الكيف .. كذلك فأنك تكتب والأعين تلاحق سن القلم .. والبعض لايرضى منك أو عنك الا اذا أوردت عنه كل شيء وحتى التفاصيل المثيرة للملل والقليلة الدلالة يعتبرها هو مهمة ، وكم يكون صعبا أن تجتاز بعض المعلومات أن رأيت أنها غير هامة بينما أعين تلاحقك بعضها غاضب والآخر عاتب .. وحيرة الانتقاء تفرض عليك حيادا صارما لا يخضع لأى ابتزاز ، وتملى عليك أن تتشبث بالاكاديمية الصارمة .. التى تفسر علم التاريخ ومنذ ايام الاغريق بأنه « علم البحث عن الأشياء الجديدةبالمعرفة التى وقعت فى الماضى ».

ولكم تبدو سهلة تلك العبارة الموجزة .. « الأشياء الجديرة بالمعرفة » .. ولكم يبدو صعبا .. أن تتلاقى وجهات النظر لتحديد ما هو جدير بالمعرفة ..

وبرغم ذلك فقد اكتفيت بما اعتقدت بضمير خالص « أنه جدير بالمعرفة » وكنت اتجاهل غضب البعض الذى لم يكتف بما أوردته عنه ، ولم يكتف بما قلته تأييدا لمواقف اتخذها أو انتقادا لمواقف عارضها هو فى الماضى .

كنت أتجاهل كل هذا الغضب وأزعم لنفسى — بلا أية محاولة لخداعها — أن ضميرى يجب أن يفرض نفسه على سن القلم .. وألا يخضع — ولو بأقل قدر — لرغبات أو ابتزاز أحد أيا كان ..

ولقد بذلت جهدى فى أن اورد دراسة متوازنة أكاديميا ، ولكن متى كانت الأكاديمية المتوازنة قادرة على ارضاء الناس ، أو حتى البعض منهم .

وأمام الضغط النفسى من أصدقاء أحبهم .. وخصوم أحترمهم ، وآخرين لا يستحقون قدرا كافيا من الاحترام ولا يتقنون سوى ثرثرات المقاهى وتقولات العاجزين عن أى فعل .. قررت ألا أخضع لاى ضغط حتى ولو كان حسن النية .. ولم أكتب الا ما اعتقدت أنه صواب أو أنه ضرورى .

ولست أزعم أن كل ما ورد فى هذه المجموعة من الكتب كان كل الصواب ، أو أنه يخلو من الخطأ أو الأخطاء ، أو حتى من شبهة التحيز أو الانحياز ، فكيف لانسان أن يكتب تاريخ عمره وعمر جيله وقد نزع قلبه وألقى به بعيدا ، لكننى أزعم أننى كنت فى كل الأحوال أو أغلبها متوازنا،وعلى أية حال فان وجدت

شبهة تحيز فيكفينى أنها غير مقصودة ويكفينى أيضا أنها لم تنصرف الى شخصى ، ذلك أن الوحيد الذى تم التحيز ضده وعلى طول الدراسة هو شخصى الذى تجاهلت ايراده وعن عمد ، وأغفلت ذكره متعمدا ..

وعلى أية حال ، فأننى أكتفى — لنفسى — بأننى حققت لها هذا الحلم ، فدونت هذه الملحمة لتنقذ من الضياع والنسيان تاريخا مجيدا يستحق أن يدون ، ودروسا غالية يتعين الالمام بها والانتفاع منها ..

وأننى طاولت بها محاولات المؤرخين البرجوازيين لتسجيل تاريخ طبقتهم دون طبقتنا ، وأزعم أننى سددت الطريق على محاولات تزييف تاريخنا بل وأعتقد أن كتب هذه الموسوعة قد أصبحت — ودون أى استعلاء — مرجعا هاما لكل من أراد دراسة تاريخ طبقتنا وتاريخ الحركة الشيوعية المصرية .. ويكفينى هذا ويزيد .

ولست أزعم بأية حال أننى وضعت نقطة الانتهاء فى تدوين هذا التاريخ ، هو مجرد أساس يمكن البناء فوقه ، استكماله ، فحصه ، انتقاده ، تصويبه .. وهل كان بالامكان الاستكمال أو النقد أو التصويب دون وضع الأساس .

... وبهذا يكون حلمى قد تحقق ، ذلك الحلم الذى تسلط على قرابة الربع قرن ، عشت معه وله ، وبه ، ومن أجله ، ولقد كان ككل الأحلام البهيجة ممتعا .. وجميلا برغم الارهاق والمشقة .

ولكنه .. وبكل الصدق — لم يكن بامكانى أن أواصل هذه الرحلة الطويلة ما لم أحظ باهتمام وتشجيع ومساندة رفاق وأصدقاء اعزاء ، اعطونى بسخاء المناضل كل ما يحتفظون به من معلومات ووثائق وفتحوا قلوبهم وذاكرتهم أمام أسئلتى الملحة والمثيرة للحرج ..

كذلك لم يكن بامكانى أن أواصل ما لم تحظ كتبى الأولى باهتمام القارىء ، والحاحه فى متابعتى ومتابعتها ..

وبعد الطبعة البيروتيه الأولى من كتابى الأول فى هذه الموسوعة .. « تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ — ١٩٢٥ » شعرت باحباط شديد اذ منع طبعه فى مصر ، كما منع توزيعه ، وخيم على قدر من التردد ، فما قيمة أن تكتب كلمات لا تصل لأصحابها ، ولا تنبت فى تربتها ، وما قيمة أن تستخلص دروسا وخبرات لا يتعلم منها من تخصهم ثمارها ..

وأصبح توالى الطبعات البيروتيه ، وأرقام التوزيع العالية واهتمام الصحافة الغير مصرية أمرا يثير من الاحباط فى نفسى بأكثر مما يثير من الرضى . لكن القارىء فرض على ارادته فى ان أواصل فلكم دهشت اذ علمت وخلال فترات الشدة أن بضعة نسخ من الكتاب قد تسربت ، وأن البعض من شباب الجيل الحاضر المتطلع الى تجارب الماضى يقوم بنسخها وتداولها مخطوطة .. هنا أتانى قرار بأن أواصل ، قرار أصدره هؤلاء الشباب الذين نسخوا الكتاب وتداولوه سرا رغم الحظر والعنت .

أحسست أن لاجهد يضيع ، وان مصر وطبقتها العاملة ، وطليعة هذه الطبقة ، تمتلك القدرة على الالهام بالمواصلة حتى فى الزمن الصعب ، حيث كانت العيون المعادية ترقبنى شذرا وتحذرنى علنا وبفجاجة مثيرة ..

وواصلت رحلتى ..

والوثيقة هى عصب علم التاريخ ، وتتنوع الوثيقة باختلاف الزمن ، وتتفاوت أهميتها وفق الموضوع فللعصر الفرعونى مثلا وثائقه من البرديات أو الحجر المنقوش ، وللعصور التالية تنويعات من الوثائق .

لكنك قد تستجمع مئات البرديات وتقف مبهورا أمام عشرات من لوحات الحجر المنقوش دون أن تزداد فهما للعصر الفرعونى .

هنا يأتى دور المؤرخ ... أو بالدقة المرحلة الثانية من دوره ، فهو مطالب أولا بأن يستجمع أكبر قدر من مصادر المعلومات والوثائق ، لكن ذلك كله لا يكفى ، لأنه مطالب بعد ذلك بأن يدرس كل ما جمع دراسة منهجية تستهدف التعرف على أكبر قدر من الحقيقة حول موضوع الدراسة .

وفى موضوعنا تنوعت الوثائق .. نشرات ، مجلات ، مطبوعات ، تقارير ، وثائق قضائية (تحقيقات نيابة ، مرافعات المحامين ، قرارات الاتهام ، حيثيات الأحكام ، أقوال المتهمين) ووثائق حكومية كتقارير رجال الأمن ، أو مداولات الهيئات المختلفة وقراراتها ، ووثائق دبلوماسية كتقارير السفارات الى حكوماتها ، ووثائق شخصية أو هكذا أحاول أن أسميها اذ هى وثائق مستمدة من معلومات شخصية مباشرة ، مثل محاضر النقاش ، المذكرات ، الذكريات ، الرسائل الشخصية .. الخ ..

ولقد كانت هذه الوثائق الشخصية هامة جدا بالنسبة لى ، ولقد أملاها على موضوع البحث ، ولعلها كانت المرة الأولى التى اعتمدت فيها دراسة أكاديمية هذا الكم من الاعتماد على الوثائق الشخصية ، ففى حركة سرية تعيش حياتها النضالية فى ظل مطاردة لا تتوقف ، تصدر الوثائق ليختفى أكثرها بعد فترة من الزمن ، وتجمع ارشيفات ليضبط أغلبها ، ويبقى من ذلك كله ، مجرد علامة طافية على سطح متماوج ، مثل منظار الغواصة يظهر وحده فوق الماء ، بينما الجسد كله أسفله ، فالسيناريو الداخلى للمنظمة ، حواراتها ، صراعاتها ، أسرارها ، كيفية نسج المواقف ، ومبرراتها كل ذلك يبقى فى أغلب الأحيان حبيسا فى صدور المناضلين وفوق ذلك كله فان الابنية التنظيمية وأسلوب تكوينها ، وتكوين الهيئات وفك رموز الأسماء السرية وعشرات الأسرار التى تحفظ عليها أصحابها تحفظ الصوفى على مسبحته كل ذلك لا مجال للتعرف عليه دون « الوثائق الشخصية » وكله ضرورى لبحثنا بحيث لا يمكن تصوره بدونه .

ومن هنا اكتسبت هذه الوثائق الشخصية أهميتها فى دراستنا هذه على وجه الخصوص ، ورغم ذلك فان الدراسة قد فرضت على الكاتب أن يجتزىء القليل الأقل منها ليستند اليه فى بناء عملية التدوين التاريخى ، ويتبقى من هذه الوثائق الشخصية الجانب الأكثر أهمية .. وهو تكاملها ، وما تحتويه من معلومات وبيانات لم تجد طريقها الى الدراسة الأصلية كذلك يبقى منها قدرتها على أن ترسم أمامك صورة المتحدث وأن تقدمه لك كما كان أو كما هو ، وتحكى لك كيف اقترب من الفكرة ، كيف أصبح وكيف ناضل ، كيف أخطأ وكيف قال الصواب .. انها المدرسة الحقيقية التى يمكن أن يتعلم منها كل ما أراد أن يطل على الماضى ليتطلع للمستقبل .

ولهذا فقد كنت وطوال رحلتي مع هذه الدراسة أنتزع نفسي من مواصلة الاقتباس من هذه الوثائق الشخصية فكل كلمة تستحق أن تنشر ، ولكن لا حيلة لنا الا أن نخضع لمتطلبات توازن دراسة هى أكاديمية بالأساس .

وكنت أمنى نفسى وأعدها بأننى ما أن انتهى من انجاز هذه الدراسة .. ألا وأنشر كامل هذه الوثائق الشخصية وها أنا أفى بوعدى لنفسى .

ولست أشك فى أن الاعتماد على الوثائق الشخصية يمثل — فى بعض الأحيان — نوعا من المخاطرة الأكاديمية ، فأنت هنا تعتمد على ذاكرة انسانية ، وعلى رؤى

ذاتية وأحيانا قد يغلب على هذه الرؤية التى تتحول إلى « معلومة » نزعة شخصية أو حتى خلافات أو مشاحنات قديمة أو حديثة .. ولكم عانيت من أشخاص أرادوا أن يصوروا أنفسهم فرسانا لكل حدث ، ولكل حديث ، وأن يطفئوا أى جهد للآخرين ... ولكم عانيت من تواضع البعض الذين ينكرون ذواتهم فينكرون مافعلت أو يقللون من قدره ..

ولكن .. متى كان المؤرخ مجرد « مجلد » يقوم بمهمة « تجليد » مجموعات الوثائق بعضها الى بعض فى كتاب .

فالمؤرخ ازاء الوثيقة ، فاحص ومدقق وناقد ، يطابق الوقائع ويفحص كل قول ويقارنه بالمعلوم وبالمتيقن منه ويستخرج من عملية التحليل والمقارنة هذه .. الصحيح من الخاطىء .

لكن الوثيقة الشخصية تبقى ذات طابع خاص فهى تشى بصاحبها .. وهذا ما نريد منها بالضبط ، فنحن من خلال عملية التاريخ نريد أن نضع أصحاب هذه الوثائق موضع التقييم ، ليس فقط بما فعلوا ، وانما بما قالوا ، وكيف قالوه ، وبموقفهم من الآخرين .. وبمساحة ما افترشوه لانفسهم وما تركوه للآخرين أليس هذا فى حد ذاته تقييما .

لكنه هنا تقييم يشاركنى القارىء فى أدائه .

ومن ثم فلابد للقارىء أن يجد اختلافا فى الروايات ، بل وتناقضا فى بعض الأحيان ، واحذره مسبقا من أن يستند الى رؤية دون أخرى ، بغير تدقيق ، وهكذا فلعلها المرة الأولى التى يشرك فيها الباحث قارئه معه فى محاولة استخراج الخيط الصحيح من كومة الخطوط المتقاطعه ..

وفى غمار روايات متعدده لحدث واحد لابد من بعض تكرار ، لكنه تكرار غير ميكانيكى ، بمعنى أنه ما من شهادة تشبه الأخرى ، فلكل شهادة مذاقها الخاص ورؤيتها الذاتية المميزة ..

ولقد توقفت طويلا حول كيفية ترتيب هذه الوثائق ، ولقد كان أمامى أكثر من خيار ، كان بالامكان ترتيبها نوعيا ... محاضر نقاش ، ثم مذكرات وذكريات ثم رسائل ... الخ .

وكان بالامكان ترتيبها أبجديا ، أو مرحليا ..

لكننى اخترت أن أحاول قدر الامكان أن أرتبها زمنيا أى وفق المرحلة الزمنية

التى تتحدث عنها الوثيقة ، لكن الأمر أكثر تعقيدا فلقد تمتد الوثيقة الواحدة لتغطى مراحل زمنية متعددة ، كذلك فلقد وجدت من الأوفق أن تتجاوز وثائق الشخص الواحد وربما المنظمة الواحدة الى جوار بعضها البعض ، لعل ذلك يسهل على القارىء رؤية أكثر شمولية للحدث وللمتحدث ..

ولست أقدم الآن كل الوثائق الشخصية المتاحة .

فلابد للقارىء المتابع أن يلاحظ أن المجلدات الثلاث السابقة قد تضمنت عديدا من محاضر النقاش وتحقيقات النيابة والدراسات التى ضمنت كملاحق لهذه الكتب ..

ولم يكن ممكنا ولا ضروريا اعادة تضمينها هنا ، بل لعله كان إلزاما للقارىء بما هو غير لازم .

ولهذا فقد تجاوزت عن ضمها الى هذا المجلد معتمدا على أن أغلبية القراء يتابعون هذه الدراسة منذ بدايتها ويمتلكون القدرة على العودة الى المجلدات السابقة لاستكمال الرؤية ازاء الوثائق الشخصية أن وجدوا ذلك ضروريا .

أخيرا ..

ماذا يمكن أن أقول وأنا أكاد أضع نقطة الانتهاء .

ما من كلمات مهما امتدت يمكنها أن تصف حلما يتحقق ولا ان تفى بعرفانى بالجميل لكل من أسهم معى فى هذا الجهد ، بالقول أو بالوثيقة أو بالنقد ..

ما من كلمات يمكنها أن تصف فرحتى وامتنانى .

ومن ثم فما من ضرورة للالحاح على الكلمات كى تقدم ما هى عاجزة عنه ..

القاهرة ١١ أكتوبر ١٩٨٨

* * *

٢ ـ محمود الأطرش رسالة *

الجزائر فى ١٩ اغسطس ١٩٦٩

فضيلة الأستاذ رفعت السعيد

تحياتى واشواق حارة وبعد ... تجد طيه الرسالة المطلوبة عن دور الأممية الثالثة فى الشرق الأوسط وتحتوى على ١٣ صفحة.

اننى رغم عدم تدقيقنا فى مختلف المواضيع التى يجب ان تتضمنها هذه الرسالة بالتفصيل ، ارى نفسى مضطرا الى كتابتها بالشكل الذى تراه ـ وكل ما أرجوه ان اكون قد بلغت المقصود فى مساعدتك على عملك النبيل متمنيا لك اطيب النجاح .

كنت ارسلت لك جوابا لم اتلق اى رد عليه ، لذلك اعلمك بأننى ارسلت نسخة من هذه الرسالة الى مجلة « الطريق » اللبنانية قصد نشرها ولست ادرى اذا كانت ستنشر أم لا ...

الرجاء ابلاغ الاخ الكبير عاطر تحياتى وكذلك جميع الاصدقاء عندكم منى اطيب تحياتى وتمنياتى .

محمود الاطرش

(مراد)

---

* تردد اسم محمود الأطرش (المسمى حركياً مراد) أكثر من مرة خلال المناقشات مع عبد الرحمن فضل ومحمد دويدار حيث التقيا به فى جامعة كادحى الشرق بالاتحاد السوفيتى [١٩٢٤ ـ ١٩٢٦] .. وقد تعرفت على الرفيق محمود الأطرش بعد بحث مضن، وكان مقيماً بالجزائر ثم بالمانيا الديمقراطية وقد طلبت اليه ان يسجل ذكرياته كتابة .. فأوردها فى التقرير المرفق .

دور الاممية الثالثة الشيوعية فى تطور
الوعى الوطنى والاجتماعى لدى الطبقة العاملة والشعوب العربية

تأسست الاممية الثالثة الشيوعية رسمياً فى مؤتمرها الاول فى ٢ ــ ٦ اذار '' مارس '' ١٩١٩ بقيادة فلاديمير ايليتش لينين ، وكان تأسيسها ضرورة تاريخية حتمتها تطورات الاوضاع والتبدلات المحلية والعالمية العميقة ، التى حدثت خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها ، ولا سيما بظهور اول دولة اشتراكية للوجود تسيرها دكتاتورية البروليتاريا الثورية فى الاتحاد السوفيتى وبتعاظم حركات البروليتاريا الثورية فى العالم ، وثوراتها فى اوربا تم بنهضة الحركات الوطنية التحريرية لدى الشعوب المضطهدة والمغلوبة على امرها هذا من ناحية وانحراف الاممية الثانية من ناحية أخرى عن المبادىء الماركسية بعدما استولى الانتهازيون من الاشتراكيين الديمقراطيين على قيادتها امثال كاوتسكى ، فاندرفلد ، غيد جول ، وهيلفروبنغ وخيانة هذه القيادة للمبادىء الاشتراكية وللطبقة العاملة وانحرافها خلف تيار التعصب القومى والشوفينية بجانب برجوازيتها عند اعلان الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ واتخاذها من شعار '' الدفاع الوطنى '' ستارا لخيانتها ، ولدفاعها عن مصالح رأسمالى بلادها وعن مشاريعهم الحربية واطماعهم الاستعمارية .

وجد تأسيس الاممية الثالثة تأييداً ودعماً قويين لدى كافة الاحزاب والحركات الشيوعية والثورية فى اوربا والعالم التى رأت فى تأسيسها رمزاً لوحدتها ووحدة كفاحها ضد نير الاستغلال الاجتماعى والاستبعاد القومى . وقد تضمنت رسالتها تطبيق التعاليم والمبادىء الماركسية ــ اللينينيه على الاوضاع الجديدة انذاك ، سواء من أجل دعم وتعزيز اول حكومة للعمال والفلاحين والجنود،والدفاع عما بدات القيام به من تجارب بناء الاشتراكية على أسس عمليه لاول مرة فى التاريخ الانسانى . أو من أجل مساعدة الاحزاب الشيوعية والثورية الموجودة على تقوية صفوفها والاستفادة أكبر ما يمكن من تجربة الاممية الثالثة والحزب الشيوعى

البلشفى فى الاتحاد السوفيتى والمساعدة على تكوين احزاب شيوعية وثورية فى الاقطار التى لم تكن موجوده فيها ، ومنها اقطار الشرق العربى والاوسط ، وتعزيزها لتقوم بدورها التاريخى فى تحرير البروليتاريا من عبودية الرأسمال وتحرير الشعوب المظلومة والمستعبدة من سيطرة أكبر عدو لها ، الامبرياليه الغربية، تلك الشعوب التى اسقطتها زعماء الاممية الثانية من حساباتهم والتى اولتها الاممية الثالثة الشيوعية كامل عنايتها وخير شاهد على ذلك ما فرضته المادة الثامنه على الاحزاب الشيوعية فى الاقطار الاوربية من شروط الانتساب للاممية الثالثة والتى جاء فيها :

" ... فكل حزب يرغب فى الانتساب للاممية الثالثة ملزم بان يفضح بلا رحمة ولا هوادة احابيل امبرياليى (بلاده) فى المستعمرات وان يدعم لا بالاقوال بل بالافعال كل حركة تحريرية فى المستعمرات وان يطالب بطرد امبريالى بلاده من هذه المستعمرات ، وان يربى فى قلوب عمال بلده موقفاً اخوياً حقاً من السكان الكادحين فى المستعمرات ومن القوميات المضطهدة والمظلومة وان يقوم بالتحريض الدائب المنتظم فى صفوف قوات بلده المسلحه ضد كل اضطهاد للشعوب المستعمره . "

وعليه فان ما ابدته الاممية الثالثة من الاهتمام باقطار الشرق العربى والاوسط كان ناتجاً عن خطتها المبدئية التى اعتبرت القضايا القومية لشعوب المستعمرات جزءاً لا يتجزأ من الكفاح العام القائم ضد الانظمة الامبريالية والرأسمالية العالمية . ويلقى ما جاء فى تقرير اللجنة المختصة بالمسائل القومية وقضايا المستعمرات على المؤتمر الثانى للاممية الشيوعية ٢٦ تموز «يوليو» ١٩٢٠ ضوءا على هذه الخطة بنصه ما يلى :

«... ما هو الأهم فى موضوعاتها وما هى فكرتها الأساسية ؟ انها الفرق بين الأمم المظلومة والأمم الظالمة ونحن نبرز هذا الفرق على خلاف ما تفعله الأممية الثانية والديمقراطية البرجوازية يهم البروليتاريا والأممية الشيوعية جدا فى عصر الامبريالية الاشارة الى الوقائع الاقتصادية المعينة والانطلاق من حل جميع قضايا المستعمرات والقضايا القومية لامن المبادىء المجردة ، بل من ظاهر الحياة الواقعية ...»

جاء تأسيس الأممية الثالثة الشيوعية كأصدق تعبير عن امانى البروليتاريا الثورية والشعوب المضطهدة والطامحة فى الانعتاق من نير الرأسمالية والامبريالية كما جاء

تأسيسها كردكرد فعل على التحالف الرأسمالي الذى اصبح قوة عالمية ، تتطلب مكافحته والتغلب عليه لصالح تحالف قوى الكادحين والشعوب المضطهدة فى العالم ومن هنا تبدو أهمية الشعار الذى القاه لينين وحيويته : «يا عمال العالم ويا أيتها الشعوب المضطهدة اتحدوا» .

اذا اخذنا بعين الاعتبار ما أبدته الدول الرأسمالية والامبريالية على مختلف الوانها من ضروب القمع الرهيب الدامى ضد الحركات الشيوعية والثورية منذ نشوئها وكل الشعوب المجاهدة من اجل حقها فى الحياة واستقلالها ، وكذلك ضربها نطاق الحصار حول الاتحاد السوفييتي الفتى وتطويقه بستار حديدي كثيف ، قصد عزله عن بقية شعوب العالم للقضاء عليه فى مهده وخوفا من تسرب افكار الاشتراكية العلمية والتحررية بين صفوف الطبقة العاملة والشعوب المظلومة بعد ما باء عدوان تلك الدول المتكرر على تراب الاتحاد السوفييتي بالخيبة والفشل . هذا عدا الدعايات المسمومة والمضللة التى نشروها فى اطراف العالم حوله وفى ذلك يقول لينين :

«... واذا فصلت اوروبا الغربية عنا نفسها بسور كسور الصين ، وحتى اذا سقط البلاشفة الروس فى هوة لا قرار لها ، فان ذلك لن يخفف من وضع الامبرياليين الغربيين» من خطاب القى فى دار الشعب فى بتروغراد ١٣ اذار مارس ١٩١٩ م .

اذا اخذنا بعين الاعتبار كافة تلك التدابير وغيرها ، تبين لنا كم هى عظيمة تلك الجهود التى بذلتها الأممية الثالثة للتغلب على ذلك الوضع الذى أوجده الامبرياليون والرجعيون عملاؤهم فى جميع انحاء العالم ولمساندة ودعم قوى التحرر الوطنى المناضلة والبروليتاريا العربية فى الشرق الأوسط كى تشد ازرها فى كفاحها الثورى ضد عدوان الامبرياليين والصهيونية والرجعية العربية كى تمكن تلك الجماهير العاملة العربية والفلاحين والمثقفين الثوريين من تنظيم كفاحهم الوطنى والاجتماعى داخل احزاب شيوعية وثورية لم تعهد الاقطار العربية مثلها فى السابق واغنائها بتجارب ثورية علمية جديدة لتصبح قادرة على قيادة الجماهير وتعبئتها فى الكفاح اليومى حول مطالبها ومن اجل التحرر الوطنى خارج نطاق الملوك والامراء العرب والرجعية المحلية التقليدية .

غمرت الشرق العربى والاوسط انذاك موجه ثوريه عارمه لا سيما بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية ١٩١٧ ، التى نادت منذ نشوئها بحق كل الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها ، وكشفت فى نفس الوقت عدوان الامبرياليين الانكليز والفرنسيين وتآمرهم على تقاسم الاقطار العربية كأسلاب حرب فيما بينهم ، وبفضل جهود الاممية الثالثة وبفضل مساعدة الاتحاد السوفيتي السخية تمكن الشعب التركى من طرد الغزاه الامبرياليين واجلائهم عن تراب بلاده وتمكن الشعب المصرى بدوره من زحزحة أسس نظام الحماية الذى فرضه المستعمرون البريطانيون على مصر بعد ثورته الشهيرة سنة ١٩١٩ وكذلك ثورة الشعب العراقى والسورى والفلسطينى ...

وساعد مؤتمر مدينة باكو فى الاتحاد السوفيتى الذى عقد فى غضون سنة ١٩٢٠ وجمع بين جوانحه الثوريين من مختلف أمم الشرق وفيهم من مثل الشعب العراقى على تعزيز يقظة شعوب الشرق ، وانار الطريق أمام امكانية تحررها من نهب الامبرياليين اذا هى جندت صفوفها ووحدت قواها وجاهدت كما فعل البلاشفة فى اقطار الاتحاد السوفيتى من أجل استقلالها وحريتها .

وجه لينين انظار الاممية الثالثة والبروليتاريا الثورية فى العالم ، نحو الأهمية الخارقة لكفاح الامم والشعوب المستعبدة من أجل انعتاقها وتحررها ودور هذا النضال الهام فى اضعاف الامبرياليين وتعزيز مستقبل الثورة الاشتراكية بقوله :

" ... وعلى ذلك فالثورة الاشتراكية لن تكون لا كلياً ولا بصورة رئيسية عبارة عن نضال البروليتاريا الثورية فى كل بلد من البلدان ضد برجوازيتها ، انما ستكون نضالا من قبل جميع البلدان التابعة ضد الامبريالية ثم يقول :

«.. نحن نعلم ان الجماهير الشعبية فى الشرق ستنهض مستقلة بوصفها صانعة الحياة الجديدة لأن مئات الملايين من سكان الشرق تنتسب الى الأمم التابعة والمهضومة الحقوق ..»

(لينين وحدة الحركة الشيوعية العالمية صفحة ١٨٦ الطبعة العربية) .

ام الاقطار العربية عدد لا بأس له من الشيوعيين الذين ينتمون الى مختلف الاقليات القومية ولا سيما الأقلية اليهودية مثل فلسطين ومصر ولبنان وسوريا غير

ان الكثير من هؤلاء الرفقاء الذين اتو للحركة الشيوعية من مختلف الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ومنظمات البوند والصهيونية والذين أولاهم الرفاق العرب كامل ثقتهم ، اظهروا عجزهم عن ادراك حقيقة المبادىء الماركسية اللينينية فيما يتعلق بالقضايا القومية والاستقلالية وبطبيعة تلك المرحلة التى تتطلب تجنيد كافة الجماهير الشعبية من عمال وفلاحين وبرجوازية صغيرة ومثقفين ثوريين وحتى قسم كبير من البرجوازية الوطنية ثم توحيد كفاحها الوطنى التحريرى فى جبهة وطنية ثورية قادرة على تحقيق الاستقلال والديمقراطية وتوطيد اسمها وجروا الكثير من الرفاق العرب وراء خططهم الانعزالية هذه .

اجل ساعد الكثير من هؤلاء الرفاق الشيوعيين الاحزاب والحركات الشيوعية فى الاقطار العربية بنسب متفاوتة كما ساعدوا الحزب الشيوعى المصرى مثلا على تأسيس بعض القواعد له بين صفوف العمال فى الاسكندرية ومصر وبورسعيد وطنطا والسويس .. ضمن آلاف العمال وكان الحزب يتمتع فى أوائل العشرينات بنفوذ لا بأس به بين المثقفين الثوريين وخاض على رأس النقابات عدة معارك واضرابات عمالية لها اهميتها فى تاريخ الحركة الثورية فى مصر ونظم العديد من الاجتماعات والمظاهرات وكان اول حزب شيوعى اعترفت به الأممية الثالثة فى الاقطار العربية فى مؤتمرها الثالث سنة ١٩٢١ كما كان الحزب الوحيد فى مصر انذاك المبنى على أساس فرق وخلايا شعبية .. الا ان هؤلاء الرفاق اساؤوا فهم دور الطبقة العاملة وطبيعة الكفاح الوطنى التحريرى وطبيعة تلك المرحلة بالمرة وطبيعة اهدافها .

كان الكفاح القائم ذاك العهد ممثلا بين حكومة الباشاوات الرجعيين وعلى رأسهم الملك فؤاد ومن خلفهم الامبرياليون الانكليز من جهة وبين حزب الوفد البرجوازى الوطنى ومن خلفه جماهير الشعب المصرى الكادحة من جهة اخرى فى نظر هؤلاء الرفاق كفاحا بين الطبقات المستغلة «بكسر الغين» لا شأن للطبقة العاملة به بدلا من الوقوف بجانب حزب الوفد ودفع ذاك الكفاح الى الامام بالعمل على توسيع اشكاله الثورية وتعميقها بين الجماهير الشعبية بصورة تجعل من الصعب على حزب الوفد التراجع عن مطالب الشعب الأساسية خلال مفاوضاته مع الانجليز ولاكتساب اكثر ما يمكن من حقوق الشعب المصرى الوطنية والاجتماعية .

انهم اخطئوا ايضا فى تقدير دور الاقليات القومية فى مصر كما فى باقى الاقطار العربية اذ فى الوقت الذى كان فيه المستعمرون البريطانيون والفرنسيون يعملون على تفضيل تلك الاقليات القومية فى مصر وبالاخص فى فلسطين ومنحها مختلف الامتيازات على حساب الجماهير العاملة والشعوب العربية حتى اصبحت برجوازيتها تسيطر باشكال متفاوتة على قسم كبير من اقتصاد البلاد العربية وفى الوقت الذى كان يقوم فيه المستعمرون البريطانيون والفرنسيون باستخدام تلك الاقليات كآلة ضغط واضطهاد فى ايديهم لقهر الشعوب العربية وتحطيم حركاتها الثورية والتحريرية وجعلها جزءا متمما لاستعمارهم كانت اكثرية هؤلاء الرفاق تنادى الشعب المصرى والفلسطينى والشعوب العربية الاخرى للاتحاد مع هذه الاقليات القومية باسم التضامن البروليتارى الأممى بدلا من تحليل مواقف تلك الاقليات تحليلا علميا ماركسيا لينينيا وكشف ما تقوم به من اثام على أيدى برجوازيتها بتحالفها مع المستعمرين البريطانيين والفرنسيين فى مقاومة امانى الشعوب العربية وحركاتها الوطنية التحريرية ، ومطالبة جماهير تلك الاقليات بالتخلى عن تأييدها مع برجوازيتها للمستعمرين البريطانيين والصهيونية اذا ارادت حقا تأمين مستقبلها والتحالف مع نضال الجماهير العاملة والشعوب العربية التحررى وربط مصيرها بمصيرهم كما فعلت جماهير الاقلية القومية الارمنية فى سوريا ولبنان .

ساعدت مثل هذه المواقف التى لا تتفق والمبادىء الماركسية — اللينينية والتى كان ظاهرها التطرف اليسارى وباطنها الانتهازية والتخلى عن الكفاح الثورى على عزل الاحزاب الشيوعية فى الاقطار العربية ولا سيما الحزب الشيوعى المصرى انئذا عن الجماهير الشعبية الواسعة والفلاحين وسهلت للامبرياليين البريطانيين ولعملائهم الرجعيين المصريين الذين هالهم وجود مثل هذا الحزب الثورى فى مصر ، وما سيجره من الأخطار على مستقبل استعمارهم وامتيازاتهم الامبريالية ومصالحهم الرجعية فى مصر والشرق العربي سواء منها البترولية وغير البترولية ، مثل تأمين الاحتفاظ بطريق الهند ومستقبل الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، ساعدت مثل تلك الاخطاء البريطانيين على دفع حكومة حزب الوفد المصرى عند استلامه زمام الحكم ١٩٢٤ لتوجيه اقسى الضربات للحزب الشيوعى المصرى ، وهكذا قضت الحكومة الوفدية على علنيته باعلانها حله ومصادرة املاكه واعتقال الكثير من قادته واعضائه وزجهم فى مختلف السجون ونفى بعضهم خارج البلاد .

أصبحت منذ ذاك العهد ملاحقة الشيوعيين واعتقالهم وتعذيبهم والحكم عليهم بالسجن، والتشريد والنفى والأبعاد والاعدام والشغل الشاغل للمستعمرين البريطانيين وللحكومات الرجعية المصرية المتتابعة وكثيرون هم الذين لقوا حتفهم من الشيوعيين على أيدى البوليس البريطانى والرجعية المصرية أمثال انطون مارون وحافظ شعبان ...

لم ترَ الاممية الثالثة أو بالأصح القسم الشرقى فى الاممية الثالثة بداً لتلافى مثل تلك الأخطاء ، ولدفع الحركة الشيوعية والثورية فى الاقطار العربية الى الأمام من الالحاح أكثر من أى وقت مضى على تنفيذ خطة التعريب فى القيادات والاحزاب الشيوعية فى سائر الاقطار العربية ، وقد سجلت هذه المرحلة التى بدأت منذ أواسط العشرينات . بدء انتقال بعض قيادات الاحزاب الشيوعية لأيدى الرفاق العرب ، وبالطبع لم تمر تلك المرحلة التى سجلت تقدماً ملحوظاً فى اقبال بعض الجماهير العاملة والمثقفين العرب على الانخراط فى الاحزاب الشيوعية لا سيما فى سوريا ولبنان وفلسطين دون صعوبات ونضالات داخلية عنيفة طوراً،وطوراً هادئه أدت فى النهاية بمساعدة الاممية الثالثة الى ابعاد العناصر الانتهازية منها والصهيونية والتروتسكيه عن الحزب والبلاد ، وبالأخص تلك التى جاهرت بعدائها لخطة التعريب ونادت بالتعريب ولكن زائد التبلشف — ومعنى ذلك هو حرمان الاطارات العربية من الوصول للقيادات الحزبية حتى تتبلشف أى حتى تمر بمختلف الامتحانات والمراحل مثل السجون والملاحقات والتعذيب والتشريد ، وحتى تتشبع على زعمهم بالمبادىء الماركسية اللينينيه . مع أن أكثرهم لم ير لا السجون ولا التعذيب طيلة حياتهم وقد أظهرت التجارب جهلهم الفاضح للمبادىء الماركسية — اللينينيه وبالأخص فى القضايا القومية .

كانت تلك العناصر ترى فى التعريب خطة شوفينية مبنية على التعصب للقومية العربية ، ولكل ما هو عربى ، وتؤدى الى معاداة السامية والرفاق الأجانب ، وترمى الى دفعهم للصفوف الخلفية من الكفاح ، مع أن التعريب كان لدى الاممية الشيوعية خطة سياسية علمية مدروسه على أسس ماركسية لينينيه فرضته طبيعة المعركة التحريرية ومتطلباتها ، ويعبر عن مرحلة تاريخية معينة ومحتومة من تاريخ النضال من أجل الثورة الاشتراكية ، وهذه المرحلة هى مرحلة التحرر الوطنى والاستقلال .

بما أن الاقطار العربية . كانت اقطار مستعمرة وشبه مستعمرة يسيطر عليها الامبرياليون البريطانيون والفرنسيون بمساعدة الصهيونية والشركات والرأسمالية الأجنبيه والأقليات القومية والرجعيين المحليين لذلك تتطلب المرحلة الاولى من السير نحو الثورة الاشتراكية أولاً وقبل كل شيء الانعتاق من سيطرة الامبرياليين البريطانيين والفرنسيين وعملائهم الصهيونيين الرأسماليين الأجانب والرجعية المحلية الذين يشكلون أكبر عائق في طريق تحقيق الاستقلال الوطني ، أي في طريق بلوغ الهدف الأول من أهداف الثورة الاشتراكية ففي هذه المرحلة يساهم العمال والفلاحون وبرجوازية المدن الصغيره منها والمتوسطة وفريق من البرجوازية الوطنية بجانب الجماهير العامله العربية في النضال البارد والحار من أجل الاستقلال وهم جميعاً يشكلون جيوش الثورة الوطنية المحاربة في سبيل هذا الهدف ..

ولا يمكن لهذه الجماهير في نفس تلك المرحلة ان تثق لا في خاييم ابرهام ولا في اسحق .. ولا أن تسير خلف قيادتهم المباشرة ، حتى ولو كانوا من أفضل المناضلين للاستقلال الوطني لانهم ينتمون إما للامة الحاكمة أو للأقليات القومية التي أغدق عليهم الامبرياليون مختلف الامتيازات على حساب الشعوب العربية وجعلوا منها آله ظلم واضطهاد لمحاربة أماني الجماهير العامله والشعوب العربية وحركتها الوطنية والاستقلالية .

ولا يمكن لهذه الجماهير والشعوب العربية في تلك المرحلة بالذات ان تثق الا في زيد وعلي وبكر المنبثقين من صفوفها وان تسير خلفهم وخلف قيادتهم لان بها تربطهم رابطة القومية واللغة والعادات والتقاليد والدين ومعهم تتقاسم البؤس والهناء .. هذه هي بعض المعطيات الأساسية التي جعلت من التعريب ضرورة حتمتها طبيعة المرحلة الاولى من مراحل ثورة الاشتراكيين الا وهي مرحلة الاستقلال الوطني وقد رأت الاممية الثالثة أنه بدون تحقيق خطة التعريب هذه لا يمكن اعطاء هذه المرحلة الضروري من التكتيك الثوري ولا أن تصبح الاحزاب الشيوعية احزاباً جماهيرية حقاً وطلائعيه ، أهلا للاسهام في قيادة كفاح الشعوب العربية بجانب القوى الثورية الاخرى وتعبئتها للمعارك الحاسمة من اجل التحرر الوطني والاستقلال التام والديمقراطية .

لم تتدخل الأممية الثالثة لفرض خطة التعريب الا فى الاقطار العربية التى امكن فيها ايجاد اطارات جدية اظهرت قدرتها على القيام بتلك المهمة التاريخية مثل فلسطين لبنان وسوريا .. ومن هذه الناحية لم يساعد الكثير من المسئولين الشيوعيين الذين ينتسبون الى الاقليات القومية كما اسلفت هذه الخطة بل عمل بعضهم على عرقلتها ومحاربتها طورا بالطرق العلنية وطورا تحت الخفاء مثل ابو زيام الكاتب الأول للحزب الشيوعى الفلسطينى الذى نادى فى اوائل العشرينات بالهجرة الصهيونية بحجة انها تأتى بالشيوعيين وبالمبادىء الديمقراطية لفلسطين . ونادآب عضو السكرتارية للحزب واتباعهما ، الذين ابعدتهم الأممية الثالثة بعد نضال شاق ، عن فلسطين والشرق العربى لسنة ١٩٣٠ ، ومنهم من وافق على التعريب علنا وحاربه سرا مثل افيجدور ، ويوسف برجر (ابراهام بارزيلاى) الذى اختفى من فلسطين اثر اعتقال عضوين من اعضاء سكرتارية اللجنة المركزية العرب ، اثر انعقاد المؤتمر الوطنى السابع للحزب الشيوعى الفلسطينى أواخر سنة ١٩٣٠ وأوائل سنة ١٩٣١ وهما محمود المغربى ، ونجاتى صدقى وهو اليوم خارج الحزب والحركة الشيوعية ، ثم ظهر يوسف برجر — فيما بعد فى برلين كما ابعد أيضا افيجدور ونحمان ليستفيسكى عن لبنان وسوريا سنة ١٩٣٣ وبذلك ساعدت الأممية الثالثة على فسح المجال واسعا أمام تطور الاطارات الشيوعية العربية واقبال العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين العرب على الانخراط تدريجيا فى صفوف الاحزاب الشيوعية ومن خلال النضال الوطنى والاجتماعى اليومى ووضوح سياسة الاحزاب هذه وخطتها الوطنية والاستقلالية ..

كانت الأممية الثالثة تدعو دائما الاحزاب الشيوعية فى الشرق العربى والأوسط الى ارسال اكبر عدد ممكن من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين للدراسة فى الجامعة الشيوعية لعمال الشرق فى موسكو لتوسيع مداركهم العلمية والثورية والاطلاع اكثر على تجارب الاحزاب الشيوعية الاخرى والنقابات وبالاخص تجارب الحزب الشيوعى البلشفى والنقابات السوفييتية لتربية قادة شيوعيين وثوريين قادرين على مجابهة الاحداث وقيادة الجماهير فى مقاطع الكفاح الثورى ضد الامبرياليين والرجعية والتغلب عليها .

شاهدت الثلاثينات من القرن الحالى تقدماً ملحوظاً فى سير الحركة الشيوعية فى الاقطار العربية ففيها تبلور شعار الجبهة الوطنية والشعبية على أساس الجمع بين كافة القوى الوطنية التحريرية ضد عدوها الأكبر الفاشية والأنظمة الاستعمارية من أجل الحصول على مطالبها الوطنية والاجتماعية .

اعتنى المؤتمر السابع للاممية الشيوعية فى صيف ١٩٣٥ بهذا الشعار باعطائه محتوى ملموساً ساعد على توحيد طبقات الشغلية فى كثير من الاقطار وتعزيز تحالفها مع الفلاحين والفئات المتوسطة حول أهداف عاجلة ومطالب معينه ووجه فى نفس الوقت ضربه قاسيه للميول الانعزاليه والانتهازيه ، التى ظهرت خلال ذلك فى الحركة الشيوعية .

لهذا كان للمؤتمر السابع للاممية الشيوعية أهمية تاريخية عظمى ، لا بالنسبة للحركات البروليتارية فى الاقطار الرأسمالية فحسب ، بل للقوى الوطنية التحريرية فى الاقطار المستعبدة والمغلوبة على أمرها ذلك أنه ساعد على رفع شعار الجبهة وتعزيزه فى كل قطر تقريباً من اقطار العالم ، وعلى درجه عالميه ، بقصد تجنيد الجماهير العاملة الشعبية ، والشعوب فى النضال ضد عدوان النازيه وخطر حرب عالميه جديدة كما ساعد على رؤية مختلف التيارات فى الحركة الوطنية وأوضح كيفية العمل من أجل تطوير الميول الثورية والتحريرية فى ميدان الكفاح الوطنى وطرق توحيدها ودعى الشيوعيين عبر العالم للاشتراك فى الحكومات دون تحقيق دكتاتورية البروليتاريا بالاستناد على النضال الموحد للجماهير الشعبية من أجل تحقيق مطالبها العاجلة ولمحاربة أخطار الفاشية والحرب .

أظهر المؤتمر السابع للاممية الشيوعية أن توجيه النضال ضد النازية والفاشية لا يعنى الاستسلام لسياسة المستعمرين الانكليز أو الفرنسيين العدوانية ضد الشعوب الضعيفة بل يعنى النضال العنيد الدائب من أجل تحقيق مطالبها الوطنية والاجتماعية العاجلة منها والآجلة وتجنيد أكبر عدد ممكن من جماهيرها العاملة والشعبية ، حولها مع السعى لتحقيق التضامن من خلال ذاك النضال بين القوى الثورية والتقدمية فى كلا البلدين الظالم والمظلوم لقهر خطر النازية الناشىء حتى فى البلدان الأوربية الحاكمة نفسها .

وفى الثلاثينات نشأ وترعرع الحزب الشيوعى العراقى الكبير سنة ١٩٣٤ الذى لم يمنعه القمع الاستعمارى الدامى والاقطاعى الرهيب ولا ما قدمه من هذا العدد الهائل من الضحايا الثمينه عن متابعة نشاطه الصلب وأن يصبح أكبر حزب شيوعى جماهيرى فى العراق وباقى الأقطار العربية .

وكان الشيوعيون السوريون — اللبنانيون إحدى العوامل الأساسية التى قضت مع الجماهير الشعبيه السوريه العاملة لاسيما فى مدينة دمشق على المعاهدة الفرنسية السورية التى أراد المستعمرون الفرنسيون فرضها على الشعب السورى بقوة الحديد والنار فى شهر تشرين ١٩٣٢ على أساس تجزئة سوريا إلى خمسة ممالك كما كانوا إحدى العوامل الأساسية فى كشف مؤامرات المستعمرين الفرتسيين الفاشيست سنة ١٩٣٦ وعلى رأسهم المندوب السامى ودفعه للتمرد والثوره دونما استعداد لإراقة دماء أبنائه وحرمانه من حقوقه ومطالبه الوطنيه المشروعه وخلق فى نفس الوقت مشاكل جديده للحكم اليسارى القادم للجبهه الشعبيه فى فرنسا . وساهم الشيوعيون السوريون — اللبنانيون بنشاط فى الثوره السوريه ٢٥ — ١٩٢٧ بالأموال والرجال وتحملوا السجون والمنافى فى جزيرة تادوار كباقى الوطنيين الثوريين كما ساعدتها الأممية الشيوعيه مساعده ماديه ومعنويه كبيره .

ساهم الحزب الشيوعى السورى — اللبنانى فى سنة ١٩٣٦ بقسط وافر من النضال من أجل اعتراف حكومة الجبهة الشعبية بمعاهده فرنسيه — سوريه جديده تستجيب للكثير من رغبات الشعب السورى ولأمانيه الوطنيه ، وكانت بمثابة خطوه أولى — كما اعتبرها الشيوعيون انئذ فى طريق النصر والانعتاق من نير الاستعمار الفرنسى والرجعية السورية ومواقف الشيوعيين فى سوريا ولبنان معروفه فى قياده وتنشيط الاضراب العام الذى امتد الى خمسين يوماً والذى أعلن فى ربيع ١٩٣٦ وأرغم المستعمرين الفرنسيين على التراجع عن سياستهم العدوانية والاستجابه لمطالب الشعبين السورى واللبنانى وكذلك نشاطهم الحازم فى الحركة الاستقلالية وانتخابات ١٩٤٣ التى فاز فيها مرشح الحزب المأسوف عليه الرفيق فرج الله الحلو ب ١٠ آلاف صوت فى جبل لبنان وكذلك نشاطهم فى المؤتمر الوطنى اللبنانى ودورهم فى اعلان يوم ٢٢ — تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٤٣ عيداً وطنياً لبنانياً للاستقلال .

وبفضل نشاط الشيوعيين في سوريا ولبنان والعراق وفلسطين أخذ الكفاح العمالي والتنظيم النقابي يتطوران بسرعه فائقه وعلى أسس تنظيميه ديمقراطيه جديده لم يعهدها العمال العرب فى تاريخ كفاحهم وقاد الشيوعيون مع العمال عده اضرابات هامة مثل اضراب عمال المطابع فى مدينه بيروت أغسطس ١٩٣٣ وأسهموا بنشاط فى قيادة اضراب سيارات الأجرة لبنان ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ وغيره .. وقادوا مظاهره عمال النسيج اليدوى فى دمشق ١٩٣٤ وشرعوا فى تلك السنه بتنظيم عمال النسيج الآلى وعمال معمل الأسمنت والكوتسروه وساعدوا فى تنظيم أعمال نقابة عمال السكك الحديدية فى دمشق وعمال النسيج اليدوى فى حلب وعمال المطاعم والفنادق وعمال البناء فى مدينة بيروت ونظموا نضال الفلاحين فى لبنان سنة ١٩٣٣ ضد أحتكار شركة الريجى الفرنسيه للدخان اللبنانى الذى فرضه المستعمرون والفرنسيون والرجعيه المحليه على الفلاحين بالقوه وغير ذلك . .

لم يكن تكوين الحزبين الشيوعيين السودانى والأردنى وليد الصدف بل كان نتيجة لتلك الجهود الجباره التى بذلتها الأممية الشيوعية ولتطورات الحركة الشيوعية ونضالها الوطنى التحريرى والاجتماعى الدائب ويعتبر هذان الحزبان اليوم من دعامات النضال التحريرى والاجتماعى فى الشرق العربى والأوسط وكذلك الحزب الشيوعى الاسرائيلى (زكاح) الحزب الوحيد فى اسرائيل الذى وقف ويقف بجرأه نادره ضد الحرب العدوانيه التى شنتها دولة اسرائيل بمساعدة الامبرياليين الغربيين والامريكيين على الأقطار العربيه المجاوره رغم القمع والارهاب الصهيونى وطالب بانسحاب الجيش الاسرائيلى الى ما وراء حدوده ٥ يونيو ١٩٦٧ والاعتراف بحقوق اللاجئين الفلسطينيين العرب فى الرجوع الى أوطانهم وأملاكهم طبقاً لقرارات هيئة الأمم المتحده ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

كما لم يأت انبعاث الحركه الشيوعية فيما بعد فى مصر ، من عالم الغيب ، بل كان نتيجة لتلك الجهود التى بذلها الشيوعيون المصريون القدامى بمساعدة الأممية الثالثة وبجهود الحركة الشيوعية بمجموعها ولاسيما فى الشرق العربى ..

واذا بلغت الحركات القومية والثورية فى الاقطار العربية هذا المستوى الشعبى والجماهيرى الواسع والذى تشاهده اليوم بعدما تخلصت من قبضة الملوك والاجراء

والباشوات ومن احتكار كبار الملاكين والتجار الذين طالما تاجروا جميعاً مع المستعمرين والصهيونية بحقوق الشعوب العربية حفظا على استغلالهم وامتيازاتهم الجائره وتقاسموا معهم مختلف الغنائم وجنوا الارباح على حسابهم . فانهم تركوا ميراثاً ثقيلاً للحركات القوميه والثوريه يتمثل اليوم فى دولة اسرائيل ، والشركات البترولية والبنوك الاستعماريه .

واذا بلغت الحركة القومية الثورية والتقدمية هذا المستوى الذى نشاهده اليوم هذا لأن الشيوعيين العرب مع شيوعى الأقليات القوميه المخلصين تمكنوا بفضل الجهود الجبارة التى بذلتها الأممية الشيوعية بصمت وصبر وأناه طيلة عشرات السنين وما بذلوه هم من جهود خارقة وتضحيات كبيرة من المساهمة الفعالة فى رفع مستوى هذا الوعى والنضوج الوطنى والاجتماعى وأغنوه بالأفكار والنظريات العلمية الماركسية اللينينية وبتسطير برامج وتكتيك ثورى لها وهم لا يزالون يساهمون بهمة ونشاط في رفعة سواء فى النضال اليومى ، من أجل تحقيق جبهة القوى الوطنية الثورية والديمقراطية ضد أعدى أعداء شعوبنا العربية الامبرياليين والصهيونيين وعميلتهم الرجعيه المحليه أو بتطبيق الأفكار والنظريات العلمية الماركسية ــ اللينينية على واقعنا الوطنى وبين أوسع الجماهير العاملة العربية والفلاحين والمثقفين ولم ولن يمنعهم كل ما يلاقونه من ضروب القمع والارهاب القاسى والدامى من سجون وتشريد وتقتيل منذ نشوء الحركة الشيوعية فى الشرق العربى طليعة الكفاح الوطنى والاجتماعى . .

وعلى هذا الأساس كان ما قامت به الأممية الثالثة من أعمال لمساعدة الطبقات العاملة والشعوب العربية على تنظيم أحزابها الشيوعية ، وتعزيز نضال الحركات القومية والثورية ضد الامبراياليين والصهيونية والرجعية المحلية ومن أجل التحرر الوطنى والاجتماعى ايجابياً رغم ما اعترض تلك الأعمال والجهود من أخطاء ونواقص ومن غير الصواب تحميل الأممية الثالثة وزر أخطاء بعض المسئولين وأعمالهم التخريبية فى الشرق العربى والأوسط لذلك فان تأسيس الأممية الثالثة الشيوعية الوريثة الشرعية للأممية الشيوعية الأولى كان كما قال لينين :

" .. واقعاً تاريخياً يدل على مدى تخطى الأحداث للمفاهيم الاشتراكية الديمقراطية القديمة وللأحزاب الاشتراكية الديمقراطية وزناً وايديولوجيه وفعلاً .. "

ان الشيوعيين العرب وبالأخص القدامى منهم أدرى بتلك الجهود الكبرى التى بذلتها الأممية الثالثة رغم جميع الموانع والعراقيل ورغم الارهاب الدامى الذى ساطه الامبرياليون والصهيونيون والرجعيون وبدون تلك المساعده المباشرة وغير المباشرة كان من الصعب أن تبلغ الحركات الوطنية والثورية هذا المستوى الفكرى والوعى الوطنى والاجتماعى الذى بلغته اليوم .. ليس الشيوعيين وحدهم الذين ينادون اليوم بمبادىء الاشتراكية العلمية ويدعون للثورة الاشتراكية ، بل هناك فئات واسعة من المثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة الذين يتبنون مبادىء الاشتراكية العلمية والثورة الاشتراكية كأنجح طريق للقضاء على التخلف الموروث عن العهود الاستعمارية الغابره وأضمن وسيلة لتعزيز الاستقلال للوصول بجماهيرنا العاملة وبشعوبنا إلى قمة التصنيع والتقدم والازدهار والقضاء على استغلال الانسان للانسان ..

.. '' **محمود الأطرش** '' ..

* * *

٣ ـ مارسيل أسرائيل تشيريزى

تقرير

فيما يلى نص القسم الثانى من التقرير الـذى كتبـه مارسيـل اسرائيـل (تشيريزى) عقب ابعاده عن مصر فى عام ١٩٥٣ محاولاً أن يلخص فيه من وجهة نظره خبرة الحركة الشيوعية فى الفترة التى عاصرها فيها وقد رفع هذا التقرير الى الحزب الشيوعى الايطالى .
وما يلى هو ترجمة عن النص الفرنسى المكتوب على الآلة الكاتبة والذى أرسله مارسيل اسرائيل (تشيرزى) بنفسه للمؤلف بالبريد فى ينايـر ١٩٧٣) .*

وفى يوليو ١٩٤٢ ، وأثناء تقدم روميل سريعاً تجاه مصر ، لجأ أغلب الشيوعيين الأجانب الى فلسطين حيث قاموا باتصالات مع الحزب الشيوعى هناك ومع علم الحزب الشيوعى فى فلسطين بالانقسام الموجود داخل الحركة الشيوعية المصرية دعا وعلى الفور عدة أعضاء يمثلون مختلف التجمعات لدراسة أسباب الفرقة فيما بينها ووضع حد لهذه الفرقة . فاجتمع أعضاء سكرتارية الحزب الشيوعى الفلسطينى مع ممثلين للمجموعة المرتبطة بمجلة « المجلة الجديدة » وتلك المرتبطة بمجلة « حرية الشعوب » والمجموعة الماركسية التى يرأسها السويسرى J . D.** وكانت هذه المجموعة الأخيرة تؤيد الفكرة التى تقول بأن الظروف الموضوعية غير مواتية لتكوين حزب شيوعى ، فى حين رفض الحزب الشيوعى الفلسطينى هذه الفكرة . أما المجموعات الأخرى فكانت ترى أن الظروف الذاتية للحركة

* راجع القسم الأول من هذا التقرير فى د : د. رفعت السعيد . تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ـــ المجلد الأول ـــ ص ٦٩٨ رمز لجاكو دى كومب .

هى التى تحول دون اعادة بناء الحزب ، ولا يرون أن هذه العملية تشكل مهمة أو واجباً عاجلاً .

وكانت هذه المحاولة هى المحاولة رقم ٣ لتوحيد الماركسيين ، والتى قامت بمساعدة الشيوعيين الأجانب ، وكما حدث فى المرة الأولى عام ١٩٣٩ ، فانها قد فشلت فشلاً ذريعاً ، فبالاضافة الى أنها قامت بمساعدة حزب كان خارجاً لتوه من أزمة سياسية قاسية ، فإنها كانت أيضاً محاولة سطحية واصطدمت بموقف عدائى عنيد لمجموعة J.D التى كانت تصر على اعتبار أن أعضاءها هم الشيوعيون الوحيدون فى مصر .

وفى أوائل ١٩٤٦ كان موقف الحركة الشيوعية كالتالى :

(١) المجموعة الماركسية برئاسة السويسرى J.D ، نجحت فى تجنيد عناصر مصرية ، وتعمل بطريقة بطيئة للغاية . ولكنها حذرة ، '' فلم تحدث اعتقالات بين أعضائها حتى يوليو ١٩٤٦ '' .

وكانت هذه المجموعة على علاقة بمجموعة الشيوعيين اليونانيين فى مصر ، كما بدأت فى تكوين علاقات مع النقابات ، ونجحت فى ربط بعض القيادات العمالية بها . خصوصاً فى المنطقة الهامة لصناعة النسيج بشبرا الخيمة . والتى تعتبر أقوى موقع للشيوعيين .

وظلت هذه المجموعة بالاضافة الى قيادتها تتكون من الاجانب . وأهملت هذه المجموعة التربية الماركسية للأعضاء النقابيين الذين عقدت معهم صلات بصورة أو بأخرى . واكتفت بإسداء النصح لهم فى القضايا النقابية .

أما على الصعيد السياسي ، فقد سعوا الى تكوين جناح يسارى للحزب البرجوازى المسمى بالوفد ، ورغم افتقار هذه المجموعة الى الديناميكية فى ذلك الوقت ، فقد كانت ذات قدرة وتأثير .

(٢) الحركة المصرية للتحرر الوطنى بقيادة H. C * وكانت أكثر المنظمات

---

* رمز لهنرى كوريل .

ديناميكية فى مصر . وتمتعت بثقة عدد من الشيوعيين الانجليز من جنود الاحتلال فى مصر ، وكان عدد أعضائها من المصريين قليلاً وقت ذاك . وقد أنشاوا مكتبة ساعدت كثيراً فى نشر الأدب والصحافة الشيوعية فى مصر باللغات الأجنبية . وكان رئيسها فى ١٩٤٣ قد استضاف هنرى مارتى لدى مروره بمصر مما زاد من هيبته وتاثير هذه المنظمة . كما كانت لها علاقات سطحية ببعض النقابيين ، خصوصاً الموظفين . كما يجب أن نذكر ضمن نشاط تلك المنظمة انها نشرت عشر كتيبات ماركسية باللغة العربية وقد طبعتها ووزعتها سراً .

وهذه المنظمة — كما يظهر من اسمها — تتبع من الناحية السياسية ، خطا يرمى لانشاء جبهة وطنية ستندمج حسب اعتقادهم فى الحزب الشيوعى .

لقد كان لها أيضاً انحرافات قومية صريحة ، ولكن يحسب لها كونها قد حاربت البرواذرية فى مصر .

(٣) اسكرا بقيادة H. S* وكانت حتى ذلك الوقت مكونة من الأجانب فقط ، ولكنها بدأت فى انشاء علاقات مع بعض المثقفين المصريين ، كما كانت تساعد مالياً على اصدار جريدتين عماليتين ظهر فى النهاية ان محرريها كانوا من المغامرين . وكانت تحظى بثقة عدد كبير من الجنود الانجليز الشيوعيين ، وكانت تعطى اهتماماً كبيراً للتثقيف النظرى لاعضائها . ولكن هذا التثقيف كان يتم بطريقة اكاديمية بعيدة عن الواقع المصرى وعن احتياجات النضال ، كما كانت تهيمن على بعض التجمعات الأجنبية ، حيث جرى تجنيد واسع النطاق بين العناصر البرجوازية الصغيرة من الأجانب فى مصر . وقامت هذه المنظمة بأكبر دور فى الدعاية والتأييد للبراودرية فى مصر ، ولكن تم بعد ذلك نقد ذاتى لهذا ، ونشر بين أعضاء المجموعة .

(٤) كان هناك أيضاً مجموعة من الماركسيين مكونة من أغلبية الأعضاء السابقين فى تحرير الشعب وكانت قد تلقت ضربات عديدة وعنيفة من البوليس

وكانت تصدر المجلة الجديدة كما أسست حلقة اسمتها « لجنة نشر الثقافة

---

* رمز لهليل شوارتز .

الجديدة » وبالاضافة الى ذلك فقد انشات داراً للنشر بمساعدة إيطالى سمتها مطبوعات الفجر ونشرت عشرة كتيبات عن الماركسية والاتحاد السوفيتى ومن عناوينها (ستالين ــ الجيش الأحمر ــ تطوير الانسان ــ فونتمارا) .

وكان هذا التجمع الذى يتكون من المثقفين الماركسيين على صلة بالمجموعات الثلاثة الأخرى ، ولكنه استمر فى اتجاه تمصير « تحرير الشعب » ورفض اعتبار المجموعات الأخرى تجمعات ماركسية مصرية (بالنظر الى قياداتها الأجنبية) .

ولا يمكن القول بأن هذا التجمع كان منظماً بالمعنى الدقيق ، كما أنه احتوى على أخطاء وعيوب المثقفين .

وفى عام ١٩٤٤ حين استطاع الايطالى M . I* العودة الى مصر ، بعد أن ظلت السلطات المصرية طوال ثمانية عشر شهراً تعارض فى عودته من فلسطين وقديماً نتيجة تدخل اللجنة المعادية للفاشسنية ، اشترك M . I فى هذا التجمع تبعاً لرأى أيد بواسطة قيادات الأحزاب الشيوعية اللبنانية والفلسطينية .

وكان هذان الحزبان قد أرجعا انقسام الحركة الشيوعية فى مصر أساساً الى اسناد قيادتها لمجموعة من الاجانب يتصارعون باستمرار لأسباب لا تمت بصلة لمصالح الطبقة العاملة المصرية ولا يمكن انكار أن وضع قيادة الحركة الشيوعية المصرية فى أيدى الأجانب يشكل أحد الأسباب الجوهرية فى النزعات الانقسامية المتزايدة التى كانت تمثل سمة أساسية لهذه الحركة وقتذاك .

ثم ظهر اتجاه يرمى الى توحيد جميع الشيوعيين المصريين فى تنظيم مصرى خالص يضم جميع أعضاء المجموعات ذات القيادات الأجنبية . وقد دافع التجمع عن هذه الغاية ونظم مؤتمر أعيد من خلاله تنظيم « تحرير الشعب » على أساس أن تقتصر القيادة دائما على المصريين ، وكان العضو الوحيد الاجنبى الذى قبل فى قيادتها هو أحد الايطاليين وانفصل بعض الماركسيين

---

* مارسيل اسرائيل

المصريين عن التنظيمات الاخرى ، وانضموا الى هذه المنظمة ، ولم يحل ذلك دون احتفاظ جميع تلك المنظمات بعلاقات طيبة باعضاء تحرير الشعب ، واعترفت لها بطابعها المصرى الصميم . ولكن بعض اعضاء المنظمة الجديدة كان لديهم اتجاه الى عدم الثقة فى الماركسيين الاجانب (وهو الأمر الذى يمكن تفسيره — وليس تبريره — بالنظر الى الموقف الملموس للحركة فى مصر) وكان لتحرير الشعب علاقات وثيقة مع الشيوعيين فى سوريا ولبنان وفلسطين والعراق .

ويجب ان نشير هنا إلى ان انتصار ستالينجرد كان له دوى كبير فى مصر خاصة بين طبقة المثقفين وبعض الفئات المتقدمة من البروليتاريا .

وقد اعطت الحرب دفعة قوية للصناعة (وخصوصا الغزل والنسيج) واستخدمت ورش الجيش عشرات الآلاف من العمال كانوا يحصلون على اجور مرتفعة نسبيا بالعملة المصرية المستندة الى غطاء الخزانة البريطانية ، وحققت الشركات اربابحا خيالية وصلت فى بعض الحالات الى مائة فى المائة من رأس المال وأتاح الطلب المتزايد على الايدى العاملة فرصة للعمال لكى يشعروا بأهميتهم ونظمت الاضرابات بنجاح متزايد وزادت قوة النقابات . وفي عام ١٩٤٢ اعترف التشريع المصرى لأول مرة بالنقابات . وكانت هذه خطوة واسعة للأمام بالرغم من محدودية ذلك القانون ، والذى كان مثلا يمنع اقامة اتحاد عام للعمال أو تنظيم نقابات للعمال الزراعية . وبذلك أخذت الحركة العمالية فى النمو بشكل مواز للحركة الماركسية ، ولكن العلاقة بينهما كانت سطحية ولم تكن موجودة فعلا إلا فى قطاع صناعات الغزل والنسيج .

وفى خلال ١٩٤٤ حدث تمرد بين القوات اليونانية المتمركزة فى مصر ، واجتمعت اراء كافة المنظمات الماركسية فى مصر رغم خلافاتها على مساعدة ذلك التمرد . وحدث تعاون ملموس فى ذلك بين مختلف المنظمات لمساعدة اليونانيين ولكن الحركة المصرية للتحرر الوطنى بقيادة كوربيل كانت هى التنظيم الذى ساهم بأكبر نصيب فى تلك العملية .

وكانت ضروب من الشجاعة تمارس من أجل تمويل الفرق اليونانية التى تحاصرها القوات البريطانية فى الصحراء .

وقد كانت سنوات ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ سنوات حاسمة بالنسبة لقضية التمصير أما المجموعة الماركسية التى يرأسها D . J فقد أصدرت مجلة اسمها « الفجر الجديد » ، مستندة الى القوة التى هيأها لها دعم وتأييد الأعضاء الذين جندتهم من بين الماركسيين المصريين ، وسارت هذه المجلة على نهج « المجلة الجديدة » ، ولعبت دوراً فعالاً فى نشر الشيوعية فى أوساط الطلاب والمثقفين فى مصر وبعض الأوساط العمالية فى مصر حتى يوليو ١٩٤٦ .

وبالاضافة الى ذلك ، أسست هذه المجموعة داراً للنشر اسمتها « دار القرن العشرين » ، نشرت سلسلة من الكتيبات الهامة . اما تنظيم « تحرير الشعب » فقد استطاع الارتباط مع « اتحاد خريجى الجامعة » ، وسرعان ما تمكن من تأسيس وادارة المجلة التى تصدر باسم هذا الاتحاد ، وهى « الطليعة » ، كذلك فان دار النشر التابعة لذلك التنظيم وهى دار الفجر ، (يجب عدم الخلط بينها وبين الفجر الجديد) قد أصدرت عدداً كبيراً من المطبوعات التقدمية تعرض الكثير منها للمشكلات المصرية مثل المسالة السودانية ــ الملاريا فى الصعيد ــ مشكلة المرأة فى مصر .. الخ .

اما الحركة المصرية للتحرر الوطنى فقد كان لها ايضا مجلة هى «ام درمان» ورغم ان هذه الصحف الثلاثة كانت تعادى بعضها البعض ، الا انها لم تشتبك فى معارك وانما كانت تكتفى بتجاهل بعضها .

أما «ايسكرا» فقد انشأت وادارت جماعة سمتها دار الابحاث ، نالت شعبية كبيرة بين المثقفين ، وحتى بين بعض رجال السياسة الليبراليين وقامت بدعاية ماركسية واسعة رغم انحرافها بتأثير البراودرية .

وفى عام ١٩٤٥ ، شارك وفد مصرى فى مؤتمر الاتحاد الدولى للنقابات ، وكان اعضاء الوفد الثلاثة ــ رغم انهم نقابيون ــ موظفين وليسوا عمالا .

وكانت مجموعة الفجر الجديد والحركة المصرية للتحرر الوطنى هما اللتان قامتا بتنظيم المشاركة المصرية فى ذلك المؤتمر ، الذى احدث دويا هاما فى

الأوساط العمالية (خصوصا فى شبرا الخيمة) وقد كانت هاتان هما المنظمتان الوحيدتان اللتان ارتبطتا بالعمال ارتباطا عميقا .

وأخذت الشيوعية فى الانتشار بين الطبقة العاملة ، ولكن من سوء الحظ ان ارتباط الشيوعيين بالحركة العمالية ، كان يسير جنبا الى جنب مع انتقال الانقسامات التى تمزقهم الى تلك الحركة .

وأصبح الاعضاء النقابيين البارزين فى تلك المنظمات الشيوعية يتصارعون فيما بينهم وفقا لتوجيهات قياداتهم .

وفى نهاية ١٩٤٥ — ورغم انه كانت هناك ثلاثة منظمات لازالت قياداتها اجنبية — أصبح من الممكن القول بأن عملية تمصير الحركة قد تمت ، سواء من حيث غالبية كوادرها وصحفها ومطبوعاتها أو من حيث ارتباطها بالواقع المصرى .

خامسا : النضال للسيطرة على قيادة الحركة الوطنية

طرح انتهاء الحرب على الفور ، قضية التحرير الكامل لمصر من نير الامبريالية .

فمصر كانت مستقلة من الناحية الشكلية (طبقا لمعاهدة ٣٦ المبرمة بين مصر وانجلترا) ولكن من الناحية الواقعية كان الانجليز هم الذين يحكمونها ولم يكونوا ليتورعوا اذا دعت الضرورة من استغلال قوات الاحتلال فى فرض ارادتهم ، مثلما حدث فى فبراير ١٩٤٢ . لقد أظهرت الحرب خبث وزيف اتفاقية ٣٦ ، فالانجليز يحتلون مصر عسكريا ويراقبون ويتحكمون فى عملتها التى كان غطاؤها فى الخزانة البريطانية ، ويمتلكون المواقع الاقتصادية الحيوية (البنوك وشركات التأمين وشركات البترول) ويعينون ويعزلون الوزراء . وبذلك عبرت شرائح واسعة من البرجوازية المصرية التى صفقت من قبل لاتفاقية ٣٦ واعتبرتها انتصارا كبيرا لحزب الوفد . عبرت تلك الشرائح عن استيائها وعدائها لتلك الاتفاقية . فقد اصطدمت تلك البرجوازية من خلال نموها الضخم اثناء الحرب بالعوائق التى يضعها الاستعمار .

اما البرجوازية ، وخصوصا جماهير الموظفين — والتى وقعت ضحية الغلاء والتضخم — فقد اخذت منحى راديكاليا .

أما جماهير الفلاحين ، فقد ازدادت أوضاعها سوءا اثناء الحرب . بدليل ما قاسته من أوبئة الملاريا والحمى الراجعة (التى قضت فى اسابيع على عشرات الآلاف من الفلاحين) ولكنها كانت دائما وبشكل عام تلك الجماهير التى يسيرها خوفها من كبار الملاك الأقطاعيين وجهاز الدولة . اما البروليتاريا .. وبالنظر الى نمو وتطور الصناعة وزيادة أحتياجات ورش قوات الاحتلال اليها . فقد زادت عدديا بشكل واضح وكذلك زاد تركزها . وبالتالى ارتفعت اجور العمال بزيادة الطلب عليهم ، بينما كان ارتفاع تكاليف المعيشة يعمل بشكل مواز على خفض القيمة الحقيقية لتلك الاجور .

وزادت قوة الحركة النقابية . ولكن الظاهرة الهامة كانت هى الارتباط (ولا نستطيع ان نقول حتى الآن الانصهار أو الاندماج) بين الحركة العمالية والحركة الماركسية التى كانت تسعى الى تنمية الوعى السياسى لدى البروليتاريا .

وهناك ايضا فئة اخرى من الجماهير لها اهمية كبرى فى المستعمرات واشباه المستعمرات . وهى الطلبة الذين كانوا عام ١٩٤٥ كثيرى العدد ، ويعمل — أو يقع — أغلبهم تحت تأثير الشيوعية .

وقد تأثرت الحركة الوطنية المصرية بما تميزت به الحرب الثانية من سمة التحرر وزادت قوتها بتزايد تأثير الاتحاد السوفييتى والذى لعب الدور الأساسى عالميا بالنسبة لقضية تحرير جميع الشعوب . وفى داخل تلك الحركة الوطنية — والتى كان الوفد غالبا هو قيادتها الفعلية — احتلت الحركة الشيوعية مكانها وأخذت تقترب من موقع القيادة .

وفى أوائل عام ١٩٤٦ ، فى شهر فبراير على وجه التحديد ، قمعت السلطة مظاهرة طلابية بعنف شديد ، وسقط عشرات الطلاب فى النيل ، وهو ما عرف بمذبحة كوبرى عباس . وأمام استنكار جماهير الشعب اضطرت الحكومة (التى كان يساندها كل من القصر والانجليز

والاحتكاريون المصريون) الى الاستقالة .

وفى الوقت نفسه ، تأسست فى القاهرة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وضمت مندوبين من النقابات ومن الاتحادات الطلابية .

وكانت اغلبية هذه اللجنة — وهى جنين حقيقى لجبهة ثورية وطنية — اعضاء فى الوقت نفسه فى تنظيمات شيوعية مختلفة — واصدرت تلك اللجنة كثيرا من النداءات والمنشورات وتميزت بديناميكية كبيرة .

وفى خلال عدة أيام ، اصبحت تلك اللجنة على رأس الحركة الوطنية فى مصر . أما الوفد فأخذت لجنته القيادية موقفا سلبيا بتأثير الخوف ، بينما ايدت شبيبة الوفد اللجنة الوطنية (بل وحتى بعثوا بممثلين لهم فيها) .. وكذلك ايدتها الصحافة الواقعة تحت تأثير الجناح اليسارى من الوفد .

وبدأت اللجنة الوطنية على الفور تكوين لجان اقليمية (محلية) فى جميع المدن المصرية فنادت باضراب عام ضد الامبريالية فى الحادى والعشرين من شهر فبراير . وكان ذلك يوما لا ينسى فقد توقفت الحياة تماما ليس فقط فى المصانع ومرافق المواصلات والجامعة والمحلات ، وانما ايضا فى جميع مصالح الحكومة .

ونظمت مظاهرات ضخمة صامتة تحت قيادة أعضاء من اللجنة ، قاموا بالقاء الخطب فى مختلف انحاء القاهرة . وحين اقتربت المظاهرات من ثكنات جنود الاحتلال قرب قصر النيل ، اطلقت عليهم النيران حيث قتل العشرات . واصدر البوليس المصرى نداءا الى الجيش ، وجاءت لحظة كاد فيها الجيش المصرى الذى هتف له المتظاهرون ان يطلق النار على قوات الاحتلال البريطانى التى انتشرت فى الطرق بالمصفحات .

وقد ظل هذا اليوم الذى شهد لأول مرة قيام الشيوعيين بقيادة الحركة الوطنية المصرية سياسيا وتنظيميا ، اشهر وأهم يوم فى تاريخ الحركة الوطنية المصرية تحت اسم يوم الجلاء . وقد ادى بالفعل الى جلاء القوات البريطانية من القاهرة والاسكندرية وتمركزهم فى منطقة القناة .

وجعل الاتحاد العالمى للشباب الديمقراطى يوم ٢١ فبراير عيدا عالميا لكفاح الشعوب المستعمرة . فقد شهد هذا اليوم نفسه فى الهند أيضا هبة جماهيرية ضد الاستعمار .

ثم اصدرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بعد عدة أيام نداءا بالقيام باضراب عام فى مصر للاحتجاج على مذبحة ٢١ فبراير وتم تنفيذ ذلك الاضراب بشكل كامل فى جميع مدن مصر .

وحين رأت حكومة الباشا الرجعى صدقى نفسها فى خطر ، لجأت الى الاخوان المسلمين لبث الاضطراب فى صفوف الشعب . وكون اولئك لجنة اخرى اخذت تصدر البيانات الديماجوجية والتى فى حقيقتها تؤيد الحكومة .

وكان لجوء الحكومة الى تنظيم فاشستى لمقاومة الحركة الديمقراطية دليلا جديدا علي نمو تلك الحركة . ومن ناحية أخرى فقد فشلت محاولات الاخوان المسلمين وانضمت كثير من قواعدها اى اللجنة الوطنية .

وقد شكل تكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة نقطة تحول فى تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر . فقد اكتشفت هذه الحركة لأول مرة مدى قوتها وقدرتها على السيطرة على الجماهير (ولقد اصيبت مختلف المنظمات الشيوعية نفسها بالدهشة ازاء النتائج التى اسفرت عنها حركتهم) ولكن للأسف فان الصراعات الأنقسامية بين المنظمات الشيوعية قد استمرت فى داخل اللجنة ـــ الأمر الذى كان لا بد وأن يؤدى لاضعافها .

وتحت قيادة الشيوعيين (المنتمين الى مختلف المنظمات) وجهت الدعوة لاقامة مؤتمر للنقابات لأول مرة فى مايو ١٩٤٦ ، ولكن البوليس حاصر المقر الذى كان مقرراً عقده به . الا أن المنظمين قرروا فى اللحظة الأخيرة تغيير مكان الاجتماع مما ادى الى امكان انعقاده ، وأصدر هذا المؤتمر كراسة مطالب للطبقة العاملة وبدأت جماهير الطبقة العاملة المصرية فى التجمع تحت لواء الشيوعيين .

ومما لا شك فيه ان الشيوعيين لو كانوا منظمين فى حزب (وليسوا منقسمين على انفسهم) ولو كان لهم برنامج معلن واستراتيجية موضوعة (بدلا من الارتجال التقليدى) لكان بامكانهم ان يحافظوا على مكانهم على رأس الحركة الوطنية المصرية ويدعموه . ذلك المكان الذى حصلوا عليه حين طرحوا شعاراً واضحاً ومحدداً هو الجلاء . وكان بامكانهم أن يكسبوا الى صفوفهم الطبقة العاملة التى كانت تزداد نضالية ، ويجب هنا أيضاً أن نؤكد أن الخطأ الأكبر لتلك اللجنة هو عدم ارتباطها بالفلاحين وهو الأمر الذى حال بينها وبين تجربتها ـــ والى جانب

الاضطرابات السياسية فقد نظمت سلسلة من الاضطرابات الاقتصادية قام بها العمال ، ذلك أنه بعد انتهاء الحرب العالمية ، لم يعد باستطاعة عديد من المصانع فى مصر (وكثير منها أجنبى ، أن تستمر فى تحقيق الأرباح الخيالية التى كانت تحصل عليها ابان الحرب ، ومن ثم حاولت تخفيض أجور العاملين . ولكن العمال عبروا دائماً عن درجة عالية من النضالية حين يتعلق الأمر بتحقيق مستوى أعلى من الموجود فعلاً .

فقد قاوموا محاولات اصحاب المصانع والتفوا حول نقاباتهم .وقد جمع مؤتمر مايو ١٩٤٦ فعلياً الطبقة العاملة على المستوى الوطنى . وكان كثير من قادته ينتمون الى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة التى كانت تأثيرها السياسى فى تزايد مستمر . وكانت قد دعت منظمات الموظفين والمستخدمين الى ارسال مندوبين عنهم فيها . وقررت حكومة صدقى بأوامر من الامبريالية اللجوء الى العنف . فقبض على عدد كبير من النقابيين فى شهر مايو وعلى رأسهم من شاركوا فى اللجنة الوطنية . وفى يوليو منعت جميع الصحف التقدمية من الصدور (الفجر الجديد ــ الطليعة ــ أم درمان) بالاضافة الى جريدة يومية وقديمة كبيرة هى الوفد المصرى بتهمة تأييد اللجنة الوطنية واعتقل مئات الشيوعيين والوطنيين التقدميين واقيمت عليهم دعوى كبرى سميت المؤامرة الشيوعية وأثارت ضجة كبرى حول الذى صوروه على انه المليونير اليهودى زعيم الحركة الشيوعية . (وذلك بهدف الحط من شأنه والاساءة الى سمعته) وحين افرج القضاء عن جميع المتهمين قدم صدقى مرسوما بقانون يشكل تشريعا جديدا مضادا للشيوعيين مستوحى من التشريع الفاشيستى (وهو التشريع الذى يحاكم الشيوعيين بمقتضاه حتى اليوم) .

وبمجرد خروج الطلبة المصريين من السجن . شاركوا فى المؤتمر العالمى للطلاب فى براج بل وانتخب أحدهم عضواً فى اللجنة التنفيذية وفى نفس الفترة التى ارتبطت فيها الحركة الشيوعية بالجماهير (العمال والبرجوازية الصغيرة) ظهر تيار قوى فى قواعد مختلف المنظمات يدعو الى توحيدها . وكان ذلك التيار سائداً بالذات بين العناصر التى اقتضى عملها اتصالاً مباشراً بالجماهير وحظى هذا التيار بتأييد قيادات الاحزاب الشيوعية اللبنانية والفلسطينية خلال مرورهم بالقاهرة . وكذلك بتأييد عضوين من الحزب الشيوعى البريطانى . وعقدت كثير من

الاجتماعات بين هؤلاء وبين قيادات المنظمات الشيوعية المختلفة فى مصر فى أوائل ١٩٤٦ . وشكلت لجنة للتوحيد ودعيت كل من المنظمات الأربع الموجودة إلى ارسال ممثلين عنها فى تلك اللجنة ، لمناقشة الخلافات التي تفصل بين تلك التنظيمات . ووافقت على ذلك جميع المنظمات ما عدا الفجر الجديد التى رفضت الاعتراف بأن المنظمات الثلاث الأخرى شيوعية . ولكن المنظمات الثلاثة الباقية قررت استئناف المناقشات فى موضوع التوحيد وقام على الفور تعاون ومشاركة على مستوى العمل العلنى (المشروع) .

وتكونت لجان فرعية للتنسيق . وفى النهاية انضمت الفجر الجديد الى احدى هذه اللجان . وهى المختصة بتوجيه الصحافة العلنية .

وبذلك حدث تعاون بين المجلات الثلاثة الكبرى وهى الفجر الجديد والطليعة وأم درمان (قبل أن يمنع صدورها) . وفى النهاية تعاونت التنظيمات الثلاثة فى اصدار نشرة شهرية سموها (وحدة) وكانت تلك هى المحاولة الرابعة لتوحيد الحركة الشيوعية المصرية . (وقد تمت أيضاً بمساعدة الشيوعيين غير المصريين) .

واصطدمت هى الأخرى بالعناد الانفصالى لمجموعة الفجر الجديد : وتميزت هذه المحاولة عن الثلاثة التى سبقتها بحدوثها فى مرحلة لم تكن الحركة الشيوعية فيها قد تم تمصير غالبيتها فقط وانما أيضاً كانت قد بدأت ترتبط عضوياً بالطبقة العاملة وبالجماهير ، ولكن تلك المحاولة تشابهت مع سابقتها فى انها خلقت انفصالاً مصطنعاً بين قضية التوحيد وقضية بناء الحزب . أو اعادة بنائه بعبارة أصح . فبدلاً من مناقشة البرنامج واللائحة والخط الاستراتيجى والتكنيكى ، أو باختصار بدلاً من مناقشة توحيد الحزب انصرفت اللجنة الى مناقشة الاتهامات المتبادلة فى الأمور التفصيلية .

ولكن ذلك لا ينفى أن هذه اللجنة قد حققت بعض النتائج . وفى بداية ١٩٤٧ اتحدت كل من اسكرا وتحرير الشعب مكونين منظمة جديدة سميت الطليعة المتحدة . وقد اتحدت تلك المنظمة بدورها بعد عدة أشهر مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى مكونة المنظمة الكبرى المعروفة باسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى « حدتو » . وفى يوليو وأغسطس ١٩٤٦ تأسست منظمة جديدة انقسمت عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى مجموعة اتخذت اسماً لها

« العصبة الماركسية » . وفى نفس الوقت رفض بعض أعضاء تحرير الشعب الاعتراف بالاتحاد مع اسكرا وأعادوا تكوين منظمتهم باسمها القديم .

وشكل تكوين « حدتو » خطوة واسعة فى تقديم الشيوعية المصرية وقد كان هذا التنظيم قائماً على أساس اقرب الى الجبهة الوطنية منه الى الحزب ويجب أن نتذكر هنا أنه مع بداية تمصير الحركة الشيوعية أصبح المصريون والأجانب ينظمون بشكل منفصل ومستقل فى داخل المنظمات الشيوعية القائمة (وقد كان أغلب الأجانب لا يعرفون حتي اللغة العربية وتختلف ميادين نشاطهم عن ميادين نشاط المصريين تماماً) . وحين بدأ الارتباط بالعمال اتسع نطاق تطبيق هذا الأسلوب بحيث نظم قطاع منفصل للعمال وآخر للطلبة وهكذا . وقامت اللجنة المركزية لكل منظمة بتوزيع المسئوليات عن مختلف القطاعات على أعضائها . أما داخل « حدتو » وهى الشكل الذى ولد تاريخيا كنتيجة لتكوين الحركة فيي بدايتها من الاجانب فقد تطورت الى نوع من الفدرالية . (وحتى الآن يرجع عدد كبير من الصفات المميزة للحركة الشيوعية المصرية الى التركيب الأجنبى الأصل للقيادات) بحيث أن كلا من قطاعاتها (وكان هناك حوالى عشرة قطاعات مقسمة تبعاً للطبقة الاجتماعية والجنس والجنسية .... الخ) كانت ترسل ممثلاً الى اللجنة المركزية حيث غلبت على طبيعة المناقشات بين أعضائها لغة التحاور بين ممثلين لقطاعات مختلفة أكثر من العمل على قيادة وتحريك التنظيم ككل . وبالاضافة الى ذلك ، كان لكل قطاع نشرته أو جريدته السرية . وكثيراً ما كان يحدث أن تتبع تلك الجرائد خطوطها مختلفة بل ومتناقضة .

وكانت حدتو وهى منظمة مصرية أساساً تخضع لقيادة سكرتارية يسيطر عليها اثنان من الاجانب (يكره كل منهما الآخر) . الأول باعتباره سكرتيراً سياسياً . والثانى تنظيمياً . وسادت أشد اشكال المركزية بيروقراطية فى ذلك التنظيم . أو بالأحرى فان اموراًمثل حق النقد أو امكانية مناقشة الخط الذى تتخذه القيادات كانت منعدمة تماماً فى القاعدة .

واستمراراً لاتجاه التلقائية الذى ساد الحركة الشيوعية المصرية فان « حدتو » لم يكن لديها أى برنامج أو لائحة واكتفت بأن تطرح من وقت الى آخر خطوط تكتيكية متفاوتة فى الصحة (فمثلاً خطها تجاه المسألة الفلسطينية كان سليماً أما

اتجاه المسألة السودانية فقد اعتبر موقفها انحرافها شوفينيا) . وقد ضمت حدتو فى وقت من الأوقات حوالى الف وستمائة عضو وكانت المنظمة المصرية الأولى التى أنشأت فروعاً فى جميع أنحاء مصر (كانت لها فروع فى جميع المدن المصرية) وقد جندت أعضاء من بين أفراد الجيش المصرى كما بدأت فى انشاء علاقات مع الفلاحين وكانت لديها مجلة اسبوعية علنية هى « الجماهير » التى أنشأتها « الطليعة المتحدة » عشية التوحيد وكان يديرها صحفى موهوب هو شهدى عطية الشافعى (الذى حكم عليه عام ١٩٤٩ بالاشغال الشاقة سبع سنوات مع وضع القيود فى قدميه) ووصل توزيع هذه المجلة الى ١٥ الف نسخة وكانت هى الأداة المحركة والمسيطرة على الجامعة حيث أخذ التجنيد صورة متزايدة السرعة . كما كانت هى المنظمة الوحيدة التى لها علاقة عملية بالعمال فى القاعدة الصناعية بالاسكندرية ، اما فى القاهرة فقد شاركتها منظمة الفجر الجديد فى تأثيرها على العمال . وكانت « حدتو » توزع عدداً كبيراً من المنشورات السرية سواء فى مجال الكفاح السياسى أو الاقتصادى ولجأت فى كثير من الأحيان الى الملصقات الحائطية ولكنها أهملت الجريدة المركزية السرية التى لم تعد تصدر بشكل منتظم واتسمت مادتها بالسطحية التى تعكس عدم اهتمام اللجنة المركزية ، كذلك فقد أهمل التكوين النظرى للأعضاء اهمالاً خطيراً . وظهر تيار داخل اللجنة المركزية ينادى بتقوية النشاط التثقيفى . وتم تدعيم مكتب الدعاية المركزى وسرعان ما ظهرت نشرة نظرية دورية باسم « الوعى » ونشرت مقتطفات من نشرة مكتب الدعاية باللغة العربية ونظمت دراسات فى الماركسية بالاضافة الى صدور عدد كبير من الكتيبات بشكل علنى وشرعى عن طريق دار نشر الفجر (التى أعيد تأسيسها تحت القيادة النشطة لمؤسسها أسعد حليم) منها تقرير زدانوف أمام الاجتماع الأول لمكتب الاعلام (الكومنفورم) وبالاضافة الى ذلك كانت تصدر نشرة باللغتين الفرنسية والانجليزية باسم «اخبار مصر» بغرض احاطة الحركة الشيوعية العالمية بالموقف فى مصر . كذلك كانت حدتو على علاقة رسمية بمكتب المستعمرات فى الحزب الشيوعى الفرنسى . والى جانب ذلك ففى عام ١٩٤٧ كلف عضوان لدى مرورهما بايطاليا بمناقشة قيادة الحزب فى بعض المسائل التكتيكية مثل (خلق حزب ديمقراطى — دور الأجانب فى الحركة المصرية ... الخ) ولدى عودتهما الى مصر قدما تقريرا ناقشته قيادة حدتو .

وكانت حدتو اكثر المنظمات تأثيرا على الجماهير المصرية بشكل يفوق كثيرا جميع المنظمات الأخرى مجتمعة ويمكن ارجاع ذلك الى الديناميكية الثورية لكادراتها الوسطى واعضائها العاديين بالاضافة الى إخلاصهم الكامل لقضية الشيوعية .

وبعد ذلك انضمت كل من الفجر الجديد ، تحرير الشعب ، العصبة الماركسية تحت لواء الفجر الجديد وارتبطوا فى الوقت نفسه بمنظمة اسلامية تدعى الشيوعية ولكنها معادية للماركسية وهى حزب شعب وادى النيل مكونين بذلك جبهة معارضة هدفها الوحيد هو القضاء على حدتو باعتبارها تنظيما انتهازيا ولجأت هذه الجبهة المعارضة الى انشاء نواة داخل حدتو لتشجيع النزعات الانفصالية فيها ، كذلك وزعت على العمال والطلبة والمثقفين منشورات معادية لحدتو . وادى الصراع المتزايد المرارة بين جبهة المعارضة بقيادة الفجر الجديد وبين حدتو الى بذر الشقاق بين الصفوف والى احداث شلل حقيقى فى الحركة العمالية (خصوصا فى شبرا الخيمة) مما نتج عنه تباعد عدد كبير من العمال عن الحركة الشيوعية والنقابية .

ومن الجدير بالذكر انه فى عام ١٩٤٧ كتب شهدى عطية الشافعى فى جريدة الجماهير موضوعا اساسه فكرة أن الجماهير الشعبية فى حاجة الى حزب من طراز جديد (وكان يعنى بذلك حزبا شيوعيا) وردت عليه الفجر الجديد بواسطة احد قياداتها فى جريدة وفدية بأن الشعب المصرى ليس فى حاجة الى اى احزاب جديدة طالما ان حزب الوفد موجود وهو يكفى لتحرير الشعب . واحدثت هذه المناظرة اصداء واسعة بين صفوف الشيوعيين فقد أوضحت من جانب وجود اتجاه لتفهم ضرورة ان يتم اخيرا تأسيس الحزب كما أوضحت من جانب آخر ارتباط الفجر الجديد بالفكرة الانتهازية التصفوية بتنظيم الشيوعيين كجناح يسارى لحزب الوفد .

واستمرت حدتو فى النمو دون توقف وازداد ارتباطها بالجماهير ولكن بالنظر الى عملها دون برنامج ودون استراتيجية واضحة التحديد فقد تضخمت قطاعاتها الطلابية والبرجوازية الصغيرة عموما بما ينتج عن ذلك من ضعف نسبى للقطاعات العمالية مما ادى الى حدوث تفكك حقيقى لهذا القطاع . وساعد التنظيم الفيدرالى للمنظمة ذلك الاتجاه البرجوازى الصغير لحدتو . واكثر من هذا فقد ثار نقاش فى اللجنة المركزية حول ما اذا كان الحزب هو طليعة الطبقة العاملة ام انها يجب

ان تعتبر طليعة جميع العاملين (بما فى ذلك البرجوازية الصغيرة) . وقد دافعت مجموعة عن هذه الفكرة (التى سميت آنذاك خط القوات الوطنية الديمقراطية) وذلك استنادا الى جملة ذكرها ديمتروف فى احدى خطبه بالاضافة الى تفسير خاطىء للديمقراطيات الشعبية — وفى نفس الوقت ظهرت مجموعة اخرى على رأسها احد اعضاء السكرتارية اسمه المستعار عادل* تدافع عن الفكرة الماركسية وتعبر فكرة يونس نموذجا للانتهازية والمراجعة .

وسرعان ما انقسمت حدتو الى فريقين يناصر احدهما فكرة يونس والآخر فكرة عادل وأخذ الصراع بينهما يتزايد حدة . لقد وضع انصار الفريق الأول البرجوازية الصغيرة على قدم المساواة فى ثوريتها مع البروليتاريا . كما انهم تحت تأثير تيتو (قبل طرده من مكتب الاعلام) لم يروا اى ضرر فى الشكل التنظيمى لحدتو التى ادمجت الحزب فى جبهة ولا فى اتجاهها السياسى البرجوازى الصغير ، اما الفريق الآخر (العادليين) فقد أعلن على العكس رفضه للجبهة (رغم ان ذلك فى البداية لم يكن بشكل كامل الوضوح) وتركيز النشاط بين العمال دون ان يعنى ذلك توقف النشاط بالنسبة للشرائح الاخرى من المجتمع . وفى اوائل ١٩٤٨ فرض العادليين على اليونسيين انشاء مدرسة ماركسية مركزية (سرية بالطبع) لتكوين كوادر قيادية عمالية وظلت الدراسة مستمرة بها طوال اربعة اشهر بواقع ست ساعات يوميا لعشرة من العمال .

ولكن عدم الرضا امتد الى قواعد حدتو فانقسام القيادة الى فريقين متعادلين يصارع كل منهما للسيطرة عليها وانحراف الخط السياسى تجاه البرجوازية الصغيرة وعدم وجود صحيفة مركزية منتظمة تحيط الاعضاء علما بالخط السياسى المتبع بالاضافة الى عدم السماح سواء بالنقد الذاتى او بمناقشة الخط السياسى داخل المنظمة (رغم النداءات المؤثرة للقاعدة) كل هذه كانت العناصر الداخلية التى ادت الى اثارة الأزمة الكبرى لحدتو .

---

* عبدالمعبود الجبيلى

ويجب ألا تغفل هنا أثر العوامل الخارجية أيضا فى تلك الأزمة والتى تمثلت فى الحملة التى كانت تشنها الفجر الجديد بالاضافة إلى الضربات المضاعفة للبوليس والتى لا شك انها اخافت بعض العناصر ودفعتهم إلى الثورة على القيادة باعتبارها مسئولة ايضا عن غياب عنصر الأمن داخل التنظيم .

وشهد عام ١٩٤٨ انفجار وتصاعد اكبر ازمة مرت بها الحركه الشيوعية في مصر والتي ادت في خلال عدة اشهر إلى انقسام (وبعبارة ادق تفتت) حدتو . كما شهد ذلك العام ايضا تصاعد مشاعر الاستياء بين الجماهير المصرية فتتابعت اضرابات العمال والموظفين بل وشهد ابريل ١٩٤٨ الاضراب الشهير للشرطة . فلم يكن النظام الذى فرضه فاروق الفاسد مستندا الا إلى القوة الغاشمة وسعى ذلك النظام بمباركة الامبريالية البريطانية إلى الانحراف بالاهتمام والطاقات الشعبية نحو الخارج . ومن ثم كانت حرب فلسطين . وفى نفس يوم اعلان تلك الحرب والقبض على بعض الصهيونيين بدأت حملة اصطياد الشيوعيين وسرعان ما امتلأت معسكرات الاعتقال بمئات من المناضلين المنتمين إلى مختلف التنظيمات هذا اذا تركنا جانبا اعتقال العمال لمجرد انهم نقابيين .

واتخذت الازمة التى واجهتها حدتو اساسا شكل تكتلات او تمردات تكونت داخل الحركة ورفضت الاعتراف بسلطة اللجنة المركزية وكانت التكتلية استناداً — محرفا من الناحية النظرية — إلى الانشقاق البولشيفيكى داخل الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى (من ١٩٠٣ — ١٩١٢) ولفهم كيفية ترويج هذه الظاهرة الجديدة على مصر (حتى الآن كان يوجد انقسام ولكن لم يحدث تكتل أبداً) يجب أن نتذكر أنه منذ ١٩٤٦ كان الاتجاه نحو الوحدة قوياً جداً بين صفوف الشيوعيين (خصوصاً الكوادر الوسطى والأعضاء القاعدين) الذين كانوا يشكون من حالة الانقسام ومن الصراعات التكتلية . وقد اتخذت عمليات الانقسام صورة التكتل منذ ١٩٤٨ لأن هذه الصورة الأخيرة كانت تبدو من الناحية الديماجوجية فى عيون الجماهير وكأنها موقف يتخذه أعضاء يحافظون على وحدة التنظيم ولكنهم فى نفس الوقت ضد سلطة اللجنة المركزية. وكان التكتل يبدو نتاجاً لكل من التيار التوحيدى والتقاليد الانقسامية لدى الحركة الشيوعية المصرية . وكان الأعضاء المنضمين إلى أحد التكتلات يعتقدون أنهم مازالوا أعضاء

فى التنظيم بالرغم من أنهم فى الحقيقة لم يكونوا كذلك . ومن هنا فان التكتل فى مصر أخذ صورة أخطر من الانقسام المعلن وذلك لأنه بالاضافة إلى كونه ينسف من الناحية الايديولوجية كل مبادىء المركزية فانه لم يكن إلا انفصالا واقعيا مموها بأسلوب ديماجوجى . وبهذا المعنى أدين هذا الأسلوب فى دراسة نظرية نشرت فى سبتمبر ١٩٤٨ وأحدثت تأثيراً كبيراً على مختلف التكتلات الموجودة وقضت عليها سواء بتوحيدها أو بتحويلها إلى انفصالات معلنة وتكوين تنظيمات جديدة .

وكان أول تكتل يحدث (والذى سرعان ما انتهى إلى انفصال) هو التكتل الثورى الذى انتقد بشدة سياسة حدتو مزيحاً الستار عن بعض الانحرافات فى داخلها واقترح التزام خط التركيز على العمل بين العمال . وأخطأت هذه المجموعة باللجوء إلى أساليب عنيفة على حدتو (مهاجمة الأجهزة الفنية ومخازن الكتب ... الخ والاستيلاء عليها) وأدى هذا بالاضافة إلى سرعة تحول التكتل إلى انفصال كامل وتشكيلها منظمة جديدة أدى إلى تخلى غالبية الأعضاء عنه وانضمامهم إلى انقسام جديد تكون فى نفس فترة تكوين التكتل الثورى ويسمى « صوت المعارضة » وكان ديماجوجياً يدين انفصال التكتل الثورى وينادى بخط يقوم على قصر النشاط على الأوساط العمالية (مستنداً إلى تفسير لجملة للينين فى '' واجبات الاشتراكيين الديمقراطيين الروس '' وصار هذا الانقسام الجديد بطلاً لأكثر النظريات عبثاً وطفولية (الوحدة الأسمية للتنظيم فى مواجهة المركزية) وأكثر المواقف تطرفاً نحو اليسار (ظلت طوال مرحلة تاريخية تقصر نشاطها على العمال) الحزب لا يتكون الا بعد أن تصبح الطبقة العاملة قوة سياسية معترف بها . وهذا الانقسام الذى انضم اليه قسم المثقفين وقسم الأجانب فى حدتو انتهى بالانفصال رسمياً عنها فى أواخر ١٩٤٨ وتكوين منظمة جديدة باسم المنظمة الشيوعية المصرية م . ش . م وكانت تخضع واقعياً لقيادة مجموعة من الأجانب يعتقدون أنهم سوف يقضون على كل أخطاء وانحرافات الحركة الشيوعية المصرية بالالتزام بحرفية الماركسية وبمحاولة التكرار الحرفى صفحة بصفحة لتاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى . ومع علمنا بأن هذا الأسلوب للحركة لا ينتمى فى شيء للماركسية (حيث لا يمكن أن تتحول الماركسية إلى دوجما) فانه أدى غالباً إلى الانزلاق إلى تفسيرات خاطئة لهذه النصوص . وتميزت مجموعة الأجانب التى ظلت حتى ١٩٤٨ ورغم عملية التمصير للحركة الشيوعية تكون مجموعة

هامة في هذه الحركة تميزت دائماً بدوجماتية مذهبية (وهو ما يظهر في ترددهم الشديد) وهو أمر يمكن فهمه حين نأخذ في اعتبارنا أنه كان من المتاح لهم الاطلاع ودراسة الماركسية أكثر من المصريين بكثير " بسبب معرفتهم باللغات الأجنبية " ولكنهم كانوا أقل بكثير من المصريين معرفة بالواقع المصرى مما جعل من كثير منهم وكما قال ماركس ــ فلاسفة خلف المتاريس ــ بل أن بعض هؤلاء الأجانب استغلوا معرفتهم بالنصوص الماركسية ليفرضوا وجودهم دون وجه حق على رأس الحركة الشيوعية المصرية . وهذا التجمع من الشيوعيين الأجانب (الذى يتكون أساساً من يهود مختلف الجنسيات) بعد أن أمضى سنوات طويلة في دراسة الكتب الماركسية دون أن يساهم فعلياً في أى نضال سياسى . (باستثناء بعض الأيطاليين المعادين للفاشية الذين ظلوا طوال الحرب ينشرون جريدة تقدمية توزع بصفة أساسية بين المسجونين الايطاليين هذا التجمع سرعان ما تورط منذ ١٩٤٧ في صراعات عنيفة من البوليس ، خصوصاً بعد تكوين الرابطة اليهودية المعادية للصهيونية التى لم ينضم اليها سوى اليهود الشيوعيين . فقد وجهت اليها السلطات المصرية ضربات قاسية بايحاء من الانجليز ومن الرأسماليين اليهود في مصر والذين كان نفوذهم ضخماً آنذاك . وقد ضعف جزء من هذا التجمع وتخلى عن الحركة أما الباقى فقد ازداد صلابة وانغمس في أكثر صور التطرف ويجب ابراز واقعة أن غالبية هؤلاء قد شكلوا رصيداً قوياً للانقسامات وخصوصاً في بداية تكونها .

اما ثالث انقسام يكون داخل « حدتو » وكان نحو منظمة بلشفية (ن . م . ب) وتكون أساساً من قسم الطلاب (وكما نرى فان مختلف قطاعات حدتو كونت انقسامات مختلفة ، ولكنه بعد عدة أشهر اندمجت ن . م . ب مع « صوت المعارضة » لتكوين « المنظمة الشيوعية المصرية م . ش . م » .

ورغم تشكيل هذه الانقسامات الثلاثة فقد ظل الصراع متزايد المرارة داخل « حدتو » بين اليونسيين والعادليين " الذين كانوا يتقاسمون بالتساوى مقاعد اللجنة المركزية تقريباً . وفي يونيو ١٩٤٨ تشكل انقسام سرى بواسطة عدد من اليونسيين ولكنه صفى فيما بعد وأخيراً في يوليو ٤٨ وعلى أساس حجة سخيفة طرد اليونسيون العادليين (في اللجنة المركزية طرد الأعضاء الخمسة اليونسيون الأعضاء الأربعة العادليين) وكان العادليين الذين كانوا يعتمدون أساساً على كوادر

المكتب المركزى للدعاية ، قد قرروا تكوين لجنة تنظيمية لعقد مؤتمر لأعضاء « حدتو » من أجل تحديد خط التنظيم وانتخاب لجنة مركزية جديدة وكان ذلك قراراً صائباً وليس تكتلياً ولا انقسامياً يقوم على أساس رفض اللجنة المركزية القديمة وأن عقد مؤتمر يعكس رغبة أغلب الأعضاء وخاصة العمال . فان المناقشات حول الخط المتبع أوضحت سقوط اللجنة المركزية ، وكذلك تطبيقاً للفكرة التى أوردها لينين عام ١٩٠٤ وقبلها مؤتمر ١٩٠٥ .. (اللوائح الحالية للحزب الشيوعى السوفيتى تعطى المنظمات الحزبية نفس هذا الحق . فقرة ٤ بند ٣٠) .

والحقيقة أن « حدتو » بالنظر إلى ظروف النضال السرى كانت تخضع لمبدأ المركزية وليس المركزية الديمقراطية ، ولكن الأزمة الحادة التى مرت بها هذه المنطقة وتفتتها إلى انقسامات وانشقاق لجنتها المركزية ، جعلت من الضرورى عقد مؤتمر ، حيث يتم على الأقل فتح الباب لمناقشة عامة حول خطر التنظيم . ولكن لسوء الحظ فان اللجنة التى تكونت لتنظيم المؤتمر اتبعت خطا لا يمكن وصفه الا بالانقسامية (رغم انها تشكلت أساساً لحماية وحدة المنظمة) . وفى الواقع فلقد فرضت تلك اللجنة شروطاً مسبقة للمشاركة تستند إلى ادانة اليونسيين (وهو ما يؤدى تلقائياً إلى استبعادهم جميعاً) وادانة الانقسامية (وهو ما يستبعد أيضاً الكثيرين من الأعضاء ضحايا مختلف الانقسامات) وذلك بدلاً من أن تتركهم ليدينهم المؤتمر نفسه بالاضافة إلى ذلك فقد حددت اللجنة موعداً لعقد المؤتمر لا يترك الفرصة عملياً للاعداد الايديولوجى له ، رغم أن التوضيح الايديولوجى كان من ألح الضرورات بالنظر إلى ما ساد هذه الفترة من ارتباك وغموض . وبذلك فان المؤتمر الذى انعقد كان من الناحية الواقعية مؤتمراً انقسامياً أدى رغم أنفه إلى ميلاد منظمة جديدة سميت « المنظمة العمالية الثورية ــ حدتو » وسرعان ما عرفت باسم « العمالية الثورية » . ولكن هذا المؤتمر الذى عقد فى يوليو ١٩٤٨ والذى عرف فى مصر باسم « مؤتمر ال ٣٣ » يشكل منعطفاً هاماً فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية فقد كان أول مؤتمر منتخب يعقد فى مصر حيث مثل ٣٣ مندوباً ما يقرب من مائتى عضو وحضره من القاهرة والاسكندرية الى حلوان بالرغم من تطبيق الأحكام العرفية وحركة الارهاب المتزايدة ضد الشيوعيين بمناسبة حرب فلسطين . وكان اكثر من ثلث المندوبين من العمال .

ولكن ما يعطى اهمية خاصة لهذا المؤتمر هو الموقف الواضح الذى اتخذه تجاه مسألة اعادة تأسيس الحزب الشيوعى ، فقد كان احد التقريرين المقدمين للمؤتمر ، يحلل ازمة الحركة الشيوعية المصرية ، ويضع للمرةالأولى حلا لتلك الازمة فى توحيد جميع الشيوعيين المنتمين الى مختلف التنظيمات حول برنامج ولائحة وخطر استراتيجى وتكتيكى أو باختصار توحيدهم داخل وعن طريق الحزب . (قدم التقرير الايطالى) . وليؤكد المؤتمر ان المندوبين المشتركين فيه لا يمثلون الا جزءا من الشيوعيين المصريين اعتبر المؤتمر نفسه مؤتمراً تحضيرياً .

ولكن الأهم من ذلك ان التقرير المعروض قدم إعادة تأسيس الحزب باعتبارها مهمة مباشرة وعاجلة يجب انجازها قبل ٣١ ديسمبر ١٩٤٨ . وأخيرا اقترح التقرير انشاء لجنة تحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب . لجنة يجب ان تدعى للمشاركة فيها وعلى قدم المساواة جميع المنظمات الشيوعية الموجودة فى مصر . وكانت تلك اللجنة هى قيادة الاعداد الايديولوجى للمؤتمر بفتح مناقشة عامة حول مختلف القضايا المتعلقة بالبرنامج واللائحة والخط الاستراتيجى والتكتيكى الذى تقدمه مختلف المنظمات . واخيراً تحين لحظة عقد المؤتمر وكان على اللجنة مهمة ضرورية هى التنسيق بقدر الامكان بين أنشطة مختلف المنظمات طوال فترة الاعداد للمؤتمر .

وقد وافق مؤتمر الـ ٣٣ على هذا المشروع بالاجماع . وفى النهاية وللتعبير عن اذانة المؤتمر للخط البرجوازى الصغير الانتهازى لحدتو قرر المؤتمر اضافة عبارة العمالية الثورية لاسم المنظمة وانتخب لجنة مركزية اغلبيتها من العمال .

وسرعان ما مرت المنظمة الجديدة بأزمة ، فقد انتهز بعض اعضائها فرصة حدوث بعض المصاعب وكونوا تكتلا تحول الى انقسام باسم «نحو حزب شيوعى» وقد افاد هذا الانفصال الجماعة المتطرفة «صوت المعارضة» فائده كبيرة باضعافه ولو مؤقتا المنظمة الوحيدة التى كانت تناضل بفاعلية ضد نظرياتها الفوضوية والتصفوية ، ولكن «العمالية الثورية» سرعان ما تخطت ازمتها الداخلية واعادت تنظيم نفسها ونشرت دراسة حول «واجبات الحركة الشيوعية المصرية» الذى اعتبرته عدة تنظيمات منها احدى المنظمات المنافسة وهى الفجر الجديد فى نشرتها السرية «نصرا كبيرا للماركسية فى مصر» .

وبإنتقال العمالية الثورية الى مرحلة تكوين اللجنة التحضيرية لاعادة بناء الحزب فقد دعيت جميع المنظمات الشيوعية فى مصر دون استثناء الى المشاركة فى تلك اللجنة . وكانت ثانى منظمة تشارك فيها بعد العمالية الثورية هى منظمة «نحو حزب شيوعى» ثم توالت عليها كل من حدتو (التى اعيد تشكيلها بقيادة جديدة) والعصبة الماركسية واخيرا الفجر الجديد .

أما منظمة تحرير الشعب التى كانت تتفاوض للاندماج مع الفجر الجديد فقد ايدت اللجنة التحضيرية دون ان تشترك فيها . وكانت المنظمة الوحيدة التى حاربت اللجنة التحضيرية بكل قواها هى المنظمة الشيوعية المصرية (التى كانت تسمى صوت المعارضة) والتى كانت تعارض انشاء الحزب .

والحقيقة أنه منذ انقسام الحركة الماركسية فى مصر فى نهاية ١٩٣٨ كان هناك تياران فى داخل تلك الحركة :

الأول : تيار انفصالى يرى أن الحزب يجب أن يولد عن طريق النمو الذاتى لاحدى المنظمات الشيوعية والقضاء على المنظمات الأخرى التى تدان بالانتهازية وكان هذا التيار موجوداً فى داخل جميع المنظمات (حيث كانت كل منها تعتبر نفسها بالطبع المنظمة الشيوعية الوحيدة) . ولكنه أخذ أقوى صورة فى « الفجر الجديد » .

أما التيار الثانى فكان يناضل من أجل توحيد جميع المنظمات التى تعتبر شيوعية (رغم انحرافاتها) ولكن حتى ١٩٤٨ كان هذا التيار الثانى يفصل ما بين مهمة توحيد الشيوعيين وبين مهمة انشاء الحزب . وأخيراً توحدت هاتان المهمتان على أثر تكوين اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسى للحزب الشيوعى المصرى التى تعتبر خامس محاولة لتوحيد الحركة الشيوعية المصرية (وأكثرها أهمية واقتراباً من تحقيق أهدافها) .

ومن جهة أخرى فحتى عام ١٩٤٨ انغمس كل من التيارين الانفصالى والتوحيدى فى نظريات « تصفى الحزب قبل نشأته » وكان أخطرها ذلك الخط الذى ينادى بتنظيم الشيوعيين كجناح يسارى لحزب الوفد البرجوازى (وهى

الفكرة التى تبنتها الفجر الجديد) وكذلك فكرة تكوين جبهة بدلاً من الحزب والتى تبنتها حدتو مؤقتاً . وكان اشتراك هاتين المنظمتين فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسى يعنى تراجعها عن هاتين الفكرتين التصفويين . واستقبلت جماهير الشيوعيين المصريين تكوين اللجنة التحضيرية بحماس كبير وحيت اشتراك منظمة الفجر الجديد فيها وهى التى ظلت طوال تاريخها تعارض فكرة الوحدة مع المنظمات الأخرى . وأعتبر ذلك ايذاناً بانتهاء التيار الانقسامى ، ولكن ذلك التيار ظل حياً رغم ذلك التنظيم وأخذ شكلاً أوضح فى حدتو حيث حاولت مجموعة اليونسيين تخريب اللجنة التحضيرية ، ولكن تلك اللجنة التى كان يساندها جماهير الأعضاء فى جميع المنظمات (ما عدا المنظمة الشيوعية المصرية) سارت بتصميم للأمام .

وخلال الربع الأول من عام ١٩٤٩ خضع تكوين الحركة الشيوعية المصرية لتغيرات كبيرة سواء على أثر تطورات داخلية فيها أو بتأثير اعتقال عشرات من المناضلين فى معسكرات الاعتقال .

وكان الموقف كالتالى :

(١) كانت المنظمة العمالية الثورية هى أكثر المنظمات ديناميكية وأسرعها نمواً . وبمساعدة نشرة نظرية سرية هى « الكادر العمالى » كانت تصدر أسبوعياً بانتظام وتحارب انحرافات اليمين واليسار وتقود بحزم المعركة من أجل انشاء الحزب .

وفى بداية العام انتخب كونفرنس جديد سرعان ما أسس جريدة سياسية سرية هى « الخبز والحرية » كانت توزع بين صفوف العمال والطلبة وكانت المنظمة الوحيدة فى مصر التى وزعت آلافاً من المنشورات تؤكد أن « الشعب المصرى لن يحارب أبداً شعوب الاتحاد السوفيتى وانما فقط الامبريالية » (على منوال الأحزاب الشيوعية الفرنسية والايطالية .. الخ) أما أعضائها المعتقلين فى المعسكرات فقد أسسوا مدارس ماركسية حيث درس العديد من العمال (وهم أساساً من أعضاء الفجر الجديد) .

(٢) أما مجموعة الفجر الجديد فقد عملت أساساً بالتعاون مع الشبيبة الوفدية . وكانت تنقسم إلى تيارين أحدهما يؤيد اللجنة التحضيرية والآخر يعارضها .

(٣) أما حدتو فكانت فريسة أزمة خانقة فقد تركها معظم أعضائها ليلتحقوا بالمنظمات الأخرى (خصوصاً المنظمة العمالية الثورية) ولم يتوقف التيار الانقسامى بقيادة يونس عن إثارة المصاعب فى وجه اللجنة التحضيرية ، ولكن التيار المعادى له والذى كان يحاربه بصراحة كان يقوى باستمرار .

(٤) أما العصبة الماركسية فكان نشاطها محدوداً جداً ولكنها ساندت اللجنة التحضيرية بحزم .

(٥) تحرير الشعب : كانت فى مباحثات للانضمام مع الفجر الجديد .

(٦) نحو حزب شيوعى : كانت فى حالة تفكك تام وسعت إلى الانضمام إلى المنظمة العمالية الثورية .

(٧) أخيراً فان المنظمة الشيوعية المصرية ـــ التى كانت أكثر المنظمات تطرفاً ـــ كانت قد اكتسبت عضوية عدد ضخم من الطلبة ألقت بهم فى الأحياء العمالية وعلى أبواب المصانع من أجل تجنيد العمال . ولكن النتيجة العملية كانت اعتقالهم عن طريق العملاء السريين للبوليس السياسى . وأمام النجاح الذى أحرزته اللجنة التحضيرية لجأت تلك المنظمة الانقسامية حتى أعماقها إلى تشكيل لجنة أخرى أعلن أنها تهدف للتوحيد ولكن مع طرح ثلاثة عشر شرطاً (امتداداً لخطها المتطرف) يجب الخضوع لها قبل الانضمام إلى تلك اللجنة . وظلت المنظمة الشيوعية فى عزلة بمشروعها ذاك .

وفى مارس ١٩٤٩ أعلنت اللجنة التحضيرية أن أول ابريل سيكون موعد صدور العدد الأول من نشرة الاعداد الأيديولوجى للمؤتمر . وكان من المفروض أن ينشر ذلك العدد مختلف البرامج الحزبية المقترحة من مختلف المنظمات . ووافق الجميع على أن توزع هذه النشرة وتناقش بحرية داخل كل منظمة وبذلك يتجه الجميع أخيراً بشكل ملموس نحو تأسيس الحزب .

ولكن الأيام الأخيرة من مارس والأولى من ابريل شهدت موجة واسعة من الاعتقالات بين صفوف الشيوعيين تركزت أساساً على الكوادر القيادية للمنظمة العمالية الثورية والمجموعة المؤيدة للوحدة فى حدتو وهو أمر يلفت النظر أنه فى كل مرة تسير فيها الحركة الشيوعية المصرية نحو الوحدة تنقض عليها الرجعية (فى عام ١٩٤٩ مثل عام ١٩٤٦) .

وعرفت قضية قيادات المنظمة العمالية الثورية فى الملفات القضائية المصرية باسم « قضية اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسى للحزب الشيوعى المصرى » . وأدت هذه الاعتقالات إلى تقوية التيار الانقسامى سواء داخل الفجر الجديد أو حدتو ولكن الأخطر من ذلك كان سقوط التيار التوحيدى مرة أخرى فى الخطأ القديم بالفصل بين مهمة توحيد الشيوعيين المصريين ومهمة انشاء الحزب وفى خلال شهور تغير شكل الحركة الشيوعية المصرية .

وأصبح الوضع يبدو فى بداية ١٩٥٠ كالتالى :

(١) نحو حزب شيوعى مصرى : أصبحت منظمة جديدة ولدت أساساً من اندماج المنظمة العمالية الثورية (التى حرمت من قيادتها السابقة) ومنظمة نحو حزب شيوعى واستمرت فى الدفاع عن الخط التوحيدى للجنة التحضيرية . ولكنها انهمكت فى مسائل داخلية وأخذت تمر بأزمة تلو الأخرى فتضاءل نشاطها بشدة .

(٢) الفجر الجديد اتحدت مع تحرير الشعب وكانت فى نمو متزايد وجندت كثيراً من الأعضاء ممن كانوا ينتمون لمنظمات أخرى يعتبرها هذا التنظيم انتهازية . . .

(٣) حدتو : كانت قد أصبحت منظمة شديدة الضعف وكانت أول منظمة فى مصر تبدى اهتماماً بحركة انصار السلام وكانت الحلقة الأساسية فى سلسلة نشاطها . وأعتبرت بعض المنظمات الأخرى وعلى رأسها الفجر الجديد قيام حدتو بجميع التوقيعات تأييداً لنداء استكهلم مناورة بوليسية لجمع الأسماء . ولم تعد حدتو تهتم بمشكلة التوحيد أو بناء الحزب .

(٤) أما المنظمة الشيوعية المصرية فكانت فى حالة تفكك كامل فقد كان أغلب أعضائها فى السجن أو تركوها سواء لتراجعهم عن المبدأ أو للانضمام إلى منظمات أخرى وبالأخص حدتو . ذلك أن الروح الانقسامية الشديدة التطرف التى سادت تلك المنظمة قد أدت الى اعتبارها جميع أعضاء المنظمات الأخرى عملاء بوليسيين دوليين .

(٥) أما « النجم الأحمر » فكانت منظمة جديدة ولدت بالانفصال عن « نحو

حزب شيوعى مصرى » وكان يقودها عمال متطرفين وتعتبر مهمتها الأساسية القضاء على جميع المنظمات الأخرى الموجودة والتى تعتبر من وجهة نظرها انتهازية .

(٦) أما « نواة الحزب » فكانت منظمة أخرى جديدة تشكلت من أعضاء قدامى فى العصبة الماركسية التى توقفت عن النشاط ، بالاضافة إلى بعض أعضاء حدتو وكانت تتبنى خط اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسى للحزب .

(٧) وأخيراً فان « الحزب الشيوعى المصرى » كان تنظيماً جديداً نشأ عام ١٩٥٠ من أعضاء ينتمون إلى عدة منظمات أخرى . وكان هؤلاء الأعضاء بحماسهم لفكرة ضرورة انشاء حزب شيوعى مصرى قد وقعوا فى خطأ جديد هو الفصل بين مهمة انشاء الحزب وبين مهمة توحيد الحركة الشيوعية . وكان نتيجة تجاهل التوحيد أن الحزب لم يكن فى حقيقته سوى منظمة شيوعية جديدة تضاف إلى باقى المنظمات الموجودة بالفعل . ولكنها حازت سبقاً كبيراً عن أولئك من وجهة النظر الدعائية والتحريضية حيث قدمت نفسها للجماهير على أنها حزب شيوعى دون أن تتسمى بأسماء ذات رنين غريب على تلك الجماهير فى أغلب الأحيان مثل التنظيمات الأخرى والتى كانت لا تعترف بها بطبيعة الحال .

وفى أوائل ١٩٥٠ وبعد الانتخابات العامة عاد حزب الوفد إلى السلطة خلفا للنظام الارهابى الذى كان يحكم تحت اشراف السراى ــ فقد كان عام ١٩٤٩ عاماً شديد القسوة بالنسبة للشيوعيين وشهد تشكيل حكومة عبد الهادى للمحاكم العسكرية الخاصة لمحاكمة الشيوعيين وارهابى الأخوان المسلمين وكان البوليس السياسى يعذب مقدماً كل من يقع فى قبضته لحمله على الكلام . وتجدر الاشارة إلى أنه باستثناء حالتين أو ثلاثة قاد فيهما الضعف إلى الخيانة فقد قاوم جميع الشيوعيين المعتقلين التعذيب بشجاعة وأكثر من ذلك فانه بعد عدة أشهر من انشاء المحاكم العسكرية قررت جميع المنظمات الشيوعية مقاطعتها ونفذ هذا القرار رغم ما يحمله من خطر جدى باثارة غضب القضاه .

وكان أول من نفذ قرار المقاطعة هو الطالب السودانى صلاح بشرى الذى توفى بعد ذلك بعدة أشهر فى السجن على أثر اصابته بسل حاد وكان مضرباً عن الطعام احتجاجاً على النظام الشديد القسوة الذى يطبق على السجناء . وكانت جنازته مناسبة لمظاهرات جماهيرية ضخمة نظمها الشيوعيون .

ومن الملاحظ أن الشيوعيين المسجونين أو المعتقلين كان لديهم دائماً اتجاه إلى اللجوء بسهولة إلى الاضراب عن الطعام (فى مصر كما فى جميع بلدان الشرق) وقد دام أحد هذه الأضرابات ٢١ يوماً فى مايو ١٩٥١) ويمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى تأثير تعاليم غاندى .

وأفرجت الحكومة الوفدية عن جميع الشيوعيين المعتقلين فى المعسكرات وسرعان ما الغت الأحكام العرفية . واستغل الشيوعيون امكانيات الشرعية التى تزايدت أمام نشاطهم .. بتحفظ فى البداية ثم بمزيد من الجرأة ، وكانت أول منظمة تندمج كلية فى العمل الشرعى هى حدتو وكانت أول جريدة تستغلها هى جريدة يصدرها أحد اليساريين أسمها « البشير » . ولجأت لنشر فكرة انصار السلام على أوسع نطاق وإلى تأسيس « مجلس قومى للسلام » سمى فى البداية لجنة تحضيرية برئاسة السفير المصرى السابق فى موسكو كامل باشا البندارى وسكرتارية يوسف حلمى عضو الجناح اليسارى بالحزب الوطنى وسرعان ما أصبح لحركة السلام جريدتها الخاصة « الكاتب » ثم أسست حدتو جريدة أخرى هى « الملايين » التى قامت بدعاية فعالة ضد الامبريالية ودفاعاً عن الحريات الديمقراطية والتقدم الاجتماعى . وعلاوة على ذلك كونت حدتو لجنة تحضيرية لتأسيس الاتحاد العام للنقابات مما منحها تأثيراً كبيراً بين صفوف العمال . ومن الجدير بالذكر أن الاتحاد العالمى للنقابات قدم منحة لهذه اللجنة ليساعدها على القيام بمهمتها وبفضل حدتو مثلت مصر فى جميع المؤتمرات الدولية وكذلك مؤتمرات الشباب والطلاب والمرأة والسلام ، وكان عام ١٩٥٠ هو حقيقة عام النمو السريع فى حدتو التى أصبحت أقوى المنظمات تأثيراً فى مصر بين الطبقات العمالية والطلبة والمثقفين والوحيدة التى لها علاقة جادة مع الجيش وروابط مع الفلاحين

وهنا يجب ابراز سمة تميزت بها حدتو وهو أنها كانت تنمو دائماً فى فترات ازدهار الحركة الوطنية وتتضاءل إلى حفنة من الأعضاء فى فترات انحدارها . وهذا يعنى : من جهة أن كوادرها تعلم كيف تستفيد الى أقصى حد من امكانيات العمل الشرعى (وهى الصفة التى تفسر نموها وتطورها) ومن ناحية أخرى أن قياداتها كانت تتجاهل دائماً الحياة الداخلية للمنظمة ونشاطها السرى وهذا هو الخطأ الذى يفسر تراجعها وانحدارها . وعليه فان عام ١٩٥١ شهد دفعاً مستمراً للحركة الوطنية وصلت ذروتها بقطع المفـــــاوضات التـــــى كانت جاريـــــــة بين

الحكومة والانجليز ورفض الانضمام إلى المفاوضات التى كانت جارية بين الحكومة والانجليز . ورفض الانضمام إلى حلف الشرق الأوسط الذى اقترحته أمريكا وبريطانيا . وأخيراً شنت هجمات الفدائيين المسلحة على قوات الاحتلال البريطانية فى قناة السويس وبالاضافة إلى ذلك شهد عام ١٩٥١ بداية حركة ثورية فلاحية ضد كبار ملاك الأراضى . وبفضل الشيوعيين (وكذلك بفضل ديماجوجية الحزب الاشتراكى بقيادة أحمد حسين) وضعت مشكلة الاصلاح الزراعى لأول مرة فى جدول أعمال السياسة المصرية .

واستمرت الحركة الشيوعية فى النمو المتزايد وازداد ارتباطها بجماهير العمال كما أحرزت تأثيراً متزايداً على شرائح واسعة من البرجوازية الصغيرة (الطلبة — الأدباء — الشبان — الفنانين ... الخ) ولكن هذا النمو كان يمكن أن يكون أسرع من ذلك وأقوى لو لم تكن الحركة الشيوعية منقسمة . ذلك أن الصراع الانشقاقى بلغ مدى من الحدة لم يصل اليه أبداً من قبل خلال تلك السنة التى تميزت بالنشاط الواسع بين الجماهير . فقد مزقت الصحف السرية للمنظمات بعضها البعض وكانت الفجر الجديد تهاجم المجلس القومى لحركة السلام بضراوة ونظمت ضد هذا المجلس انشقاقات تجمع بعض اللجان الاقليمية . وكانت خطط كل منظمة فيما يتعلق بالنشاط السلامى تتعرض لهجمات متبادلة مستمرة فى الصحف السرية لمختلف المنظمات مما أدى الى تدخل السلطات لتحديد نشاط حركة السلام ذاكرتين فقرات من تلك الصحف . وكانت اللجان النقابية خصوصاً فى شبرا الخيمة والقاهرة (للنسيج) منقسمة بسبب نزاعات مستمرة فيما بين أعضاء

مختلف المنظمات الذين يتبادلون الاتهامات بالخيانة . وسيطرت الفجر الجديد على جريدة « الناس » ولجأت بواسطتها الى التشهير بقادة حركة السلام وفقد تيار الوحده أغلبية ميادينه وعلى العكس – للأسف – فقد تصاعد وقوى فى السجون وخاصة فى السجن المركزى بالقاهرة . فبعد آلاف العقبات توصل أعضاء المنظمات المختلفة (ما عدا المنظمة الشيوعية المصرية) الى تشكيل « لجنة عامة للمسجونين السياسيين » وعدد من لجان التنسيق بهدف التقريب بين أعضاء مختلف المنظمات الذين سقطوا فى قبضة العدو الطبقى .

ثم ظهر خط توحيدى جديد سرعان ما اكتسب عدداً كبيراً من الانصار وقد بنى هذا الخط على أساس موقف الانقسام المزمن فى الحركة الشيوعية المصرية والاستحالة العملية لعقد مؤتمر عام لجميع المنظمات لتأسيس الحزب والنظر إلى ضرورة المساعدة الخارجية (خصوصاً الايطالية أو الفرنسية أو الانجليزية) لوضع حد للأزمة الحرجة للحركة الشيوعية المصرية . وباختصار دعيت جميع المنظمات الشيوعية لوضع مشاريع برامج ولوائح وخطوط استراتيجية وتكتيكية وتناقشها فيما بينها فى محاولة للوصول إلى اتفاق على مشروعات موحدة . وفى حالة فشلهم فى ذلك (وكان ذلك مطروحاً لدى أصحاب الفكرة بنسبة ٩٩٪) فعلى المنظمات المعينة عرض خلافاتها على رفاق معتمدين من الخارج . وهذا الخط الذى استوحى سبب وجوده من الاشتراكية الدولية قبل حلها ثم من مثال تدخل الحزب الشيوعى الفرنسى بواسطة ديكلو فى أزمة الحزب الشيوعى الامريكى تحت قيادة براودر . ويقوم أساساً على التضامن الدولى للبروليتاريا والحركة الشيوعية (لم تكن الدولية الشيوعية الا شكلاً محدوداً لهذا التضامن) فهى لم تطلب من الشيوعيين الأجانب وضع برامج ولائحة .. الخ للشيوعيين المصريين وانما فقط ساعدتهم على التوصل إلى الاختيار بين مختلف المشروعات المقدمة منهم وتحديد أيها أصح أو أيها أقل خطأ . وكان هذا الخط يؤيده الاتجاه التوحيدى .

وفى أواخر ١٩٥١ انضمت « نحو حزب شيوعى مصرى » إلى حدتو رغم أن هذا الانضمام أقيم على أساس بعيد عن الصحة تاريخياً وايديولوجياً – وكما يحدث غالباً فى حالات الاندماج فان جزءاً من أعضاء « نحو حزب شيوعى مصرى » رفضوا الاعتراف بقرار اللجنة المركزية وأعادوا تنظيم أنفسهم بنفس الاسم .

ومن ناحية أخرى انفصل بعض أعضاء « نواة الحزب » وكونوا منظمة جديدة اسموها « طليعة الشيوعيين » .

وبمجرد أن الغت حكومة الوفد تحت ضغط الجماهير المعاهدة التى كانت قد وقعتها مع الانجليز عام ١٩٣٦ أثبتت الطبقة العاملة المصرية مرة أخرى دورها الطليعى بقيامها ببدء المقاومة والنضال ضد الانجليز فقد ترك عشرات الآلاف من العمال العاملين فى المعسكرات الانجليزية فى القنال أعمالهم مسببين بذلك شللاً تاماً لخدمات ومرافق جيش الاحتلال .

وكانت حدتو هى المنظمة الوحيدة التى شاركت بايجابية فى النضال المسلح ضد الانجليز واستشهد أحد كوادرها الأبطال « عباس الأعسر » وسلاحه فى يده خلال ذلك النضال وعلى العكس أخذت باقى المنظمات موقفاً سلبياً أو حتى أدانوا هذا النضال باعتباره عملاً مغامراً .

ولكن جميع المنظمات اعتبرت من الضرورى تشكيل لجان وطنية تكون بمثابة جبهات شعبية تجمع العمال والطلبة والمثقفين والموظفين ... الخ تنظم قواعدها فى مختلف الأحياء . وبالطبع كونت كل منظمة جبهتها الشعبية الخاصة بها والمعادية للأخريات . وكان يوجد فى الحى الواحد أحياناً ثلاث لجان وطنية تتصارع بقسوة .. ومع التوسع الكبير والشعبية المتزايدة للحركة الشيوعية بين الجماهير فان الأنقسامية قد امتدت اليها وندرت الاضطرابات والفرقة بين صفوفها (باسم تكوين جبهة شعبية) .

ولكن رغم كل هذا فقد كانت الحركة الشيوعية المصرية من القوة بحيث تضغط على الحكومة وتدفعها إلى اتخاذ موقف أقل تفاهماً وتصالحاً مع الانجليز والامبرياليين .

وفى صباح ٢٦ يناير ١٩٥٢ توجه آلاف من الطلبة متآخين مع رجال الشرطة (حيث كان ما يقرب من مائة من رجال الشرطة قد قتلوا بوحشية عشية ذلك اليوم على يد الانجليز) توجهوا تحت قيادة الشيوعيين إلى مقر الحكومة فى مظاهرة وطنية ضخمة مطالبين بالقطيعة الكاملة مع الانجليز والمساعدة الرسمية لحركة الفدائيين المسلحة فى القتال . وحوالى الظهر انتهت المظاهرة وهنا بدأ الاستفزازيون

من عملاء المخابرات الامريكية والبريطانية والسراى فى اشعال حريق القاهرة . وفى نفس الليلة أعلنت الأحكام العرفية وأقيلت حكومة الوفد وفرضت على البلاد مرة أخرى ديكتاتورية القصر بواسطة عملائه . وقد نجح هذا التحدى بسبب الضعف النسبى للحركة الشيوعية والتى ترجع أساساً لانقسامها من جهة وإلى عدم وجود جبهة وطنية متماسكة (وهو نتيجة لضعف الحركة الشيوعية) من جهة أخرى .

وأعيد فتح معسكرات الاعتقال فى نفس المساء واستمرت الاعتقالات الجماعية للشيوعيين حتى يوليو ١٩٥٢ .

وقد كانت حركة ٢٦ يناير ١٩٥٢ تهدف بصفة خاصة إلى جانب ضرب الحركة الوطنية فى مجموعها — وإلى ضرب الحركة الشيوعية التى أدى تأثيرها المتزايد ونموها طوال عامى ٥٠ — ١٩٥١ إلى اثارة مخاوف الامبريالية والملكية والرجعية — وضرب الحركة النقابية التى كانت قوتها قد ازدادت بشكل ملحوظ وأخذت تقع تدريجياً تحت تأثير « اللجنة التحضيرية لانشاء الاتحاد العام للنقابات » التى كانت واقعة بدورها تحت سيطرة حدتو . وتحت ضغط العمال كانت حكومة الوفد قد وافقت على السماح بعقد مؤتمر عام للنقابات حدد موعده فى ٢٧ يناير . وقام اتحاد النقابات السودانى (وكان تحت تأثير الشيوعيين) بارسال وفد يتكون من المع قياداته لحضور ذلك المؤتمر التاريخى الذى سيتم من خلاله لأول مرة منذ تفكك الوحدة النقابية عام ١٩٢٤ (التى نظمها ووجهها فى ذلك الوقت الحزب الشيوعى المصرى) توحد الطبقة العاملة المصرية من جديد فى اتحاد كبير . ولقد ربط بالم دات بدقة فى تحليل أجراه للموقف فى مصر العلاقة بين تحديد يوم ٢٧ يناير موعداً لانعقاد المؤتمر الوطنى للعمال وبين حركة ٢٦ يناير وقد نجح ذلك الاستفزاز فى تعطيل انعقاد المؤتمر وقبض على أهم القيادات النقابية وأودعوا المعتقلات .

واستمرت الحركة الشيوعية فى ممارسة نشاطها على نطاق واسع بالرغم من اعتقال عدد كبير من مناضليها ومن منع جميع صحفها الشرعية وذلك بتأثير المدى الواسع الذى كانت قد وصلت اليه قبل تلك الأحداث . واستمرت الانقسامية كما كان الحال دائماً ممارسة تأثيرها وكانت تتصيد أقل خطأ ترتكبه منظمة أخرى لوصمها بالانتهازية والمنشفيكية والعمالة للشرطة . كانت كل منظمة ترى القشة التى فى عيون الآخرين متعامية عن العصا التى فى عينها .

وكان الضعف النظرى لغالبية الشيوعيين يرجع من ناحية إلى عدم وجود غالبية الأعمال الكلاسيكية للماركسية باللغة العربية فى تلك الفترة ومن ناحية أخرى إلى الدوجمائية والجهل بالأساليب الجديدة للنضال التى طرحتها التطورات التى طرأت على النضال العالمى . وزاد ذلك الضعف من الانعزاليه وأدى إلى ظهور مواقف تثير سخرية أى شيوعي له علاقة بالواقع الدولى . ومن ذلك أن احدى المنظمات أتهمت أخرى بالخيانة العظمى لانها أيدت فكرة أن الديمقراطية الشعبية حين تقوم فى مصر سوف يكون من ضمن أعمالها توزيع الأراضى على العمال الزراعيين مما يؤدى فى نظر المنظمة الأولى إلى اضعاف الطبقة العمالية بتحويلها من بروليتاريا إلى برجوازية صغيرة .

مسألة أخرى أدت إلى انقسام الحركة الشيوعية المصرية بعد أن نشرت المنظمة العمالية الثورية عام ١٩٤٨ خطها فى كتيب بعنوان « مهمات الحركة الشيوعية المصرية » هذا الخط الذى يحلل الموقف المصرى ويؤكد أن الثورة تمر بمرحلتين :
أولاً : ثورة ديمقراطية برجوازية من طراز جديد تقودها زعامة البروليتاريا ضد الامبريالية والاقطاع والاحتكار .
أما الثانية : فهى الثورة الاشتراكية . وهذه الفكرة — فكرة الثورتين — المؤسسة على تعاليم لينين وماوتسى تونج كانت مرفوضة من الأساس خصوصاً من قبل الـ منظمة الرايه.

وعلى العكس فان منظمة أخرى هى نواة الحزب أكدت أن الديمقراطيات الشعبية هى فى مضمونها ديكتاتورية البروليتاريا (وهو ما ينطبق على الديمقراطيات الشعبية فى أوربا الشرقية فى الوقت الراهن) وساندت فكرة الثورة الواحدة . وهى الثورة الاشتراكية مباشرة واعتبرت جميع أنصار فكرة الثورتين خونة وعملاء للبرجوازية .

كل هذه المسائل النظرية كان لها تأثيرها — قل أو كبر — على النشاط العادى فمثلاً بالنسبة لتحليل الثورة فى مصر كان هناك برنامجين مختلفين وكذلك خطين تكتيكيين واستراتيجيين .

ولعل أهم نجاحات الحركة الشيوعية المصرية فى الربع الأول من عام ١٩٥٢ هو تقوية الروابط مع « حركة الضباط الأحرار » بواسطة حدتو ، وهذه الحركة

كانت تجمع عدداً كبيراً من الضباط الشبان فى الجيش المصرى جهدهم العام مخلص ووطنى وثائر على فساد الملكية .

وكان من بينهم اثنان من كبار مسئولى حدتو وكانت المنشورات التى توزعها تلك الحركة تحتوى فى مضمونها غالباً على الشعارات الأساسية للشيوعيين (لا اتفاق مع الامبريالية — استئناف حرب العصابات ضد الاحتلال البريطانى — العودة للنظام البرلمانى الدستورى .. الخ) . بل أنها أحياناً كانت تطبع فى المطبعة السرية لحدتو .

وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قام فى مصر الانقلاب الذى نظمته « حركة الضباط الأحرار » والذى أدى إلى خلع الملك فاروق واقامة حكم محمد نجيب . ولعب العضوان الهامان فى قيادة حدتو مع عدد كبير من أعضائها من ناحيتهم دوراً هاماً فى الانقلاب وحظوا بذلك بهيبة وتأثير كبيرين بين ضباط تلك الحركة .

وأفرج نظام نجيب عن جميع المعتقلين بما فى ذلك الشيوعيين (باستثناء ١٤) وسمح باعادة ظهور جميع الصحف التقدمية التى يقودها الشيوعيون والتى كانت قد منعت من الصدور قبل ذلك بعدة أشهر .

وساعدت حدتو من أعماقها ذلك النظام الجديد وابرزت بعض ايجابياته فى مقابل سلبياته (خلع الملك — اخراج المعتقلين الشيوعيين — حرية الصحافة) وصدقت ودعت الى تصديق كافة وعوده مثل اعادة الحياة الدستورية الاصلاح الزراعى — الديمقراطية — العفو عن المحكوم عليهم من الشوعيين ... الخ . وتقدمت جماهير العمال — بعد طرد فاروق والاحساس بحلول عصر جديد من الحرية والتقدم — بعدة مطالب ساندتها بالاضرابات . وقمع اللواء نجيب هذه الحركة — المؤقتة على أى حال — بعنف شديد بحجة أن هذا التمرد العمالى كان أداة لعملاء فاروق وأرسلت حدتو أعضاءها خصوصاً فى الاسكندرية الى الأحياء العمالية والصناعية لتهدئة العمال ونصحهم بأن يثقوا فى النظام ، وحتى بعد اعدام اثنين من العمال فى كفر الدوار لم يتغير خط قيادات حدتو ولم يعد تأثير ذلك شعور بعدم الارتياح بين أقلية منهم .

ومن الجدير بالذكر أنه بعد الانقلاب مباشرة وزع الحزب الشيوعى المصرى منشورات تصف اللواء نجيب بأنه عميل للامبريالية وكانت باقى المنظمات

الشيوعية تشاركها في هذا الرأى بشكل أو بآخر . ما عدا حدتو بالطبع التى سرعان ما ردت على ذلك المنشور بمنشور آخر أكد ثقة الشيوعيين المصرية فى

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن نظام نجيب لجأ منذ بدايته إلى ديماجوجية خبيثة ليس فقط لخداع الجماهير وانما أيضاً لمواجهة ضغط حركة الضباط الأحرار التى كانت قاعدتها المؤلفة من شباب الضباط تطالب بسياسة وطنية وديمقراطية .

اذاً هذه الحركة لم تكن مرتبطة فقط بالشيوعيين بواسطة حدتو وانما أيضاً لعب السفير الأمريكي دوراً هاماً فى اكتساب قيادات ذات تأثير ونفوذ داخل الحركة . إن انقلاب نجيب كان مستنداً منذ بدايته على الأمريكيين لانهم كانوا يعرفون أن بامكانهم الاعتماد بأقصى درجة مع مصالحهم الامبريالية .

وبعد أن أمضى نجيب بعض الوقت فى السلطة وبعد أن أدت بعض الوقائع إلى تزايد نفوذ الأمريكيين على النظام الجديد . اتبعت حدتو خطا مفاده أن تساند فى داخل الحركة بالجيش التيار الوطنى الذى يتزعمه الشيوعيون وباضعاف التيار الرجعى الموالى للأمريكيين تمهيداً لعزله ـــ وكان الخطأ الأكبر لحدتو هو من جهة التقليل من تقدير قوة التيار الأمريكى مع تقدير التيار التقدمى بأكثر من قوته الحقيقية (الخطأ الذى يقود دائماً إلى الانتهازية) ـــ ومن جهة أخرى إلى التقليل من أهمية نضال الجماهير (التى سعى نجيب إلى منعها بأكثر الوسائل عنفاً) وبذلك انحصرت عملياً نتائج المعركة بين الشعب والرجعية فى صراع على النفوذ بين تيارين داخل قيادة الجيش . ففى بداية ذلك النظام استطاع الضباط التقدميين وضع يدهم على بعض أجهزة الدعاية فى الجيش بما فى ذلك مجلته الرسمية « التحرير » التى كانت لفترة من الزمن تحت الرئاسة الفعلية لأحد أعضاء حدتو الذى كان صحفياً وضابطاً فى نفس الوقت والذى جعل منها واحدة من أكثر الصحف تقدمية فى تاريخ مصر كله .

وهم نفس الضباط الذين ضغطوا على اللواء نجيب للافراج عن الفرنسى روجيه فايان ورفاقه المصريين من المثقفين والفلاحين وكان قد قبض عليهم أثناء اجتماعهم فى منزل أحد الفلاحين (وهو السبب فى الخطأ الذى وقع فيه ذلك الصحفى فى الحكم على نظام نجيب) .

وفى يناير ١٩٥٣ وبعدأن وطد نجيب حكمه قام باعتقال جميع الضباط الشيوعيين والمتعاطفين معهم ، مزيلاً بذلك التيار التقدمى فى الجيش الذى بنت عليه حدتو كل آمالها ناسية أن منطق أى ديكتاتورية عسكرية تحرم تنظيم الجماهير لا يمكن أن يقود الا إلى أشد النظم استبداداً ورجعية .

وقد قامت حدتو بنقد ذاتى على ذلك الخطأ الفادح (أخطر الأخطاء فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية بأكمله) والذى أقل ما يقال عنه أنه قد ساعد نجيب على أن يدعم ــ مؤقتاً ــ نظامه الديكتاتورى . ولكن هذا النقد الذاتى كان مقتضباً وضعيفاً وسعى إلى ازاحة المسئولية عن كاهل قيادات حدتو والقائها على قطاع التنظيم فى الجيش .

وأياً كان الأمر فقد ضعفت حدتو بشدة وكانت غالبية قيادتها تخضع للتعذيب فى سجون نفس اللواء نجيب الذى كان يضعون فيه أكبر ثقة قبل شهور ولا شك أن الموقف المتناقض الذى اتخذه الشيوعيون قبل نظام نجيب فى بدايته ساعد على زيادة حدة الانقسامية فى مصر وإلى الوصول بها إلى درجة من التفاقم لم تحدث من قبل .

كذلك يمكننا من ناحية أخرى أن نتخيل مدى الاضطرابات الذى شاع بين الجماهير المصرية حين ترى فى غضون عدة أيام منشورين بتوقيع الشيوعيين أحدهما يهاجم نجيب بعنف والآخلا يمنحه ثقته .

وهذا لا يمنع أنه فى سبتمبر ١٩٥٢ وفى السجن المركزى للقاهرة حيث احتجز ما يقرب من مائة من الشيوعيين المنتمين لمختلف التنظيمات قام بعض أعضاء حدتو من أنصار التيار التوحيدى بمبادرة بمساعدة أحد أعضاء اللجنة المركزية من أجل دعوة المنظمات الأخرى للمشاركة فى تكوين لجنة لتحديد الخلافات الموجودة بين مختلف المنظمات حول البرامج واللوائح والخط الاستراتيجى والتكتيكى ولدراسة الطريق الذى يمكن أن يقود إلى حل الأزمة التى تمر بها الحركة الشيوعية المصرية .

وكانت هذه محاولة جديدة للوحدة وان كانت على مستوى محدود ولم تشارك فيها قيادات مختلف المنظمات . وقبل الحزب الشيوعى المصرى ــ وكان البوليس

قد وجه له ضربات رهيبة ــ ذلك الاقتراح وكذلك قبلته نواة الحزب ــ ولسوء الحظ فان الفجر الجديد والنجم الأحمر والمنظمة الشيوعية المصرية (التى كانت تقاطع جميع المنظمات الأخرى حتى داخل السجن) قد رفضوا جميعاً الاقتراح ورغم ذلك تكونت اللجنة وبدأت أعمالها . ولكن قيادة حدتو التى احاطها معدو المشروع علما به أرسلت فى الحال أمراً تنظيمياً بقطع المناقشات وبذلك تم حل اللجنة .

وهذا الموقف الانقسامى لقيادة حدتو استند إلى أن أحد الأعضاء المسئولين فى الحزب الشيوعى الانجليزى كان قبل عدة أسابيع قد صرح لدى مروره بالقاهرة بأن الحزب الشيوعى الانجليزى يرى أن حدتو تعتبر من الناحية العملية الحزب الشيوعى المصرى (ومثل هذا التصريح كان قد قيل أيضا لقيادات منظمة نواة الحزب) .

ومن الجدير بالذكر هنا أن كل منظمة شيوعية فى مصر كانت تسعى إلى تقوية موقفها بالسعى ــ وهو أمر طبيعى ــ للحصول على مساندة الحركة الشيوعية الدولية أو على الأقل مساندة حزب شيوعى قوى وذو تأثير . وكانت حدتو مستندة إلى ما يتهيأ لها من قوة بسبب كونها المنظمة الوحيدة القادرة على ارسال مندوبين إلى مختلف المؤتمرات الدولية ــ تسعى إلى ترسيخ فكرة أنها تتمتع بدعم وتأييد الحركة الشيوعية الدولية (رغم أن هذه المؤتمرات السلامية والنقابية والنسائية والطلابية كانت تنظمها هيئات ديمقراطية) . أما الحزب الشيوعى المصرى فكان يسعى للحصول على اعتراف رسمى من الحزب الشيوعى الأيرانى « توده » بعد أن أنشأ معه علاقات قوية .

أما الآن فان الحركة الشيوعية المصرية تمر بمرحلة صعبة بل أصعب مراحل تاريخها الطويل التعس . فان الارهاب الذى شنه الخائن نجيب من أجل خدمة المعسكر الامبريالى ضد الشيوعيين (الذين لا تطالب المحاكم العسكرية الآن بأقل من رءوسهم) لا يعد شيئاً ذا خطورة بالمقارنة مع الوباء الانقسامى الذى ينحر هذه الحركة منذ خمسة عشر عاماً ويمنعها رغم اخلاص أعضائها المتناهى وتضحياتهم التى تفوق الحصر من أخذ مكانها بثبات على رأس حركة التحرر الوطنى .

ولا يمكن أن ننكر وجود العناصر العميلة والمغامرة والانتهازية فى جميع منظمات الحركة الشيوعية المصرية ولكن هل هناك حزب واحد لم يزح النقاب فى داخله خلال طريق النضال الطويل عن وجود أمثال بيريا ومارتى .

إن الصفة الأساسية للحركة الشيوعية المصرية هى الضعف النظرى السياسى الذى يرجع أساساً إلى عدم استيعاب الصيغ الجديدة لنضال البروليتاريا بالاضافة إلى تقاليد انقسامية قديمة (فكراهية المنظمات الأخرى تغرس فى نفوس المجندين الجدد فى نفس الوقت مع المبادىء الأولى للشيوعية) .

اذاً فان الفرقة والصراعات الانقسامية بين الشيوعيين المصريين هى المجال الثقافى المواتى تماماً للمحرضين والانتهازيين . وان توحيد الحركة وانشاء الحزب هو الوسيلة الوحيدة لازاحة النقاب بشكل فعال عن الخونة ولعزلهم نهائياً .

إن الظروف الموضوعية فى مصر مواتية تماماً للشيوعية ، فليست هناك تقاليد اشتراكية ديمقراطية ولا يمكن تواجد تيارات اصلاحية لأن قاعدتها الاقتصادية الاجتماعية وهى الارستقراطية العمالية غير موجودة فى مصر وهى البلد شبه المستعمر . والانقسام الوحيد الموجود فى الطبقة العاملة فيها انما يرجع إلى تأثير الصراعات بين مختلف المنظمات المتعادية التى ترتبط كلها فى النهاية بالحركة الشيوعية .

أما البرجوازية الصغيرة والتى تعيش فى ظروف معيشية مروعة فهى طبقة ثورية مثل جميع نظائرها فى البلاد المستعمرة بسبب التأثير المزدوج الذى تعانى منه . أما طبقة الفلاحين التى تشكل الأغلبية العظمى من الشعب فهى تعانى بؤساً لا يمكن وصفه . وكل آثار وفوائد ما سمى بالاصلاح الزراعى الذى أتى به نجيب لم تتوصل إلى تقليل درجة ذلك البؤس الذى لا يمكن أن يزال دون تخليص الجماهير الفلاحية من الأوهام ودفعها للنضال . ان خيانة نجيب وخضوعه للمعسكر الامبريالى يتكشف شيئاً فشيئاً ، والشعب المصرى ينتظر من يقوده وينصره : الحزب الشيوعى المصرى طليعة الطبقة العاملة المصرية وقائد جبهة وطنية ثورية تجمع العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة ــ (وبشكل محدود البرجوازية الليبرالية) .

ان توحيد جميع المنظمات الشيوعية المصرية التى ترتبط جميعها ــ «رغم انحرافاتها ــ بالماركسية اللينينية الستالينية فانها جميعاً تتضامن مع المعسكر الديمقراطى المعادى للامبريالية العالمية وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى . وكلها تناضل من أجل انتصار الاشتراكية الذى سيتم إن عاجلاً أو آجلاً رغم أنف الامبريالية والرجعية رغم الخونة ومحترفى الانقسامية ولكن هذا التوحيد سوف يتم بصوره أسرع وعلى قاعدة أسلم اذا نال التيار التوحيدى فى مختلف المنظمات تأييده ومساندة وتدعيم الأحزاب الشيوعية فى الخارج .

باسم التضامن العالمى وفى المقام الأول ولأسباب تاريخية وجغرافية من قبل الأحزاب الشيوعية فى كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا .

'' هذه النبذة التاريخية تتوقف عند بداية عام ١٩٥٣ '' .

* * *

٤ ــ مارسيل اسرائيل تشيريزى
رد على أسئلة المؤلف

إلى الرفيق المؤرخ (رفعت السعيد)

مقدمة

أولاً : بالرغم من اننى قد أبعدت عن مصر منذ أكثر من عشرين سنة ، سأحاول جاهداً أن أرد على أسئلتك باللغة العربية ، وأنا واثق من تسامحك فيما يختص بالأخطاء اللغوية والسبب فى تفضيلى لكتابة بعض ذكرياتى الخاصة بحياتى وكفاحى فى مصر باللغة العربية ولم يتم تسجيلها بذاكرتى كترجمة عن لغة أجنبية .

ثانياً : وأنا كما تعلم عضو فى الحزب الشيوعى الايطالى ، وأخضع بطبيعة الحال لنظام ولائحة الحزب ولذلك لا أستطيع أن أتدخل فى المسائل الخاصة بالحركة الوطنية المصرية وبما أن أى حديث عن الماضى يمتد دائماً إلى الحاضر وخاصة اذا تعلقت المسألة بالحركة الثورية المصرية والتى تميزت بالسرية والانقسامات ، لذلك كان الدافع لكتابة هذه الذكريات هو الشعور بأداء واجب نحو هذه الحركة التى أتشرف وما زلت أتشرف بأننى كنت فى يوم من الأيام عضواً فى صفوفها .

وسأحاول بقدر الامكان (وهذا أمر بالغ الصعوبة) تجنب كل تفسير أو أحكام قد يستطيع أن يعيد إلى الحياة منازعات قديمة ، مع الحرص فى نفس الوقت على ألا أقع فى عملية تجميل للواقع بتغطية جوانبه السلبية .

فأرجو أن تعتبر كل المعلومات التى أقدمها اليك مادة أولية لاستعمالها بعد التأكد من صحتها وتحت مسئوليتك فى عملك كمؤرخ .

ثالثاً : إن كافة التحليلات والآراء والمنظمات السياسية التى أدافع عنها هنا ، تخص الماضى ولذا لا أتحمل مسئولية فيما يختص بتفسيرها أو تطبيقها على الواقع الحاضر للحركة .

رابعاً :أرجو أن تعلم أننى بمجرد وصولى إلى ايطاليا قد استرجعت بأمر من رئيس الجمهورية الايطالية اسم العائلة الأصلى (شيريزى) وهذا لاستبعاد أية اختلاط أو صلة بينى وبين دولة اسرائيل — حتى ولو أسمياً — لاننى قد كافحت وما زلت أكافح ضد سياستها العدوانية تجاه الشعوب العربية .

فأرجو الاشارة إلى اسمى ك (مارسيل شيريزى) — اسرائيل سابقاً .

خامساً : وقد حرصت على أن أكون موضوعياً فى كتابة هذه المذكرات ، ولم أكن متواضعاً وهذا يرجع إلى أننى أعتبر أن التواضع هو أخطر أشكال التفاخر .

بعض المعلومات عن حياتى :

ولدت فى القاهرة بشارع تور سينا ، وهو شارع شعبى بحى الظاهر فى ١٧ / ٧ / ١٩١٣ وأنتمى عن طريق والدى إلى عائلة ايطالية هاجرت إلى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر ، وقد جاء جدى إلى مصر بناء على فرمان من السلطان العثمانى لتعيينه رئيساً لطائفة اليهود بمصر ، ثم أصبح فى عهد الخديوى اسماعيل عضواً فى المجلس الاستشارى وتحول بعد ذلك بطبيعة منصبه إلى احد كبار الملاك الاقطاعيين بمنطقة ميت غمر ، وقد كان والدى متمصراً إلى حد كبير وكان معظم اصدقائه من المصريين (وأذكر من بينهم — يوسف الجندى / امبراطور زفتى)وكان والدى يتكلم اللغة العربية ويرتدى الطربوش ولم يتخلف مرة واحدة عن حضور حفلات غناء صالح عبد الحى ، وكان يطلق على اسم مرقص ، وفى نهاية الحزب العالمية الأولى فقد أبى كل ثروته وأصبح موظفاً فى شركة للحليج بصفته فرازا للقطن .

أما والدتي فكانت من أصل ايراني وكانت أمها أي جدتي تتكلم اللغة العربية وترتدي إلى آخر أيام حياتها عند الخروج الملابس المصرية الشعبية (الملائة) و(الحبرة) .

عشت السنوات الأولى من حياتي بميت غمر ، وكانت لدى الأسرة جارية تقوم بتربيتي وكان اسمها (نصرة) وكانت جدتي قد اشترتها ، وقد تحررت نصرة بعد ذلك ورجعت رغم هذا لتعيش معنا ، وقد ارتبطت بهذه الجارية وكنت أحبها حباً عميقاً ، وكانت تمثل في ذهني الكرامة والرزانة الكاملة .

اختلطت في فتوتي بالفلاحين في ميت غمر وميت بره وطلخة والعديد من العزب المحيطة وكنت أشعر بتعاطف شديد معهم (بدون أى مضمون سياسى) وأشفق عليهم من القسوة والشقاء والبؤس الذى كان يلازمهم بشكل دائم .

بدأت حياتي الدراسية بمدرسة (الفرير المسيحية) في الظاهر حيث كان ممنوعاً منعاً باتاً التحدث باللغة العربية ، ثم انتقلت إلى مدرسة (الليسيه فرنسيه) حيث حصلت على دبلوم عالى في التجارة والاقتصاد ، وتوظفت بعد ذلك بأحد البنوك وانتسبت إلى كلية الحقوق الفرنسية حيث درست القانون والعلوم الاجتماعية ولكنني غادرت الكلية قبل الامتحان النهائى ، كان ذلك بدون شك تطرفاً يسارياً ورومانتيكيا وكان لدى اهتمام كبير بجانب دراستي للعلوم الاقتصادية بدراسة الفلسفة وقد قرأت العديد من الكتب والمراجع الفلسفية ومن بين من قرأت لهم ابن رشد وابن سيناء وابن ميمون وابن خلدون الذى شدنى إليه تحليله العلمى للظواهر التاريخية .

وقد أثر على بشكل كبير قبل دراستي للماركسية كل من الكاتب الروسى (ليو تولستوى) والفيلسوف الكبير (سبينوزا) وإذا كان سبينوزا قد جعلنى أؤمن قبل كل شيء بالعقل الانسانى ، فقد جعلنى تولستوى أنظر إلى أى إنسان كأخ يجب احترامه ومحبته بل والتضحية من أجل سعادته . وقد تأثرت أختى فى نفس الوقت بآراء تولستوى مما أدى إلى اعتناقها للدين المسيحى وتحولها إلى راهبة ولا تزال ، أما أنا فقد أصبحت ولا أزال شيوعياً .

كيف أصبحت شيوعياً

أول احساس شديد بكراهية المجتمع الرأسمالى وضرورة الثورة عليه ، وقع فى نفسى بأحد مصانع الحليج ، ففى أوائل كل موسم كان المقاولون يقومون بجمع آلاف الأطفال والغلمان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ١٦ سنة وشحنهم إلى مصانع الحليج للعمل بها وكان يوم العمل يتجاوز ١٥ ساعة ، وكان الملاحظون والمراقبون يتجولون داخل المصنع ويضربون الأطفال بالكرابيج لأقل وأتفه الأسباب ، وفى نهاية الموسم كان عدد كبير من هؤلاء الصبية يتوفون نتيجة لاصابتهم بمرض السل والأمراض الناتجة عن استنشاق غبار القطن وأيضاً من المجهود الشديد الذى يبذلونه فى العمل وسط ظروف بالغة القسوة .

وكنت ذات يوم فى زيارة لوالدى بمصنع للحليج كان يعمل فيه ، وقد شاهدت واقعة ضرب شرسة لطفلين بالكرابيج ، وأمام صرخات الطفلين لم أملك سوى أن أهجم على مراقب العمل وأنتزع السوط من يده ، وقد حاول أن يقنعنى بعد ذلك بان ضرب الأطفال شيء ضرورى والا فسوف يتفرغون للضحك واللعب وينصرفون عن العمل وقال لى أنه يتقاضى مرتبه من أصحاب العمل للقيام بضرب الأطفال من آن لآخر .

شعرت منذ تلك الحادثة بظلم المجتمع القائم ، وأدركت أنه مبنى على استغلال الأغنياء للفقراء .

جذبتنى دائماً المظاهرات الجماهيرية ، وكنت أنشد دائماً السير وسط الجموع الصاخبة فاشتركت فى المظاهرات الوفدية ضد دكتاتورية الملك وعميله صدق (١٩٣٠ / ١٩٣٥) وقد أصبت فى العديد من المرات بضربات الهراوات وعصى الحرس .

وفى يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ اشتركت فى المظاهرة الكبرى وكنت فى ميدان الاسماعيلية (التحرير) أثناء اعتداء الجيش على المتظاهرين بالدبابات ، ورأيت دبابات الجيش والجنود يهاجمون الشباب ويقتلون الكثير منهم .

وقد اثر فى موقف (ديمتروف) من قضية الريشستاج سنة ١٩٣٣ / ١٩٣٤ فى نفسى تأثيراً كبيراً مما جعلنى أتوجه لقراءة الكتب الشيوعية .

أول كتاب ماركسى درسته كان كتاباً عنوانه (المادية التاريخية) لبوخارين ، ثم بعد ذلك قرأت البيان الشيوعى ، ثم رأس المال ، وعندما كنت أقرأ الصفحات التى كان ماركس يتكلم فيها عن استغلال الأطفال فى مصانع النسيج الانجليزية كنت أرى أمامى عيون الأطفال المصريين الباكية فى مصانع الحليج .

وفى سنة ١٩٣٤ أصبت بمرض (الربو) وكان مرضى شديداً لدرجة اننى لم أكن أحياناً أستطيع أن أتنفس ، فقدمت استقالتى للبنك الأيطالى الذى كنت أعمل به ، وظللت بلا عمل لمدة ٣ سنوات ولم ألتحق بأى عمل آخر ، بل قضيت السنوات الثلاث فى دراسة النظرية الماركسية وأستطيع أن أقول بأن مرض الربو هو الذى أتاح لى أن أتفرغ لدراسة الكتب الماركسية بعمق وتوسع ، بل لقد لعب ذلك المرض دوراً هاماً فى حياتى بعد ذلك فيما يتعلق باتصالى بالحركات الشيوعية المنظمة ، إذ أن الأطباء كانوا قد نصحونى بالذهاب إلى لبنان فى صيف عام ١٩٣٥ وهناك التقيت برفيق.. شيوعى لا أذكر اسمه الآن وكان منظماً داخل الحركة الشيوعية بلبنان وقد تناقشنا كثيراً فى النظرية الماركسية ولكن بدون دخول فى الجوانب العملية .

عدت مرة ثانية إلى لبنان سنة ١٩٣٦ ووقع حادث جعل (فرج الله الحلو) يتصل بى فقد حدث بينما كنت أتجول بأحد القرى الجبلية وأسمها (بحمدون) أن شاهدت شاباً يعتدى على بائع حلوى ، وكان هذا البائع بذراع واحد وقد فقد ذراعه الآخر نتيجة لحكم جزائى وقع عليه فى المملكة السعودية ، اندفعت لأدافع عن بائع الكحك وأخذنا نتبادل أنا وذلك الشاب الضربات ، وكان هذا الشاب ابناً لحاكم لبنان وبعد مرور يومين حضر رجال البوليس إلى الفندق وطلبوا منى تقديم اعتذار لذلك الشاب فرفضت فقامت جريدة حكومية تطالب بابعادى عن لبنان ، ودافعت عنى جريدة ديمقراطية وتدخل بعد ذلك القنصل الايطالى ولكن ازاء تصميمى على عدم الاعتذار انتهت المشكلة إلى لا شىء . اتصل بى فرج الله الحلو فى ذلك الوقت وقدمنى إلى شاب شديد الذكاء وقوى الشخصية وهو نيقولا شاوى – بسكرتارية الحزب الشيوعى اللبنانى الحالى – أخذت اجتمع لعدة

مرات مع شاوى وآخرين من الرفاق بمنزل أحد الرفاق الفرنسيين ، وقد قدمنى نيقولا شاوى إلى خالد بكداش ولرفيق أرمنى اسمه ميدويان ، وقد قام نيقولا شاوى باقناعى بأن واجب كل شيوعى يعيش فى مصر هو الاتصال بالعمال والمثقفين المصريين واقناعهم بالنظرية الماركسية ، وقد طلب منى قبل رجوعى إلى مصر بان أرسل إلى جريدة (صوت الشعب) مقالات عن الواقع المصرى ، وقد واظبت لمدة سنتين على كتابة مقالات للجريدة عن الأحداث العمالية والوطنية فى مصر ، وفى نفس الوقت كنت أقوم بالكتابة لجرائد فرنسية تنشر فى مصر مقالات ضد الفاشية والنازية ، ومقالات تأييد لقضية الجمهوريين فى أسبانيا ضد فرانكو وأيضاً مقالات لتأييد الاتحاد السوفيتى .

اتصل بى فى ذلك الوقت عضو من (جمعية السلام) ودعانى للانضمام اليها ، وبعد مرور فترة قصيرة أصبحت ضمن قيادة الجمعية ، التى كانت تقوم بنشاط ديمقراطى ولم تكن جمعية شيوعية وقد قمت فى نفس الوقت بتجنيد عدد من الشبان الأجانب وبنشاط محدود فى الحركة الايطالية المعادية للفاشية .

وفى صيف عام ١٩٣٧ عدت إلى لبنان لمعالجة المرض الذى كان يهاجمنى من آن لآخر نظراً للمجهود الشديد والنشاط الذى كنت أبذله ، وتناقشت فى تلك الفترة مع الرفاق اللبنانيين فى موضوع نشاطات لجنة السلام ، وقد أنتقد الرفاق نشاط اللجنة نظراً لصبغته الأجنبية وعدم تكيفه بما يدور فى الواقع المصرى بخصوصيته ، وقال الرفاق لن الواجب الأساسى للماركسيين الأجانب فى مصر هو العمل على تكوين ماركسيين من بين العمال والمثقفين المصريين .

وعند رجوعى إلى مصر طلبت من سكرتير لجنة السلام ، (وكنت متأكداً من أنه شيوعى) مناقشة آراء الرفاق اللبنانيين ، ولكنه أجاب بالرفض وعدم الرغبة فى مناقشة أى قضية عدا الدفاع عن السلام والكفاح من أجله .

وقد قمت بعد ذلك بتكوين تيار داخل لجنة السلام ينادى بتمصير نشاطها ، وقد أدى ذلك إلى ابعادى عن لجنة السلام .

وفى نفس الوقت أخذ بعض أعضاء لجنة السلام يعتقدون بأننى تروتسكياً ، وأنا لم أكن ولو للحظة واحدة فى حياتى تروتسكياً ، وقد كان الدافع وراء ذلك

الاعتقاد هو أننى عبرت خلال الفترة ١٩٣٧ / ١٩٣٨ أكثر من مرة عن دهشتى وتشككى فى صحة الاتهامات الموجهة ضد كافة أعضاء اللجنة المركزية البلشفية ، ولكننى لم أبتعد قط عن مبادىء الدولية الثالثة وهذا موقف لا زلت أفتخر به للآن .

وفى سنة ١٩٣٧ قدمت طلباً إلى السفارة الأسبانية فى مصر للانضمام إلى الفرقة الدولية التى كانت تحارب ضد فرانكو ولكن السفير الأسبانى دعانى وأقنعنى بالتعاون مع القوى الديمقراطية الأسبانية للدعاية فى مصر ضد سياسة فرانكو وضد الفاشية عامة ، وقد قمت بذلك بشكل دءوب ومتواصل — وتعاونت فى ذلك الوقت مع آخرين لنشر كتاب بالعربية والفرنسية عن أسبانيا الجمهورية — حتى سقوط الجمهورية فى ١٩٣٩ .

وبشكل تلخيصى فقد أصبحت شيوعياً :

— من داخل معايشتى للواقع المصرى ، لا باستيراد الشيوعية من الخارج .

— عن طريق حزب شيوعى ورفاق عرب وهم الرفاق اللبنانيون ، وليس بمساعدة حزب أو تنظيم أجنبى .

وقد أشرت إلى هاتين النقطتين تفسيراً للاتجاه الذى دافعت عنه باستمرار والذى كان دائماً هو الأساس لنشاطى العملى كشيوعى ، الا وهو محاولة الربط بين النظرية الماركسية والواقع المصرى الملموس .

عن دورى فى الحركة الوطنية المصرية :

لم يكن دورى فى الحركة الا نتيجة لاقتناعى بالخط الذى يجب أن تبذل فيه كل جهودى الا وهو تكوين الكادر الماركسى المصرى القادر على تنظيم وقيادة العمال والفلاحين وكافة الكادحين للانتصار فى معركة التحرر الوطنى والاجتماعى .

وكان الدور الذى أقوم به للتعاون من أجل تحقيق ذلك الهدف منصباً على الدعاية وعلى التدريس النظرى للماركسية ، وبالرغم من الرأى المنتشر فأنا لم ألعب دوراً قيادياً فى المنظمات المختلفة التى كافحت فيها طوال عشرين سنة باستثناء فترات قصيرة .

وأول نشاط لى فى وسط المصريين كان عندما دخلت فى نواة جماعة الفن والحرية ، وجمعية الشبان المسيحيين (Y . M . C) وكان سلامة موسى هو الذى يقودها ، وكان الغرض من دخولى هو جذب وتجنيد أوعى العناصر المصرية المشتركة فى هاتين الجمعيتين .

وقد تمكنت سنة ١٩٤٠ بمعاونة الرفاق المصريين من تكوين أول منظمة كفاحية سرية تضم الرفاق المصريين والنوبيين الذين تمكنت من تجنيدهم وقد انتخبت فى قيادتها مع ثلاثة رفاق مصريين ، وقد أسست هذه المنظمة جمعية « الخبز والحرية » للنشاط العلنى وسط العمال والمثقفين ، وجمعية « الثقافة والفراغ » للعمل بين الأجانب وإلى حد ما بين الطلبة المصريين ، وكان الهدف الأساسى لمنظمة « تحرير الشعب » هو تجنيد وتكوين الكادر الماركسى المتسلح بالنظرية وبتحليل ماركسى للوضع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى فى مصر ، وكنت مسئولاً عن مدرسة الكادر وتركزت جهودى فى القاء المحاضرات والدروس ، وقد قمت بكتابة دراسة من جزئين :
أولاً : تفسير الواقع (المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية) .
ثانياً : تغيير الواقع (المسائل النظرية والعملية للثورة المصرية) .

وقد كان الجزء الأول يتكون من ٣٠٠ صفحة وكنت قد كتبته باللغة الفرنسية ثم تعاونت فى ترجمته مع رفيقين مصريين إلى اللغة العربية (وقد ساعدتنى هذه العملية على تعميق معرفتى باللغة العربية) .

أما الجزء الثانى فقد كتبته فى المعتقل سنة ١٩٤١ باللغة العربية مباشرة وبالرغم من أن قيادة « تحرير الشعب » كانت مسئولة عن نشاط جماعة الخبز والحرية فقد حرصت على الا أظهر ولو لمرة واحدة بمقر الجمعية حرصاً منى على مصريتها .

كما قمت أثناء تلك الفترة بعمل دراسة تشتمل على المناقشات التى كنت أقوم بها مع عمال شركة المواسير فى المعصرة حيث كنت أعمل بها كمسئول عن المخازن ، وقد تمكنا من تجنيد بعض العمال من هذه الشركة ومن شركة السكر بالحوامدية ، ونجحنا فى تنظيم اضراب بالمصنع ، وللآن لا أزال أتذكر أحد العمال المصريين ، وظلت صورته باقية فى ذهنى رمزاً لجوانب البطولة فى الجماهير

العمالية ، فقد هجم هذا العامل هو ورفاقه على بوابة المصنع قائلاً " اللى عايز يربى عياله يبعد عنى " .

أخذنا نجتمع فى بيوت العمال فى المعصرة وكنت أحضر هذه الاجتماعات فقط لتقديم الرفاق المصريين، وكانوا يقومون هم بادارة الندوات والمناقشات ، ثم كشفتنى ادارة المصنع وفصلتنى من العمل .

وقد نجحت أثناء تلك الشهور فى تجنيد عدد كبير من الرفاق المصريين ، وتثقيفهم بالماركسية ومن بينهم عدد من النوبيين والسودانيين .

كنت أعمل فى ذلك الوقت بحرارة وحماس غامرين ، وكنت أنصرف طيلة أيامى لخدمة الحركة ١٦ ساعة يومياً وما زلت أتذكر للآن اجتماعاً دام أكثر من ٤٠ ساعة .

وفى شهر أكتوبر ١٩٤١ هجم البوليس علينا ، وقبض على أكثر من ١٠ رفاق وتم اعتقالى بمعتقل الايطاليين وفى يولية ١٩٤٢ عند هجوم روميل على مصر تدخلت الحركة الايطالية المعادية للفاشية (وقد لعب الرفيق بكر سيف النصر وكان ابن وزير الحربية ذلك الوقت دوراً هاماً من أجل الافراج عنى) ، أخرجنى البوليس السياسى ليلاً من المعتقل وصاحبنى إلى خارج الحدود المصرية ، وهنا أحب أن الفت النظر إلى أننى لم أغادر أبداً الأراضى المصرية بارادتى وانما كان خروجى دائماً قهراً ونتيجة لأوامر رسمية بابعادى عن البلاد ، كما حدث سنة ١٩٥٣ بعد خروجى من السجن .

وفى سنة ١٩٤٤ عقب رجوعى إلى مصر اشتركت فى اعادة تنظيم جمعية تحرير الشعب وكنت العضو الوحيد الغير مصرى فى هذا التنظيم ، وكنت أعمل فى قاعدة التنظيم فى مدرسة الكادر وفى تحضير واعداد الأبحاث التى تكلفنى بها قيادة التنظيم واستمر ذلك حتى سنة ١٩٤٧ .

وقد رفضت طوال تلك الفترة ولعدة مرات اقتراحات (الحركة المصرية للتحرر الوطنى وايسكرا للدخول فى العمل معهم على المستوى القيادى .

وفى سنة ١٩٤٥ / ١٩٤٦ قمت بدور مهم بمعاونة رفاق لبنانيين وفلسطينيين وانجليز فى الجهود المبذولة لتوحيد الحركة وقد أدت هذه الجهود إلى الوحدة بين

« تحرير الشعب » و« ايسكرا » أولاً فى « الطليعة المتحدة » ثم الوحدة مع « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » وتكونت بذلك الاتحاد « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » حدتو .

وقد انتخبت رغم معارضتى لذلك فى قيادة الطليعة المتحدة (والواقع أن هذه القيادة كانت قيادة مؤقته لأن مهمتها الأساسية كانت الوحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى) وعند تكوين حدتو عارضت اتجاه قيادة الطليعة المتحدة لادخالى فى قيادة « حدتو » وقد وضحت للرفاق خطورة وجود الأجانب فى قيادة تنظيم أصبح على درجة كبيرة من الارتباط بالجماهير .

عينتنى قيادة « حدتو » مسئولاً عن القسم الأجنبى حيث عملت فيه لعدة شهور ، ثم بناء على أوامر القيادة تم نقلى إلى مكتب الدعاية المركزى تحت اشراف الرفيق (شهدى عطية) وعندما أخذ شهدى يبتعد عن قيادة حدتو ، طلبت منى القيادة أن أصبح المسئول عن مكتب الدعاية المركزى ، ولكننى رفضت هذه المسئولية لأننى اعتبرت أن مهمة أساسية للحركة كالدعاية المركزية لابد أن يتحملها ويقوم بها رفيق مصرى ، وبعد مناقشات بينى وبين القيادة تقرر أن أصبح نائب مسئول مكتب الدعاية الا أننى فى الواقع كنت المسئول عن النشاط الدعائى وحتى تم القبض علىَّ سنة ١٩٤٩ أولاً فى حدتو ثم بعد ذلك فى العمالية الثورية (أرجو الرجوع إلى الملخص التاريخى) .

وقبل القبض علىَّ ببضعة شهور قرر مؤتمر (العمالية الثورية) انتخابى فى القيادة وهذه المرة أيضاً كانت ترجع إلى اعتبار دور القيادة الأساسى فى تلك المرحلة كان يتلخص فى تحضير مؤتمر الوحدة وتأسيس الحزب ، (مع العلم بان مؤتمر تأسيس المنظمة كان قد قرر بناء على اقتراح لى عدم وجود أى أجنبى فى قيادة المنظمة) .

دورى فى الحركة المصرية كان عملياً خارج القيادة ، وكان جهدى يتركز فى مجال العمل النظرى والدعاية .

* * *

أما بخصوص دورى السياسى فى الحركة فقد كان استجابة لمنطلقين أساسيين :

الأول : السعى لتوحيد المنظمات الشيوعية على أسس ثورية .
الثانى : ربط عملية توحيد الحركة بعملية تأسيس الحزب .

وانني اعتبر أن الدور الذى لعبته فى تنظيم مؤتمر ١٩٤٨ السرى (مؤتمر الثلاثة وثلاثين) والتقرير الطويل الذى قدمته فى هذا المؤتمر ثم الدور الذى قمت به فى اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب سنة ١٩٤٩ هما أهم ما قمت به أثناء فترة كفاحى فى مصر .

وأخيراً أضيف إلى ذلك الجهود التى كنت أبذلها داخل السجون فى فترات الاعتقال مع الرفاق من سائر التنظيمات لتنظيم واعداد المحاضرات والدروس الماركسية .

الكتب والأبحاث :

---

١ - كتيب باللغة الفرنسية عن حركة السلام العالمية ، وحركة السلام بمصر سنة ١٩٣٨ .
٢ - كتاب يشمل مناقشتى مع العمال وتحليلاتى واستنتاجاتى المستخلصة من فترة وجودى بمصنع المعصرة ، وقد أفادنى هذا الكتاب كثيراً فى معرفة الواقع المصرى من زاوية العمال وإلى حد ما من زاوية الفلاحين (اذ أن معظم عمال المعصرة كانوا فلاحين أو من أصول فلاحية وفى كل الأحوال كانت هناك روابط وثيقة بينهم وبين الفلاحين) .
٣ - كتاب لشرح النظرية الماركسية عنوانه كما جاء سابقاً (تفسير العالم) وكان يشتمل على دراسات عن الجدلية وعن تطور المجتمعات وعن العلاقات الانتاجية كأساس تحتى للمجتمع وعن الدولة وكافة الأبنية الفوقية القانون والعلوم والفن والدين (وكنت أتناول الدين بمفهوم علمى دون أى

هجوم) ... الخ . كتب سنة ١٩٤١

٤ - كتاب عنوانه (تغيير العالم) أو المسائل العملية والنظرية للثورة المصرية) وكان الكتاب يتكون من أربعة أجزاء :

(أ) تكوين الكادر الماركسي المصرى .

(ب) تحليل الواقع المصرى الاقتصادى والاجتماعى والسياسى .

(جـ) الاندماج بالحركة العمالية .

(د) الاندماج مع الفلاحين .

كتب سنة ١٩٤١ .

٥ - بحث عن مشكلة الفلاحين فى مصر (١٩٤٤)

٦ - بحث عن الصناعة فى مصر (١٩٤٤) .

٧ - تقرير تفصيلى عن مشكلة الوحدة بين المنظمات (١٩٤٥) .

٨ - دراسة عن تاريخ اليهود فى مصر ودورهم السياسى ووسائل تحويلهم من حليف احتياطى للاستعمار إلى حليف للشعب المصرى فى كفاحه الوطنى والاجتماعى (١٩٤٧) .

٩ - ''بيان اللجنة اليهودية لمكافحة الصهيونية'' باللغة العربية واللغة الفرنسية ، وهذه اللجنة كنت قد كونتها أثناء مسئوليتى عن قسم الأجانب بمنطقة « حدتو » (١٩٤٧) .

١٠- وقد كتبت مقدمات للعديد من الكتب وأتذكر من بينها لأهميته التقرير الذى قدمه ازادانوف إلى الكومنفورم عن تقسيم العالم إلى معسكرين (١٩٤٨) .

١١- بحث تاريخى عن أسباب الانقسامات التنظيمية فى مصر وعدم القيام بتأسيس حزب شيوعى وعنوان البحث « تصفية الحزب قبل تأسيسه » وقد اعتبره (شهدى عطية) مثالاً للتطبيق الصحيح للجدلية على الواقع المصرى (١٩٤٨) .

١٢- بحث عن واقع وضع الحركة المصرية وطريقة توحيدها ، وقد أصبح ذلك البحث الأساس الذى اعتمدت عليه فى التقرير الذى قدمته إلى مؤتمر (١٩٤٨) (مؤتمر الثلاثة وثلاثين) وكان البحث يشير إلى خطأ الفصل بين عملية توحيد الحركة وبين عملية تأسيس الحزب وكان يضم اقتراحاً

بتكوين لجنة تحضيرية بين كافة التنظيمات للدعوة لعقد مؤتمر تأسيس الحزب على أساس مناقشة البرامج واللوائح والخطط السياسية .

١٣- بحث تفصيلى عن خطورة نظرية التكتل (١٩٤٨) .

١٤- اشتركت مع رفيق فى كتابة بحث مطول عنوانه (مهمات الحركة الشيوعية المصرية) وكان البحث يحدد هذه المهمات وفق تحليل لطبيعة المرحلة القادمة للثورة المصرية (١٩٤٩) .

١٥- الاشتراك فى تحضير لمشروع برنامج الحزب الشيوعى المصرى (١٩٤٩) .

وقد كتبت العديد من المقالات السياسية والنظرية نشرت فى المجلات والنشرات السرية والعلنية ، كما أشتركت مع رفاق آخرين فى كتابة عدة كتب وأبحاث ، ولسوء الحظ لا أملك الآن نسخة واحدة مما كتبته فقد صادرها البوليس أما قبل أو بعد نشرها كما صادر البوليس أيضاً مكتبتى الماركسية التى كانت تضم مئات الكتب .

طريقتى فى تجنيد وتكوين الكادر :

أولاً : الاتصال بالعديد من العمال والمثقفين المصريين ، ثم اختيار العناصر المخلصة والذكية بصرف النظر عن آرائهم السياسية (فقد استطعت تجنيد عدد كبير من أعضاء حزب مصر الفتاة) .

ثانياً : معاملتهم على أساس المساواة والصراحة والاحترام وليس على أسس أبوية أو (طبطبة) وبدون أى تنازل عن المبادىء .

ومثال على هذا المنهج فى التعامل يتضح من الموقف التالى :

فى أواخر عام ١٩٤٨ اتصل بى الرفيق شهدى عطية وطلب منى الانضمام إلى تنظيم العمالية الثورية ، وكانت هذه مرحلة كفاح عنيف بين المنظمات المختلفة ، وخاصة فى مجال التجنيد وكانت كل المنظمات تسعى إلى جانب الرفاق الآخرين اليها من المنظمات الأخرى . وكنت أكن لشهدى تقديراً كبيراً منذ اللحظة الأولى التى عرفته فيها وقد كان الفقيد شهدى فى رأيى نظراً لإخلاصه وذكائه ولشخصيته الشعبية هو

الرفيق الذى كان يستطيع أن يصبح فى يوم من الأيام سكرتيراً للحزب ، من الواضح أن انضمام شهدى إلى العمالية الثورية كان يمثل مكسباً كبيراً لهذه المنظمة الا أننى أجبت على الطلبة على النحو التالى :

(بما أنك قد قمت بتكوين أول تكتل فى مصر ، وبما أن التكتلية خطر يهدد التنظيم الشيوعى فى أساسه ، فلابد قبل الموافقة على انضمامك أن تعترف بخطأ النظرية التكتلية وأن تستنكرها) .

وكان شهدى قد اقتنع بعد قراءة البحث الذى كتبته عن خطر نظرية التكتل على وحدة الحركة بأنها نظرية معادية لاقامة تنظيم شيوعى قوى ، فوافق على ذلك الشرط الذى قدمته ، وكتب مقالة يستنكر فيها نظرية التكتلات ونشر المقال فى جريدة « الكادر العمالى » وكان له أثر كبير بين كافة الرفاق ، وفى نفس العدد أعلن عن انضمام شهدى إلى المنظمة .

ثالثاً : كنت اتبع طريقة فى الاقناع تتلخص فى ربط قضية التحرر الوطنى وهى القضية السائدة ذلك الوقت بقضية التحرر الاجتماعى ، وهذا عن طريق تحليل للحركة الوطنية وابراز مضمونها الطبقى ، وكذلك عن طريق شرح الدور الذى يقوم به الاتحاد السوفيتى فى مكافحة الاستعمار ، كما أن المبادىء الماركسية كانت ترد فى الحوار دون اقحام وفى ارتباط متين بظواهر وأمثلة مستخرجة من الواقع المصرى الحى المتطور .

رابعاً : وعند تدريس الماركسية كنت استخدم لغة شعبية (وهى اللغة التى أتحدث بها طبيعياً) وكنت أتكلم بحماس ، وكنت أجعل الحاضرين يدركون أننا بالرغم من ضعفنا جزء من الحركة الشيوعية أو العمالية التى تكافح فى كل مكان من أجل تحرير البشر وفى نفس الوقت كنت أجعلهم يشعرون بأن حركتنا بالرغم من الصعوبات وبالرغم مما تتلقاه من ضربات الرجعية والاستعمار ليست موسمية أو مؤقته بل هى حركة تاريخية لابد من انتصارها فى تطور المجتمع الانسانى .

ولقد قمت بتجنيد عدد كبير من الرفاق المصريين والسودانيين أرى من الأفضل عدم ذكر أسمائهم .

خبرتى التنظيمية :

بما أننى لم العب دوراً قيادياً فى المنظمات المختلفة (باستثناء فترة قصيرة) فاننى لم أقم بدور تنظيمى هام .

وبما أن التنظيم يخضع للخط السياسى فقد عملت على أن أطبق فى المرحلة الأولى من نشاطى الأسس التالية :

* تكوين تنظيم سرى يقوم على أساس المركزية الديمقراطية فى حدود السرية وتكون قيادته مصرية .
* تنظيم الرفاق المصريين والرفاق الأجانب كل على حدة .
* اصدار جريدة سرية للكادر .
* تكوين منظمات علنية ونشر دوريات ومجلات مختلفة تستفيد من كافة الامكانيات القانونية والشرعية .

وكنت أحاول طبعاً الاستفادة من خبرات الأحزاب الأخرى وكنت أسعى إلى تطبيقات توافق الواقع المصرى وتبتعد عن الجمود النظرى مثال ذلك الاقتراح الذى قدمته سنة ١٩٤٠ بصدد تطوير الاتصال بالجماهير عن طريق خلق نوعين من الخلايا :

الأولى على أساس المصانع ومواقع العمل .

والثانية على أساس — القهاوى البلدية — التى تنتشر فى كافة الأحياء الشعبية وقد أدى ذلك الاقتراح إلى أن أحد الرفاق قد قال أن هذه ليست ماركسية بل مارسيلية ..

وفيما يختص بسرية العمل واحترام احتياطات الأمان وقواعده فأننى كنت أنادى دائماً بذلك من الناحية النظرية الا أننى كنت لا أبالغ فى تطبيق هذه القواعد حتى لا تصبح قيوداً تمنعنى عن النشاط والحركة ، ولكى لا يتهمنى أحد بالخوف كما حدث بعد رجوعى من فلسطين عام ١٩٤٤ .

وفى شهر يوليو ١٩٤٨ وبينما كنت أعيش مختفياً ، كلفت بتحضير مؤتمر الثلاثة وثلاثين فى حلوان ، وقد نجحت فى هذه المهمة واجتمعنا لمدة يومين فى منزل قائد عسكرى وقد تناقشنا بدون انقطاع وبجدية كاملة حول كل المسائل ورجعنا إلى القاهرة دون اصابة أى من المشتركين فى المؤتمر بالرغم من الجو الارهابى الذى أشاعه النقراشى باشا .

وقبل ذلك فى عام ١٩٤٧ عندما أصبحت نائب مسئول مكتب الدعاية فى « حدتو » قمت بتنظيم المكتب على أساس لجان طبقاً للمهمات المختلفة .
واشتركت بعد ذلك فى تنظيم العمالية الثورية .
أما آخر مهمة تنظيمية قمت بها قبل القبض علىَّ وابعادى عن مصر فكانت تنظيم اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب وقد اشتركت فى هذه اللجنة كافة التنظيمات عدا تكتل صغير .

أسباب انقسام الحركة فى مصر :

ليست الحركة المصرية هى الحركة الوحيدة التى تميزت بالانقسامات فحركات عديدة ولا سيما فى البلاد التى كانت تحت سيطرة الاستعمار البريطانى عانت أيضاً من تاريخ حافل بالانقسامات .

أما فيما يختص بالحركة الشيوعية فى مصر فان السبب الأساسى فى انقسامها هو أن أول منظمة شيوعية تكونت سنة ٣٤ / ٣٥ بعد انهيار الحزب الشيوعى المصرى الأول لم تتبع خطة اعادة تنظيم الحزب بحجة أن الظروف الموضوعية فى مصر لم تكن ناضجة لاعادة تأسيس الحزب ، مما منع هذه المنظمة من أن تصبح مركزاً يبلور كافة الاتجاهات والتيارات التقدمية التى كانت الظروف الموضوعية المناسبة فى ذلك الوقت تخلقها تلقائياً . وبذلك تكونت على حدة بمرور الوقت العديد من المنظمات فنظرية المنظمات ساعدت على استمرار حالة الانقسام فحتى سنة ١٩٤٨ لم يفكر أى تنظيم فى تكوين الحزب مما كان يعنى عملياً النشاط بدون برنامج وبدون لوائح وبدون خطة استراتيجية وتكتيكية .

ولا شك فى أن وجود عدد كبير من الاجانب فى قيادة الحركة الشيوعية المصرية لعب دوراً فى تعميق وترسيخ الانقسام ، فاذا كان هؤلاء الأجانب قد استطاعوا دراسة النظرية الماركسية الا انهم بصفة عامة كانوا يجهلون الكثير من خصائص الواقع المصرى المعاش (وقد استغل بعض من هؤلاء الأجانب معرفتهم بالنصوص الماركسية للسيطرة بدون أى حق على قيادة الحركة) .

إن الابتعاد عن المشاكل التى يطرحها الواقع المصرى الملموس وعن مشاكل الجماهير الحية وبالتالى ضعف الارتباط بهذه الجماهير جعل الحركة تتخبط مدة طويلة فى مشاكل نظرية منقولة فى بعض الأحيان صفحة بصفحة عن تاريخ الحزب البلشفى والأحزاب الثورية الأخرى .

وقد كان هؤلاء الأجانب بلا استثناء من أصول برجوازية (لا يعنى هذا أنهم من الناحية السياسية كانوا برجوازيين) ليس هذا فقط بل كانوا ينتمون إلى برجوازية أجنبية فى بلد مستعمر ولا شك أن هذا الأصل الطبقى قد ساعد على ادخال اتجاهات وتأثيرات سلبية وميول زعامية لعبت دوراً كبيراً فى استمرار انقسام الحركة .

محاولات التوحيد بين ١٩٣٩ و١٩٤٩ :

---

(١) أول محاولة لتوحيد الشيوعيين فى مصر (ولم أقل الشيوعيين المصريين ، اذ أن الشيوعيين فى هذه الفترة كانوا فى الغالب من الأجانب) تمت فى باريس فى عام ١٩٣٩ بواسطة المكتب الخاص بالمستعمرات للحزب الشيوعى الفرنسى وكان من بين أعضاء هذا المكتب رفيق لبنانى فبدأت المناقشات بين أعضاء « جمعية السلام » وأعضاء نواة الاتحاد الديمقراطى وكنت أمثل الاتحاد الديمقراطى فى هذه المحاورات . الا أن نشوب الحرب العالمية الثانية حال دون استمرار هذه المحاولة واكتمالها .

(٢) وبدأت ثانى محاولة للوحدة فى نفس اليوم الذى بدأ فيه هجوم المانيا النازية

على الاتحاد السوفيتى فوجهت منظمة « تحرير الشعب » عن طريق جماعة « الخبز والحرية » التى كانت تخضع للتنظيم السرى الدعوى لكافة المنظمات لتنسيق النشاط من أجل الدفاع عن وطن الاشتراكية ووافقت على تلبية الدعوة جماعة « الثقافة والفراغ » (كانت تخضع للتنظيم السرى) كما وافقت جماعة الفن والحرية وجمعية الاتحاد الديمقراطى (بقيادتها الجديدة) ورفضت جمعية السلام الدعوة .

(٣) المحاولة الثالثة قام بها الحزب الشيوعى الفلسطينى بين تحرير الشعب وجمعية السلام وجمعية « حرية الشعوب » وقد فشلت أيضاً هذه المحاولة نظراً لمعارضة جمعية السلام « جمعية الدراسات » .

(٤) المحاولة الرابعة تمت سنة ١٩٤٦ بمعاونة رفاق لبنانيين وفلسطينيين وانجليز بين كافة المنظمات وفى عدة شهور تم توحيد كافة المنظمات الموجودة باستثناء جمعية دار الفجر (لجنة السلام سابقاً) فتكونت فى البداية « الطليعة المتحدة » نتيجة لاتحاد تحرير الشعب مع « ايسكرا » ثم « حدتو » بعد الوحدة مع « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » .

(٥) المحاولة الخامسة وهى فى اعتقادى أهم وأصح محاولة لتوحيد الحركة وقد جرت ما بين ١٩٤٨ و١٩٤٩ عقب مؤتمر الثلاثة والثلاثين .

فلأول مرة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية يحدث ذلك الارتباط بين عملية توحيد الحركة الشيوعية وعملية تأسيس الحزب الشيوعى .

تكونت لجنة تحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب شاركت فيها كافة التنظيمات بما فيها منظمة الفجر الجديد (باستثناء تكتل صغير) ولأول مرة يجتمع الشيوعيون المصريون بصرف النظر عن انتماءهم لمنظمات كفاحية مختلفة لمناقشة وتحضير برنامج ولائحة وخطة سياسية مشتركة .

وفى مارس ١٩٤٩ أعلن صدور أول عدد للجريدة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب وكان معداً ليشمل المشروعات المختلفة لبرنامج الحزب للمناقشة بين كافة اعضاء المنظمات لقد اجهضت الضربات البوليسية الشرسة الجهود الشريفة التى بذلت فى هذه المحاولة التوحيدية التى كان لها فيما بعد أثر كبير فى تطوير الحركة وتوجيهها نحو هدف تأسيس الحزب .

التيارِ التروتسكى فى جماعة الفن والحرية :

ظهر هذا التيار فى ١٩٣٤ / ١٩٣٥ على يد مجموعة من المثقفين استوردوه من فرنسا بدون أى ارتباط أو امكانية للارتباط بالواقع المصرى .

وكان زعيم هذا التيار مثقفاً مصرياً أرستقراطياً متفرنجاً ، وكانت لديه اتصالات بالدولية الرابعة ، وكانت لديه خبرات واسعة فى المجال الفنى وفى تنظيم المعارض ... الخ ولذلك تمكن من التأثر على الكثير من الفنانين والمثقفين .

وقد تجمع هؤلاء الفنانون فى جمعية « الفن والحرية » وقد كان معظمهم يميل إلى الفوضوية والتصورات الخيالية باستثناء البعض القليل الذى لم تكن لديهم أى علاقة بالتروتسكية على المستويين التنظيمى والنظرى ، وكان هؤلاء يفضلون العمل داخل تيار ثورى لا يطلب منهم أى انتظام أو التزام فى بذل الجهود بشكل مستمر .

لم تكن التروتسكية أبداً تياراً سياسياً فى مصر .

كانت جماعة الفن والحرية تضم عدداً كبيراً نسبياً من المصريين ولذلك فقد دخلت الجمعية لاحتك بقواعدها بغرض التجنيد ، وكان من الطبيعى أن يقع بينى وبين رئيس الجمعية صدام اذ اننى كنت أنادى دائما بتمصير الحركة بينما كان هو يعمل على تغريب المصريين .

وقد صرح لى يوما هذا (الزعيم الثورى) «بأن تحرير الشعب المصرى سيتم عن طريق (الشلاليط فى ظهور العمال والفلاحين الأغبياء)» .

الخبز والحرية :

فى أثناء أحد المحاضرات ، أخذ زعيم « الفن والحرية » ينادى بتكوين لجان لتلبى احتياجات الشعب المصرى إلى الفن (الفن السريالى) وتدفعه إلى الحرية (الحرية

الفوضوية) ، وقد ثارت ثائرتى عندما سمعت هذا النداء الغريب وقلت بان الشعب المصرى يحتاج بشكل أساسى إلى « الخبز والحرية » وبدأنا منذ ذلك الصدام فى خلق نواة داخل جماعة الفن والحرية ذات اتجاه شعبى واقعى .

ولقد شعرت منذ بداية اتصالى بجماعة « الفن والحرية » بمدى خطورة التيار التروتسكى أو بالاحرى الاتجاه الفوضوى الذى كان يسودها والذى كان يتخذ خطاً معادياً للاتحاد السوفييت ، لا سيما وأن هذه الجمعية كانت أول جمعية مصرية ذات تأثير كبير على جمهور المثقفين والفنانين .

كان من واجبى أن أواجه هذا الخطر ، وقد نجحت فى تجنيد عدد كبير من أعضاء « الفن والحرية » الذين اشتركوا بعد ذلك فى « الخبز والحرية » وعملت على توجيههم نحو النشاط السياسى بين الجماهير الشعبية ، وكان برنامج « الخبز والحرية » يهدف إلى الاتصال بالعمال المصريين والعمل على تثقيفهم .

وهنا يجب القول بأن عدداً من الأعضاء السابقين بجماعة « الفن والحرية » استمروا لفترات تحت تأثيرها الفوضوى ، بل وقد انسحب جزء منهم من التنظيم السرى لمعارضتهم للعمل المنظم على أساس مركزى .

القضايا الايدلوجية :

سأذكر هنا بسرعة بعض النقاط الخلافية التى سادت بين الشيوعيين المصريين فى الفترة ما بين ١٩٣٥ و١٩٥٢ :

(١) القيام بنشاط ماركسى بقيادة ماركسيين أو التركيز على تكوين كادر ماركسى مصرى .

(٢) تكوين جناح يسارى داخل حزب الوفد أو السعى لتكوين تنظيم شيوعى مستقل .

(٣) القيام بنشاط بواسطة الجمعيات والجماعات العلنية القانونية واهمال التنظيم السرى ، أم العمل بشكل أساسى على تقوية التنظيم السرى كأساس لتنمية النشاط العلنى .

(٤) العمل بين جماهير العمال فحسب ، أم بين كافة الجماهير الكادحة بالتركيز على العمال .
(٥) التركيز على الكفاح الوطنى بغض النظر عن مضمونه الطبقى أو ربط الكفاح الوطنى بالكفاح الطبقى .
(٦) تأييد أو رفض النظرية البرودرية (الخاصة بحل الحزب) .
(٧) الاعتراف أو عدم الاعتراف للسودان بحق تقرير المصير .
(٨) الدفاع عن التكتلية أو محاربتها .
(٩) تحديد طبيعة الثورة المصرية المقبلة كثورة اشتراكية أم ثورة وطنية شعبية من نوع جديد .
(١٠) تأييد حزب الوفد بدون تحفظات أم اتباع خطة (التعاون والكشف) نقدية .
(١١) التعاون أو عدم التعاون مع الأخوان المسلمين .
(١٢) التركيز على تكوين الجبهة الشعبية أم التركيز على الحزب كقائد للجبهة .
(١٣) اتباع الاشتراكية العلمية (بدون تعرض للدين بالهجوم) أم اتباع اشتراكية قائمة على الدين .
(١٤) اقامة التنظيم على أساس المركزية المطلقة أم على أسس المركزية الديمقراطية (فى ظروف النشاط السرى) .
(١٥) الوصول إلى الحزب عن طريق نمو منظمة واحدة بتحطيم المنظمات الأخرى أو تأسيس الحزب عن طريق توحيد المنظمات الثورية أو معظمها على أساس برنامج ولائحة وخطة سياسية مشتركة .
(١٦) تأييد حركة الجيش فى ١٩٥٢ أو معارضتها .

الحكم على التنظيمات والقادة :

بما أننى انقطعت منذ عشرين عاماً عن الكفاح فى صفوف الحركة المصرية ، فاننى أفضل عدم ابداء أى رأى شخصى فى هذا الموضوع .

وقد كتبت سنة ١٩٥٣ ملخصاً تاريخياً عقب وصولى إلى ايطاليا يتناول بايجاز

تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، ربما يفيد فى كتابة تاريخ هذه الحركة .

ولم أقم بنشاط خاص بمصر منذ وصولى إلى ايطاليا ما عدا الفترة ١٩٥٥ / ١٩٥٦ حيث قمت بنشاط دعائى مع الرفيق يوسف حلمى لقضية تأميم قناة السويس ولفضح وادانة العدوان الثلاثى على مصر وأيضاً فى سنة ١٩٦٧ عندما احتلت اسرائيل جزءاً من الأراضى العربية ، وقد كان نشاطى هذا بموافقة الحزب الشيوعى الايطالى .

نشاطى فى الحزب الشيوعى الفلسطينى :

اتصلت بالحزب الشيوعى الفلسطينى لأول مرة فى شهر يولية ١٩٤٢ بمجرد وصولى إلى فلسطين بعد اخراجى من المعتقل وابعادى عن مصر فاستقبلنى سكرتير الحزب وكان عربياً وطلب منى اعداد تقرير عن وضع الحركة فى مصر فقمت بكتابة التقرير واشرت فيه إلى النقاط التالية :

* انقسام الحركة إلى ثلاثة أقسام « جمعية تحرير الشعب » و« لجنة السلام » و« جمعية حرية الشعوب » .
* ضرورة النشاط على أساس تنظيم ومنبر مستقبل للطبقة العاملة وهذه كانت سياسة تحرير الشعب التى كان تعتبر نفسها نواة لتكوين الحزب بالاعتماد على الكادر المصرى ومن خلال اتصالاتها ونشاطها النامى وسط الجماهير بينما كانت لجنة السلام تدعو للعمل كجناح يسارى داخل حزب الوفد .

اجتمعت سكرتارية الحزب الفلسطينى ودعتنى كما دعت مندوبين لجمعية حرية الشعوب وللجنة السلام .

دافع ممثلوا لجنة السلام عن وجهة نظرهم القائلة بأن الظروف الموضوعية فى مصر لا تسمح بتكوين حزب شيوعى ، وقد هاجمت هذا الرأى موضحاً أن الظروف الموضوعية فى سنة ١٩٤٢ أكثر ملائمة وتطوراً مما كانت عليه فى ١٩٢٢ التى شهدت تكوين حزب شيوعى مصرى وافق لينين نفسه على انضمامه إلى الدولية الثالثة الا أننى كنت أعتبر أن الظروف الذاتية هى التى لم تسمح بعد بتأسيس الحزب ولا بوضع مهمة هذا التأسيس فى جدول أعمال الشيوعين

المصريين ، وقد أيدت سكرتارية الحزب الفلسطيني وجهة نظرى ودعتنى للعمل مع الحزب الفلسطينى .

كنت أعيش فى تلك الفترة داخل معسكر اللاجئين المعادين للفاشية فى بيت لحم بالقرب من مدينة القدس ، وبعد عدة مناقشات أجراها معى مسؤلون بالحزب كلفت بتدريس الماركسية للعمال العرب فقمت بكتابة (كورس) ماركسى ملخص شبيه بالكورس الذى كنت قد كتبته فى مصر وصادر البوليس نسخته الوحيده .

وظللت لمدة عام ونصف أدرس الماركسية بانتظام بين العمال والمثقفين العرب ، وقد تعاونت أثناء هذه الفترة مع الكثير من الرفاق الذين أصبحوا فيما بعد من قيادات الحركة الشيوعية فى كل من اسرائيل والاردن .

كنت أتجول ما بين القرى والمدن العربية لالقاء المحاضرات النظرية ، ثم وقعت أزمة عنيفة داخل الحزب الشيوعى الفلسطينى فانقسم عملياً إلى جزئين أحدهما مكون أساساً من الرفاق العرب والآخر مكون من رفاق يهود ، ولقد رفضت الدخول فى مناقشة نقاط الخلاف على أساس انتمائى الأساسى للحركة الشيوعية المصرية ، ولكننى استمريت فى نشاط التكوين النظرى .

عشت فى فلسطين ما يقرب من سنة ونصف وكان كافة اللاجئين الايطاليين قد عادوا إلى مصر الا أنا فلم تسمح السلطات المصرية برجوعى ، وأخيراً فى شهر ديسمبر ١٩٤٣ استطعت العودة إلى مصر وكان والدى قد توفى منذ ساعات قليلة سبقت وصولى إلى البيت ولم أكن قد رأيته منذ عدة سنوات .

ولقد طلب منى الحزب الشيوعى الفلسطينى (اللجنة المركزية) بعد اتحاده من جديد أن أنضم إلى الحزب كمسئول محترف ولكننى رفضت بعد استشارة الرفاق المصريين .

وقبل سفرى نظم الحزب الشيوعى الفلسطينى حفل وداع فى القدس جمعت عدداً كبيراً من الرفاق العرب واليهود وما زلت أذكر هذه الحفلة بتأثر بالغ على الرغم من وصفى لها فى الخطبة القصيرة التى القيتها فى الحفل بأنها مظهر « برجوازى صغير » ولمدة طويلة لم ينقطع اتصالى بعد ذلك بالرفاق الفلسطينيين .

الاعتقال والسجن :

قبض البوليس عليَّ لأول مرة فى شهر اكتوبر سنة ١٩٤١ مع عدد من الرفاق المصريين وبعد مرور شهرين أفرج عن كافة الرفاق بينما أستمر اعتقالى ونقلنى البوليس إلى معتقل الايطاليين الفاشيين باعتبارى ايطالى خطر على الأمن العام .

وأثناء فترة الاعتقال قمت بتأليف كتاب « المسائل النظرية والعملية للثورة المصرية » كما أرسلت عدة مقالات لمجلة « المجلة الجديدة » ، كنت أخرج مرة اسبوعياً تحت الحراسة بتوسط من الرفيق بكر سيف النصر بحجة الذهاب إلى المستشفى فكنت أجتمع عادة مع الرفاق وأتناقش معهم .

وداخل المعتقل قمت بعمل دعاية مضادة للفاشية بين المعتقلين الايطاليين ، وقد أدى ذلك ابان انتصار روميل فى هجومه على مصر إلى عزلى داخل المعتقل بل وأيضاً تهديدى بالاعدام ، وقد أحتجت جمعية الايطاليين المعاديين للفاشية على اعتقالى وسط الفاشيين كما ناضلت أيضاً من أجل الافراج عنى مما أدى إلى الافراج عنى وابعادى عن مصر .

وبين سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٤٨ قبض عليَّ عدة مرات ولكن كنت احتجز لأيام قليلة فى الأقسام وفى شهر مايو ١٩٤٨ استطعت الهروب قبل القبض عليَّ وواصلت الكفاح السرى حتى أوائل شهر ابريل ١٩٤٩ .

كانت هذه الفترة أنشط وأجمل فترة فى حياتى الكفاحية ، كنت أعيش متنكراً لدرجة أن والدتى لم تتعرف عليَّ ، غيرت مسكنى ٢٨ مرة وكنت غالباً أسكن الأحياء الشعبية وكنت أعيش مع رفاق آخرين عادة ، وقد هاجم البوليس مرتين مقر اختفائى الا أننى استطعت الهروب ، وقد حدث ذات مرة عند ذهابى إلى منزل أحد الرفاق أن فوجئت بأن البوليس قد هاجم المنزل قبل وصولى بقليل وعند دخولى إلى باب المنزل واجهنى بعض رجال البوليس فوجهت اليهم التحية بكل جدية ووقار رسمى كما يفعل كبار الضباط فردوا التحية بمنتهى الاحترام واستطعت أن أفلت بصعوبة من القبض عليَّ وهنا أحب أن أذكر أننى قد أختفيت مع الرفيق شهدى عطية ، ولم يكن شهدى يغادر المنزل فكنت أقوم أنا عملياً

بدور عضو الاتصال (رغم حملة البحث عنى) كنا نتناقش كل يوم ساعات عديدة فى كافة المسائل ، وحدث ذات يوم أن طال النقاش بينى وبينه أكثر من عشر ساعات حول نقاط خاصة بتحليل مصر الاقتصادي ، وذهبت للنوم مجهداً وفى الصباح جاء شهدى وطلب منى أن أستمع إلى قراءة كتاب من ١٠٠ صفحة تقريباً كان قد تمكن من كتابته أثناء الليل .

كان هناك مصنع صغير بجوار مسكننا وكانت ضجة المصنع تساعدنا على تغطية ضجة آلات الكتابة والطبع مما كان مفيداً جداً لنا من زاوية الأمان ، وقد نجح عمال المصنع ذات يوم من تنظيم اضراب وانقطعوا عن العمل ، فكانت المرة الوحيدة التى تأسفنا فيها على نجاح اضراب عمالى لأننا اضطررنا لوقف عملية الكتابة والطبع

* * *

هنرى كورييل

محضر نقاش أجريت المناقشة فى باريس ٢-٤-١٩٧٣

س : أريد الان وبعد المناقشتين السابقتين أن استكمل معك صورة العمل التنظيمى فى «الحركة المصرية للتحرر الوطنى»... وخاصة موضوع الاقسام الفئوية فالكثيرين يعيبون على هذا الشكل انه شكل فئوى أو جبهوى وانه لا يخلق اندماجا حقيقيا داخل صفوف التنظيم .. فما رأيك فى ذلك ؟ وما هى مبررات تفضيلك لهذا الشكل من العمل التنظيمى ؟

جـــ :كانت هناك عدة اسباب لتفضيل هذا الشكل من أشكال التنظيم .. أولا ، اننا لاحظنا ان هناك توسع شديد فى بعض المجالات ولو فتحنا الباب أمام القادمين منها لاختل التوازن داخل المنظمة ، مثلا فى مجال الطلبة كان التجنيد واسع جدا وكذلك فى صفوف الاجانب (فى البداية) فكيف نفتح الباب كى تصبح اغلبية المنظمة من الطلاب أو من الاجانب أليس فى ذلك خطر على اختلال التكوين الطبقى والسياسى والقومى للمنظمة ؟ ولهذا فضلت تنظيم الطلاب فى قسم خاص والاجانب فى قسم الاجانب ..

كذلك فقد كان النشاط فى مجالات محددة ومن كوادر من نفس المجال يتيح الفرصة لاحراز نتائج باهرة وسريعة .. شيوعيين طلاب يقودون طلاب شيوعيين ، كان هذا الشكل يحقق تقدما كنا فى أمس الحاجة اليه وخاصة فى البداية ، وكان التخصص ضرورة لأزمة ، كوادر تتخصص

---

* هذا هو محضر النقاش الثالث مع هنرى كورييل وقد سبق أن اجريت معه مناقشتين ، الأولى فى الاسبوع الأول من نوفمبر ١٩٦٨ ، والثانية بتاريخ ١٩٧٠/١/٢٥ ونشرتا بالكامل فى : تاريخ الحركةالشيوعية المصرية المجلد الأول ص٧٢٥ ، وقد اجريت المناقشة الثالثة فى محاولة لاستكمال النقاش سواء على مداه التاريخى أو السياسى . وقد تضمن الحوار فقرة خاصة بالقضية الفلسطينية نشرت فى كتاب اليسار المصرى والقضية الفلسطينية والذى اعيد طبعه ضمن : تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الثالث - ص٦٤٣ .

فى العمل فى مجال معين وتدرس كل ابعاده واحتمالاته وانعكاساته والفرص الثورية الكافية فيه ..

كذلك فقد كانت خطتنا ان تكون منظمة جماهيرية ديمقراطية لكل فئة ، فقد كانت مصر تفتقد للمنظمات الجماهيرية اتحاد طلاب ، اتحاد عمال ، اتحاد نساء .. الخ . ومن ثم فقد كان تكوين قسم طلابى شيوعى بقيادة من كوادر طلابية شيوعية خطوة هامة لخلق النواة القادرة على اقامة هذه المنظمات لجماهيرية .

وباختصار فان هذا الشكل كان مفيدا فى البداية وقد حقق نتائج باهرة فى التجربة العملية ، وهو اولا وأخيرا مجرد شكل من أشكال التنظيم ..

س : كيف نظرتم فى ح.م الى القضية الفلاحية ، وماذا كانت افكاركم حولها ؟

جـ : منذ البداية كنا نرى ضرورة الاهتمام بالريف وخاصة فى بلد كمصر ، لكن نقطة البدء كانت محاولة تلمس وسائل الفهم وتحديد الأوضاع الطبقية .

كان هناك إتفاق على الخريطة العامة للريف عمال زراعيين – فلاحين معدمين – فلاحين متوسطين – فلاحين اغنياء – أقطاع . وعندما جاء التفكير لايجاد حدود كل فئة لاحظت ان البعض يعالج الموضوع بالنقل من الكتب الاجنبية ، ففى الكلاسيكيات الأوروبية كانوا يقولون ان حدود الملكية المتوسطة هى ٢٠ هكتار وقد ترجمت هذه الفكرة إلى العربية ليصبح الفلاح المتوسط هو من يمتلك عشرة أفدنة ..

أما انا فقد رفضت هذا الاسلوب ، والغريب اننى استفدت فى محاولتى لفهم المشكلة الفلاحية بكونى ابن مالك زراعى كبير . وكانت افكارى كالتالى :

الفلاح المعدم هو الذى يمتلك أو يستأجر ارضا لا تكفيه كى يتعيش منها ووجدت ان هذا يعنى فى التطبيق العملى من يمتلك أو يستأجر فدانا فأقل ..

أما الفلاح المتوسط فهو الذى يعيش اساسا من عمله بالارض التى يمتلكها أو يستأجرها ووجدت ان ذلك يعنى .. من يمتلك فدانين .

أما الفلاح الغنى فهو الذى يعتمد فى زراعة الارض على العمل المأجور أكثر مما يعتمد على عمله بنفسه هو أو اسرته ، أى أن العنصر الحاسم – كان فى اعتقادى – هو ان كمية العمل المطلوبة للارض تزيد عن قدرة المالك ، وأن نسبة العمل المأجور اكثر من نسبة مشاركة المالك فى العمل .. وهكذا كنت افكر فى هذه المسألة بصورة طبيعية وموضوعية ومرتبطة تماما بالواقع المصرى ..

واذكر اننى كنت ذات يوم مسجونا فى سجن الاجانب حتى اعزل عن الشيوعيين الآخرين ، ومر بالسجن متهم عادى قادم من الريف وتكلمت معه بلغة عربية ذات لكنة اجنبية عن الشيوعية واهدافها وسألنى عن رأينا فى الريف فقلت له وجهة نظرى ، فأيدها تماما وجمع كل المسجونين العاديين وقال لهم هذا هو «المهدى المنتظر» ...

وقد اقنعتنى هذه الحادية الفردية بصحة وجهة نظرى ..

س : ومإذا عن علاقتكم بالجيش ، ان التاريخ المصرى الحديث يذكر لمنظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى انها المنظمة السياسية التى اقتحمت ميدان العمل فى القوات المسلحة بشجاعة وحققت نجاحات كبيرة تركت اثرها وبصورة مباشرة على تنظيم الضباط الاحرار وحركة يوليو ١٩٥٢ . فهل لك ان تروى لى كيف كانت البداية ؟ وفى أى قطاع ؟ وما هى افكاركم النظرية حول التكوين الاجتماعى للجيش ؟

جـ : بالنسبة للتحليل الاجتماعى للجيش كانت وجهة نظرى هى :

الجنــود .. عمال وفلاحين

صف الضباط .. برجوازية صغيرة

صغار الضباط .. برجوازية متوسطة

وقد اهتممنا بالعمل فى القوات المسلحة وبدأنا بعمال القوات المسلحة وأساسا بميكانيكى الطيران وكونا مجموعة كبيرة وسطهم وكذلك الصولات وكان لدينا قسم صولات ضخم ، وكان لدينا فى البداية ضابط واحد طيار هو ابراهيم العطار وقد أقام علاقات مع جمال سالم وصلاح سالم ورتب مقابلة بينى وبينهم .

وكانت هناك صلة اخرى بمحمد نجيب على أساس الاهتمام بقضية السودان وبعد ذلك كان هناك ضابط آخر هو عثمان فوزى .

وبعد ذلك اتسع النشاط بصورة كبيرة وأصبح لدينا ضباطا كثيرين ... وخلال حرب فلسطين قبض على عمال القوات المسلحة وصف الضباط ولم يقبض على أى من الضباط . وعندما خرجنا من المعتقل قابلت عثمان فوزى وتناقشنا حول العمل فى القوات المسلحة واستقر الرأى على ان نوسع النشاط باقامة تنظيم وطنى وسط الضباط وكان الاقتراح اقامة تنظيم يسمى بالضباط الوطنيين وتطور الأسم الى الضباط الأحرار . وكان هذا خط صحيح تماما رغم ان اخطاء قد ارتكبت فيما بعد عند وضع هذه السياسة موضع التطبيق ..

س : ماذا كان موقفكم من التنظيمات السياسية الاخرى الاخوان المسلمين — مصر الفتاة — الوفد ؟

جـ : كان تحليلنا ان الاخوان المسلمين يمثلون الفئات المتخلفة من البرجوازية الصغيرة ، وهم كأى قيادة برجوازية صغيرة متخلفة على استعداد لتقبل أية أوامر من أية قوة حاكمة ، وهم على الدوام تابعين للقوى الأكثر رجعية .

اما مصر الفتاة فلم تكن قوة حقيقية ، ولا كانت ذات مبادىء ثابتة بدليل ان احمد حسين قد تقلب مع حزبه مرة مع النازى ومرة مع السراى ومرة اخرى مع الشيوعيين ..

أما الوفد فقد كنا نعتبره قوة وطنية ، وثمة منظمات شيوعية كانت تتخذ من الوفد موقفا متشنجا وكانوا يقولون ان الوفد هو العدو الرئيسى

وقد كنت ارى ان الوفد مقسم الى ثلاث فئات ..

الوفد المصرى .. فى الاساس اقطاعيين ، وهم يمثلون فئة محددة من الاقطاع ويتزعمهم النحاس باشا وهو ليس اقطاعى ..

الهيئة الوفدية ... برجوازية متوسطة .

اللجان الوفدية ... كانت البرجوازية الصغيرة هى السائدة فى صفوفها .

وكنا نقول ان الاقطاعيين يلعبون دورهم فى القمة فلنمارس نحن نشاطنا فى اللجان الوفدية ، ولنمارس الضغط على الهيئة الوفدية ، والهيئة الوفدية تضغط على الوفد المصرى .

واذا كان البعض يرى الوفد يتردد فى مواقفه ويتخذ احيانا مواقف جيدة وأحيانا مواقف سيئة وكان يفسر ذلك بأن الوفد حزب متذبذب فقد كنا نحن نرى ان السبب فى هذا التباين يكمن فى انه كان يخضع احيانا لحركة الجماهير الشعبية عندما تكون قوية وعندما تضعف حركة الجماهير ، لا يلبث ان يضعف معها ...

س : نأتى الآن لموضوع الوحدة .. كيف تمت الوحدة بين ح.م وايسكرا ؟

جـ : كنا ننادى بالوحدة ، وكنا نسعى اليها دون عقد ، عندما اتحدت ايسكرا معنا سارعت قبلها بتوحيد نفسها مع كثير من المنظمات الصغيرة حتى تقوى نفسها فى مواجهة «الغول» .

واذا اردت تقييمى للوحدة فاننى اقول ان الوحدة افادتنا من الناحية السياسية أى حلت الى حد ما مشكلة الانقسام ، واضافت الينا اعضاء ، وأضافت موارد مالية ، وعلاقات بالبرجوازية ، فقد اتى مع ايسكرا ابناء عائلات كبيرة مثل محمود النبوى وعلى الشلقانى وبنفوذ اسرهم امكن تحقيق بعض النتائج مثل حماية مجلة الجماهير لبعض الوقت ..

لكن ذلك كله هو الجانب غير الهام ، أما فى الجانب الهام جانب الخبرة السياسية والخبرة التنظيمية فان ايسكرا لم تضف شيئا حقيقيا ..

وعندما تمت الوحدة قلنا لقد حلت مشكلة «التمصير» وتحققت ، الاجانب جمعوا أو ركنوا فى قسم خاص بهم ، والقيادة اصبحت فى غالبيتها مكونة من مصريين .

وقبل الوحدة كانت ح.م قد حققت نجاحا كبيرة فى قضية «التعميل» ، وكانت لجنتنا المركزية مكونة اساسا من العمال ، وكانت الكوادر تسعى بحماس نحو «التعميل» ، بل لقد تحمس الكثيرين لترك اماكنهم فى القيادة ليحل محلهم عمال واذكر على سبيل المثال مختار العطار الذى ترك هو وغيره مكانهم فى اللجنة المركزية ليحل محلهم عمال .

وبعد الوحدة كافحنا باصرار من أجل استمرار سياسة «التعميل» ، واقترحنا ان نعمل قسم عمالى واقسام غير عمالية ..

وأصبحت مسئولا عن الاقسام غير العمالية وكان هذا خطئا منى اذ قبلت ذلك .. وكونت لجنة للاقسام العمالية من محمد شطا ، سيد سليمان رفاعى - شهدى عطية - عبدالرحمن الناصر .

والحقيقة اننا التزمنا بالقواعد التنظيمية ، وباخلاقيات العمل الحزبى ، أما كوادر ايسكرا ، فهم مختلفون ، فقد كانوا اساسا مثقفين ارستقراطيين واجانب ، ومن هنا برزت خلافات عديدة ..

واكفهر الجو السياسى ، وبدأت صعوبات المواجهة ، والرجعية إخذت تستعد بشكل سافر لهجوم عام وعنيف ، ومع بداية الهجوم بدأت الانقسامات ، وانشغلنا نحن فى كل شيء الا التفكير العميق حول الأوضاع العامة وتطوراتها فقد انشغلنا فى الفرعيات وتركنا الاساسيات . وبدأت الانقسامات تتوالى .

س : يجرنا ذلك الى سؤال طالما تردد هو هل كانت الوحدة مع ايسكرا ضرورية ؟ البعض يقول ان ح.م لو استمرت وحدها لصفيت ايسكرا لدى أول ضربة واستمرت ح.م دون مشاكل أو عوائق . ما رأيك فى ذلك ؟

جـ : كان من الصعب تجاهل الوحدة .. كانت هناك حالة نفسية مهيمنة على الجميع تلح على الوحدة وكل الناس يكررون فى كل يوم وفى كل لحظة

لماذا لا تتحدون ؟ والحقيقة اننا كنا متفائلين وقلنا انهم ناس كويسين ويمكن ان تصحح اخطاءهم فى تيار العمل . ومع الوحدة اخذت كوادر ح.م معظم المراكز الأساسية فى العمل الحزبى أما هم فقد تمركزوا فى مجال الدعاية وفى البداية كان الجو ممتاز وكانت هناك نجاحات ، وابتهار بنتائج الوحدة .. الاجانب عندهم عملوا مع عمال من عندنا ووجد فى البداية ما يمكن اعتباره شهر عسل ، وبعد فترة زادت ضغوط الرجعية وبدأت تيارات الطلبة والبرجوازية الصغيرة فى التمرد ..

والحقيقة انه كان هناك على الدوام وبغض النظر عن الوحبدة والانقسام تياران فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية ..

تيار ثـــورى ، وتيار انتهازى
تيار متفـــائل ، وتيار متشائم
تيار يسعى لتغيير جذرى ، وتيار اصلاحى

وكان من الضرورى ادراك هذه الحقيقة والعمل على اساسها ، لكن ثمة عوامل أدت الى تجاهل الحقيقة الواضحة ، حقيقة وجود تيارين تاريخيين متمايزين ، واعتقد ان مسئولية هذا التجاهل الذى ادى الى كوارث لم تكن مسئولية مصرية صرفة ، ذلك ان البعض فى الخارج ضغط وظل يضغط على اساس ان الانقسام هو سبب كل المشاكل وان الحل لكل شيء هو الوحدة .

انا مثلا تكونت على ارض مصرم رغم انبى اجنبى ، لكن ثمة مصريين تكونوا فكريا وسياسيا فى الخارج . ومن هنا كان ايضا الفارق بين التيارين .

والرجعية كانت تدرك هذه الحقيقة ، ولهذا ركزت هجومها علينا نحن وليس على غيرنا .. عندما طردت من مصر ، اعترف مستشار بمحكمة النقض لمحامى قائلا بأن هناك ضغطا شديدا من السراى لطردى ، ولو كان دورنا سلبيا لما تحمست الرجعية لطردى ..

س : اريد ان استوقفك هنا لاستوضح نقطة تهمنى ، تتحدث فى كلامك عن ضغوط من الخارج ، وعن عناصر تكونت فكريا وسياسيا فى الخارج ..

فهل يمكن نتوضيح ماذا تعنيه بذلك ؟

جـ : اقرر ان التدخل الاجنبى من بعض احزاب شقيقة قد لعب دورا خطيرا وسلبيا ، والمشكلة لم تكن فى انهم اخذوا مواقف خاطئة من الاحداث التى تجرى فى مصر ، وانما انهم حاولوا فرض وجهة النظر الخاطئة هذه على الحركة الشيوعية المصرية .. ولكى اكون واضحا فاننى اعنى الحزبين الايطالى والفرنسى .. وسأعطى امثلة :

عندما طردت من مصر ذهبت الى ايطاليا . وكانت الحركة الوطنية فى قمة عنفوانها وتصاعدها وعندما الغيت معاهدة ١٩٣٦ كتبت جريدة «اليونيتا» جريدة الحزب الشيوعى الايطالى تقول ان الغاء المعاهدة هو نتيجة لانتصار الاستعمار الامريكى . فقد كانوا يحللون كل شىء فى الشرق الأوسط على اساس الصراع بين الاستعمارين الامريكى والبريطانى ، ولم تكن لديهم معرفة ولا ثقة بحركة الجموع الشعبية فى المنطقة ، ولا بامكانية القوى الوطنية على إحداث تأثير ما على سير الاحداث ، وقد رفضنا هذا المنطق وقلت لهم ان الغاء المعاهدة هو تعبير عن مد وطنى جارف وهو بذاته عمل وطنى .. ورفضوا وجهة نظرنا ورفضونا معها وهاجمونا ..

وكانوا ايضا يرون ان حزب الوفد هو العدو الرئيسى وكنا نرفض هذه الفكرة .. وعندما حدثت حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قالوا فى فرنسا انها حركة امريكية لأن تلاميذهم فى مصر كانوا يفكرون بنفس الطريقة ، لا جديد ولا حدث يحدث الا كنتيجة للصراع بين الاستعمارين الانجليزى والامريكى .. أما نحن كنا نتابع حركة الضباط الاحرار من بدايتها وكانت منشورات الضباط الاحرار تصلنا وكلنا نعلم حقيقة الحركة ولهذا رفضنا هذا الرأى وقاومناه ، ومن هنا بدأت الحملة ضدى هناك .

اننى هنا لا الوم حزبا ما ، فكل حزب له الحق فى ان يتخذ الموقف الذى يشاء ولكن الخطأ هو خطأ التلاميذ الذين نقلوا حرفيا مواقف وتحليلات وضعت فى ايطاليا أو فرنسا وحاولوا تطبيقها فى مصر متجاهلين حركة الجموع الشعبية على ارض بلادهم مكتفين بتفسير سهل لكل حدث وهو انه نتيجة للصراع بين انجلترا وامريكا ..

س : ثمة نقطة هامة اريد ان استوضحك فيها هى موضوع «خط القوات الوطنية الديمقراطية» لقد قيل كلام كثير عن هذا الموضوع ، واتخذت الكثير من الانقسامات منه مبرزا لانقسامها .. فهل يمكن ان تقدم لنا وجهة نظرك حول هذا الموضوع ؟

جـ : لقد عملنا منذ البداية فى صفوف فئات عديدة وطنية وشعبية ، وقد نجحنا فى التأثير عليها ، مناضلون من مختلف الفئات اتوا الى صفوفنا ولعبوا دورا ثوريا ، صحيح ان الطبقة العاملة لها الدور الطليعى والقيادى وقد كنت أول من نادى بالتعميل وعمل من اجله - إلا اننى اعتقد انه بعد انتصار ثورة إكتوبر ثم بعد انتصارات الاتحاد السوفييتى الباهرة فى الحرب العالمية الثانية والنتائج التى ترتبت عليها قد غيرت الى حد كبير من وضعية البرجوازية الصغيرة كأداة رجعية (بمعنى انها ترغب فى الرجوع بالمجتمع الى الوراء لأن حالتها فى الماضى كانت افضل مما هى عليه فى ظل الرأسمالية) لكن الظروف قد تغيرت تغيرا جوهريا سواء من حيث توازنات القوى او من حيث طبيعة الدور الذى يمكن ان تلعبه البرجوازية الصغيرة وخاصة فى بلد كمصر ..

ان الانتصارات الهائلة للاتحاد السوفييتى ضد النازى الذى كان يطرق ابواب مصر ، ونتائج الحرب العالمية الثانية والانتصارات العظيمة التى احرزتها الحركة الاشتراكية العالمية كل ذلك اثر فى موقف البرجوازية الصغيرة تجاه الاشتراكية .

ومع ذلك كله يجب تأكيد دور الطبقة العاملة كقيادة لهذه القوى الوطنية والديمقراطية .. القيادة هى الحزب ، الحزب يقود عمال وفلاحين وبرجوازية صغيرة . بمعنى ان الطبقة العاملة ليست هى الطبقة الثورية الوحيدة فى المجتمع المصرى ، هناك قوات ثورية اخرى فلاحين وبرجوازية صغيرة ومن هنا فقد قلت فى تقريرى هذا الذى أثار كل هذه الضجة ان حزبنا الذى نريده ليس حزبا للعمال وحدهم ، انما حزب لمصر كلها ، بمعنى أنه حزب لكل القوى الثورية المصرية . قلت ان النجاح الأساسى هو ان يشعر كل الشعب بأن هذا الحزب هو حزبه ، وليس مجرد حزب للعمال وحدهم .

هذا هو جوهر الفكرة التى اثارت كل هذه الضجة ..

وحدث نقاش حولها وجدل وانقسم الرأى وربما قيل كلام غير دقيق من الطرفين خلال النقاش ، ولكن المهم هو اننى ومع اصرارى على هذا الرأى كنت مصرا ايضا على المضى فى سياسة التعميل ، وبدأنا فى تجميع كل الاقسام غير العمالية فى وحدة ، والاقسام العمالية فى وحدة اخرى ، وضممنا افضل الكوادر الى الاقسام العمالية ..

والغريب ان اكثر من عارض فكرتى هذه هم قسم الطلبة أى عناصر البرجوازية الصغيرة ، لقد كانوا منزعجين من سياسة التعميل ، وكانوا متصورين ان الاهتمام بالعمال يعنى التقليل من قيمتهم هم ...

ومن هنا فقد رفعوا رايات براقة ١٠٠٪ عمال .. وتصوروا ان التعميل هو ان يذهب الطلاب مرتدين ملابس عمال ليعملوا وسط العمال ..

س : هل لديك أية ملاحظات تريد اضافتها الى كل ما سبق ..؟

جـ : هناك بعض ملاحظات أود الاشارة اليها ..

● اننا كنا اصحاب الخط الوطنى السليم .. لقد كنا اول من شعر بخطر الاحلاف العسكرية وقاومناها وخلقنا رصيدا مصريا يرفضها وهذا الرصيد الوطنى الذى يرفض الاحلاف هو فى اعتقادى الذى دفع حركة الجيش الى رفض الأحلاف ..

● اننا كنا أول من اهتم بحركة الكفاح فى القنال واسهمنا فيها وحاولنا تنظيمها وضمان استمراريتها .. وكنا فى هذا نختلف عن الآخرين من المنظمات الاخرى التى تقاعست عن اداء هذا الواجب ، وكنا نختلف عن الأحزاب السياسية الاخرى التى لم تستطع الربط بين الكفاح المسلح والكفاح السياسى للجماهير الشعبية على نطاق مصر كلها .. وحاولت ان تحصر نفسها فى منطقة القتال ..

● اننا كنا أول من أيد الوحدة العربية ورأينا جانبها الايجابى برغم ان الجامعة العربية قد تكونت بايعاذ من الانجليز .. وقد نلنا شتائم كثيرة بسبب موقفنا هذا ..

- انا اتخذنا موقفا صحيحا من قضية الدين بينما كان البعض يرى ضرورة اتخاذ موقف مغاير ..

- اننا كنا دعاة وحدة وطنية ، وكنا حريصين دوما على ربط تحركنا بحركة الجموع الشعبية وبمجموع الحركة الوطنية المصرية ..

* *

٦ ـ نادى الاتحاد الديموقراطى»
«المركز الثقافى الاجتماعى»
محضر تحقيق النيابة

فتح المحضر يوم السبت ١٣ رمضان سنة ١٣٦٥ الموافق ١٠ اغسطس ١٩٤٦ الساعة الثامنة وخمسون دقيقة مساء بسراى النيابة .

بالهيئة السابقة

وجدنا بين مخلفات النيابة العسكرية العليا تحقيقات اجرتها تلك النيابة بتاريخ أول فبراير ١٩٤٣ فى بلاغ مقدم من حكمدارية بوليس مصر بتاريخ ١٦ يناير سنة ١٩٤٣ بشأن النادى الذى كان يطلق عليه اسم «المركز الثقافى والاجتماعى» ومقره سكة الفضل رقم واحد بقسم عابدين والذى كان يتولى ادارته وأعمال سكرتاريته المدعو توماس بلاموتس المستخدم بشركة كوتسكا واليونانى التبعية ، من أن هذا النادى يقوم بنشاط سياسى ظاهرة الدعوة للحلفاء والديمقراطية وباطنه نشر الدعاية الشيوعية واثارة الخواطر ضد النظم الرأسمالية وقد أشير فى بلاغ الحكمدارية الى ما وصل لعلمها وقتذاك من ان توماس بلاموتس سكرتير المركز الثقافى هو وسلمون سليم المستخدم التجارى بشركة الغزل المصرية أخذا ينشطان فى دعايتهما لاثارة خواطر العمال وان لسلمون سليم أصدقاء بالاسكندرية وأنه يسافر اليهم احيانا لمقابلتهم فى أيام الآحاد وأن من هؤلاء ابو النيل سكرتير نقابة عمال الاحذية بالاسكندرية .

---

* يتضمن هذا المحضر بعض معلومات هامة عن المرحلة الأولى من نشاط هنرى كورييل وعن نادى الاتحاد الديمقراطى و«المركز الثقافى الاجتماعى» . كذلك يتضمن اشارات الى معلومات البوليس حول نشاط قوى اليسار المصرى فى هذه الفترة المبكرة . وهذا المحضر وارد فى ملف قضية الشيوعية الكبرى لعام ١٩٤٦ فى الصفحات ١٠٢٦ – ١٠٢٧ – ١٠٢٨ – ١٠٢٩ – ١٠٣٠ – ١٠٣١ (المؤلف) .

كما أشير الى حضوره من الاسكندرية فى يوم ١٩٤٢/١٢/١٦ بشأن استئجار جريدة الحقائق .

والبلاغ المشار اليه طويل ومحرر على خمسة ورقات وقد اشير فيه الى ما تم من تفتيش بعض الاماكن بناء على أمر صادر من الحاكم العسكرى بمنطقة القاهرة اذ ذاك وما ضبط بحجرة فوق سطح المنزل رقم ٦ بشارع امين باشا سامى من أوراق ومنشورات ومنها مذكرة موصوفة بأن بعضها محرر بخط اليد والبعض الآخر بالآلة الكاتبة تتضمن دراسة عن الاحزاب المصرية وعلاقتها بالعمال ، ومذكرة محررة باللغة العربية بخط اليد معنونة «تقرير» عن مدى النشاط وتكوين الخلايا وأسماء اعضائها ، وجاء به ان الخلية الثالثة مؤلفة من طلعت جوجو «نجم» طالب بالجامعة واحمد معروف «المقرىء» موظف ، وزينب جوجو «الوكيل» طالبة بمدرسة الاشراف . وأن الخلية الرابعة مؤلفة من محمد الهندى «المقاول» وعلى ابو النيل «عامل» ومحمد محرز «حراز» عامل . وانه جاء به كذلك ان جميع هذه الخلايا قررت العمل بعد دراسة الدستور الشيوعى والسير على نظام الدولية الثالثة وضرب الطبقة البرجوازية الذى لا يمكن ان يتحقق بغير الثورة العمالية . وان هذا التقرير كان بتاريخ ١٩٤٢/١٢/٢٠ ولاحظنا ان التحقيق الذى اجرته النيابة فى هذا البلاغ جاء مقصورا على سماع شهادة حضرة احمد حمدى بك مفتش الضبط فرع «ب» بمحافظة مصر وقد جاء فى اقواله عن المركز الثقافى الاجتماعى انه تألف أولا تحت اسم (الاتحاد الديمقراطى) بمعرفة هنرى كورييل الاسرائيلى المصرى الجنسية وكان يعاونه شخص ايطالى من المعادين للفاشية لا يذكر اسمه ، وبعد بضعة اشهر انفصل هذا الشخص الايطالى وقام بالاشراف على النادى هنرى كورييل ومعه اعضاء مجلس الادارة ثم غير اسم هذا النادى الى اسم «المركز الثقافى الاجتماعى» وكان هنرى كورييل هو المشرف عليه كذلك ، وقد اعتقل هنرى كورييل فترة من الزمن وأخلى سبيله على شرط الابتعاد عن التداخل فى الشئون السياسية والاجتماعية وقد تولى توماس بلاموتس اعمال سكرتارية هذا المركز وكان هو المشرف على ادارته ، وعقد الايجار محرر باسم هنرى كورييل والشخص الايطالى الذى ذكر ان اسمه اسكندر روكه أما اعضاء مجلس الادارة فمن بينهم توماس بلاموتس وعزرا هرارى وسالمون سليم ولما كان قد تبين من تحقيقات اجرتها

نيابة الاسكندرية بناء على التفتيش الذى قامت به فى منازل بعض من اتهموا بترويج مبادىء الشيوعية بالاسكندرية ان على ابو النيل له صلة وثيقة بلطف الله حنا سليمان كما هو واضح من الاطلاع على محضر استجواب هذا المتهم فقد دعونا هنرى كورييل واعدنا سؤاله .

إسمى هنرى كورييل

سابق سؤاله

س : ماذا كانت علاقتك بالنادى الديمقراطى أو نادى الاتحاد الديمقراطى ؟

جـ : كان اخى راؤول كورييل من ضمن مؤسسى هذا النادى وانا كنت عضو فيه .

س : ومن كان سكرتيره ؟

جـ : السكرتاريين تغيروا كثيرا

س : الم يكن سكرتيره توماس بلاموتس ؟

جـ : انا لم اكن عضوا فى النادى لما كان سكرتيره توماس بلاموتس .

س : الم تكن انتت مستأجر مقر النادى باسمك ؟

جـ : لا . وانما كان اخى راؤول كورييل بصفته أمين الصندوق هو الذى استأجر النادى بعقد موقع عليه منه ومن ساندرو روكه .

س : ولماذا غير اسم «نادى الاتحاد الديمقراطى» الى «المركز الثقافى الاجتماعى» ؟

جـ : لأن الدعاية الانجليزية فى أول الحرب ارادت ان تستغل اسم النادى الديمقراطى لصالحها هى فقرر اعضاء النادى تغيير الاسم وسموه «المركز الثقافى الاجتماعى» وعلشان كمان يكون اسمه بعيد عن السياسة .

س : ولكن المفهوم من اقوالك فيما سبق أن هذا النادى كان يشتغل بالامور السياسية ؟

جـ : فى الأول كان فى النادى عدد كبير من الاعضاء ، طليان من المعادين للفاشية وكان بيحصل فى النادى اجتماعات وحفلات الى أن تدخلت السفارة

الايطالية قبل ان تدخل ايطاليا الحرب وبلغت الحكومة المصرية بأن النادى شيوعى فكان البوليس يمنع الاجتماعات أقصد الحفلات العامة وعلى كدة الاعضاء تغيروا واتخذ النادى شكل اجتماعى .

س : ابلغ البوليس ضد هذا النادى فى أوائل عام ١٩٤٣ انه يقوم بنشاط سياسى ظاهره الدعوة للحلفاء والديمقراطية وباطنه نشر الدعاية الشيوعية واثارة الخواطر ضد النظم الرأسمالية ؟

جـ : انا اعتقلت فى ١٩٤٢ ، وافرج عنى بعد شهرين واخذوا على تعهد بأنى لا اشتغل فى السياسة ، وأن اكون بعيدا عن النوادى السياسية ، ولهذا ابتعدت عن هذا النادى .

س : وهل تعرف لمن كانت الحجرة التى كانت بسطح المنزل رقم ٦ بشارع أمين باشا سامى ؟

جـ : لا

س : هذه الحجرة كانت مؤجرة بمعرفة عزرا هرارى .

جـ : انا لا اعرفه .

س : الم يكن عضوا بالنادى هو أيضا ؟

جـ : مش فى الوقت اللى انا كنت فيه .

س : هل تعرف على ابو النيل ؟

جـ : لا

س : ألم تسمع باسمه ؟

جـ : لا

س : ضبطت فى ذلك الوقت أوراق ومنشورات هامة تدعو للشيوعية صراحة ومن بين هذه الأوراق مذكرة تتضمن دراسة عن الاحزاب المصرية وعلاقتها بالعمال ومذكرة باللغة العربية بخط اليد وهى عبارة عن تقرير عن مدى النشاط فى تكوين الخلايا وان من ضمن اعضاء الخلايا على ابو النيل .

جـ : أنا لا اعرف شيء عن هذه المضبوطات

س : هل تعرف طلعت جوجو أو زينب جوجو .

جـ : لا

س : حدد لنا مدى علاقتك بلطف الله حنا سليمان

جـ : ما فيش علاقة ، انما شفته مرتين ثلاثة فى مكتبة النهضة

س : ولكنه ترك مكتبة النهضة واشتغل فى مكتبة كاديموس

جـ : أنا لم اذهب الى مكتبة كاديموس

س : الم تعرض فى مكتبتك كتابة المنقول عن كتاب باللغة الانجليزى والذى اسماه كارل لبنخت ؟

جـ : لا أتذكر شيء من هذا .

س : هو يقول انه سلم مكتبتك عددا من النسخ من هذا الكتاب .

جـ : يجوز انه حضر فى غيابى وسلم العاملة نسخ من كتابه

س : الا تعرف شيئا عن لطف الله حنا سليمان هذا وعن ميوله وآرائه ؟

جـ : يمكننى أن أؤكد أن ما فيش أى تفاهم أو اتصال أو انسجام بينى وبينه .

س : تبين من التحقيق الذى اجرى مع لطف الله سليمان ومن بعض الأوراق المضبوطة انه يشتغل «مأمور» الخلايا .

جـ : انا لا اعرف شيئا عن هذا الموضوع .

س : هل تعرف كتبا تبحث فى الخلايا ؟

جـ : لا أبدا ، وانا قرأت كتب كثيرة جدا يسارية وغير يسارية ولم أجد كتابا يبحث فى الخلايا .

س : هل تعرف خليل الآسى ؟

جـ : لا

س : ضبط مع خليل الآسي خطاب مرسل من على ابو النيل الى لطف الله سليمان يعتب عليه فيه انه لم يتلق معونته بسبب القبض عليه فى قضية المنشورات بالرغم من انه وصله خبر الفلوس التى أتت من الخارج ؟

جـ : أنا لا اعلم أى شيء عن على ابو النيل ولا عن لطف الله سليمان ولا عن فلوس من الخارج ..

س : ولكن فى الأوراق المضبوطة بشأن التفتيش الذى اجراه البوليس فى أوائل ١٩٤٣ بمناسبة نشاط المركز الثقافى الاجتماعى اشارة الى الخلايا فى التقرير الذى ضبط بالحجرة التى بسطح المنزل رقم ٦ بشارع امين باشا سامى وذكر فى التقرير ان على ابو النيل من اعضاء الخلية الرابعة .

جـ : انا لما كنت عضو فى النادى الديمقراطى لم اسمع باسم على ابو النيل مطلقا ولم تكن له علاقة بالنادى .

س : تبين من اقوال لطف الله سليمان أن له شلة من بينها رمسيس يونان وبولا العلايلى ويتردد عليهم احيانا انور كامل كما ان من بين الشلة جورج حنين .

جـ : انا اعرف انهم أصحاب واعرف ان اللى جمعهم فى الأول مذهب السيرياليزم أو ما فوق الطبيعة ، وهو مذهب من المذاهب الغامضة وظهر بعد الحرب الماضية وفيه بعض ادباء فرنساويين ورسامين ايضا من اتباع هذا المذهب ومن المؤلفين الفرنسويين المشهورين اندرية بروتون فى الأدب وسلفاتور دالى فى الرسم ، وهذا المذهب وان كان فيه اتجاه يسارى ولكنه غير شيوعى بالمرة واتذكر انهم عملوا معرض او اثنين لرسوم هذا المذهب وعرض فيها رمسيس يونان بعض صور رسمها وأظن كان ذلك حوالى ١٩٤٣ . وأنا فاكر انه كان فيه وقت حصل ان انور كامل وجورج حنين زعلوا من بعض وانا كانت علاقتى بيهم عن طريق اخى زاؤول وبعد ان سافر اخى الى الكونغو وبيروت انقطعت علاقتى بهم .

س : وما سبب هذا الزعل ؟

جـ : مش فاكر والكلام ده من سنتين ثلاثة لانى من سنتين ثلاثة ما اعرفش عنهم أى شيء ..

س : هل تعرف عبده دهب ؟

جـ : أيوه اعرفه من أيام جريدة حرية الشعوب اللى استأجرتها عام ١٩٤٢ ، وكان سكرتير الادارة فيها . اما الآن فهو يعرض مجلة «ام درمان» عندى فى المكتبة وليس بينى وبينه صلة غير كده .

س : وهل تعرف عبدالماجد حسبو ؟

جـ : لا

س : هل تعرف محمود العسكرى ؟

جـ : محمود العسكرى بتاع شبرا الخيمة ؟

جـ : هل تعرفه ؟

جـ : لا

س : وكيف عرفت انه بتاع شبرا الخيمة ؟

جـ : ده مشهور وقرأت عنه فى الجرائد لأنه كان له قضية علشان مجلة وطلع براءة .

س : وهل تعرف ابراهيم حافظ العطار ؟

جـ : لا

س : عندما قبض البوليس على كمال احمد شعبان وجدت معه ورقة باسماء سبعة عشر كتابا فى الماركسية واللينينية وغيرها وامام كل اسم عدد النسخ وفى ذيل الورقة عبارة «هذه هى الكتب التى وجدناها فى مكتبته» فهل يمكن شراؤها ؟ . فهل توجد هذه الكتب عندك فى مكتبتك ؟

جـ : نعم . (بعد ان اطلع على الورقة المضبوطة مع كمال احمد شعبان والمشار اليها فى محضر استجوابه) .

س : هل تعرف بخط من كتبت اسماء هذه الكتب باللغة الانجليزية ؟

جـ : لا اعرف . وهذه الكتب موجودة عندى

س : يقول البوليس ان كمال شعبان هذا متصل بك وانه من اتباعك ؟

جـ : لا . ابدا

تمت اقواله وامضى .

أمضــاء   رئيس النيابة
أمضــاء

٧ ــ السيد سليمان الرفاعى
محضر نقاش
أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/٢/١٢

س : كيف اصبحت شيوعيا ؟

جـ : دخلت سلاح الطيران عام ١٩٤٠ ، وقد نشأت فى بيت لا علاقة له بالسياسة ، ابى كان جاويشا فى البوليس ، ولهذا لم يكن له اى انتماء حزبى أو سياسى بحكم عمله ، وابى من أسرة فلاحية تعيش فى قرية بجوار مدينة بنها ، وقد اضطرته ظروف الحياة الصعبة للعمل فى البوليس على غير رغبته ، فقد كان متعلقا بالريف ، وظل طوال حياته متمسكا بالمثل والقيم الريفية .

عندما حصلت على الشهادة الابتدائية دخلت مدرسة الصنائع وحصلت على الدبلوم ، ولكن ابى كان يحلم بأن يصبح ابنه ضابطا ، ولكن الازمة الاقتصادية كانت خانقة ، والبطالة منتشرة بين المثقفين ولهذا لم يغامر بادخالى مدرسة ثانوية وادخلنى المدرسة الصناعية بمدينة المنصورة . وكنت اهوى القراءة الى درجة غريبة ، كنت امضى طوال ايام الاجازة فى القراءة الى درجة انهم كانوا يحتاجوا الى الضغط كى ينتزعونى من القراءة لاتناول الطعام . لكنها كلها كانت قراءات سطحية واساسا فى روايات الجيب التى كانت منتشرة فى تلك الايام ، وكانت تصدر احيانا مختارات من اشهر القصص العالمية لتولستوى وديستوفسكى .

وفى سنوات ٣٧ – ١٩٣٩ كنا نسكن فى السنبلاوين وكانت مدرستى بالمنصورة ، وكان لى صديق اسمه «انور» يعمل سرا فى اصلاح السلاح غير المرخص ، وكنت اساعده ، وكان انور هذا على علاقة بعصابة غريبة من اللصوص ، كانت تسرق الاغنياء فقط ، بل وتعطف على الفقراء ، وكان ابى – لانه متعاطف مع الفقراء – يساعد هذه العصابة احيانا بما لديه من معلومات عن تحركات البوليس .. وعن طريق «انور» سمعت لأول مرة عن كلمة «شيوعية» لكنها كانت معلومات مشوشة بل وخاطئة ، لكننا كنا نواصل انا وانور الحديث حولها ..

وفى عام ١٩٤٠ وبعد ان تخرجت من المدرسة الصناعية دخلت سلاح الطيران . وحتى ذلك الحين كنت بعيدا عن السياسة ، وباستثناء مناقشاتى المشوشة انا وانور ، كنت لا اعرف شيئا عن السياسة ، بل كنت اقف ضد كل الاحزاب القائمة ، وان كنت معجبا بفاروق الملك الشاب الذى قدم لنا فى صورة مبهرة .

وكانت دفعتنا بمدرسة ميكانيكا الطيران مكونة من ١٧٥ متطوع ، وكنا اول دفعة تقبل من الحاصلين على دبلوم ، وقبلها كانوا يقبلون الحاصلين على الابتدائية أو الذين امضوا سنتين فى المدرسة الصناعية .

وقد اكدوا لنا رسميا عند تطوعنا انهم قبلوا دفعة من حملة الدبلوم لكى يمكن ترقيتهم الى رتبة طيار ، لكننا واثناء الدرسة علمنا اننا سنتخرج بنفس اوضاع السابقين علينا والحاصلين على الابتدائية ، فبدأت عمليات تمرد تلقائية وغير منظمة ضد قيادة سلاح الطيران وادارة الجيش واخذت عملية التمرد عدة اشكال مثل الامتناع عن الطيران ، الاعتصام بالخيام .. وبالمقابل كانت هناك محاكمات عسكرية واحكام بالسجن والجلد ..

واستمر العمل التلقائى ، بعضهم انتحر احتجاجا والبعض كان يمتنع عن الاجابة فى الامتحانات ليفصل من المدرسة .

وفى عام ١٩٤٢ وبينما كنا على وشك التخرج سمعنا عن القبض على اثنين من ميكانيكى الطيران وهما حسن التلمسانى وحبيب سليم بتهمة الشيوعية .. وقد اودعا السجن الحربى .

هذا بالاضافة الى تحركات عديدة فى سلاح الطيران لفتت انظارنا الى السياسة .. مثل حادثة هرب الطيار سعودى ، وحادثة عزيز المصرى .

وفى عام ١٩٤٢ تخرجت ووزعت الى سرب «التى ، تى» المقاتل .

وكان سربنا يخدم بعض الوقت فى السويس ، وكنت فى حالة رفض تام لوضعى واشعر بان قادة الجيش خدعتنا وفكرت انا وزميل لى اسمه حسن جوهر ان نشكل تنظيم لاغتيال كل قادة الجيش والطيران انتقاما منهم .. واخذنا فى عمل دراسات عن كيفية صناعة القنابل واتصلنا لذلك مع زملاء لنا فى قسم التسليح .

وعندما عدت الى القاهرة اتصل بى احد اعضاء الدفعة واسمه محمد عزب قابيل ، وابلغنى انه على علاقة بتنظيم يسعى لقلب نظام الحكم ووافقت على الفور ، وحضرت أول اجتماع فى شارع الهرم وقد حضره انور كامل ومعه حوالى ١٥ شخصا وكانت مقابلة للتعارف وتحدثوا امامى عن موضوعات معقدة وبمستوى عالى وفى النهاية انشدوا نشيد الخبز والحرية .. ومطلعه :

يا جموع الشعب هيا ... حطمى كل القيود
واشعلوا النار سويا ... وابدأوا زحف الخلود
يا جنود الخبز والحرية

ثم نظم لنا اجتماع آخر فى منزل زميل دفعتنا سيد حافظ وتحدث انور كامل عن المادية الجدلية ولم نفهم منه حرفا واحدا وخرجت من الجلسة وانا اشعر باحباط شديد .

وانقطعت عن انور كامل ، واختفى هو ايضا وربما قبض عليه ..

وسافرت الى السويس مرة اخرى وانا اتحرق شوقا للمعرفة ، وبدأت اشعر ان مشكلتى ليست شخصية ، لكنها مسألة متعلقة بمجمل الأوضاع السائدة ...

وفى اوائل ١٩٤٣ عاد محمد عزب قابيل (كما اتذكر الآن) ليتصل بى ويبلغنى انه وجد علاقة بمجموعة اخرى واخذ منى موعدا فى حى السيدة زينب وقابلت موسى الكاظم ، وهكذا انضممت الى منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح.م.) وظل موسى الكاظم مسئولا لخليتى وكنت فيها انا وسيد حافظ ومحمد عزب قابيل وكانت هناك مجموعة اخرى تضم الطيار ابراهيم العطار وآخرين .

وبدأنا فى دراسة كورس من اربع محاضرات أو خمسة اذكر منها : عيوب المجتمع – تطور المجتمع – صورة عن المجتمع الاشتراكى .

وبعد ان انهينا الكورس ابلغنا ان القيادة قررت منحنا العضوية واننا مؤهلين الآن كى نمارس عملا نشطا ، وشعرنا بالثقة والفخر ، ولكننا كنا نتهيب من تولى المسئوليات فكيف لنا ان نفعل مثلما يفعل موسى الكاظم بنشاطه واسلوبه اللبق والاخاذ .

وكلفنا بالعمل كخلية فى سلاح الطيران ، واتسع نشاطنا ، وشكلنا خلايا فى كل الاسراب وخلال عام مواحد كان لدينا ٨٠ عضوا منظمين فى خلايا ، فى كل سرب وكل ورشة كانت هناك خلية أو اثنين ، وجندنا ايضا بعض المدنيين العاملين فى السلاح ، ثم بدأنا فى الإنتقال الى الجيش والى الكتاب العسكريين وادارة التجنيد وادارة الاسلحة الصغيرة ، وسلاح الاشارة وسلاح الصيانة وموسيقات الجيش .

وبدأ نشاطنا فى التشعب بصورة غريبة : ابراهيم العطار (الطيار) جند اخيه مختار العطار وكان طالبا بالفنون الجميلة ، وهكذا فتح حقل واسع للنشاط اثمر فيما بعد - علاقات عديدة بالفنانين التشكيليين وجند مختار العطار ، كمال شعبان (قسم عمارة) ، كما جند احد الازهريين الذى فتح لنا نشاطا بالأزهر ..

وقد تعمدت ان اقدم لك هذه الصورة التفصيلية لترى كيف اتسع النشاط وتشعب لينطلق الى مجالات عديدة كل منها يسهم فى فتح مجالات اخرى ..

ثم دعيت لحضور مدرسة الكادر الأولى .. واذكر من الدارسين .. انا ، ابراهيم العطار ، سيد حافظ ، مختار العطار ، الشيخ عبدالرحمن الثقفى (الازهر) ، كمال شعبان .

اما المدرسين فاذكر منهم : زكى هاشم (وكان وكيل نيابة) ، واحمد دمرداش تونى ، تحسين المصرى - جومتالون - واذكر ان رفيقا من الحزب الانجليزى حضر المدرسة والقى فى ختامها كلمة بالانجليزية .

واذكر ان احمد دمرداش تونى القى محاضرة فى اقتصاديات مصر ومشكلة الفلاحين وكانت عالية المستوى بالنسبة لنا ، وبعد المدرسة مباشرة صعدت الى اللجنة المركزية .

س : ممن كانت تتكون اللجنة المركزية عند تصعيدك اليها ؟

جـ : هنرى كورييل - جومتالون - تحسين المصرى - موسى كاظم - كمال شعبان - سيد حافظ - الشيخ عبدالرحمن الثقفى - عبده دهب - صبحى

زغلول – د. عبدالفتاح القاضى – طالب ازهرى اسمه كمال وأنا .

وفى عام ١٩٤٦ صعد محمد شطا الى اللجنة المركزية .

س : هل يمكن القول بان دخولك الى ل.م. كان بداية لتطبيق سياسة التعميل ؟

جـ : الحقيقة ان عدد العمال فى ل.م. عندما دخلت اليها كان محدودا ، وكانت المسألة الملحة هى التمصير ، وعندما عقدت مدرسة الكادر الأولى كانت لنا بدايات محدودة وسط عمال النسيج ، وبالمناسبة اقرر ان التعميل قد فهم على انه مجرد ضم عمال الى القيادة ، فى حين ان المقصود هو ضم كوادر جادة ونشطة وذات ثقل حقيقى وسط الطبقة العاملة ، وعندما اتحدنا مع ايسكرا وتأسست حدتو كان هناك ابتزاز بشعار التعميل ، ورشحوا للقيادة عناصر لا وزن لها وغير جديرة بالقيادة ، وعندما اعترضنا اتهمونا باننا ضد التعميل .

ولكن فى عام ١٩٤٥ كانت ح.م. تركز على موضوع التمصير ، وكلما اتسع النشاط فى مجال ما بشكل جاد وقادر على افراز قيادة حقة صعدت هذه القيادة الى ل.م .. مثلا النوبيون (عبده دهب) الأزهر (عبدالرحمن الثقفى) الطيران (انا) .. الخ .

وهكذا فالامر لم يكن افتعالا لتمصير او تعميل وانما هو تتويج لعمل نضالى ولبناء تنظيمى .

س : هل يمكن ان تقدم صورة عن الهيكل التنظيمى فى ح.م.

جـ : فى البداية كان الهيكل مبسطا .. اللجنة المركزية ثم مباشرة لجان الاقسام فى مجالات محددة حسب النشاط بهدف ضمان نشاط العضوية فى مجال العمل .. مثل قسم الطيران – قسم النوبيين – قسم الطلاب

س : هل يمكن ان نذكر هذه الاقسام حسب ترتيب تكوينها ؟

جـ : فى البداية قسم الطيران ثم الجيش ثم قسم الطلبة ولما تكاثر عدد الازهريين وسط قسم الطلبة انشىء قسم الازهر على أساس ان النشاط فى الازهر له وضعية خاصة ويتطلب عقلية خاصة وكان هناك ايضا قسم النوبيين وبعد

فترة بدأ نشاطنا وسط المراكز العمالية شبرا الخيمة – المحلة – كفر الزيات وانشىء قسم الاقاليم وكانت اللجنة المركزية تتصل مباشرة بالاقسام ..

وتكونت سكرتارية مركزية من اربعة : كوربيل ، كمال شعبان (طالب) وانا وآخر لا اذكره الآن .. ومع النشاط تكونت اقسام جديدة مثل قسم السودانيين وبالمناسبة كان لنا نشاط وسط الطلاب العرب مثل اليمنيين والتونسيين ..

وبالمناسبة اثيرت مشاكل حول شكل التنظيم وأثار البعض اعتراضا على ما اسمى بالتنظيم الفئوى وقد تمسكنا نحن فى ح.م. بفكرة خلية المنشأة اى تجميع العضوية فى كل مجال مع بعضها حتى يمكنها ان تؤثر فى المجال وان تقوده قيادة حقيقية ، اما الرأى الآخر فلم يكن يرى تنظيم اعضاء المنشأة فى خلية واحدة وكان يرى ان الحزب يؤثر فى المجالات المختلفة عن طريق الاشعاع الثورى ولعل نظرية ح.م. قد اثبتت صحتها فالخلية فى المجال الواحد اكثر قدرة على التأثير وعلى ممارسة صراع طبقى حقيقى والنتيجة واضحة مثلا فى سلاح الطيران حيث تكونت منظمتنا من حوالى ١٥ الى ٢٠ خلية ثم جمعت تحت قيادة لجنة قسم . ويمكننى ان اقول ان التنظيم الفئوى كان ضروريا فى البداية حتى يمكن وضع ركائز حزبية وحتى يمكن تفهم المشاكل الحقيقية للفئات المختلفة .

س : هل تتذكر شيئا عن نشرات منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى ؟

جـ : أول نشرة كانت الحقيقة وكانت تطبع بالرونيو ، وكانت نشرة اثارية تتناول مشاكل الجماهير وتكشف التناقضات فى المجتمع ، وتتحدث عن ثراء الاقطاعيين والرأسماليين واحوال الكادحين وكانت هناك لجنة مسئولة عن الاجهزة الفنية : مختار العطار ، ابراهيم العطار ، وانا .

وبعد فترة اصدرنا مجلة «كفاح العمال» وقد طبعت فى البداية بالرونيو ، وفى ١٩٤٦ وبعد حملة القبض الأولى فى عهد صدقى صنعنا مطبعة صغيرة من مطبعة بروفات واتذكر انه بعد الضربة مباشرة تقدم د. عبدالفتاح القاضى وفوزى جرجس (قسمم المثقفين) بتحليل ينادى باحناء الرأس للعاصفة ، وعقدوا اجتماع للمكتب السياسى من خلف ظهرى واعدوا بيانا

بهذا المفهوم لكننى رفضت هذا التحليل ووصفته بانه استسلام للعدو واختلفنا بشدة فى المكتب السياسى لكننى نجحت فى سحب البيان من الجهاز الفنى واصدرنا بيانا اخر يقول ان الشعب قادر على الرد على الطغاة واننا سنصمد فى معركتنا ضدهم .. وكنوع من التحدى طبعنا هذا البيان وعدد من «كفاح العمال» على المطبعة وارسلناه لرفاقنا بالسجن وبعد ذلك تعددت المجلات لكن المجلات الأساسية كانت «الحقيقة» (خارجية) ، «الوعى» (مجلة نظرية) ، «الحياة الثورية» ، (وهى مجلة خارجية وتتضمن دراسات ومعلومات عن كفاح القوى الثورية فى العالم) ، «كفاح العمال» .

س : هل تتذكر عدد النسخ المطبوعة من كل مجلة ؟

جـ : الحقيقة حوالى الف نسخة ، كفاح العمال ٣٠٠٠

س : ما هى معلوماتك عن المكتبة الخضراء ؟

جـ : قررنا اتاحة الماركسية للمواطن العادى ، وهذه هى نقطة البدء فى بناء حزب شيوعى مصرى ، اى ان يستطيع المصريين قراءة الماركسية باللغة العربية ، وقد قام مكتب المثقفين بجهد كبير فى ترجمة هذه المجموعة التى بلغت فيما اعتقد احد عشر كتابا اذكر منها :

- الاقتصاد محرك التاريخ .
- الاشتراكية العلمية والاشتراكية الطوباوية .
- القيمة والثمن والربح .
- رأس المال والعمل المأجور .
- المسألة الوطنية والمستعمرات (ستالين)
- اسس اللينينية (ستالين)
- المادة التاريخية والمادة الدياليكتيكية ..

وقد تولى طبع هذه الكتب عدد من الرفاق منهم د. حسونة ، عبده دهب ، ابراهيم العطار وقد طبعت فى اكثر من مطبعة وبعضها طبع بالاسكندرية .

س : كم كان عدد اعضاء ح.م. عند بداية الوحدة مع ايسكرا ؟

جـ : تمت الوحدة وانا فى السجن الحربى ولكن معلوماتى هى ان ح.م. كان عددها حوالى ٦٠٠ ، وايسكرا حوالى ١٠٠٠ واذا كانوا هم اكثر عددا فانهم كانوا يضمون عددا كبيرا من الاجانب والطلاب واذكر ان عدد قسم الاجانب فى ايسكرا كان ٤٠٠ عضو .

س : هل كان هناك قسم للاجانب فى ح.م. ؟

جـ : لم يكن هناك قسم للاجانب فى ح.م. فعدد المنظمين من الاجانب لم يكن يزيد عن عشرة ، اما بقية الاجانب فكان عاطفيين .. وألاحظ ايضا ان الاجانب فى ح.م. وبرغم محدودية عددهم للغاية كان كل منهم يمثل نشاطا مهما مثل جوماتلون ، دافيد ناحوم (رابطة عمال ومستخدمى الشركات الاهلية) سوسو حزان (نادى مكابى الظاهر) شحاتة هارون ..

س : ونشاطكم العمالى قبل الوحدة ؟

جـ : كان تحركنا وسط العمال قد بدأ يؤتى ثماره واصبح لنا نشاط وعضوية فى شبراالخيمة ، المحلة ، الطيران ، الجيش ، كفر الزيات ، القاهرة . وتكون مكتب عمالى يضم موسى كاظم ، دافيد ناحوم ، مراد القليوبى .

س : ما هو تصوركم لايسكرا قبيل الوحدة ؟

جـ : انا شخصيا كنت ارى ان ايسكرا منظمة غير ثورية ، وأن كانت تضم بعض العناصرالثورية ، وان واجبنا هو استخلاص العناصر الثورية من خلال معارك النضال اليومى وتصفية ايسكرا . ولهذا فقد كنت ضد الوحدة وكنت اعتبرها كارثة ، واعتقد ان الوحدة قد فرضت علينا فرضا ، تحت مؤثرات خارجية وكذلك تحت ضغط القواعد من قسم الطلاب اساسا .. واذكر انه قبيل الوحدة حضر بعض اعضاء الحزب الشيوعى الفرنسى وآخرين من الحزب اللبنانى والفلسطينى وضغطوا من اجل الوحدة ، وكنا نحن نرى ان ايسكرا تنظيم غير كفاحى وانه يضم اساسا مجموعة من الاجانب ومن الافضل ان يتركوا التنظيم ويتحولوا الى عاطفين ، وقلنا ان ايسكرا تضم عدد محدود ولكنه جيد من الكوادر العمالية والطلابية وان

مهمتنا استقطاب هذه العناصر الجيدة وتنتهى ايسكرا .

س : فى اللجنة المركزية للحركة المصرية من كان مع الوحدة ومن كان ضدها ؟

جـ : انا كنت فى السجن الحربى عندما تمت الوحدة ، لكننى اعتقد ان اغلبية الكوادر والقواعد غير الطلابية كانت ضد الوحدة وكانت معلوماتها وتصوراتها عن ايسكرا غير ايجابية . والحقيقة أننا قد خسرنا كثيرا بسبب الوحدة وكثير من الكوادر الثورية احبطت .

س : ما هو موقف كورييل تحديدا ؟

جـ : كورييل هو القوة التى دفعت ح.م. دفعا الى الوحدة .

س : ما هى تحفظاتكم ضد ايسكرا ؟

جـ : لا اريد ان اتحدث تفصيلا عن الموضوع لكن سأذكر كعناوين :

عدد الاجانب – عدد الطلاب والمثقفين – الحفلات – المناخ التحررى النابع من التكوين الأجنبى وزيادة عدد المثقفين من ابناء الارستقراطية ؟

س : بعد الوحدة كيف تكونت اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ؟

جـ : فيما اذكر : كورييل ــ شوارتز ــ عبدالمعبود الجبيلى ــ شهدى عطية الشافعى ــ عبدالرحمن الناصر ــ ايمى ستون (قسم النساء) محمد شطا ، عبده ذهب ــ كمال شعبان ــ انا ــ سيدنى سلامون ــ جو متالون . وهذاالتشكيل كان بذاته بداية الكارثة فقد تشكلت اللجنة المركزية مناصفة وهكذا كانت نتيجة أى تصويت التعادل .. وقد شل هذا العمل الحزبى عموما . .

س : وماذا عن المستويات الاخرى ؟

جـ : كان الاتفاق هو ايضا التساوى ، المستوى السياسى والتنظيمى فى كل مستوى من ح.م. ومسئول الدعاية ومسئول العمل الجماهيرى من ايسكرا . .

س : ومن كان المسئول السياسى لحدتو ؟

جـ : كورييل .

س : وماذا بعد ؟

جـ : قلت ان الوحدة تمت وانا فى السجن الحربى ، وعندما خرجت كانت بهجة الوحدة قد انتهت وبدأت المشاكل . .

س : وما هى هذه المشاكل تحديدا ؟

جـ : الخلافات كانت اساسا حول المواقف السياسية وقد نبع ذلك من تفاوت التكوين النظرى والطبقى والممارسة العملية ، كما كان هناك ايضا التعصب الحلقى . وكان التعصب الحلقى من الجانبين لأن الوحدة تمت باسلوب خاطىء ودون انصهار حقيقى للكادر وانما تمت باتفاق علوى ، وانتهى الامر بمنظمة واحدة شكلا ولكنها فى الواقع العملى تضم فى داخلها منظمتين .

س : لنترك المشاكل مؤقتا ونتحدث عن الهيكل التنظيمى لحدتو ..

جـ : قلت كان هناك لجنة مركزية متساوية العدد .. وانه فى كل المستويات كان المسئول السياسى والمسئول التنظيمى من ح.م. ، ومسئول الدعاية والمسئول الكتلى (أى الجماهيرى) من ايسكرا .

وكان ينبثق من ل.م. ، مكتب سياسى ، وسكرتارية مركزية

اما الهيكل التنظيمى فكان ينقسم الى شعبتين :

أ — دوائر : وتضم لجان مناطق ــ ثم لجان اقسام ــ ثم لجان فروع ــ ثم خلايا .

ب — مكاتب فئوية : طلبة ــ عمال ــ مثقفين ــ سودانيين ــ اجانب ــ دعاية ــ نساء .. بالاضافة الى قسم الجيش وكان يسمى حركيا باسم «موسى» .

س : ما هو اقصى عدد وصلت اليه حدتو بعد الوحدة ؟

جـ : ٤٠٠٠ عضو ، لكننى اقرر بصراحة انه كان هناك نوع من التسيب والميوعة

والتجنيد المتسرع .

س : نعود الى المشاكل ، كيف بدأت ؟

جـ : الحقيقة ان المشاكل بدأت فى اعتقادى مع بداية الهجوم الرجعى على الحركة الشعبية والوطنية فى البلاد العربية كلها ، وبداية حالة جذر تواكبت مع اندلاع المشكلة الفلسطينية ، وظهرت فى الافق بوادر حملة معادية للحركة الوطنية والتقدمية .. وبدأ القلق البرجوازى الصغير مع بداية الهجوم الرجعى وبرز فى شكل تمردات وتكتلات ووصل الى قمته مع بداية حملة الاعتقالات الواسعة فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وهنا شل التنظيم شللا تاما فالعدو يضرب بقسوة والبرجوازيون الصغار يفرون تحت عباءة شعارات براقة ، وتحفز الجانبين كل منهما ضد الآخر . وبعد ١٥ مايو كانت هاربا من امر الاعتقال وكنت المسئول السياسى .وفى محاولة لحماية المنظمة من الانفجار فى هذا الوقت الصعب ، وفى مواجهة محاولات البرجوازيين الصغار الذين بدأوا فى الهروب من الكفاح الفعلى رافعين اشد الشعارات تطرفا ، قدمت صيغة عملية تقول :

١ – نحن نسلم بان هناك خلافات ، وان هذه الخلافات تحتاج الى مناقشة عميقة والى حسم اما فى مؤتمر أو بآية وسيلة اخرى ، لكن تحديد موعد فورى لعقد المؤتمر مسألة غاية فى الصعوبة فى ظل الهجوم الرجعى وفى حالة الفوضى والتسيب التى خلقتها العناصر البرجوازية الصغيرة .

٢ – ان العمل اليومى والجماهيرى والسياسى واجب مقدس يأتى فى مقدمة كل الواجبات وذلك فى مواجهة شعارات البرجوازيين الصغار الذين هربوا من الكفاح العملى ضد العدو الطبقى وبدأوا يرفعون شعارات ثورية وتفرغوا تماما لعملية تفتيت التنظيم باسم الصراع الايديولوجى .

٣ – يوقف التسابق على عملية تعديل المراكز عن طريق تغيير تركيب المستويات .

٤ – ادانة الانقسام .

وفى هذا الوقت كانت السكرتارية تضم انا كمسئول سياسى ومحمد شطا وعبدالمعبود انلجبيلى وتحالف شطا مع عبدالمعبود وهكذا كنت وحيدا فى السكرتارية ومع ذلك فقد وافقت السكرتارية على الصيغة التى قدمتها واتفق على ان تكون النقطة الأولى فى جدول أعمال اى مستوى هى العمل الجماهيرى والسياسى والكفاحى .. وهكذا حافظنا على التنظيم لفترة قصيرة .

وبعد شهر ونصف من الهروب اعتقلت وبعد اعتقالى مباشرة تفجر الوضع وانقسمت مجموعة عادل (عبدالمعبود الجبيلى) وكونت العمالية الثورية (ع.ث.) وانقسمت مجموعة طلابية هامشية اسمت نفسها نحو منظمة بلشفية (ن.م.ب) .

س : وماذا عن تكتل شهدى ؟

جـ : الحقيقة ان شهدى كان يتبنى وجهة النظر التى اصبحت فيما بعد وجهة نظر م.ش.م. ، وكان يأخذ على حدتو موقفها من موضوع التعميل ، ورفع راية التعميل قبل اى شيىء وهاجم فكرة التنظيم الفئوى كما هاجم ما اسماه خط القوات الوطنية والديمقراطية .

واستدعى للنقاش فرفض ودعى الى اجتماع ل.م. أو م.س ورفض وخرج هو وانور عبدالملك وعبدالمنعم الغزالى ومحمد سيد أحمد .

س : وماذا بعد الخروج من المعتقل عام ١٩٥٠ ؟

جـ : خرجنا لنجد حدتو ضعيفة للغاية ، وتكونت لجنة مركزية جديدة من : هنرى كورييل (يونس) ــ انا (بدر) ــ محمد شطا (حميدو) ــ جنيد على عمر (سودانى) ــ يوسف مصطفى (صدقى) ــ عبدالفتاح الهنيدى (وقد اعتذر عن تولى المسئولية وانتقل وظيفيا الى الصعيد وتباعد تدريجيا ثم انقطعت صلته) ــ كمال شعبان (شوقى) وكان من الكوادر المرموقة لكنه اعتذر لاسباب عائلية ولضرورة انهاء دراسته الجامعية ثم قطع صلته نهائيا ــ كمال عبدالحليم (خليل) ــ وقد اعتذر عن العمل الداخلى بحجة انه مراقب وظل متباعدا عن العمل الداخلى حتى ثورة يوليو وركز نشاطه اساسا فى حركة السلام ..

وبعد فترة ابعد كورييل عن مصر وانتخبتنى اللجنة المركزية سكرتيرا عاما .

وفى الواقع العملى تكونت القيادة من :

سيد سليمان سكرتير عام
محمد شطا مسئول الاسكندرية
يوسف مصطفى مسئول القاهرة
جنيد على عمر مسئول القاهرة

وبعد فترة صعدنا الى اللجنة المركزية مبارك عبده فضل ــ احمد فؤاد ــ فؤاد حبشى (تولى مسئولية بحرى) وبعد الوحدة مع نحشم ضم الى اللجنة المركزية زكى مراد واحمد الرفاعى .

س : ما هى مسئولياتك كسكرتير عام ؟

جـ : كانت المسئولية الأولى اعادة بناء حدتو ، وطبعا لم نكن نبدأ من فراغ ، لكن العدد الباقى من الكادر كان محدودا وكل البرجوازيين الصغار الذين ملأوا الدنيا صراخا بالجمل الثورية والشعارات الطنانة ورفعوا شعارات ١٠٠٪ عمال الخ ... كل هؤلاء هربوا كالجرذان من المعركة .. وكانت مهمتنا هى اعادة الثقة للكادر وقررنا ان نبدأ بعمل قانونى يعيد الثقة الى الكادر فاصدرنا مجلة البشير بالاتفاق مع فتحى الرملى ، ثم بدأنا العمل فى حركة السلام واصدرنا الكاتب فيما بعد ، وكانت قواتنا على ضآلة عددها تتحرك بحيوية بالغة وتجمع التوقيعات على نداء السلام وتتصل بالعديد من الشخصيات الديمقراطية وجمعنا فى الاشهر الأولى ٥٠ الف توقيع .. وبدأت اقدامنا تترسخ فى ارض الواقع وعادت الثقة للكثيرين وعاد الكادر المخلص يتجمع حولنا وكسبنا عناصر جديدة واتسع التنظيم بسرعة مذهلة ، وكانت هناك انتقادات لفكرة العمل القانونى لكننا اكدنا اننا نركز عليه لفترة بهدف اعادة الثقة الى نفوس الكادر وفتح مجالات وقنوات جديدة للعمل واكدنا ان هذا ليس خطا مستديما وانما بعد فترة سنلتفت لبناء المنظمة السرية ونعزل بناءها الداخلى تماما عن العمل العلنى .

وعندما كنت سكرتيرا عاما كنت ادافع فى البداية عن العمل العلنى واعتبره بداية ضرورية لتجميع شمل الكوادر وبناء عضوية واسعة .. ولكن وبعد ان بدأ هجوم قيادة يوليو علينا وتجمعت نذر توحى بالبدء فى حملة شاملة ضدنا تبددت لدى الأوهام عن امكانيات العمل العلنى وطالبت بشدة التركيز وبسرعة على البناء الداخلى الشديد السرية استعدادا للضربة القادمة .

وبدأت الخلافات داخل القيادة حول الموقف من حركة الجيش ، فعندما بدأت هيئة التحرير ثار خلاف حول هل نعتبرها جبهة ونرسل عناصرنا الى داخلها ام لا .. اما انا فكان رأيى انها تنظيم رجعى ويمكن ادخال عدة افراد فيه لمجرد الاستطلاع ولكن دون أية اوهام حول كونه جبهة وطنية ..

وكانت هذه بداية الخلافات التى ادت الى انقسام حدتو وتكوين حدتو التيار الثورى (حدتو ت.ث) .

* * *

٨ ـ مبارك عبده فضل
شهادتى للتاريخ

مذكرات

الالتحاق بالأزهر

التحقت بالتعليم الابتدائى الأزهرى فى القاهرة عام ١٩٤٢ وكان عمرى آنذاك حوالى خمسة عشر سنة ، فقد ولدت فى ١٩٢٧ وكان التحاقى بالأزهر بعد أن حفظت القرآن كاملا بين سنة ١٩٤٠/ ١٩٤٢ على يد شيخ نوبى من أبناء قريتى كان يدعى (الشيخ حسن قاسم) ...

وقد بدأت فى حفظ القرآن والاستعداد للالتحاق بالأزهر بعد ان غادرت قريتى النوبية «أرمنا» ووصلت القاهرة عام ١٩٣٩ وكانت نية والدى ورغبتى الشخصية فى الالتحاق بالتعليم الابتدائى المدنى فى بداية الأمر ، لكن رسوبى فى الكشف الطبى بمدرسة عنيبة الابتدائية فى بلاد النوبة حيث كنت أعانى من ضعف الابصار حال دون تحقيق نية والدى ورغبتى الشخصية ، ومن ثم اتجهت نية والدى بحكم الظروف الاضطرارية الى الحاق بالأزهر فى القاهرة ، ويعود اليه الفضل الأكبر فى ذلك ، لماذا أقول هذا ؟

.. لقد قاومت لعدة سنوات فكرة الالتحاق بالأزهر ، وكان السبب فى ذلك يكمن فى امرين : أولهما : اننى كشاب نوبى نزح من القرية الى القاهرة ، وينتمى لأسرة فقيرة مطحونة كنت أميل الى ان اكون خادما فى بيوت الأسر المصرية أو الاجنبية الغنية شأن كل الشبان النوبيين الذين ارغموا على الخدمة بالمنازل للمساعدة فى اعالة أسرهم ، ولتحقيق الأمنية فى الزواج .

* * *

وثانيهما : اننى كنت أتصور أن من يلتحق بالأزهر ، لن يزيد وضعه عن وضع «المقرئين» الذين يكتسبون قوتهم من قراءة القرآن فى «المآتم والقبور» ولذا أذكر اننى قاومت ارتداء الزى الإزهرى (العمة والكاكولة) لأكثر من سنة بعد التحاق بالأزهر ، كنت احملهما ملفوفتين فى يدى من الحى الذى كنت أسكن فيه (السبتية) بالقاهرة وحتى بوابة المعهد الدينى بحى الدراسة وفى العودة من الدراسة الى السبتية كنت أفعل نفس الشىء .

أعود فأقول أن الفضل فى التحاق بالازهر يعود الى والدى ، فقد كان يشجعنى طوال فترة حفظى للقران ، ويقول لى يابنى ان لم تتعلم فسوف تعمل خادما مثلى فى المنازل وستجد الاهانة تلو الاهانة من السادة الاغنياء من الأجانب والمصريين ، ولم أعرف صدق هذه النصيحة وعمقها الا بعد سنوات من التحاق بالأزهر ، ومعرفتى التفصيلية بحياة أولئك النوبيين من أقاربى وأبناء قريتى .
كانت حياتى فى السنوات الثلاثة الأولى بالأزهر شديدة البؤس ، فمرتب والدى من عمله الحكومى لم يكن يتجاوز أربعة جنيهات فى الشهر ، وكانت الأسرة كلها خمسة أفراد تعيش فى غرفة واحدة ، وكان مصروفى الشخصى خمسة مليمات ، ولذا كنت مضطرا أن اسير على قدمى من حى السبتية الى حى الدراسة يوميا ذهابا وايابا ، والمليمات الخمسة كانت تكفينى لتناول سندوتش مكرونة بين راحات الحصص فى المعهد الدينى .

وظلت هذه الحياة الشديدة القسوة تلازمنى وتلازم اسرتى حتى وصلت الى السنة الثالثة الابتدائية فى الأزهر . ففى عام ١٩٤٥ قررت ادارة الأزهر معونة مادية للطلبة الغرباء فى الأزهر ومن الغريب أن أبناء (النوبة المصرية) فى محافظة أسوان كانوا فى نظر الأزهر طلبة غرباء ويجمعهم مع الطلبة النوبيين فى السودان رواق يسمى « رواق شمال السودان »

كانت المعونة ثلاثة جنيهات شهريا ، علاوة على جنيه واحد كان يصرف لى كمعونة من مجلس الوزراء ، وبذا كنت أمتلك قدرة مادية تساوى قدرة أبى المادية شهريا .

... وبعيدا عن التفاصيل الصغيرة فى التعامل مع اسرتى بعد ان اصبح دخلى الشهرى اربعة جنيهات فان تعامل والدى معى قد تغير تماما ، تخلى عن ضربى

لسبب وبدون سبب ، وتخلى كذلك عن اهانتى وتقريعى ، وأصبح يتشاور معى فى شئون ادارة مصروفات المنزل ، وكان هذا وضعا طبيعيا اذ كنت احتفظ من هذا المبلغ بجنيه واحد وأترك الجنيهات الثلاثة الباقية لدعم ميزانية هذه الأسرة البائسة الفقيرة .

... كنت طالبا مجدا فى دراستى الأزهرية فكنت انجح دائما من الدور الأول طوال دراستى بالأزهر التى دامت اكثر من ثمانية سنوات ، وكنت شغوفا بقراءة الأدب العربى ، وأذكر وكنت انذاك فى السنة الثانية الابتدائية اننى قرأت بعضا من كتب الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم وعباس العقاد والمازنى ... ولم يكن فى امكانى شراء الكتب الأدبية ولذا كنت اذهب يوميا الى دار الكتب بباب الخلق ، وفى مرحلة لاحقة استخرجت بطاقة استعارة خارجية .

ومع بدايات عام ١٩٤٥ ، نمى شعورى الوطنى بشكل تلقائى ضد الاستعمار البريطانى ، وكان السبب فى ذلك ـــ بشكل اساسى ـــ ما كنت أشاهده من عربدة الجنود الانجليز فى شوارع القاهرة ومنها شارع عماد الدين حيث كنت اعيش مع والدى فى غرفة بسطح عمارة من عمارات الخديوى حيث كان يعمل أبى فراشا فى مصلحة الضرائب التى تقع فى احدى تلك العمارات .

مع نمو شعورى الوطنى ، تحولت قراءاتى من الأدب العربى الى التاريخ وأذكر اننى قرأت فى تلك الفترة (١٩٤٥) كثيرا من كتب المؤرخ المصرى عبدالرحمن الرافعى ، لقد طرحت على نفسى سؤالا هو هل تجدى قراءة الأدب العربى فى اخراج الانجليز من مصر ؟ وكانت الاجابة آنذاك ـــ وهى بالتأكيد اجابة سطحية ـــ لا ، وكان الموقف الذى اتخذته هو ضرورة قراءة كتب التاريخ لأعرف من خلالها كيف دخل الانجليز الى مصر ، باعتبار ان تلك الخبرة سوف تساعد فى اخراجهم من مصر .

الانضمام الى الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح.م)

كان ذلك الانضمام فى صيف عام ١٩٤٥ ، خلال الاجازة الدراسية ، بعد ان نجحت فى امتحان النقل من السنة الثالثة الابتدائية الى الرابعة ورغم نمو مشاعرى الوطنية ، وهى المشاعر التى حولت قراءاتى من الأدب الى كتب التاريخ ، فلم

تكن بوابة انضمامى للحركة الشيوعية المصرية ، هى المسألة الوطنية ، بل كانت وبالتحديد بوابة الاحساس بالقهر الطبقى والاحساس بمهانة الفقر وآلام الفقراء ... قصة مفاتحتى للانضمام للحركة المصرية للتحرر الوطنى ، تبرز هذه الحقيقة ، فالطالب الأزهرى النوبى الذى فاتحنى فى الانضمام لتلك الحركة كان (محمد عثمان نور) وهو من أبناء قرية (ابو هور) النوبية ، كان يسبقنى بعامين أو ثلاثة فى الدراسة ، وفى صحبة مشتركة للمشاركة فى لعب كرة القدم ، سألنى ماذا تعرف عن الشيوعية ؟ قلت له لا أعلم كثيرا ، انما أعرف شيئا واحدا عنها هو انها تساوى فى الحياة بين الفقراء والاغنياء ، أى أن كلهم سواسية ، فطرح على سؤالا آخر وهو ان البعض ينتقد الشيوعية من هذه الزاوية أو تلك فى رأيك ؟ قلت له على الفور كل هذا لا يهمنى ، انما الذى يهمنى انها تساوى بين الأغنياء والفقراء ، بمعنى انه لا يوجد فى روسيا غنى وفقير ...

حينئذ طرح على (محمد عثمان نور) سؤالا محددا هل تقبل الانضمام لتنظيم شيوعى سرى فى مصر ؟ قلت له على الفور نعم .

وبمجرد قبولى الانضمام كشيوعى للحركة المصرية للتحررالوطنى ، تم تزويدى بمجموعة من المحاضرات التى تقدم للمرشحين لعضوية التنظيم ، وكانت حزالى تسعة محاضرات اذكر منها (امراض المجتمع المصرى ـــ تطور المجتمع ـــ الرأسمالية ـــ الاستعمار ـــ الاشتراكية ـــ الحزب ـــ الفاشية والحرب) . وكانت محاضرات أولية مبسطة تتكون صفحات كل محاضرة من ثمانية صفحات وكانت فى متناول فهم العامل ، والفلاح ، والطالب ، والموظف ، ولم يكن هناك أى مرشح يكتسب عضوية التنظيم دون ان تلقى عليه هذه المحاضرات ويستوعبها تماما .

وكما كنت شغوفا للانضمام للتنظيم الشيوعى ، كنت متلهفا على الانتهاء من الاستماع الى تلك المحاضرات فى أسرع وقت ممكن .

وقد طلبت أكثر من مرة من المحاضر الذى كان يلقى على تلك المحاضرات وكان طالبا سودانيا شيوعيا اسمه (عبدالله الأمين) أن يلقى على تلك الممحاضرات فى اسرع وقت ممكن ، فكانت اجابته المقررة هناك نظام فى القاء المحاضرات ولا بد من الالتزام به .

ولما يئست من اقناعه ، تحول لهفى الى اقتناء بعض الكتيبات المبسطة فى الماركسية من مكتبة الميدان وقراءتها بشغف جديد .

وكان يمتلك هذه المكتبة (هنرى كورييل) وكانت تقع فى ميدان مصطفى كامل بالقاهرة ، وتقوم ببيع الكتب الماركسية العربية والأوروبية الى جانب بعض الادوات المكتبية .

بعد انتهاء فترة المحاضرات تم قبولى كعضو فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى وانضممت الى خلية شيوعية فى معهد القاهرة الدينى بالدراسة ، وكان ذلك فى بداية العام الدراسى ٤٥ ،٤٦ وكنت آنذاك فى السنة الرابعةالابتدائية بالأزهر ، ومنذ ذلك الوقت تحددت هويتى الوطنى فى العداء للاستعمار كما تحددت هويتى الاجتماعية والاشتراكية فى حب الفقراء دفاعا عنهم ضد اضطهاد الاغنياء والمستغلين .

الخلاف يدب بينى وبين والدى

قبل ان أدخل الأزهر وبعده ، كان والدى يعاملني ووالدتى واخوتى معاملة قاسية ، وأذكر انه لم يمر يوم دون ان تضرب العائلة من والدى ، احيانا يبدأ بوالدتى فنتعاطف معها نحن الأبناء فينهال علينا ضربا واحيانا يبدأ بى أو بأحد اخوتى فتتكرر سلسلة الضرب .

ولا يعبر هذا المسلك من والدى عن كراهية منه لنا ، انما كان نوعا من الاسلوب التقليدى الموروث من الأجيال السابقة فى تربية الأولاد ومعاملة الزوجة ، وكان اعتقاد والدى ومن عاصروه ان هذا الاسلوب السليم فى التربية هو الصحيح ورغم انتهاج والدى لهذا الاسلوب التقليدى فى التربية ، كان عطوفا الى أبعد الحدود ، وشديد التعلق بى وبأخوتى ، وكان يبكى بالدمع اذا تعرض أحدنا لأى طارىء كريه كالمرض .

وهناك تفاصيل كثيرة تعيها ذاكرتى ولا تتسع لها هذه الصفحات ... هذا الوالد القاسى فى معاملته لى ، تحول الى اخ اكبر يستمع الى كلماتى ، بعد ان ساهمت فى مد الأسرة بأربعة جنيهات شهريا وهو المبلغ الذى كان يعادل مرتبه .

لكن هذا الوضع تغير للأسوأ بعد معرفته بانضمامى للحركة المصرية للتحرر الوطنى ، كيف حدثت هذه المعرفة ؟

فى يوم ما كانن يشرف على تنظيف المنزل فاكتشف وجود مجموعة من النشرات التى كانت تصدرها الحركة المصرية للتحرزالوطنى ، فاصيب بالانزعاج ونقل الأوراق الى منزل أحد اقربائنا .

ثم بدأ استجوابى فى حقيقة الانضمام الى تنظيم شيوعى مصرى ولما كنت معتدا بسلامة وجهة نظرى وموقفى لم أشأ ان أكذب عليه وواجهته بالحقيقة التى كانت حلوة بالنسبة لى ، بقدر ما كانت مرة بالنسبة له .

منذ ذلك اليوم بدأ الخلاف بينى وبين والدى ، بسبب اصرارى على الاستمرار فى النشاط السياسى ، وكان ذلك الخلاف يشكل نموذجا للخلاف بين الشباب الذى اندفع للعمل السياسى فى تلك الفترة وأسرهم التى تتكون أساسا من عائلات فقيرة .

فيما سبق ذكرت صورة من فقر أسرتى ، ولذا كانت أمنية والدى التى يرددها دائما هى ان أتخرج من الأزهر كأحد علمائه ، وان أتولى الصرف عليه وعلى هذه الأسرة الفقيرة ، وكان عملى السياسى يتجسد أمامه كالصخرة التى تتحطم عليها آماله ..

ولم يكن موقف والدى نابعا من كراهية الفقراء وحب الأغنياء ، بل نابعا من خوفه من اضطهاد الأغنياء ، واذ يقول «يا بنى ما تؤمن به فى مصلحة الفقراء فعلا ، ولكن من يشترك فى هذاالعمل لا بد ان يكون غنيا» .

كان يتوسل الى ودموعه فى عينيه ، واحيانا كان يبكى أمامى لاترك هذا الطريق الخطر فى نظره ، ولكننى كنت ارفض دائما وقد حاول اقناعى بمحاولة تأليف جبهة واسعة من أقاربى للضغط على واقناعى ، لكنى كنت أزيد اصرارا على موقفى .

وعندما فشلت محاولاته لجأ الى طريق آخر قد ينجح فى جذب شاب مثلى ، وهو الوعد بالزواج فقد حاول تزويجى باحدى بنات القرية التى تنتمى لعائلة غنية بالمقارنة بأسرتى ، وتكفل بمصاريف زواجى وحياتى الى أن أتخرج ، ولم تحقق

هذه المحاولة أيضا آية نتيجة .

ولجأ للأسلوب الأخير وهو طردى من المنزل عقابا على اصرارى فى السير فى نفس الطريق بعد افتعال معركة لا مبرر لها بينى وبينه .

وعلى عكس موقف والدى منى ، كانت والدتى كثيرة البكاء لبعدى عنها ، وكانت تحاول دائما ان ترانى وجها لوجه فى منزل أقاربها من خلف ظهر أبى ودون ان يعلم هو بذلك ، وكانت تبكى دائما وتتوسل لى ان أعود للمنزل ، ورغم تمزق قلبى نتيجة بكائها كنت أرفض العودة للمنزل بما يعنى ذلك من تخل عن الطريق السياسى الذى اخترته .

سنوات النضال الشيوعى

فى الأزهـــر من ٤٥ ــ ١٩٤٨

فى محضر النقاش الذى اجراه معي الدكتور رفعت السعيد وهو يستعد لاصدار كتابه (تاريخ التنظيمات اليسارية فى مصر من ١٩٤٠ ــ ١٩٥٠) سجلت معلوماتى عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية فى تلك الفترة ، وبالذات عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح.م) التى انضممت اليها فى ١٩٤٥ ، وعن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) .

وقد يكون هناك بعض التداخل فى الأحداث بين ما جاء فى محضر النقاش وهذه الصفحات . وخاصة فى الفترة من ٤٨ ــ ١٩٥٠ .

ومن أبرز الأحداث فى حياتى عن تلك الفترة أننى ساهمت بنشاط فى تدعيم (قسم الأزهر) بالحركة المصرية ثم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بعد ذلك ، كما ساهمت بنشاط فى انشاء (القسم النوبى) بالحركة المصرية ثم بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى مع الرفاق زكى مراد ، ومحمد خليل قاسم ، وتمسكت بعضويتى فى حدتو أمام موجة الانقسامات التى انتقلت فى ١٩٤٨ .

الفصل من الأزهر عام ١٩٤٨

فصلت من الأزهر عام ١٩٤٨ وكنت آنذاك فى السنة الثانوية الأزهرية بمعهد القاهرة الدينى بالدراسة .

وكانت التهمة التى فصلت بسببها أننى «شيوعى» أما السبب المباشر للفصل أننى قاومت الترتيبات التى كانت تعد من ادارة الأزهر لاخراج مظاهرة طلابية أزهرية لتحية الملك فاروق فى عيد ميلاده أو جلوسه .

وقد بذلت بالتعاون التام مع عناصر «حدتو» فى المعهد وكنت مسئولا سياسيا عنهم ، مع التحالف مع الطلبة الوفديين جهدا كبيرا للحيلولة دون خروج تلك المظاهرة طبقا للخطة الموضوعة من الادارة ووصل نجاحنا الى ان الطلبة لم يغادروا فناء المعهد ، رغم ان الادارة رفعت علم الأزهر ليكون فى مقدمة المظاهرة ، ورغم ان مدرسى المعهد وكان من ضمنهم الشيخ احمد حسن الباقورى اصطفوا فى مقدمة المظاهرة .

الفشل فى اخراج المظاهرة كان صدمة للسراى ولادارة الأزهر ، وكانت تعدها فرصة مهمة للرد على مظاهرات الطلاب فى الجامعة والمدارس الثانوية ضد الملك فاروق .

بعد هذا النجاح بيومين ، فصلت من الأزهر دون تحقيق أو مسائلة .

اضراب ٢١ فبراير ١٩٤٨ :

رغم فصلى من الأزهر ، ورغم الأوامر المشددة بمنع دخولى مبنى المعهد الدينى بالقاهرة نجحت فى أن أتسلل الى فناء المعهد يوم ٢١ فبراير وأن القى خطبة وطنية فى تلك المناسبة وأن اقنع الطلبة بالخروج فى مظاهرة وطنية .

ألقى القبض على لهذا السبب وقدمت للنيابة وحبست على ذمة هذه القضية أربعةأيام ، وكان هذا بداية تاريخى مع المعتقلات والسجون فى ظل الملك فاروق ؛ ثم فى ظل ثورة ٢٣ يوليو والسادات ثم حكم على ، فيما بعد بثلاثة أشهر حبس فى قضية المظاهرة هذه وقد نقلت من معتقل الهايكستب الى سجن مصر لقضاء فترة العقوبة .

ورغم قرار الفصل من الأزهر كنت أعيش حياتى الكاملة وسط الطلبة الأزهريين فى معاركهم الجماهيرية ، وكان يساعدنى فى ذلك اننى كنت المسئول الأول عن قسم الأزهر فى حدتو وكان لهذا القسم نشاط كبير فى المعهد الثانوى وفى الكليات الازهرية الثلاثة فى القاهرة (الشريعة ــ اصول الدين ــ اللغة العربية) .

وقد احتفظ قسم الازهر بمجمل نشاطه بعيدا عن التيارات الانقسامية فى ١٩٤٨ ، ويرجع هذا الى ان قسم الأزهر (حتى قبل انضمامى اليه) تشكل فى حضن الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، ولا أنكر دورى — مهما كان متواضعا — فى ان المحاولات الانقسامية لم تمتد الى الازهر .

كانت المنظمات الانقسامية ، تلوك الأسانيد النظرية الواهية وتستشهد بتجارب البلدان الاخرى للتدليل على خيانة قيادة (حدتو) وكانوا يقولون ان الخط السياسى لتلك القيادة (خط قوات وطنية ديمقراطية) وليس خطا ثوريا ولا اشتراكيا ، وبالتالى فان حدتو كانت فى نظرهم منظمة لا تمثل الطبقة العاملة ، والأغرب من ذلك انهم كانوا يسوقون الأدلة الواهية على سلامة الموثق الانقسامى لتلك المنظمات .

وقد لعبت هذه الاطروحات دورا فى حشد العناصر وبالذات تلك التى تنتمى الى البرجوازية الصغيرة وراء تلك المنظمات الانقسامية ، وخاصة فى ظل ضعف الوعى النظرى ، وقلة الخبرة باضرار الانقسامية .

ولكن بالنسبة لى لم يكن الموقف هو موقف المفاضلة بين أسانيد هؤلاء وهؤلاء ، فى المجال السياسى أو التنظيمى ، بل كان اختيارا الى جانب حدتو ضد الانقساميين على كافة فصائلهم باعتبار ان من بقى فى حدتو بعد الانقسام كانوا أساسا هم عناصر (ح.م) قياديين وقاعديين ، وكانت ثقتى فى ح.م وعناصرها القيادية والقاعدية لا حدود لها باعتبارى قد تربيت فى مدرستهم الكفاحية ما يقرب من عامين قبل انقسام حدتو ، وكان مزاجى الفكرى قد تشكل آنذاك على أن عناصر (ح.م) أكثر نضالية وأكثر شعبية ، بينما عناصر (اسكرا) لتى شكلت القلب الاساسى للانقسام كانت عناصر (فى مجموعها) أقل نضالية ومنحدرة من طبقات وفئات غنية ومنتعشة ماديا .

ظللت أعمل فى قسم الأزهر التابع لحدتو الى جانب المعاونة فى أعمال اخرى بمنطقة القاهرة ، وساعد على ذلك اننى لم اعتقل فى مايو ١٩٤٨ (حرب فلسطين) شأن كثير من كوادر حدتو آنذاك .

وفى النصف الثانى من ١٩٤٨ بدأت مرحلة جديدة من حياتى الثورية ، هى حياة الثورى المحترف فى منظمة شيوعية مناضلة .

بداية التفرغ الحزبى كثورى محترف

فى المرحلة الأولى من حياتى الثورية ١٩٤٨/٤٥ لم أكن ثوريا محترفا فى الحزب ، بل كنت مجرد عنصر حزبى انتمي للصف الثالث من كوادر حدتو .

وكان يساعدنى على القيام بالنشاط الحزبى آنذاك اننى كنت اتقاضى من الأزهر منحة شهرية ، كنت أصرف منها على حياتى المعيشية وعلى نشاطى الحزبى فى نفس الوقت ، الى جانب انتظامى فى دفع الاشتراك المالى الحزبى شهريا .

بعد خروج المنظمات الانقسامية من حدتو (العمالية الثورية — صوت المعارضة ، نحو منظمة بلشفية) ناقشنى الرفاق المسئولون فى حدتو (فؤاد عبدالحليم — حمدى عبدالجواد — محمد خليل قاسم — مصطفى طيبة — الأخوين عبدالفتاح وأحمد الهنيدى) وكانوا ينتمون جميعا الى الصف الثانى من حدتو ، وكانوا يتولون المسئولية فى قيادة العمل الحزبى بعد اعتقال (هنرى كورييل — سيد سليمان رفاعى — كمال شعبان — كمال عبدالحليم .. الخ) .

ناقشنى هؤلاء الرفاق فى أن اكون ثوريا محترفا بالحزب ، فى منطقة بحرى وأن أترك القاهرة تماما .

كنت سعيدا بهذا التقدير لدورى ، وأحسست آنذاك اننى أدخل مرحلة ثورية جديدة فى حياتى النضالية ، ومازالت هذه السعادة تعيش فى أعماق حتى هذه اللحظة .

ورغم انَ خبرتى النضالية على تواضعها كانت فى المدن (القاهرة) فقد قبلت دون أى تردد العمل فى منطقة بحرى :

ساعد على قبول هذه الأوضاع الجديدة فى حياتى بعض العوامل ، منها فصلى من الازهر ، وانقطاع صلتى بوالدى واسرتى ، بعد ان ساءت العلاقات بينى وبينه بسبب تمسكى باستمرار بالنشاط السياسى ، كما ساعد عليه أننى كنت شابا (٢١ سنة آنذاك) ولم ارتبط بعد بحياة زوجية .

أذكر هذه العوامل ، لأن وجود ما يخالفها ويعاكسها كالحياة الأسرية التقليدية والمستقرة ، وكبر السن ، والارتباط بوظيفة برجوازية عوامل تثير التردد عند البعض فى قبول الانخراط فى سلك الثوريين المحترفين فى العمل الحزبى .

وقد اكتشفت ذلك من تجربتى مع الكثيرين ممن كنت اجرى معهم نقاشات فى قبول مهمة (الثورى المحترف) .

فترة قصيرة فى بحرى ثم اعتقلت :

كان المسئولون عن عملى فى منطقة بحرى هما (فؤاد عبدالحليم وحمدى عبدالجواد) وكانت بداية صلتى بهما هو ذلك العمل الجديد الذى اقوم به تحت اشرافهما .

وكانت هناك لجنة قيادية واسعة تشرف على العمل فى بحرى تحت اشراف (فؤاد عبدالحليم وحمدى عبدالجواد) ، كنت عضوا فى هذه اللجنة ، وكان معى حسبما أذكر (فهمى زغلول والعسكرى «رزق» جندى المطافى بالزقازيق) .

وكانت منطقة بحرى ــ مثل الأزهر ــ من المناطق التى لم تعبث بها يد الانقسامية ، فقد كان ذلك العبث أساسا فى القاهرة والاسكندرية .

وكانت مهمتى الحزبية أن أشرف على العمل الحزبى فى المحلة ودمنهور ، وكنت أحس أن هذا النشاط فى المدينتين لا يلبى رغباتى الثورية المليئة بالحماس ، فقد كان صغر سنى يعطينى طاقة هائلة للعمل الثورى .

لكن الزمن لم يمهلنى لأعيش هذه التجربة فى بحرى بشكل كامل ، وقبل ان أسرد وقائع القبض على أسجل تجربة شخصية عشتها مع الرفاق فى دمنهور .

كان عدد الرفاق فى مدينة دمنهور قليلا ، وكان منهم موظف شركة الكوكولا (عبدالمنعم مكى) والأديب القصاص (محمد صدقى) وبقال لا أذكر اسمه ، وكان هناك آخرون وكانت تلك المدينة بعيدة عن التيارات والمنظمات الانقسامية ولكن الرفاق فى تلك المدينة ، كان يشوب نشاطهم نوع من الخوف والتردد ، وخاصة بعد ان اتسعت الحملات البوليسية ضد الشيوعيين من اعتقال أو سجن .

وقد تجسد هذا الخوف فى واقعة لا أنساها وأرددها دائما أمام من ينتمون لتلك المدينة ، و البطل الأساسى فى تلك الواقعة كان (عبدالمنعم مكى) .

نزلت دمنور ومعى قرش صاغ واحد فى جيبى ، ويجسد هذا الحياة القاسية للثوريين المحترفين آنذاك ، وكنت أتوقع أن أغادر دمنهور ومعى بعض القروش القليلة فى جيبى من (الاشتراكات ـــ ثمن مجلة كفاح العمال التى كانت تصدر آنذاك) .

بعد اقامة اربعة أيام فى منزل (عبدالمنعم مكى) وقبيل ساعات المغادرة ، طلبت منه أن يعطينى بعض القروش ، لأواصل سفرى الى طنطا فالمحلة الكبرى ، وفوجئت باعتذاره عن امدادى بمليم واحد من الاشتراكات وثمن المطبوعات ، أو كسلفة شخصية أردها اليه ، وخاصة أنه يعرفنى جيدا باعتباره من أبناء النوبة المصرية .

وبدا الأمر واضحا ، فتصرفه لم يكن بخلا ، بقدر ما كان خوفا ورسالة منه ، بأن لا أعود الى دمنهور مرة اخرى ، والرسالة كانت للمنظمة (حدتو) .

كنت مطلوبا للاعتقال ، ولذا لم أغامر بركوب القطار دون ان يكون فى جيبى مليم واحد ، غادرت دمنهور فى الصباح وسرت على قدمى حتى وصلت كفر الزيات (حوالى ٦٠ كيلو) ، وأشفق على جندى مرور فى الطريق الزراعى بعد مدينة كفر الزيات وتوسل الى سائق سيارة نقل أوصلتني مدينة طنطا .

القبض على فى أغسطس ١٩٤٨ :

كان السبب المباشر للقبض على هو ان مباحث المحلة الكبرى اكتشفت احد عناصر حدتو فى مصنع المحلة الكبرى وكان شخصا حديث العضوية ، وبممارسة نوع من الضغط اعترف لهم بموعد لقائى معه ومكانه .

فى المكان والزمان المحددين ، تم القبض على ورغم الضرب والتهديد والاغراء لم تنجح المباحث فى انتزاع اعتراف منى رغم خبرتى الضئيلة فى مواجهة أول حادث قبض بتهمة الانتماء لتنظيم شيوعى (حدتو) .

بعد التحقيق بمعرفة النيابة تم ترحيلي الى سجن طنطا العمومى ، عشت هناك مع العامل الذى اعترف على ، ومع فهمى زغلول عضو منطقة بحرى ، وكانت أول مرة أرى فيها الحياة فى السجون المصرية رأى العين .

كانت الحياة فى سجن طنطا كنموذج للسجون الاخرى رديئة جدا وكانت ظروفنا نحن الثلاثة المتهمين فى القضية الشيوعية أكثر رداءة وقسوة .

كنا نقضى بضع دقائق فى دورة المياه صباحا وعصرا ، وفيما بين الفترتين كنا نحبس طوال النهار وبطاطين مهلهلة بالليل ، وكان يتخلل هذا الحبس الطويل طابور لمدة نصف ساعة فى اليوم ، وكان نحن الثلاثة نسير حفاة الأقدام ونلبس ملابس السجن ، داخل السجن وخارجه حين كنا نذهب للنيابة للتحقيق وللمحكمة حين نظر المعارضة فى حبسنا .

وكنا نعيش على أكل السجن الردىء (قليل من الخبز مع بعض الملح والفلفل فى الفطار — فول أو عدس فى الغداء — خضار لا قوام له بعض الأيام فى الاسبوع فى المساء) .

رغم رداءة الاصناف المقدمة من الأكل كنا نلتهمها فى ثوان لجوعنا الشديد ، فطعام السجن لم يكن يكفينا فى ظل البرد القارس ولم تكن لنا آيةقدرة مالية تساعدنا على شراء أكل اضافى من أكل السجن الذى يبيعه المسجونون العاديون .

وكان الحمام يتم مع بقية المسجونين معا يبللون اجسامهم بالماء مع كمية قليلة من الصابون السائل ، تزعم ادارة السجون انها بدل الصابون .

وبين الحين والحين كان حلاق السجن وهو أحد المسجونين يأتى الى الحمام لازالة شعر الرأس والعانة حتى لا تكون مخابىء للقمل الذى كان ينتشر بكميات رهيبة بين المسجونين .

دافع عنا أمام المحكمة الاستاذ/ عبدالعزيز بيومى المحامى ، وكان مكتبه آنذاك فى شبين الكوم وبعد شهرين قررت غرفة المشورة الافراج عنا .

فى انتظار الترحيل الى معتقل الهايكستب :

بعد الافراج القضائى عنى رحلت الى البوليس السياسى فى القاهرة حيث قابلنى الضابط (حجازى) وبعد عدة أسئلة قرر احتجازى فى قسم بولاق تمهيدا للترحيل الى معتقل الهايكستب .

كنت احتجز فى غرفة واسعة جدا بمفردى ، فى جو شديد البرودة دون غطاء أو فرش من أى نوع كان ، وكان المخصص لى من الأكل من ادارة قسم البوليس ثلاثة أرغفة دون أى نوع من الطعام ، ولم أكن أملك مليما اشترى به طعام .

كنت اقضى معظم وقت الليل دون نوم ، فقد تحالف ضدى الجوع والبرد معا .

كنت أسير طول اليوم فى الغرفة الواسعة ، علنى أرقد من التعب وأتمكن من النوم ليلا .

وأحيانا كنت اضطر للنوم نهارا لبعض الوقت ، ولكن النوم لم يكن يداعب جفونى الا نادرا فى الليل .

من شدة الارهاق كنت أتوسد يدى ليلا وأتكور بحثا عن الدفء ، وقد أغفو لمدة ربع ساعة أقوم بعدها وأنا فى حالة ارتعاش لا يوصف من البرد ، اضطر بعدها الى السير فى الغرفة بحثا عن قليل من الدفء .

كان هذا المنظر يتكرر كثيرا كل ليلة ، سير تعقبه اغفاءة ، ثم رعشة برد ، أسير بعدها مرة اخرى .

حينما اتذكر الآن وأنا أكتب هذه السطور اتساءل كيف احتملت تلك المعاناة لمدة ١٥ يوما ، أجد الاجابة فى سببين أولهما صغر سنى وقوة الشباب الجسمية .

ثانيهما ارتفاع روحى المعنوية وما كنت اتميز به من ارادة وعناد فى مواجهة مثل هذه الظروف .

يعكس هذا العناد ويصوره ابلغ تصوير أن منزل اسرتى حيث يعيش والدى واخوتى الصغار كان على بعد ٣ كيلومترات من قسم بولاق ، ومع هذا صممت على الا ألجأ اليهم فألى جانب العناد كان هناك حماس الشباب

ورعونته ، واتخذت موقف عدم اللجوء للأسرة وأنا فى حالتى هذه ، رغم ادراكى الآن انه بمجرد اللجوء للأسرة ، كانت ستبادر للحضور .

فلم يكن موقف الأسرة منى ، وخاصة موقف الوالد منى نابعا من كراهية لى . بل كان حرصا منها على ابعادى عن النشاط السياسى مما يسببه من معاناة لى ولهم فى نفس الوقت .

باختصار اتخذت موقفا خاطئا فيه كثير من الرعونة وحماس الشباب ، والمراهقة التى ترتبط بالتمرد على الأسرة .

بعد ١٥ يوما رحلت الى معتقل الهايكستب الذى كان يقع على بعد ١٨ كيلومتر من القاهرة .

وكانت معسكرات الهايكستب ـــ فى الأصل ـــ مخصصة للجيش الانجليزى فى فترة الحرب العالمية الثانية .

وكان معتقل الهايكستب عبارة عن عدة أبنية منفصلة ، كل بناء يحيط به سور من الاسلاك الشائكة . كان المبنى الأول مخصصا للادارة والشيوعيين اليهود ، وكان من ضمنهم (هنرى كورييل ـــ شحاتة هارون وآخرون) .

أما المبنى الثانى فكان مخصصا للشيوعيين المصريين ، وأضيف اليهم معتقلوا الاخوان المسلمون بعد ذلك .

اما المبنى الثالث فكان مخصصا للصهيونية .

وصلت معتقلالهايكستب وأنا منهك الصحة رث الثياب ولأول مرة منذ اكثر من شهرين تلمس جسمى ماء ساخنة وصابونة ، وأذكر ان الزملاء قرروا خوفا على صحتهم جميعا التخلص بالحرق من الملابس الرثة التى كنت ألبسها طوال فترة احتجازى فى قسم بولاق ، وان يهدونى ملابس أخرى جديدة بدلا عنها .

بعد الاستقبال الحماسى من الزملاء ، وبعد الحمام الساخن وارتداء الملابس الجديدة ابتدأت التعرف على معتقل الهايكستب .

التعرف عن قرب بالمنظمات الشيوعية فى معتقل الهايكستب .

اجزاء هامة من قيادات تلك المنظمات وعناصرها الأساسية كانت موزعة فى عامى ٤٨ ، ١٩٤٩ بين سجن مصر ، وسجون مصرية أخرى ومعتقل الهايكستب .

فى سجن مصر وبعض السجون المصرية كان بها الرفاق المتهمون فى قضايا شيوعية ، أما معتقل الهايكستب فى القاهرة ، وأبو قير فى اسكندرية فكانا مخصصان للمعتقلين .

وكانت التنظيمات المتواجدة فى الهايكستب هى (حدتو — العمالية الثورية — م.ش.م — الفجر الجديد — عناصر محدودة جدا من جات) .

وليس فى الامكان ، كما انه ليس ضروريا ان نذكر أسماء العناصر القاعدية التى تنتمى لتلك التنظيمات ، انما كانت هناك ظاهرة ملفتة للنظر ، هى انفراد تنظيم حدتو بوجود عناصر سودانية ضمن معتقليها فى الهايكستب أذكر منهم (التيجانى الطيب — عبدالرحمن عبدالرحيم الوسيلة — عبده ذهب — سودانى جنوبى كان اسمه «تيدى لاركت جيمس») .

كما كانت حدتو تنفرد فى هذا المعتقل بوجود عناصر نوبية ضمن معتقليها كان من ضمنهم المرحوم المناضل والشاعر النوبى (محمد خليل قاسم وكاتب هذه السطور) .

كان فى معتقل الهايكستب من قيادات حدتو (هنرى كورييل — سيد سليمان رفاعى — كمال شعبان — صبحى زغلول — جوماتالون)

ومن قيادات العمالية الثورية (عبدالمعبود الجبيلى — عبدالرحمن الناصر — عدلى جرجس — محمد شطا) .

ومن قيادات م.ش.م (ميشيل كامل) .

ومن قيادات الفجر الجديد (يوسف درويش — محمود العسكرى) .

وكان قائد جات هو الدكتور (عصام جلال) .

والمستوى المعيشى للمعتقلين فى الهايكستب كان مرتفعا ، اذا قارناه بحياة

الشيوعيين فى السجون المصرية آنذاك ، أو بما آل اليه الأمر ـــ من الناحية المعيشية ـــ فى معتقل الطور (١٩٤٩) .

كانت المخصصات الحكومية للاعاشة كبيرة ، الى جانب ما يرد فى زيارات الأهالى من هدايا .

ويمكن ان نسجل لرفاق حدتو آنذاك ، انهم كانوا يدخرون جزءا هاما من موارد المعتقل من أجل مساعدة الرفاق الذين يعملون فى الخارج ، وكذلك مساعدة بعض أسر المعتقلين من العمال محدودى الدخل .

ما هي القضايا العامة التى كانت تشغل الرفاق فى المعتقل :

قبل سرد هذه القضايا (حسبما تعى الذاكرة) يمكن القول بأن المناقشات الفكرية الخصبة داخل معتقل الهايكستب ثم معتقل الطور بعد ذلك ، تلك المناقشات التى دارت بين التنظيمات المختلفة المتواجدة فى هذين المعتقلين فى شكل ندوات واجتماعات واسعة الى جانب تبادل التقارير المكتوبة ، قد شكلت الأساس الفكرى العام الذى سار عليه العمل فى حدتو وخاصة بعد الافراجات الشاملة (يناير وفبراير ١٩٥٠) .

وهذه المناقشات وان لم تكن متطابقة تماما مع المناقشات التى تدور بين التنظيمات المختلفة خارج المعتقلات والسجون ، من خلال النشرات وغيرها من وسائل النقاش غير المباشر الا انها كانت جزءا من تلك المناقشات وخاصة فى قضايا تحديد طبيعة الثورة القادمة ، ومدى سلامة أو خطأ اقتصار العمل الشيوعى وسط العمال كما كانت تطالب م.ش.م ، أو الاقتصار على العمل النقابى والاقتصادى كما كانت ترى (الفجر الجديد) وكانت تلك المناقشات أكثر غزارة وفائدة لأسباب ثلاثة :

اولاها : وجود عناصر قيادية من التنظيمات المختلفة وخاصة (حدتو) والعمالية الثورية وكان يلعب من جانب (حدتو) دورا هاما فى هذه المناقشات (سيد سليمان رفاعى وكمال شعبان) .

ثانيها : الوقت الهائل المكرس للمناقشات واعداد الدراسات والأبحاث بعد ان انعدم الجانب العملى نتيجة الاعتقال .

ثالثها : توفر بعض المراجع النظرية بعد ترجمتها للعربية .

ومن نماذج المناقشات التى دارت فى تلك الفترة نسوق الأمثلة التالية :

١) تقيم دور اللجنة الوطنية للطلبة والعمال :

كان عناصر حدتو اساسا ، ومعهم عناصر (العمالية الثورية) تقيم ايجابيا دور هذه اللجنة ، باعتبارها التشكيل السياسى العلنى الجماهيرى الذى قاد نضال الشعب فى فترة هامة من تاريخ الشعب المصرى ، وكانت المناقشة تسجل الى جانب ذلك أهم وابرز سلبيات هذه اللجنة وهى انها لم تجذب الى صيفوفها ممثلى الفلاحين ويبدو لى شخصيا ان الظروف آنذاك (١٩٤٦) لم تكن تساعد على جذب الفلاحين الى هذه اللجنة ، حيث لم يكن العمل الشيوعى المنظم قد اتجه الى صفوف الفلاحين بعد ، وقد أثبتت تجربة هذه اللجنة ، وكافة الأشكال الجبهوية التى تواردت على مصر بعد سنة ١٩٤٦ ان اتساع أشكال الجبهات والتحالف تتسع وتضيق حسب نفوذ الشيوعيين ودورهم السياسى والتنظيمى بالتالى .

وبما ان نفوذ الشيوعيين كان بارزا ــ آنذاك ــ فى مجالات العمال والطلاب ، فان شكل اللجنة الجبهوى فى تلك الفترة لم يكن من المتاح لها ان تتخذ غير شكل (لجنة الطلبة والعمال) .

وكانت عناصر الفجر الجديد وكان يمثلهم فى تلك المناقشات الزعيم النقابى (محمود العسكرى) تقلل من الدور الايجابى للجنة الوطنية للعمال والطلبة وترى ان هبات تلك الفترة ــ بشكل عام ــ هبات تلقائية وعفوية لم تلعب فيها الحركة الشيوعية المصرية دورا قياديا .

٢) الموضوع الثانى الذى استغرق الكثير من المناقشات كان حول «الفكر الاقتصادى والنقابى» لجماعة الفجر الجديد .

وكان داعية هذا التفكير فى المعتقل (محمود العسكرى) يعتبر ان دخول المنظمات الشيوعية فى منطقة شبرا الخيمة العمالية يمثل كارثة للطبقة العاملة المصرية ، ووصف أعداء هذه الفكرة بأنها الترجمة المصرية لفكر الاقتصاديين

فى روسيا ، وهو الفكر الانتهازى الذى تصدى له الرفيق «لينين» .

وفى خضم الصراع الفكرى ضد جماعة الفجر الجديد التى كانت تطالب بابتعاد الشيوعيين عن العمل بين العمال ، ترجم (عبدالرحمن الناصر) وعمر رشدى كتاب «ما العمل» للرفيق لينين ، واستفاد الشيوعيون فى المعتقل من ترجمة هذا الكتاب للغة العربية ، فقد كان سلاحا فكريا هاما ضد مقولات جماعة الفجر الجديد عن ضرورة ترك الحركة النقابية والعمالية فى حالة استقلال كامل عن التيارات السياسية للمثقفين المصريين بما فيها التيارات الشيوعية المصرية .

كانت عناصر «حدتو» و«العمالية الثورية» تدافع عن فكرة العمل الشيوعى وسط العمال وحتى لو كانت بدايات العمل وسطهم من خلال المثقفين باعتبار ان الوعى السياسى الطبقى للطبقة العاملة لا يمكن ان ينقل اليها الا من خارجها ، وخاصة من خلال المثقفين الذين تبنوا النظرية الماركسية اللينينية .

لقد كانت عناصر (الفجر الجديد) تعتبر ان بداية الكارثة لحركة الطبقة العاملة هى بداية احتكاك المثقفين الماركسيين بها ، ناهيك عن سبب النظرية الماركسية والقادة الماركسيين .. و من هنا فالتحليل النهائى لعناصر الفجر الجديد فى المعتقل انهم كانوا مجرد (عناصر نقابية) مشبعة بالكفاح والفكر الاقتصادى والنقابى .

٣) العمل وسط الفئات الشعبية الاخرى :

هذا الموضوع نال اهتماما كبيرا فى المناقشات بسبب ان الأسس الفكرية التى قام عليها انقسام (م.ش.م) فى سنة ١٩٤٨ هى :

ضرورة العمل وسط العمال بنسبة ١٠٠٪ ، وكانت هذه الفكرة مغرية وجذابة لعناصر البرجوازية الصغيرة من الطلبة والمثقفين ، وقد اعتمدوا على كتيب للرفيق «لينين» عن مهام الاشتراكيين الديمقراطيين الروس ، رغم تباين ظروف مصر عن ظروف روسيا التى كان يعالجها الرفيق «لينين» .

ومما ألهب النقاش فى هذا الموضوع ان العمالية الثورية ـــ خوفا من الارهاب الفكرى الذى تشنه «م.ش.م» فى هذه القضية ـــ كانت تطالب بالعمل وسط

العمال بنسبة ٧٠ أو ٨٠٪ ، أى أن الفرق الرقمى بين موقف (م.ش.م) وموقفها كان يتراوح بين ٢٠ ، ٣٠٪ .

كانت حدتو تدافع عن ضرورة العمل الشيوعى وسط كل فئات الشعب وخاصة الكادحة منها ، مع التركيز على العمل وسط الطبقة العاملة .

ومرة اخرى ، فان كتاب «ما العمل» كان المرشد النظرى فى هذه القضية .

٤) وكان الموضوع الرابع هو تحديد طبيعة المرحلة الثورية ، بمعنى هل هى ثورة وطنية ديمقراطية ؟ أم ثورة اشتراكية ؟

كانت م.ش.م ترى أن الثورة القادمة فى مصر ثورة اشتراكية وبالتالى فان الطبقة العاملة فى نظرها هى الطبقة الثورية الوحيدة ، وما عداها من الطبقات تتراوح بين الخيانة والتهادن والتردد . وحتى البرجوازية الصغيرة اعتبرت فى نظر م.ش.م فئة مترددة وقد كان هذا الأساس الفكرى الخاطىء هو الباعث على تبنى م.ش.م لشعارات ١٠٠٪ بين العمال ، بما يرتبط بذلك من ادانة الاهتمام بتشكيل جبهة وطنية ديمقراطية واسعة ، ومجمل هذه الافكار هو الذى دفع قادة م.ش.م الى التطرف فى اتهام قيادة حدتو آنذاك (بالخيانة والانتهازية) .

ومن هنا كان طبيعيا ان تنال هذه القضية الفكرية والسياسية اهتماما أكبر فى المناقشات .

فكر حدتو فى المناقشات تبلور بشكل محدد فى ان الثورة القادمة (ثورة وطنية ديمقراطية) من نوع جديد ، وان الطبقة العاملة هى قائدة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وان عليها ان تشكل جبهة وطنية ديمقراطية واسعة تضم (البرجوازية الصغيرة فى المدن والريف والمثقفين والبرجوازية الوطنية) تحت قيادة الطبقة العاملة .

وحسبما أذكر فان فكر (ع.ث) كان قريبا من تفكير حدتو .

وكانت كتابات ستالين عن مراحل المستعمرات وموقف الشيوعيين فى كل مرحلة مرشدا نظريا فى هذا الصدد ، وهذه الكتابات كانت قد ترجمت الى العربية فى المعتقل .

أدوات المناقشة :

كانت المناقشات حول الموضوعات الاربعة التى اشرنا اليها تدور من خلال وسائل عديدة منها :

* تبادل التقارير المكتوبة بين المنظمات المتواجدة فى المعتقل .

* الاجتماعات الواسعة التى كانت كلمات المندوبين فيها تتخذ شكل المناظرة بين

وجهات النظر المختلفة .

* تبادل وجهات النظر فى اجتماعات (لجنة الاتصال بين المنظمات) .

وكانت مشكلة من مندوب أو اثنين عن كل تنظيم ، وكانت هذه اللجنة تقوم بدور التنسيق الكفاحي فيما يهم شئون المعتقلين .

تثقيف وتربية رفاق حدتو فى المعتقل :

كانت المناقشات الواسعة تلعب دورا فى تثقيف زملاء حدتو ، لكن كانت هناك أيضا — الى جانب المناقشات بين التنظيمات المختلفة — ومناقشات ذات طبيعة داخلية خاصة بأعضاء حدتو فقط .

وحسبما أذكر دارت مناقشات واسعة لتحصين الزملاء ضد الاتجاهات الانقسامية ، بتبيان اسسها الفكرية والسياسية والتنظيمية ،والرد عليها من وجهة نظر حدتو ، وفى هذه المناقشات تأصلت فكرة «التيارين» الثورى والانتهازى فى الحركة الشيوعية المصرية ، الى جانب تحديد الوسائل الكفيلة بتحقيق الوحدة والتي تتلخص فى التنسيق فى العمل الجماهيرى الى جانب المناقشات حول المسائل المختلف عليها .

كما أالقيت عدة محاضرات عن (تاريخ مصر) قام بالقائها وادارة الحوار حولها الاستاذ الازهرى/ ابو الحسن الغنيمى ، كما درس رفاق حدتو بشكل فردى وجماعى فى هذا المعتقل كتابات لينين وستالين التى ترجمت الى العربية .

لا عزلة عن الشعب المصرى ولا عن الرأى العام العالمى :

كان الغرض — من وجهة نظر الحكومات الرجعية — من اعتقال الشيوعيين وسجنهم هو عزلهم عن الشعب والرأى العام العالمى ، ولافساد هذا الغرض كانت قيادة حدتو فى المعتقل وخاصة الرفيق (هنرى كورييل) يشدد دائما على ان :

١) ان يكتب الرفاق فى المعتقل لأصدقائهم خارج المعتقل خطابات فى المناسبات السياسية المختلفة ، يوضحون فيها الرأى ويطالبون بالافراج عن المعتقلين السياسيين والغاء الأحكام العرفية .

٢) وكذلك الكتابة للهيئات الديمقراطية العالمية ، وأذكر شخصيا أن «كورييل» طلب منى ان اكتب تقريرا عن حالة الطلبة الأزهريين ومشاكلهم لارساله «لاتحاد الطلبة الديمقراطى العالمى» ونظرا لأننى كنت قد انعزلت عن حياة الأزهر مدة من الزمن ترددت فى الكتابة قائلا ان المعلومات المتواجدة لدى قليلة الآن وأن هناك ظروفا جديدا نشأت لا أعرف عنها شيئا .

قابلنى «كورييل» وأثار معى نقاشا واسعا جوهره ان المعلومات التى أتفه من شأنها ستكون هامة جدا لاتحاد الطلبة الديمقراطى العالمى باعتباره لا يعرف شيئا عن هذه المعلومات .

الترحيل الى معتقل الطور :

وفى بدايات ١٩٤٩ أو نهايات ١٩٤٨ قررت الحكومة فتح معتقل الطور ، وترحيل الشيوعيين والاخوان الى هناك ، كما تقرر ابقاء (الطلبة الشيوعيين) وكذلك (اليهود الشيوعيين) فى معتقل الهايكستب .

ولأول مرة يفتح معتقل الطور للسياسيين (شيوعيين واخوان) فقد كان هذا المعتقل مخصصا للأشقياء قبل ذلك ، وعنابر الطور هذه هى العنابر التى يقيم بها الحجاج المصريون عند عودتهم من الحج .

استقل المعتقلون الشيوعيون الباخرة (عايدة) من السويس الى معتقل الطور ، وهناك خصص معسكر كامل (مكون من عدة عنابر وغرف) للشيوعيين ، كما خصص أكثر من معسكر للاخوان المسلمين .

الحياة المعيشية فى معتقل الطور كانت رديئة جدا ، فنصيب المعتقل الواحد كان ٥٥ مليما ، وكان على المتعهد ان يقدم لنا وجبات الأكل طوال اليوم فى حدود هذه الملاليم ، وبالتالى هبط المستوى المعيشى للمعتقلين الشيوعيين والاخوان المسلمين هبوطا قطعيا ومفاجئا ـــ وكانت الأكلات الدائمة التى تقدم لنا (الفاصوليا الناشفة والعدس وحبات من الزيتون)

وقد أنقذ الموقف الى حد ما طرود الأطعمة التى ترسل لنا من الزملاء المعتقلين الباقين فى الهايكستب أو من بعض الأهالى ذوى المقدرة المالية .

وقد اضطر المعتقلون الشيوعيون فى معتقل الطور الى الاضراب عن الطعام حوالى (١٧ يوم) بهدفين :

أولاهما : غلق معتقل الطور واعادة المعتقلين مرة اخرى الى القاهرة .

ثانيهما : تحسين المستوى المعيشى .

وقد استمرت المناقشات السياسية فى معتقل الطور ، كما كان الشأن فى معتقل الهايكستب وأقيمت ايضا «لجنة للاتصال بين التنظيمات المختلفة لادارة الحوار وفى نفس الوقت التنسيق الكفاحى فيما يتعلق بشئون المعتلقين» .

ظواهر جديدة فى معتقل الطور :

برزت فى معتقل الطور ظواهر جديدة ملفتة للنظر وهى على سبيل المثال :

١) انتقال عدوى انتخاب القيادة الحزبية فى المعتقل من صفوف (ع.ث) الى حدتو ، فبمجرد استقرارنا فى معتقل الطور ، انعقد اجتماع واسع لزملاء حدتو طرحت فيه فكرة انتخاب قيادة حزبية للمعتقل ، ورغم ان حدتو تنظيم سرى ، ورغم وجود قادة حدتو ، ذوى التجربة أمثال كمال شعبان ، فقد أخذ الجميع بما فيهم القادة بفكرة الانتخاب ، والقيادة التى انتخبت كان من ضمنها كمال شعبان ، وعبدالفتاح الهنيدى ، والمهندس بشرى سعد الله ومما يدل على خطأ فكرة الانتخاب فى الظروف السرية أن المهندس بشرى سعدالله وكان رفيقا حديثا جدا فاز على محمد محمد شطا الذى كان قد نقد نفسه عن انقسامه وعاد لحدتو ، فاز بشرى سعدالله لأنه كان مثقفا ويقدم بعض الخدمات للزملاء

فى مجال التعليم والتثقيف ، وكانت له علاقات حسنة بالرفاق بما يتميز به من دماثة فى الخلق رغم انه لم يكن يملك ما يملكه شطا من رصيد أو خبرة نضالية .

وقد ترك بشرى سعدالله الكفاح الشيوعى فور خروجه من المعتقل بينما استمر «شطا» فى النضال .

٢) انتشار عدوى الاتهام بالبوليسية ، فقد حمل (محمود العسكرى) هذه الراية عاليا ، وهناك العديد ممن اتهموا بالبوليسية فى معتقل الطور ، وكان من ابرزهم (محمد أبو الحسن الغنيمى العالم الأزهرى) ورغم تمسك حدتو بالدفاع عنه ، ووقفتها ضد حملة التشهير بالبوليسية ، سرت هذه العدوى ، وكانت تعقد لها اجتماعات واسعة تشمل كل المعتقلين الشيوعيين كان (محمود العسكرى) يصول فيها ويجول وكأنه وكيل نيابة فى قاعة محكمة .

٣) تم نقل بعض الشيوعيين من أعضاء حدتو من الجيش كانوا يعملون كفنيين فى سلاح الطيران من الخدمة العسكرية وتم ترحيلهم جميعا الى معتقل الطور وكان هؤلاء منفيين بالواحات منذ قيام حرب فلسطين فى مايو سنة ١٩٤٨ بعد ان اتخذوا موقفا شجاعا فى معارضة حرب فلسطين ، ... وكما كانت حدتو متميزة ومنفردة بميزة وجود شيوعيين سودانيين ونوبيين بها فى الهايكستب ، اصبحت متميزة بأنها الوحيدة التى لها عسكريون سابقون معتقلون .

٤) كانت هناك نواة خطة لقيادة حدتو فى معتقل الطور ، لتهريب عدد من رفاقها من المعتقل وفى اعتقادى ان من ضمن أسباب عدم تنفيذ هذه الخطة هو عودة المعتقلين الشيوعيين مرة أخرى الى الهايكستب بعد ذلك .

غادرت معتقل الطور بمفردى فى ١٩٤٩ الى سجن مصر لقضاء فترة عقوبة (حكم ثلاثة أشهر) على اخلالى بنظام الأزهر فى فبراير ١٩٤٨ (حسبما ذكرت فى الصفحات السابقة) ، عندما أنهيت مدة العقوبة وعدت الى معتقل الهايكستب ، كان عدد من المعتقلين قد أفرج عنهم فى ظل وزارة حسين سرى التى شكلت للاشراف على الانتخابات البرلمانية ، ولم يبق الا العدد القليل فى انتظار الافراج عنه بعد تشكيل الوزارة .

هنرى كوريل لعب دورا فى تربيتى كمناضل شيوعى :

... فى الفترة من صيف ٤٥ الى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، كنت اتقابل نادرا مع هنرى كوريل ، وكانت لقاءاتى معه تتم من خلال اجتماعات قسم الأزهر فى ح.م وحدتو ، ولكن بعد اعتقالى فى الهايكستب وبالذات قبيل الافراج عن المعتلقين الشيوعيين كنت قريبا منه وأسكن معه فى عنبر واحد .

وقد انتهز «كوريل» فترة التحضير لتحديد موقف حدتو فى انتخابات البرلمان فى ١٩٥٠ ، وكلفنى باسم المجموعة المركزية فى الهايكستب بصياغة ذلك التقرير ، وكان يستهدف من ذلك تدريبى على الكتابة السياسية ، يؤكد ذلك ان هناك كثيرين كانوا أقدر منى على كتابته .

ترددت فى الكتابة فشجعنى عليها ، وراجع معى ما اكتبه أكثر من ثلاثة مرات وحرص على ألا يبدى ملاحظاته كلها مرة ، حتى لا يصيبنى بالاحباط ، فى كل مرة من مرات المراجعة كان يثير بعض الملاحظات ، الى ان اكتمل التقرير فى صورته النهائية ، وأذكر أن الكتابة الأولى للتقرير كانت مليئة بالعبارات البلاغية الخالية من أى مضمون سياسى عميق ، كان ذلك بسبب ضعف الخبرة فى الكتابة السياسية الى جانب تأثرى الشديد بالأسلوب البلاغى الأزهرى فى الكتابة .

ومنذ ذلك الحين ، تشجعت فى ممارسة الكتابة السياسية وما مارسه كوريل معى ، هو ما يجب ان يمارس فى تربية الكوادر الشابة .

جوهر موقف حدتو من انتخابات البرلمان فى ١٩٥٠ :

دارت تلك الانتخابات البرلمانية وبعض عناصر حدتو فى المعتقل ، ومع ذلك حرصت قيادة حدتو ان تحدد موقفها تماما من تلك الانتخابات ، وتحدد جوهر موقفها فى الأولويات التالية :

* اذا كان هناك مرشح شيوعى فى احدى الدوائر فهو الأولى بالتأييد والمساندة .

* اذا لم يتوافر مثل هذا المرشح الشيوعى فان أى مرشح من العمال يجب ان ينال تأييد حدتو .

* ونظرا لأن حزب الوفد كان المنافس الأساسي لمرشحى احزاب الأقلية والسراى ، فقد تبلور الخط العام لحدتو فى تأييد مرشحى الوفد فى الدوائر التى تخلو من مرشحين شيوعيين أو عمال .

=========================

محاولات البوليس لترحيلى للسودان :

كما قلت فى الصفحات السابقة كان هناك سودانيين فى المعتقل من أعضاء حدتو ومع بدايات ١٩٤٩ ، تم البدء فى ترحيلهم الى السودان .

قبل الافراج النهائى عن الشيوعيين فى ١٩٥٠ فوجئت باستدعائى الى البوليس (قلم شئون الاجانب) بهدف ترحيلى للسودان ، بحجة أننى «سودانى الجنسية» ولست مصريا .

رفضت الترحيل مقررا أننى «مصرى» لحما ودما وبعد ان أدليت بكافة المعلومات والبيانات التى تثبت «مصريتى» ألغى قرار الترحيل المفاجىء ، واحتجزت فى سجن الاجانب الى حين التأكد من صحة البيانات التى أدليت بها ، وبذا كنت آخر معتقل شيوعى يفرج عنه ، ويستأنف نشاطته الشيوعى من جديد فى فبراير ١٩٥٠ ، بعد فترة سجن واعتقال دامت اكثر من سنة ونصف .

=========================

«النضال الشيوعى فى مصر»

من ١٩٥٠ ــ ١٩٥٢

الظروف السياسية والجماهيرية :

انتهت الانتخابات بنجاح حزب الوفد وتكليف الزعيم «النحاس باشا» برئاسة الوزارة ، وكان وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا .

واتسمت هذه الفترة بنهضة عامة للحركة الجماهيرية والسياسية ، وبوقوع أحداث هامة كان من أخطرها وأهمها الغاء معاهدة ٣٦ وبدء الكفاح المسلح فى القتال .

وضع الحركة الشيوعية المصرية فى تلك الفترة :

لم يبق من الشيوعيين معتقل واحد ، انما كان هناك عدد لا بأس به من الشيوعيين يقضون فترات العقوبة فى السجن ، ما بين ٧ سنوات و٣ سنوات ، وصدرت تلك الأحكام بالسجن فى فترة الارهاب الأسود ٤٨ ـــ ١٩٥٠ من الدائرة العسكرية التي كان يرأسها المستشار حسين الطنطاوى .

ورغم هذا فان معظم الشيوعيين كان خارج السجون آنذاك ـــ والتنظيمات الشيوعية التى تواجدت فى الساحة فى بدايات ١٩٥٠ هى :

١) الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) وكان من زعمائها (كوريل ـــ سيد سليمان رفاعى ـــ كمال عبدالحليم ـــ كمال شعبان ـــ محمد شطا) .

٢) نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم) ، وكانت نتاج وحدة بين (العمالية الثورية ـــ ونحو حزب شيوعى (نحش) ، ورفاق من حدتو انضموا اليه) وكان من زعمائها الرفاق (زكى مراد ـــ احمد الرفاعى ـــ عبدالمنعم ابراهيم ـــ جمال شلبى ـــ سيف الدين محمد صادق ـــ فكرى الخولى .. الخ)

٣) الحزب الشيوعى المصرى (الراية) الذى تأسس فى نهايات ١٩٤٩ فى الأساس من عناصر مصرية عادت من فرنسا ، ومجموعة المطبعة التى انشقت عن حدتو ، وعناصر من العصبة الماركسية ، وكان من زعمائها (الدكتور فؤاد مرسى والدكتور اسماعيل صبرى عبدالله وداود عزيز ـــ سعد زهران ـــ مصطفى طيبة) .

٤) **الفجر الجديد أو د.ش :**

وكان من زعمائها (أبوسيف يوسف ـــ صادق سعد ـــ ريمون دوين ـــ يوسف درويش ـــ حلمى يس) .

٥) وكانت هناك تنظيمات أو خلقات اخرى منها مثلا «نواة الحزب الشيوعى» بزعامة فوزى جرجس ، و«النجم الأحمر» بزعامة عدلى جرجس وكان انشقاقا عن تنظيم نحشم ، ومجموعة (جات)وأبرز أشخاصها الدكتور

(عصام جلال ـ احمد طه ـ اسماعيل جبر ـ صلاح سلمى) .

كان هذا واقع الحال فى فبراير/ مارس ١٩٥٠ ، ونلاحظ على هذه الخريطة الملاحظتين الأساسيتين التاليتين :

الأولى : ان تنظيم م.ش.م رغم انه كان أضخم انقسام حدث فى حدتو عام ١٩٤٨ ، قد تلاشى تماما فى هذه الفترة تقريبا ، كان السبب الرؤيسى وراء هذا التلاشى هو الموقف اليسارى المتطرف الكامل فى السياسة والتنظيم الذي انتهجته قيادة هذا التنظيم منذ انشائه ، وكانت هناك اسباب اخرى وراء هذا التلاشى ، منها ان قيادة هذا التنظيم (منها سلامون وزوجته) هاجر للخارج ، ومنها ان جزءا لا بأس به من عضوية هذا التنظيم كان يقضى فترة عقوبة السجن ومنها انتشار حالة الريبة والتشكك بين عناصر هذا التنظيم بعد ان انتشرت عدوى الاتهام بالبوليسية والخيانة لأتفه الأسباب ، وهى العدوى التى ساعدت على نشرها قيادة هذا التنظيم .

المهم ان العضوية الواسعة اتى امتصتها قيادة م.ش.م من حدتو ، قد ركنت (ماعدا بعض الاستثناءات) الى حياة الدعة والهدوء بعد أن أعماها اليأس وفقدت الأمل فى تحقيق أية نجاحات من وراء السياسة اليسارية التى انتهجتها قيادة م.ش.م .

الملاحظة الثانية : ان قيادة (ع.ث التاريخية ، عبدالمعبود الجبيلى وعبدالرحمن الناصر ، وعبدالعظيم أنيس ، التى طالما شنت الهجوم السياسى والتنظيمى على قيادة حدتو طوال فترة الاعتقال وقبله ، انتهزت أول فرصة وسافرت للخارج لنيل شهادات الدكتوراه بعد ان سهل لها الأمر وزيرالداخلية (فؤاد سراج الدين) .

استمرار الصراع بين التيارين من ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ :

فى الفترة من ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠ دار صراع بين المنظمات الماركسية المختلفة وظهرت خلافات بينها وعبر هذا الصراع وتلك الخلافات عن وجود تيارين فى الحركة الشيوعية المصرية ، احدهما التيار الثورى جسدته ح.م ثم حدتو بعد ذلك ، اما ثانيهما فكان التيار الانتهازى مهما كانت الأسماء التى أطلقت

على منظمات تلك الفترة سواء كانت منقسمة من ح.م أو حدتو أو نشأت مستقلة ، وكافة القضايا والمسائل التى ارتبطت بكفاح الشعب المصرى والطبقة العاملة المصرية فى تلك الفترة .

حدتو تخرج من المعتقل فى فبراير ١٩٥٠ :

خرجت «حدتو» من المعتقل مثل بقية التنظيمات خرج اعضاءها وكذلك قيادتها .

خرج من قادة حدتو (كوربيل ــ سيد سليمان رفاعى ــ محمد شطا ــ كمال شعبان) والتقى هؤلاء القادة بقادة حدتو فى الخارج (كمال عبدالحليم ــ والسودانى الجنيد على عمر) . وقد التقت القيادة معا بعد طول فراق لما يقرب من عامين وكانت المسألة المحورية لنقاشاتها هى كيفية استئناف العمل فى الظروف الجديدة من الناحيتين الجماهيرية والتنظيمية .

هذا بينما بعض قيادة (ع.ث) (عبدالمعبود الجبيلى ــ عبدالرحمن الناصر ــ عبدالعظيم أنيس سافروا لخارج مصر بتسهيلات من فؤاد سراج الدين أو بالاتفاق معه .

وهذه البداية سواء كانت نضالية ، كما حدث لقادة حدتو أو هروبية كما حدث لبعض قادة (ع.ث) ترينا كيف ان المسألة الأساسية فى انشاء عمل سياسى ما أو تطويره يتوقف على دور قيادى والعكس بالعكس ، فالعضوية العامة لحدتو سواء تلك التى خرجت من المعتقل أو تلك التى لم تمسسها يد الاعتقال وظلت كامنة تنتظر يوم بدء الحركة ، كل هذه العضوية لم يكن فى مقدورها ان تتحرك وتجعل من حدتو بناء ضخما سياسيا وجماهيريا وتنظيميا لولا جهد قيادة حدتو بعد فض المعتقلات مباشرة وطوال الفترة اللاحقة لذلك .

وبالتالى فالسؤال الجوهرى الذى يطرحه هذا الأمر هو كم من قيادة حدتو ثبتت فى صفوف المناضلين وكم من قادة التنظيمات الانقسامية الاخرى هجرت المعركة ؟

نقطة البداية الجماهيرية :

كانت قيادة حدتو تحس – بحكم عقليتها الجماهيرية – ان نقطة البداية فى تنشيط العمل الجماهيرى هو اصدار مجلة علنية سياسية .

مجلة البشـير :

كانت هذه المجلة العلنية هى مجلة «البشير» وقد اصدرتها حدتو بعد فض المعتقلات مباشرة بالتعاون مع المرحوم/ فتحى الرملى باعتباره عضوا فى نقابة الصحفيين يملك بهذه الصفة حق رئاسة التحرير .

كانت حدتو هى التى تقوم بعملية التمويل والتوزيع للمجلة كاملة ، وكانت هى التى تعد موضوعات المجلة وتحرر كلمة المجلة الرئيسية بالتعاون مع (فتحى الرملى) ، لم يكن للمجلة مقر ، وأذكر ان المقالات كانت تحرر فى القهوة بحضور فتحى الرملى وزملاء حدتو الذين يساهمون فى تحرير المجلة ، وكانت هناك ملاحظتان أساسيتان لا بد من تسجيلهما فى هذا الصدد .

الأولى : ان كل الرفاق فى حدتو رغم قلة عددهم آنذاك كانوا يساهمون قيادة وقاعدة فى توزيع المجلة وذلك بالصلة المباشرة بين الرفاق والقراء ، فلم تكن مجلة البشير تعرف شركات التوزيع .

الثانية : ان المجلة ساهمت فى توسيع العلاقات الجماهيرية لمنظمة حدتو ، ومن خلال هذه العلاقات توسعت العضوية التنظيمية وكانت حدتو بعد خروجها من المعتقلات فى حاجة ماسة الى التوسع فى المجال الجماهيرى وفى مجال العضوية .

وفى الفترة التى أصدرت فيها حدتو مجلة «البشير» لم تهتم التنظيمات الماركسية الاخرى وأهمها (منظمة الراية ود.ش) باصدار مجلة علنية .

وهذا يعكس الفرق بين رؤيتى التيارين (الثورى والانتهازى) للعمل العلنى والجماهيرى (الاعلامى وغيره) فى توسيع نفوذ التنظيمات الماركسية سياسيا وكسب العضوية الجديدة من خلال العمل الجماهيرى .

مجلة البشير والكفاح من اجل السلام :

وبناء على توجيه من قيادة حدتو نشرت «البشير» نداء استكهلم ضد القنابل والتجارب الذرية ، وكان هذا النداء نداء عالميا صادرا من حركة السلام العالمية .

ويمكن القول ان طبع ونشر هذا النداء وجمع التوقيعات عليه من المواطنين حقق عدة نتائج ايجابية :

أولها : ان نشر النداء جماهيريا وجمع التوقيعات عليه خلق المناخ المناسب لبناء حركة السلام المصرية تنظيميا .

ثانيها : أدى جمع التوقيعات الى توسيع النفوذ السياسي والجماهيري لمنظمة حدتو ، وخلق عددا من الصلات بين أعضاء حدتو وجماهير الشعب .

ثالثها : واستفادت حدتو من اتساع صلات الجماهير فى توسيع العضوية الحزبية .

ماذا كان موقف التيار الإنتهازى من جمع التوقيعات :

اتخذت منظمة الراية ، ود.ش أساسا ومعهما منظمة «النجم الأحمر» موقفا معارضا من حملة جمع التوقيعات التى كانت تنظمها مجلة «البشير» ، وكانت تتهم حدتو والقائمين بهذا العمل بأنهم يخدمون «البوليس» وكانوا يرددون ان هذه التوقيعات ستسلم لأجهزة الأمن ، كان هذا الاتهام يخفي وراءه كما سيتضح فيما بعد ، العداء للعمل الجماهيري بشكل عام ، والعمل الجماهيرى فى مجال الدفاع عن السلام العالمى بشكل خاص .

بناء حركة السلام المصرية تنظيميا :

كانت المسألة الثانية التى تشغل ذهن قيادة حدتو (بعد اصدار مجلة البشير ونداء استكهلم) هو القيام بمجموعة من الاتصالات مع عدد من الشخصيات المصرية لتشكيل وتكوين حركة سلام مصرية ، بدءا بتشكيل قيادة لها ، وكانت هذه العملية فى تواز مع جمع التوقيعات المرشدة لقيادة حدتو فى بناء حركة السلام المصرية ترتكز على عدد من المحاور :

المحور الأول : أن حركة السلام المصرية لا بد أن تكون علنية وقانونية وشرعية ، مدركة انه كلما اتسعت فى علنيتها وقانونيتها وشرعيتها ، كانت قادرة على حماية نفسها وعلى الاستمرار فى نفس الوقت .

المحور الثانى : أن قيادة حركة السلام لا بد أن تضم فى صفوفها الشخصيات الواسعة النفوذ فى المجتمع المصرى ، بما يفترضه ذلك من تعدد الانتماءات السياسية ، والاختلافات العقائدية وتمايز الانتماءات الطبقية ، واختلاف المهن ، طالما انها ضد الحرب ، ومن هنا جمعت حركة السلام المصرية فى قيادتها شخصيات تنتمى لمختلف الأحزاب السياسية التى كانت موجودة آنذاك ، وجمعت الشيوعيين وغير الشيوعيين ، وضمت فى صفوفها عناصر تنتمى للاقطاع والبرجوازية والعمال والمثقفين .

المحور الثالث : أن ايجاد الدور القيادى لحدتو فى هذه الحركة لن يتأتى بحشد الزملاء فى قيادتها كأغلبية عددية . انما بممارسة عملية نشيطة يكتسب زملاء حدتو من خلالها نفوذا يتنامى باستمرار رغم قلة عددهم فى قيادة حركة السلام .

وبناء على هذه الفكرة الأساسية بمحاورها الثلاثة نجحت حدتو بفضل عدد من الرفاق الذين تخصصوا فى هذا العمل فى البداية (كان من ضمنهم كمال عبدالحليم ، وسعد كامل ، وأضيف اليهم رفاق آخرون فيما بعد) فى بناء اللجنة التحضيرية لانصار السلام فى مصر (كانت هذه اللجنة هى القيادة) .

تشكلت بعدها عدد من لجان السلام الفرعية فى انحاء مختلفة للبلاد ، وكان لحركة السلام المصرية مقر ومجلة علنية «المكاتب» استمرت فى الصدور حتى حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وقويت صلات حركة السلام المصرية بشقيقاتها فى البلاد الاخرى وبمجلس السلام العالمى الذى كان من اعضائه عدد من أعضاء حركة السلام المصرية ، ووصلت حركة السلام المصرية الى قمة نجاحها بالتحضير لمؤتمر شعوب الشرق الأوسط الذى كان مفروضا انعقاده بالقاهرة فى فبراير ١٩٥٢ .

هذا ما نجحت فيه حدتو بناء على فكرتها الأساسية ومحاورها الثلاثة التى اشرنا اليها .

ماذا كان موقف الراية ود.ش من حركة السلام ؟

فى السطور السابقة حددنا ان الراية ود.ش قاومت حركة التوقيعات على نداء استكهلم التى كانت تتبناها «مجلة البشير» متهمة هذه الحركة الشاملة والقائمين عليها بخدمة اجهزة الأمن ،ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد .

فالراية تبنت فكرة ان تكون حركةالسلام حركة سرية مقابل فكرة حدتو ان تكون هذه الحركة علنية بأوسع معانى العلنية ، والغريب فى الأمر ان الراية طرحت فكرتها هذه فى ظل ظروف عامة كانت تبشر بالنهضة العارمة لحركة الجماهيرية فى ظل حكومة الوفد بعد حملة اضطهاد عاشها الشعب لمدة ٨ سنوات فى ظل حكومات الأقلية وصلت فى قمتها الى حملة الاعتقالات من منتصف ١٩٤٨ الى فبراير ١٩٥٠ ، ووضعت الراية فكرتها عن سرية الحركة فى التطبيق فلم تكن فى الواقع الا خلايا الحزب (الراية) فى بعض المجالات وفكرة الراية كانت ستؤدي اذا أخذ بها الى ان تكون حركة السلام حركة انعزالية ، لا حركة جماهيرية ، حركة يسهل ضربها واقتلاعها فى الواقع لا حركة قادرة على الاستمرار والنمو .

وقد اثبتت التجربة ان فكرة الراية فى سرية لجنة السلام كانت خاطئة تماما وغير ثورية .

اما د.ش فلم تتبنى فكرة سرية حركة السلام شأن الراية ، لكنها تبنت مفاهيم شبيهة وبالتالى وقفت فى نفس الخندق الانتهازى مع الراية تحارب بضراوة الاتجاه الثورى لحدتو ، كان جوهر فكرة د.ش أن حركة السلام لا بد ان تكون حركة طبقية ، عكس مفهوم حدتو القائل بأن تضم هذه الحركة شخصيات ذات نفوذ وتأثير أيا كانت انتماءاتها الطبقية والعقائدية والسياسية طالما أنها تعادى الحرب ، كانت د.ش تتصور ان قضية الكفاح من اجل السلام هى قضية العمال فقط وليست قضية كل الطبقات الاخرى ، وتحت تأثير هذا المفهوم الخاطىء شنت د.ش حملة هجوم واسعة على قادة حركة السلام وبشكل خاص قيادتها (اللجنة التحضيرية) بدعوى أنها عناصر برجوازية

وليست عمالية ، وكانت تتصور ان يكون قائد حركة السلام فى مصر آنذاك (محمود العسكرى او يوسف المدرك) وليس يوسف حلمى الذى كان أحد أركان الحزب الوطنى آنذاك ، والذى بدأ نضاله من هذا الموقع ، وأن تطور ووصل الى عضوية «حدتو» فى مرحلة لاحقة .

والخندق الانتهازى الذى كان يشمل «الراية ود.ش» فى صف واحد ساقهما الى اتخاذ موقف المعاداة والتخريب السافر ضد حركة السلام المصرية بشكل عام ، ومعاداة عناصر حدتو التى كانت قليلة فى قيادة هذه الحركة ، وبدلا من الانخراط العام فى صفوف هذه الحركة وتنفيذ توجيهاتها فى العمل قامت المنظمتان المشار اليهما بأعمال انقسامية ، احيانا انشاء لجان فرعية غير اللجان المكونة فى نفس المجال ، واحيانا القيام بحملة توقيعات خاصة غير التى كانت تتبناها حركة السلام المصرية .

وليس المقصود هنا سرد تفاصيل عمليات التخريب التى قامت بها هاتان المنظمتان وبعض الحلقات الصغيرة التى كانت تدور فى فلكها كالنجم الأحمر ، ولكن التجسيد العملى لنية التخريب صدر فى كتاب أصدره أحد قادة د.ش ضد حركة السلام (فؤاد عبدالمنعم شحتو) وواصلت الحملة مجلة الناس التى كان يشرف على تحريرها (رشدى صالح) .

النتيجة المستخلصة من هذا العرض هى انه كما كان الأمر فى الماضى جسدت حدتو حقيقة التيار الثورى كاستمرار للماضى ، واستئناف له فى الظروف السياسية الجديدة ، بينما جسدت المنظمات الاخرى (مهما تعددت أسمائها موقف التيار الانتهازى المعادى لحدتو ومواقفها فى العمل العام الجماهيرى والسياسى) والتفاصيل التى عرضناها وهناك غيرها كثير تؤكد هذا ، وبعد أن مضى من العمر ما يزيد عن ربع قرن أصبح واضحا مدى الجرم السياسى والتنظيمى الذى ارتكبته منظمتا (الراية ود.ش) ضد أول منظمة جماهيرية للسلام العالمى تشهدها مصر فى الظروف الجديدة .

توحيد الحركة النقابية المصرية :

وكان العمل الجماهيرى الثالث الذى اهتمت به قيادة حدتو هو مجال توحيد الحركة النقابية المصرية :

كان توحيد الطبقة العاملة المصرية أملا طالما راود الشيوعيين المصريين فى الفترات التاريخية السابقة ، ولكن هذا الأمل لم يتحقق ولم يقطع فيه شوط كبير بحكم الظروف الصعبة والقاسية التى كانت سائدة قبيل وخلال وبعد الحرب العالمية الثانية ، وهى الفترة التى استمرت حتى بدايات سنة ١٩٥٠ .

فى الظروف الجديدة ، ظروف الديمقراطية النسبية الواسعة ، والنهضة التى تقبل عليها الحركة الجماهيرية بدا فى الأفق ان هذا الأمل يمكن تحقيقه .

وكانت البداية التنظيمية لهذا العمل الجماهيري الواسع هو :

أولا : مناقشة هذه القضية فى الاجتماعات القيادية المركزية وقد ناقش المكتب السياسى لحدتو هذا الموضوع أكثر من مرة .

ثانيا : تشكيل فرقة عمل كانت تسمى (المكتب النقابى المركزى لحدتو) من عدد من الرفاق ، أذكر منهم كأساسيين ومعاونين (أحمد طه ـــ محمد على عامر ـــ سيد ترك ـــ محمد نوح ـــ أنور فلتس ـــ المرحوم محمود فرغلى ـــ سيد مصطفى)

ولم تكن مهمته هذا المكتب التخطيط للعمل النقابى فى حدود الخط العام لحدتو فقط بل كانت مهمة ايضا التنفيذ الفعلى لما تتوصل اليه من قرارات بالاستعانة بهيئات الحزب الاخرى .

الحالة الواقعية للحركة النقابية آنذاك :

كانت الحركة النقابية المصرية حركة علنية مشروعة بحكم قوانين النقابات ، ولكنها كانت مشتتة فى نقابات متفرقة لمؤسسات صناعية أو مهنية معينة فى احدى المدن وبالتالى لم تكن موحدة لا فى اتحاد مهنى واحد للنقابات التى يعمل عمالها فى مهنة واحدة ، ولم يكن هناك «اتحاد عام» يضم هذه النقابات المتفرقة الضعيفة .

ونتيجة هذا التشتت كانت الحركة النقابية تتميز بالضعف الشديد من ناحية ، وبسيطرة العناصر النقابية الصفراء من ناحية اخرى ، كما كان للشيوعيين المصريين (حدتو أساسا ود.ش الى حد ما) دور ما فى بعض النقابات .

جوهر أفكار حدتو وممارساتها العملية فى هذا المجال :

كانت هذه الأفكار ترتكز على منهج ورؤية واضحة لأهمية العمل الجماهيرى العلنى الواسع وقيمته الكبرى ، وكما كان الشأن فى انشاء حركة السلام المصرية الذى يرتكز على الاتساع والعلنية كان الأمر فى مجال الحركة النقابية مع مراعاة اختلاف الأهداف .

كانت الفكرة الجوهرية لحدتو هى السعى الجدى لتوحيد الحركة النقابية المصرية فى جهاز واحد هو الاتحاد العام . من خلال التعاون فى عمل تحضيرى واسع مع كل قادة الحركة النقابية المصرية مهما كانت آراؤنا فيهم ، وكانت حدتو تدرك ان توحيدالحركة النقابية فى جهاز واحد هو الطريق الأسلم لأن تكون قوية وتتطهر فى مسار نضالها من العناصر الصفراء والمتخاذلة فى الحركة النقابية وبناء على هذه الفكرة سعت عناصر حدتو الى الاتصال بعدد من العناصر النقابية ، وأسست بالتعاون معهم ما يسمى «باللجنة التحضيرية» لاتحاد النقابات وفى الغالب لم تكن تضم فى البداية الا عددا محدودا من النقابات .

كان هناك من جانب حدتو ادراك واقعى لظروف الحركة النقابية المصرية آنذاك والتى يمكن تلخيصها فى انعدام مركز واحد موجه للحركة النقابية ، مما ينتج عنه تشتت الحركة النقابية وضعفها ، ذلك الضعف الذى ادى بدوره الى سيطرة القادة النقابيين من العناصر الصفراء على الجزء الأغلب من الحركة النقابية ، بل وارتباط جزء من هؤلاء القادة بالأحزاب البرجوازية حتى تلك التى كان يقودها بعض الأفراد (عباس حليم وحزب العمال) .

واذا كان هناك للشيوعيين دور فى الحركة النقابية فقد كان هذا الدور محدودا من ناحية ومحصور فى نطاق تنظيمين شيوعيين آنذاك هى (حدتو) أساسا ، ود.ش .

من هذه الظروف استنتجت «حدتو» الموقف الذى يجب اتخاذه فى النضال لتوحيد الحركة النقابية ، واعتمد هذا الموقف على المحور التالية :

١) أن يكون المسلك النضالى فى هذا التوحيد نضالا علنيا ومشروعا ، لاعطائه القدرة على النمو والاستمرار ، طالما ان النقابات العمالية علنية وقانونية ، اكتسبت قانونيتها من القوانين المصرية .

٢) التعاون في مجال توحيد الحركة النقابية مع كل العناصر النقابية أيا كانت وجهة نظر حدتو منها ، طالما كانت تحتل مراكز قيادية نقابية ، وطالما كانت موافقة على قضية التوحيد ، بحيث يتخذ هذا التعاون شكلا واسعا وعريضا ، ويبنى على أساس برنامج نقابى واضح .

٣) رفض نظرية «المراحل» فى اتمام عملية التوحيد النقابى القائمة على البدء فى مرحلة معينة بعد انجاز المرحلة التى تسبقها ، على أساس أن الكفاح من أجل عملية الوحدة واتمامها فى نفس الوقت سيحمل فى طياته امكانيات تحقيق الأهداف ، من تطهير للنقابات من العناصر الصفراء الى بناء اتحادات مهنية مثل (النسيج — النقل الخ ..)

٤) ان نفوذ حدتو وعناصرها النقابية فى هذا المجال ، لن يفرض فى بداية العملية انما فى مسارها الطبيعى وبشكل تدريجى .

٥) منذ الوهلة الأولى لبدء عملية التوحيد لا بد من وضع نوايات التعاون الأممى مع الطبقة العاملة فى انحاء العالم ، ومع العمال العرب فى نفس الوقت .

.... على أساس هذا الموقف المعتمد على المحاور الخمسة التى اشرنا اليها بدأت حدتو خطوات التنفيذ العملى بأن تشكلت مجموعة من مندوبى النقابات بما فيهم زملاء حدتو .

واذكر ان النقابات فى الاجتماعات الأولى كانت ٢٥ خمسة وعشرون نقابة ، وتنامى هذا العدد وتطور الى ان وصل الى اكثر من ١٥٠ نقابة يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ موعد انعقاد المؤتمر التأسيسى الأول لاتحاد النقابات .

وكان رفاق حدتو فى اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات قليلى العدد ومع هذا كان يتنامى نفوذهم يوما بعد يوم ، وكان قيام احمد طه عضو حدتو آنذاك وأصغر أعضاء اللجنة التحضيرية سنا بمهام منصب السكرتير العام مللجنة التحضيرية من الدلائل على ذلك وقد سافر احمد طه كمندوب عن اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات الى بعض اجتماعات ومؤتمرات الاتحاد العالمى للنقابات ، كما سافر وفد من اللجنة التحضيرية لحضور احد مؤتمرات اتحاد نقابات عمال السودان (اذكر انه كان من ضمن هذا الوفد المرحوم محمد

فرغلى ، ومحمد نوح ، وأنور فلتس ، وسيد مصطفى) .

كما جاء وفد عمالى سودانى برئاسة (قاسم أمين) لحضور المؤتمر التأسيسى الأول لاتحاد نقابات عمال مصر الذى كان مفروضا انعقاده فى ٢٧ يناير ١٩٥٢ .

ويمكن أن يقال ان هذا الجهد المضنى فى المجال النقابى من حدتو وعناصرها هو الذى وضع الأساس لاستمرار العمل التوحيدى النقابى بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وغنى عن البيان أن هذا هو الجهد الذى وضع اللبنة الأولى فى بناء الاتحاد العام للنقابات فى عام ١٩٥٦ .

ماذا كان موقف الراية ، ود.ش من قضية الوحدة النقابية المصرية ؟

هناك اتفاق فى الجوهر الفكرى وفى النتائج العملية لموقف هذين التنظيمين من هذه القضية ، و هذا الموقف متناقض فى جوهره مع موقف حدتو الذى شرحنا بعض تفاصيله ، ولكن هناك ايضا اختلاف فى المواقف من ناحية الشكل .. كيف هذا ؟

الراية أراحت نفسها تماما من عملية النضال المضنى وقررت ان التسليم والمطلوب من وجهة نظرها هو بناء «اللجان النقابية السرية» و«الاتحاد العام السرى للعمال» ونظرا لأن هذا الموقف خاطىء وانتهازى وغير نضالى من أساسه فلم يحقق ذرة من النجاح .

وكان هذا الموقف تطورا منطقيا لفكرة «لجان السلام السرية» أى كانت هناك عبادة للسرية فى العمل الجماهيرى ، العبادة التى تفرض الانعزال والسلبية على معتنقها ، وكان هذا الموقف الانعزالى للراية ناتجا عن عزلتها عن الحركة الجماهيرية العمالية ، ومعروف انه لم تكن هناك للراية عناصر عمالية تلعب دورا صغيرا أو كبيرا فى الحركة النقابية المصرية .

أما د.ش فاتخذت معارضتها لموقف «حدتو» الشكل التالى : لم تطالب باللجان النقابية السرية «كما فعلت الراية» انما ابتدعت نظرية المراحل فى عملية النضال لتوحيد الحركة النقابية المصرية ، طالبت بأن تكون المرحلة الأولى تطهير النقابات من العناصر النقابية الصفراء ، تعقبها المرحلة الثانية ، مرحلة

تشكيل اتحادات مهنية عمالية مثل (اتحاد مهنى لعمال النسيح ــ اتحاد مهنى لعمال النقل) وتأتى فى النهاية المرحلة الثالثة مرحلة تشكيل «الاتحاد العام للنقابات» .

هذا التفكير المرحلى والميكانيكى فى نفس الوقت لم يكن مقدرا له ان ينجح ، كما لم تنجح اللجان السرية التى طالبت بها الراية ، الدليل على ذلك ان العناصر الصفراء ظلت مسيطرة على الحركة النقابية قبل ١٩٥٠ وبعدها وحتى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفكرة النقابات العامة المهنية (التى توازى الاتحادات العامة المهنية) لم تجد لها مجالا فى التطبيق الا بعد قيام ثورة يوليو بسنوات وضمن خطة واطار «الاتحاد العام للنقابات» .

هذا التفكير المرحلى الميكانيكى ، وهو خاطىء كما قلنا ، كان نابعا من السياسة الانعزالية عن الحركة الجماهيرية التى كانت سمة أساسية وتاريخية من سمات التيار الانتهازى ، ويعنى فى التطبيق العملى عدم التعاون العملى بين عناصر الشيوعيين فى المجال النقابى وغيرهم من العناصر الصفراء وغير الصفراء فى نفس المجال أى أنه معاد لفكرة «الوحدة النقابية الواسعة» ويحلم بفكرة مثالية هى ان تسيطر العناصر الحمراء على الحركة النقابية المصرية دون مجهود يذكر فى النضال العملى ضد العناصر الصفراء وغيرهم من زاوية النضال للوحدة النقابية .

ويمكن ان يقال بمنتهى الصدق والواقعية ان العلاقات التى خلقت وتطورت بين النقابيين الشيوعيين من أبناء حدتو وبين غيرهم من النقابيين (كفتحى كامل والعقيلى وعبدالعزيز مصطفى وغيرهم) وضعت لبناتها الأولى من خلال التعاون الذى نشأ فى اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات أى فى سنة ١٩٥٠ بينما لم تنجح العناصر النقابية الشيوعية المنتمية الى د.ش فى خلق مثل هذه الصلات .

ومن خلال اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات تمكنت الطبقة العاملة المصرية ان تبرىء ساحتها من جريمة حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وذلك من خلال البيان الذى أصدرته اللجنة التحضيرية كإدانة لحريق القاهرة وهو البيان الذى وزع فى نفس اليوم الذى اشتعلت فيه الحرائق .

الغاء معاهدة ٣٦ وبدء الكفاح المسلح فى القنال :

كان شعار الغاء معاهدة ٣٦ واتفاقيتى السودان ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ من أهم وأبرز الشعارات التى رفعتها حدتو «بعد فبراير ١٩٥٠» وقد كان الشعار الذى يجمع القوى الوطنية ويوحدها فعلا .

وقد نجحت الحركة الجماهيرية العامة فى اجبار حكومة الوفد على قطع المفاوضات والغاء معاهدة ١٩٣٦ ، واتفاقيتى السودان ٩٨ ، ١٨٩٩ وذلك فى اكتوبر ١٩٥١ .

وكانت التطورات الهامة التى طرأت بعد هذا النجاح والموقف منها من أهم الميادين التى أظهرت فيها الخلافات بين التيارين الثورى والانتهازى فى الحركة الشيوعية المصرية ، وكان هذا امرا طبيعيا .

ويهمنا ان نستعرض موقف «حدتو» المعبر عن التيار الثورى ، وكذلك موقف الراية ود.ش باعتبارهما أهم التنظيمات الممثلة للتيار الانتهازى فى تلك الفترة ، وعقد المقارنة الضرورية بين الموقفين فى عدد من المسائل .

١) الموقف من حكومة الوفد :

بعد اقدام حكومة الوفد على الغاء المعاهدة ، كانت المؤامرات تحاك ضدها من جانب الاستعمار والسراى وأحزاب الأقليات بهدف اقالتها أو اجبارها على الاستقالة تمهيدا لايقاف التطورات التى حدثت بعد الغاء المعاهدة .

كانت «حدتو» تحس بأبعاد هذه المؤامرات وتدرك مخاطرها على الوطن والحركة الشعبية المصرية (المسلحة منها وغير المسلحة) .

ومن هنا اتخذت الموقف الأساسى وهو مساندة حكومة الوفد (برلمان ووزارة) وتأييدها فى الخطوات الوطنية الجريئة التى اتخذتها والحيلولة ــ بتعبئة الحركة الجماهيرية ــ دون استقالتها أو اقالتها مدركة ان الاجراءات السلبية التى تتخذها الحكومة ككل أو وزير من وزرائها يمكن ان يعالج من خلال الضغط والتطور النامى للحركة الجماهيرية .

كان هذا موقف حدتو وعلى العكس من ذلك كان موقف الراية ود.ش الذى كان يتفق فى جوهره مع خلاف كما هو الشأن دائما من ناحية الشكل .

كانت د.ش تبالغ فى سلبيات حكومة الوفد ، دون ان تعطى مسألة المساندة الجماهيرية لحكومة الوفد شأنا يذكر .

اما الراية فكانت مواقفها السيئة واضحة ، ففى هذه الفترة بالذات كانت تتعاون تعاونا مطلقا مع الحزب الاشتراكى (مصر الفتاة) دون إن توجه كلمة نقد الى هذا الحزب الذى كان يشن حملة ضارية على حكومة الوفد مطالبا باستقالتها أو اقالتها سيرا على نفس مخطط الاستعمار والقوى الرجعية من السراى وأحزاب الاقليات مما يوحى أن هناك اتفاقا فى هذا الموقف السياسى بين الراية والحزب الاشتراكى آنذاك .

وقد اثبتت التجربة التاريخية ان الادراك السليم كان من جانب حدتو فحريق القاهرة (الذى اشعل فى ٢٦ يناير كان من ضمن اهدافه الرئيسية التطويح بحكومة الوفد ، وهو ما حدث بعد ذلك بغد ان تورطت هذه الحكومة وأعلنت الأحكام العرفية فى مساء ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

الموقف من الكفاح المسلح فى منطقة القنال :

بالغاء معاهدة ٣٦ فتح الطريق أمام عمليات الكفاح المسلح فى القنال ، وبدأ هذاالكفاح فعلا ، وكانت القيمة الحقيقية لالغاء المعاهدة هو بدأ الكفاح المسلح ولولا ذلك لأصبحت قرارات الغاء المعاهدة قليلة الفائدة .

كانت الأفكار الجوهرية التى ترشد مواقف حدتو هى ، ان توسيع الكفاح المسلح فى القنال هو احد الوسائل الرئيسية لاقامة جبهة وطنية ديمقراطية راسخة فى ارض مصر ، ولحماية حكومة الوفد واستمرارها فى الحكم أطول مدة ممكنة ضد مؤامرات السراى والاستعمار واحزاب الأقليات ، ولتوسيع نطاق الجبهات الديمقراطية فى البلاد ، اذ ليس هناك مستوى ارفع من مستويات الممارسة الديمقراطية عن حمل الشعب للسلاح دفاعا عن ارض وطنه فى ظل حماية مشروعة ــ مهما كانت قدرها من حكومة ذلك البلد ــ .

من هذه المنطلقات الفكرية آزرت حدتو معركة الكفاح وساهمت فيها بأبنائها ، كما سيتضح فيما بعد .

واتخذت مشاركة حدتو فيالكفاح المسلح الصور التالية :

١) تكليف الرفاق الاعضاء فى مناطق بحرى ، وبالذات منطقة الشرقية فى الانخراط فى معسكرات الفدائيين التى كانت قائمة فى محافظة الشرقية ومحافظات القنال مع العمل على الاحتفاظ بمعسكر خاص بهم أو تحت اشرافهم ، وهذا ما تم تنفيذه فعلا ، واذكر من ضمن الرفاق الذين ساهموا فى عمليات الفدائيين وأشرفوا عليها آنذاك (ضياء الدين بدر — فوزى فام — سيف الدين محمد صادق — زميل اسمه محسن) .

٢) حشد قسم الجيش فى حدتو الذى كان مكونا من بعض الضباط أمثال (احمد حمروش) وكذلك بعض الضباط الاحرار فى عمليات نقل الأسلحة من مخازن الجيش المصرى الى معسكرات الفدائيين فى القنال .

٣) القيام بعمليات التدريب من خلال هؤلاء الضباط للفدائيين بما يرتبط بذلك من المشاركة العملية فى التديب بالمساهمة مع الفدائيين فى عمليات الاقتحام الفدائية ، واذكر اننى ذهبت مع احمد حمروش الى منطقة الشرقية للالتقاء بالرفاق هناك وقابلنا ضياء بدر وفوزى فام وآخرين ، وذهب «حمروش» مع ضابط شيوعى فى الجيش آنذاك كان اسمه الحركى (صقر) مرة ثانية لنفس المحافظة لتنظيم عمليات نقل الأسلحة والتدريب النظرى والعملى .

ورغم سلامة الفكرة التى آمنت بها فى قضية الكفاح المسلح ، والمشاركة فيه بالصور والأشكال التى سردناها فى السطور السابقة ، فان الأمانة التاريخية تقتضى الاعتراف بأن حجم المساهمة المركزية ومن خلال عناصر اللجنة المركزية فى الادارة اليومية للعمليات الفدائية والمساهمة فيها ، وكذلك المعايشة مع الفدائيين فى منطقة القنال لم تكن كافية ، كان المفروض ان تنتدب اللجنة المركزية عددا من عناصرها للحياة الدائمة مع المقاتلين فى منطقة القنال وهذا ما لم يحدث ، وقد يكون السبب فى ذلك هو قصر المدة التى تمت فيها عمليات الكفاح المسلح (حوالى ٣ شهور ونصف) . وقد يكون الادراك الفطرى لهذا النقص آنذاك هو السبب فى مساهمة الحزب الشيوعى المصرى الموحد بعدد كبير من رفاقه المركزيين فى عمليات الكفاح المسلح ببورسعيد والقنال أثناء عدوان سنة ١٩٥٦ .

وولكن ماذا كان موقف الراية ود.ش من الكفاح المسلح فى القنال ؟

من الناحية العملية لم تشترك «الراية» ولا «د.ش» فى الكفاح المسلح بالقنال بأى عنصر من عناصرها ، هذا الموقف السلبى والخاطىء لم يكن ناتجا فقط عن عدم تواجدهما عفويا فى محافظة الشرقية أو منطقة القنال ، انما كان ناتجا فى الأساس عن موقف وفهم خاطئين لعمليات الكفاح المسلح ضد الانجليز فى تلك الفترة .

وكانت الحجة التى تتردد من جانب هذين التنظيمين وخاصة د.ش تتلخص فى :

ان الكفاح الأساسى للشيوعيين يجب ان يتركز فى المدن وبشكل خاص فى العاصمة (القاهرة) ، وبالتالى ليس دور الشيوعيين الحياة وسط الفدائيين .

وذلك بهدف توسيع الديمقراطية والحريات السياسية باعتبار ان المسألة التى يمكن ويجب التركيز عليها هو الكفاح من اجل الديمقراطية والحريات وليس الكفاح المسلح ، ناسين أو متجاهلين ان الكفاح المسلح — فى حد ذاته — مظهر من مظاهر الديمقراطية الى جانب أنه طريق لتوسيع الديمقراطية أيضا .

ويقال ان احد العناصر البارزة جماهيريا من د.ش فى الجامعة صرح فى خطاب جماهيرى قائلا انه لا يصح ان نساق معصوبى العينين الى القنال ، وكان هذا التصريح تجسيدا عمليا لفكرة الادانة النظرية والعملية للكفاح المسلح والتركيز على ان الجانب الأساسى ، هو الكفاح من أجل الديمقراطية .

وبهذا الموقف العملى للراية ود.ش انعزل هذان التنظيمان عن الموقف العام الذى كان يهتم به الشعب المصرى وهو الكفاح المسلح ، واتخذ الموقف العملى لحزبى السعديين والدستوريين آنذاك .

ومما يجسد عظمة الكفاح المسلح وخطورته هو ان «حريق القاهرة» كان من أسبابه ودوافعه وقف الكفاح المسلح فى منطقة الشرقية يؤكد ذلك ان القبض على الفدائيين تم يوم حريق القاهرة وخلال عمليات الحرق وقبل اعلان الأحكام لعرفية فى مساء ذلك اليوم . وبعد ان مضى أزيد من ربع قرن على اشتعال الكفاح المسلح فى القنال لا يمكن ان يقر أحد موقف الراية ود.ش

من ذلك الكفاح أو يدين موقف حدتو منه ، فقد أثبت التاريخ أن موقف حدتو كان هو الأسلم بينما موقف الراية ود.ش قد أدانه التاريخ ، كما أدان مواقف كثيرة لهم مما تعرضنا لها سابقا .

٣) بناء الجبهة الوطنية الديمقراطية :

كانت الحركة الديمقراطية للتحررالوطنى مهتمة ببناء الجبهة الوطنية الديمقراطية منذ ان تمت الافراجات فى فبراير ١٩٥٠ ، وكانت دعوتنا للجبهة موجهة للقوى السياسية المتواجدة فى الساحة المصرية آنذاك من (الوفديين — الاخوان — الاشتراكيين — الحزب الوطنى) وكانت القوتان السياسيتان المبعدتان عن دعوة الجبهة هما (السعديون — الدستوريون) .

وقد تحققت ممارسات عديدة فى هذا الاتجاه يمكن سؤال القائمين عنها آنذاك (زكى مراد — أحمد الرفاعى — عبدالمنعم الغزالى .. الخ) .

ولكن ما يهمنا فى هذا الصدد ، هو تبيان جهود حدتو فى مجال بناء الجبهة الوطنية الديمقراطية بعد الغاء المعاهدة واستئناف الكفاح المسلح ضد القوات الانجليزية .

أولا : اهتمت حدتو من خلال اجهزتها الأعلامية وخاصة مجلة (الملايين) بالدعوة الى بناء الجبهة الوطنية الديمقراطية التى تضم مختلف القوى السياسية التى أشرنا اليها فى السطور السابقة .

ثانيا : رغم اصرار حدتو على دعوة الجبهة فأنها لم تتشكل طبقا للتصور المطروح آنذاك ، اذ كانت (مصر الفتاة — الحزب الوطنى — وجماعة الاخوان) كقوى سياسية منشغلة بالكفاح ضد الوفد وليس بالتعاون معه ، وبالتالى كانت مخالب قطط لقوى الاستعمار والرجعية وأحزاب الاقليات الخائنة من (سعديين ودستوريين) .

كما ان قيادة الوفد ، لم تكن مهتمة ببناء هذه الجهة رغم ان المخاطرة كانت شديدة على الوضع العام كله وعلى حزب الوفد نفسه .

ثالثا : الرفض لفكرة الجبهة الوطنية الديمقراطية من جانب كل القوى السياسية التى اشرنا اليها سابقا ، دفع قيادة حدتو الى الاهتمام ببناء نوايات الجبهة الوطنية

في الاحياء والمدارس والمصالح والمصانع أى وسط جماهير الشعب ، وليس من خلال مندوبى الأحزاب السياسية ، وفعلا تشكلت تحت قيادة حدتو (اللجان الوطنية المصرية) فى عدد كبير من المجالات ، وكانت هذه اللجان تصدر بيانات سياسية باسمها فى حدود البرنامج الوطنى والديمقراطى العام المقر لتلك الفترة ... وقد طرح تشكيل اللجان الوطنية المصرية آنذاك تساؤل محدد يحسن تقديم اجابة مختصرة عنه وهو هل هناك شكل محدد لاقامة «الجبهة الوطنية الديمقراطية» كانت الاجابة فى تصور حدتو انه ليس هناك شكل محدد ، فليس شرطا ان تكون الجبهة الوطنية الديمقراطية «مشكلة من مندوبى الاحزاب ، بمعنى ان يستنتج البعض انه لو لم توجد احزاب معينة أو رفضت ــ فى حالة وجودها ــ الانتظام فى شكل «الجبهة الوطنية الديمقراطية» لا توجد جبهة ولا تحالف حتى ولو كان هناك شكل سياسى «كاللجنة الوطنية المصرية» فهذا الشكل فى نظر حدتو يعتبر شكلا من اشكال الجبهة الوطنية المفروض تطويرها وتدعيمها من خلال الممارسة .

وكانت حدتو تستخلص موقفها من تجارب التاريخ المصرى ، فمنذ وجود الشيوعيين المصريين فى المرحلة الوسطى منذ الحرب العالمية الثانية كانت الجبهات او التحالفات الوطنية التى اتخذت شكل تحالف الاحزاب منحصرة فى فترات قصيرة من تاريخ مصر ، بينما التحالفات السياسية التى اتخذت شكل تجمعات غير حزبية ويقودها الشيوعيون استغرقت فترات أطول ، وكانت أكثر نجاحا فى أداء المهمة الموكولة اليها وأبرز مثل على ذلك (اللجنة الوطنية للطلبة والعمال) .

وظلت اللجان الوطنية المصرية التى تشكلت بعد الغاء المعاهدة تمارس دورها علنا وتتنامى وتتطور الى ان اشتعلت القاهرة بالحريق فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وقد تعرضت لأزمة الضمور بعد الحريق قبل ان تنجح حدتو فى عمل تشكيل قيادى علنى لهذه اللجان فى حدود القطر ، وبشكل خاص فى القاهرة ، ونظرا لافتقاد هذا الجهاز القيادى العلنى الشامل ، كانت كل لجنة وطنية تمارس دورها تحت اشراف الخلية أو الهيئة الحزبية التى تمتد اختصاصاتها الى المساحة الجغرافية التى تشغلها اللجنة الوطنية (مثلا اللجنة الوطنية المصرية بحى بولاق كانت تحت اشراف الجهاز الحزبى الموجود ببولاق)

بناء منظمات جماهيرية علنية للفئات الشعبية :

لم تكن حدتو مهتمة ببناء اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات فى مصر فحسب ، ولم يقتصر دورها على بناء المنظمات السياسية العلنية (كحركة السلام ــ واللجان الوطنية المصرية) ، بل كانت مهتمة أيضا فى حدود فهمها الاستراتيجى لقضية بناء «الجبهة الوطنية الديمقراطية» التى تضم ضمن ما تضم ممثلى الطبقات الشعبية أيضا ، كانت مهتمة فى حدود هذا الفهم ببناء منظمات جماهيرية مستقلة للطلبة والشباب والنساء أيضا .

واذكر من الرفاق الذين كانوا يساهمون فى هذا المجال (عبدالمنعم الغزالى ــ حكمت الغزالى) .

تنظيم الضباط الاحرار :

ومن خلال «قسم الجيش» فى حدتو ، الذى كان مشكلا فى الأساس من ضباط ، كانت حدتو تتعاون مع الضباط الاحرار ، وتعتبره تنظيما جبهويا فى الجيش ، وقد كان هذا التنظيم كما أثبتت الأحداث التاريخية مشكلا من ضباط ينتمون الى أفكار وأيديولوجيات بل وتنظيمات سياسية مختلفة ، وقد اتخذ هذا التعاون شكلا متطورا بعد أحداث حريق القاهرة ، فقد كانت منشورات وبيانات الضباط الاحرار تطبع فى الجهاز الفنى الخاص لحدتو ، وقد كان احمد فؤاد عضو ل.م حدتو ومسئول قسم الجيش آنذاك (رئيس مجلس ادارة بنك مصر الآن) أحد الصلات الهامة بتنظيم الضباط الأحرار وبجمال عبدالناصر شخصيا .

وتطور هذاالتعاون الى هذا المستوى الذى اشرنا اليه كان ارتقاء بمستوى التعاون الذى تم بين «حدتو» والضباط الأحرار أثناء معركة الكفاح المسلح فى القنال .

هذه الصلات هى التى ساعدت على مناقشة موضوع قيام الضباط الأحرار بانقلاب فى فبراير أو مارس ١٩٥٢ فحسبما سمعت من اكثر من شخص آنذاك ، ان تنظيم الضباط الأحرار كان يفكر فى القيام بانقلاب عسكرى فى هذا التاريخ ، ولكن قيادة حدتو ناقشت الموضوع من جميع جوانبه وأوصت بعدم القيام بهذا الانقلاب واقتنع الضباط الاحرار بوجهة نظر حدتو .

ومن المفهوم ان هذه الصلات القوية بالضباط الاحرار وخاصة فى الفترة التى ضربت فيها القوى الوطنية السياسية ضربة قاصمة بعد حريق القاهرة ، ساعدت على ان تتخذ حدتو الموقف الثورى السليم اثناء قيام ثورة ٢٣ يوليو ، فقد اصدرت حدتو بيانا بتأييد الثورة وطالبت الشعب بمساندتها .

موقف الراية ود.ش من العمل فى الجيش :

الراية ود.ش كانتا تفكران بشكل عام بطريقة انعزالية وغير جماهيرية ، وبالتالى لم تكونا مهتمتين باتخاذ خط سياسى سليم نابع من الاحساس بنبض الحركة الجماهيرية وخادم لها فى نفس الوقت ، وهذا هو السر فى انهما كانتا عازفتين او متقاعستين فى بناء منظمات جماهيرية مستقلة .

وفى حدود هذا الفهم والسلوك الخاطئين لهذا التيار الانتهازى لم يكن غريبا الا تهتم د.ش والراية بالعمل فى الجيش فى الفترة التى نعالجها ٥٠ ــ ١٩٥٢ أو فى الفترات السابقة بالنسبة لـ د.ش .

وترتب على هذا الانعزال عن قوة هامة هى الجيش ان انعزلت الراية ود.ش عن تجربة بناء تنظيم الضباط الأحرار مما أدى الى تبنيها للخط السياسى الانتهازى اثناء قيام الثورة ، فمن المعروف ان المنظمتين هاجمتا وأدانتا ثورة ٢٣ يوليو ، أدانت الراية الثورة باعتبارها انقلابا فاشيا أمريكيا ، بينما د.ش اعتبرتها ديكتاتورية عسكرية أمريكية ، كل الفرق أنها لم تصمها بالفاشية كما فعلت الراية .

وليست هذه السطور تحليلا تفصيليا لموقف التيارات والمنظمات الشيوعية من ثورة ٢٣ يوليو ، فلهذا الموضوع مكان آخر ، انما مجرد ربط منطقى بين العمل فى الجيش بشكل تنظيمى أو جبهوى وعلاقة ذلك بتأييد الحدث الهام الذى تم فى ٢٣ يوليو ، وكذلك هو ربط منطقى بين عدم العمل فى الجيش طوال الفترة السابقة والهجوم على ثورة ٢٣ يوليو اثناء قيامها من جانب الراية ود.ش .

الارتباط بالأممية :

استعرضنا فيما سبق كفاح وتاريخ حدتو فى المجال السياسى والجماهيرى ، الاهتمام بالصحافة العلنية واقامة منظمة جماهيرية للسلام ، النضال لتوحيد الحركة النقابية ، المساندة الجماهيرية لحكومة الوفد بعد الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ،

المشاركةُ فى الكفاح المسلح ضد القوات الانجليزية فى ١٩٥١ ، ثم بناء نوايات للجبهة الوطنية الديمقراطية (اللجان الوطنية المصرية) ، التحضير لبناء منظمات جماهيرية مستقلة لفئات الشعب من الطلبة والشباب والنساء .. الخ .

رغم هذا الاهتمام المتعدد النواحى والمجالات فى المجال الداخلى ، كانت حدتو مهتمة الى حد ما . بتقوية صلات الحركة الجماهيرية المصرية بالنضال الأممى ، وبالمنظمات العالمية .

عندما قامت حركة السلام المصرية توثقت صلاتها بمجلس السلام العالمى التى كانت تواظب من خلال مندوبيها على حضوز اجتماعات مجلس السلام العالمى ومؤتمراته العالمية ، بل وكان هناك أكثر من عضو مصرى وبعضهم اعضاء حدتو كانوا اعضاء فى مجلس السلام العالمى أذكر منهم (يوسف حلمى ــ محمد على عامر) وكانت حركة السلام المصرية توثق صلاتها بحركات السلام فى المنطقة العربية والشرق الأوسط .

وكانت التحضيرات تسير لعقد مؤتمر شعوب الشرق الأوسط بالقاهرة فى فبراير ١٩٥٢ ــ كما كانت حركة السلام المصرية تتولى الدفاع عن شقيقاتها فى المنطقة العربية ممن يتعرضون للاضطهاد أذكر فى هذا المجال الوفد المصرى من المحامين المصريين الذى تشكل للدفاع عن حركة السلام السودانية .

وفى مجال الحركة النقابية ، حرصت اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات المصرية بتوجيه من تنظيم حدتو على تنظيم صلاتها بالاتحاد العالمى للنقابات ، واذكر فى هذا المجال ان احمد طه حضر اكثر من اجتماع ومؤتمر نظمه الاتحاد العالمى للنقابات .

وفى مجال الشباب والطلبة ، اذكر ان عبدالمنعم الغزالى حضر اكثر من اجتماع دولى نظمه اتحاد الطلبة العالمى ، كما ساهم وفد مصرى فى حضور مؤتمر الشباب العالمى فى برلين سنة ١٩٥١ اذكر منهم (ابراهيم عبدالحليم ــ حسن عبدالرحمن) وكان من المفروض أن اساهم فى هذا المؤتمر وبعد ان اتخذت كافة الاجراءات لم أسافر فقد كان من المطلوب دفع خمسون جنيها لاستخراج جواز السفر .

ولم يكن هذا هو العائق الحقيقى بل كان العائق الحقيقى فعلا هو عدم اقتناع قيادة حدتو آنذاك بضرورة الاهتمام بشكل كاف ومكثف بمجالات العمل الخارجية ، فعند تشكيل الوفود المصرية للسفر للخارج لم تكن تهتم بارسال عناصر قوية بحجة انها مطلوبة للعمل فى الداخل ، بل كنا نرسل عناصر متوسطة أو ضعيفة ، الى جانب هذا ايضا لم نهتم بتعيين مندوبين مصريين ثابتين فى المنظمات الدولية الديمقراطية مع ان هذا كان ممكنا .

كان الاهتمام بالعمل داخل مصر ، يشغل كل تفكير حدتو واعتقد أننا أدركنا هذا الخطأ ولكن فى وقت متأخر كان يصعب معه اصلاح الخطأ وفى هذا المجال لم تحقق التيارات الانتهازية أى نجاح .

حريق القاهرة :

حرقت القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وكان هناك ادراك لدى حدتو بأن مؤامرة ما تدبر فى الخفاء ضد الحركة الوطنية والجماهيرية التى استعرضنا فى الصفحات السابقة تفاصيلها ، مؤامرة تستهدف وقف الكفاح المسلح والاطاحة بحكومة الوفد .

كان هناك هذا الادراك ولم نكن نتصور ان هذه المؤامرة ستتخذ شكل الحريق الواسع لمدينة القاهرة ، المؤامرة التى اشتركت فيها قوى الاستعمار والسراى بالتعاون مع اجهزة الأمن المصرية والانجليزية .

ومن الغريب ان مدبرى المؤامرة حاولوا الصاقها بالقوى الوطنية الاخرى من شيوعيين وغيرهم . وليس الغرض استعراض تفاصيل هذا اليوم ، ففى هذا الجانب هناك مؤلفات ودراسات ، لكن الغرض هو تسجيل بعض الخواطر .

* الفدائيون من المواطنين العاديين واعضاء حدتو اعتقلوا فى نفس يوم ٢٦ يناير قبل اعلان الاحكام العرفية وقبل وخلال اشتعال الحريق فى القاهرة ، مع ان هذا الاعتقال فى محافظات بعيدة عن القاهرة وهذا يؤكد ان العملية كلها كانت مدبرة لوقف حركة الكفاح المسلح ضد الانجليز .

* حاول رفاقنا خلال المظاهرات الحيلولة دون الحرق نجحوا فى بعضها وفشلوا فى أغلبها لأن نطاق المؤامرة كان واسعا جدا بالمقارنة بالامكانيات الذاتية لحدتو .

* لم تنجح حدتو كتنظيم فى اصدار بيان ضد الحريق ى
لبطء وتعقيد الاجراءات الخاصة بالعمل السرى ، لكن الرفاق من الاعض
فى الجهاز النقابى العلنى (اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات) اصدروا فى نفس اليوم وفى نفس لحظة الحريق بيانا ضده ، وهذا يبين ان الاجهزة العلنية قد تكون اسرع فى تسجيل المواقف السياسية بالمقارنة بالتنظيمات السرية ، لكن هذا التسجيل يتخذ دوره الايجابى ، اذا كان بالأجهزة العلنية عناصر شيوعية ملتزمة وهذا ما حدث فأحمد طه ومحمد على عامر وسيد ترك هم الذين لعبوا الدور الرئيسى فى اصدار بيان اللجنة التحضيرية ضد حرق القاهرة .

* حينما اعلنت الأحكام العرفية مساء يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ امتدت حملة الاعتقالات لتشمل الشيوعيين من حدتو ، والراية ود.ش ، وكانت نسبة حدتو فى المعتقلين أكبر ولكن الى جانب الشيوعيين كان هناك عناصر من الحزب الوطنى والوفديين والحزب الأشتراكى وانصار السلام والفدائيين ، وتمت حوارات ومناقشات عديدة بين هذه القوى فى معتقل الهايكستب .

* بعد اعلان الاحكام العرفية ، التقى الرفاق الطلقاء من حدتو ، وحددوا الموقف السياسى الواجب اتخاذه بعد الحريق ، وكان كاتب هذه السطور — هو المكلف بصياغة هذا التقرير وفعلا بعد صياغته ضبط معه فى مساء يوم من أيام فبراير ١٩٥٢ فى الشارع صدفة ، واحيل للنيابة العسكرية .

كان جوهر هذا التقرير هو ان الاستعمار والملك فاروق والبوليس السياسى هم الذين يتحملون المسئولية الأساسية فى حرق القاهرة ، وان الهدف من وراء الحرق هو وقف الكفاح المسلح ، و التطويح بحكومة الوفد ، واعتقال العناصر التقدمية والوطنية .

وان الواجب الأساسى هو اعادة البرلمان الوفدى والحكومة الوفدية للحكم وكذلك استئناف الكفاح المسلح مرة اخرى .

* كان التحليل الشيوعى العالمى يتمشى مع هذا ، ففى مقال نشر فى احدى الصحف الانجليزية الشيوعية للرفيق بالم دات حدد بدقة الأغراض الكامنة وراء حرق القاهرة بأنها وقف كل الانجازات والنجاحات الجماهيرية والسياسية التى تحققت خلال الفترة من فبراير ١٩٥١ الى ٢٥ يناير ١٩٥٢ ، فى الغاء المعاهدة

وبدء الكفاح المسلح ، وتنظيم وبناء لحركة السلام المصرية وجهود فى توحيد الحركة النقابية والفئات الأخرى الخ .

لكن ماذا كان موقف الراية ود.ش من مسألة حرق القاهرة ؟

طبعا كان متوقعا — إدانة التنظيمات المشار اليهما حريق القاهرة باعتبارها مؤامرة .

ولم تكن اذانة الحريق كعمل اجرامى محل خلاف بين «حدتو» من ناحية ، والراية ود.ش من ناحية اخرى ، بل كان الخلاف منحصرا فى تحديد الفاعلين والمسئولين الرئيسيين عن حريق القاهرة ، اى جانب تحديد الواجبات المطلوبة فى المرحلة القادمة .

كانت حدتو تعتبر — كما قلنا — الاستعمار والملك والبوليس السياسى هم المسئولين والأدوات الرئيسية فى حريق القاهرة ، وهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى ذلك .

بينما كانت د.ش تحمل المسئولية الرئيسية للحزب الاشتراكى وأحمد حسين باعتباره الفاعل الأصلى فى الحريق ، وهى مع الراية كانتا تحملات المسئولية لحزب الوفد وفؤاد سراج الدين على وجه الخصوص .

ومن هذا المنطلق لم تكن الراية أو د.ش توافق على إعادة البرلمان الوفدى ولا الحكومة الوفدية لممارسة سلطاتها التنفيذية والتشريعية ، بل وأذكر ان ممثلى د.ش والراية وقفوا فى مناظرة عامة بين هذين التنظيمين وحدتو فى المعتقل وقالوا انه فى حالة اجراء انتخابات عامة سيؤيدون من يقف مع برنامجه حتى ولو لم يكن وفديا — وليس بالضرورة تأييد مرشح الوفد — بينما كانت حدتو تنادى بأن المطلوب هو تأييد مرشح الوفد فى الانتخابات .

كان موقف حدتو منطقيا ومتمشيا مع موقفها من حزب الوفد قبل الحريق كما كان موقف الراية ود.ش منطقيا أيضا مع موقفيهما من الوفد قبل الحريق أيضا .

ماذا كان فى الهايكستب سنة ١٩٥٢

كاتب هذه السطور لم يمكث المدة كلها (ستة اشهر تقريبا) فى الهايكستب .

بل قضى جزء من هذه الفترة فى سجن مصر ، مع المحكوم عليهم فى قضايا الشيوعية .

لكن يمكن أن اسجل هنا ماعايشته فى معتقل الهايكستب سنة ١٩٥٢

القوى السياسية التى كانت متواجدة فى معتقل الهايكستب سنة ١٩٥١ كانت :

* الشيوعيين من حدتو وغيرهم (كانت لحدتو الغالبية)
* الحزب الاشتراكى (كان من ضمنهم خلمى الغندور وعادل حسين واخرين)
* الحزب الوطنى (فتحى رضوان)
* أنصار السلام (يوسف حلمى وسعد كامل)
* الوفديون (بعض العناصر المرتبطة بفؤاد سراج الدين)
* الفدائيون .

وكان هناك جزء كبير من قادة حدتو فى المعتقل اذكر منهم (زكى مراد – فؤاد حبشى – محمد شطا – يوسف مصطفى – الجنيد على عمر – كمال شعبان .

وكانت الجهود العامة لتنظيم حدتو داخل المعتقل مركزة فى :

١) اجراء حوار وتدعيم العلاقات السياسية مع ممثلى المجموعات السياسية الاخرى (وفديين واشتراكيين وحزب وطنى) واذكر فى هذه المناسبة ان حدتو اقترحت الامتناع عن استلام وجبات الطعام يوما واحدا تضامنا مع احمد حسين الذى كان يحقق معه لتقديمه للمحاكمة انذاك .

٢) القيام بعمليات تثقيف لأعضاء حدتو من المعتقلين .

٣) مد الرفاق الذين يقيمون فى الخارج بكافة المساعدات المادية وغير المادية .

الجانب الأعلامى فى نشاط حدتو :

كان لحدتو مجلات علنية ، ومجلات سرية فى نفس الوقت ، وذلك فى الفترة من ١٩٥٠ ــ ١٩٥٢ كما كان الشأن بالنسبة لها فى الفترات السابقة عن هذه الفترة .

فيما يتعلق بالمجلات العلنية :

فى بداية خروج الرفاق من المعتقل سنة ٥٠ أصدرت حدتو مجلة البشير '' بالتعاون مع فتحى الرملى '' وأذكر أنها توقفت ، وصدرت بعدها مجلة أخرى

تحمل اسم « المستقبل » ، وصدر منها عددان أو ثلاثة تقريباً . ثم أشرفت بعد ذلك حدتو سياسياً ومالياً وتحريرياً على اصدار مجلة « الملايين » .

وقصة « الملايين » قبل الاشراف الشامل لحدتو عليها كانت تتلخص فى :

أن الأستاذ أحمد صادق عزام المحامى كان صاحبها والمشرف عليها سياسياً بحكم قدرته المالية على متابعة اصدارها ، ولكن هذه القدرة توقفت فى لحظة معينة اذ كان التمويل المالى لمجلة تقدمية فوق قدرة أى شخص مهما كان ، واذا نهضت هذه القدرة فلابد أن تتوقف فى الطريق ، وتوقفت فعلاً .

وهنا ظهر ممولون جدد ، يستهدفون من خلال قدرتهم المالية شيئين الأولى : الاعلان عن أسمائهم ككتاب الثانية : التحكم السياسى فيما يكتب فى مثل هذه المجلة ، كان هذا الممول هو الأستاذ أحمد شوقى الخطيب المحامى ، وكان عضواً بحدتو قبل الانقسام فى ١٩٤٨ ، ثم أصبح عضواً بالعمالية الثورية بعد الانقسام وترك الكفاح الشيوعى المنظم بعد غلق المعتقلات فى سنة ١٩٥٠ وكانت لقدرة أحمد شوقى الخطيب المالية حدود ، وبالتالى كان لامكانية الاشراف السياسى حدود أيضاً .

ومما أذكره أن المجلة تحت اشراف أحمد شوقى الخطيب المالى والسياسى كانت مفتوحة لاتجاهات متضاربة .

حينما واجهت مجلة « الملايين » محنة الغلق والاحتجاب تقدمت حدتو الى أحمد صادق عزام بعرض مؤداه ، أن تتكفل حدتو بالتمويل المالى للمجلة ، والاشراف السياسى ، وكذلك مسئولية توزيعهما .

من الناحية المالية كان العدد الواحد يكلف حدتو ما يقرب من ١٠٠ مائة جنيه اسبوعيا ، أى ٤٠٠ جنيه (اربعمائة جنيه شهريا) ، ومن ناحية التوزيع كانت حدتو تتولى توزيعها من خلال الرفاق والأجهزة الحزبية ولم تكن تتعامل مع شركات توزيع الصحف ، ولم يكن أمر التوزيع عسيرا اذ كان مجمل ما يطبع منها اسبوعيا حوالى ٥٠٠٠ خمسة آلاف نسخة كانت المشكلة فى التوزيع مشكلة مالية بالدرجة الأولى ، فالرفاق وكذلك الأجهزة الحزبية لم تكن توافى ادارة المجلة بقيمة النسخ المباعة ، بل كانت تطلب المزيد منها دائما ، ليس هذا فحسب فى مصر ، بل وفى السودان للتوزيع بمعرفة (الحركة السودانية للتحرر الوطنى حستو)

كانت لا ترد قيمتها ، ومن هنا كانت المجلة تحمل عبأ ماليا لميزانية حدتو شهريا حوالى ٤٠٠ (اربعمائة جنيه) .

ورغم كل الأعباء المالية والتحرير الملقاة على حدتو حاولت بعض العناصر الماركسية ومنها عناصر ذات نزعة تروتسكية آنذاك (كامل زهيرى ـــ عادل أمين) أن تتسلل بمقالات الى المجلة ، منتهزة النوايا الطيبة لأحمد صادق عزام ، محاولة خلق تناقض بينه وبين عناصر حدتو ، لكن حدتو وقفت بحزم ضد اتجاهات التسلل هذه .

كان القائم برئاسة تحرير المجلة هو (ابراهيم عبدالحليم) كان يتصرف فى كل مواد المجلة ماعدا المقالة الرئيسية التى تعبر عن وجهة نظر (المكتب السياسى أو السكرتارية المركزية) .

أقول ذلك لأننى كنت المكلف بصياغة هذه الكلمة لمدة شهرين تقريبا فى سنة ١٩٥١ وخاصة بعد الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ، كانت المقالات التى اكتبها تعبر فعلا عن وجهة نظر الأجهزة المركزية وخاصة السكرتارية المركزية لأن خطوطها العامة كانت توضع بمعرفتها ، ومع هذا فان هذه المقالات تتميز بعيبين رئيسيين :

أولاهما : الحدة الشديدة فى تناول الموضوع .

ثانيهما : افتقاد الأسلوب الصحفى فى صياغة المقال .

ونتيجة ذلك أذكر أن مجلة «الملايين» صودرت اكثر من مرة ، مما دفع الزملاء فى قيادة حدتو أن يقرروا بأن تبلغ نقاط المقالة الرئيسية التى تعد بواسطة السكرتارية المركزية الى (ابراهيم عبدالحليم) ليعيد صياغتها فى اسلوب صحفى يبعد «المجلة» عن مخاطر المصادرة .

وكانت حدتو تتعامل فى موضوع توزيع «المجلة» بأسلوب ثورى ، جانبه الأول ـــ كما قلنا ـــ التوزيع عن طريق الرفاق والأجهزة الحزبية ـــ أما جانبه الثانى، فكان وضع اليد على «المجلة» قبل البوليس ، بحيث يترك له عدد محدود يتم مصادرته أما الجزء الأكبر من العدد المصادر فكان يوزع من خلال الزملاء .

وخبرة عدم تمكين البوليس من المصادرة الفعلية للعدد اكتسبها رفاق حدتو من خلال تعاملهم التوزيعى مع مجلة «الجماهير» التى كانت تصدرها حدتو ، اذ

كان العدد يستولى عليه قبل تمكن البوليس من مصادرته .. وكان العمل بهذا الاسلوب الثوري يوسع من ناحية نطاق نفوذنا السياسى ، ومن ناحية كان يقلل من الخسائر المالية الناجمة عن المصادرة الكاملة للعدد .

وظلت مجلة «الملايين» تواصل الصدور تحت الاشراف السياسى والتحريرى والمالى لحدتو حتى حريق القاهرة .

بالنسبة للصحافة السرية :

لم تكتف حدتو باصدار مجلاتها العلنية فى تلك الفترة ، بل كانت تصدر مجلات سرية ، كانت مجلة «الكفاح» هى مجلة حدتو السرية الموجهة للجماهير ، اما مجلة «الكادر» فكانت مجلة موجهة للأعضاء فقط .. ومن الملاحظ ان مجلة «الكفاح» لم تكن منتظمة فى الصدور بسبب الانتظام فى صدور الصحافة العلنية (البشير — المستقبل — الملايين) التى كانت تغطى جزءا كبيرا ما يمكن نشره فى الصحافة السرية .

وكان الرفاق فى قواعد حدتو يطالبون بالانتظام فى صدور الصحافة السرية مع الاستفادة بامكانيات الصحافة العلنية ، وكان هذا الأمر محل انتقاد من المنظمات الاخرى .

وفى تقديرى ان انتظام صدور الصحافة السرية لم يكن أمرا صعبا ، اذا توافر التنسيق بين الهيئة المشرفة على تحرير الصحافة العلنية وتلك المشرفة على اصدار الصحافة السرية ، ففى كل مرحلة توجد المواد والاخبار التى لا يمكن نشرها فى الصحافة العلنية بحكم خضوعها لقوانين الرقابة الصحفية .

حدتو وجهود الدعاية والتثقيف الحزبى :

حسبما اذكر فالمجهودات الدعائية والتثقيفية لم تكن كبيرة .

ففى جانب المحاضرات ، اذكر ان حدتو ترجمت تقريرا مطولا عن التيتوية تهاجمها وتكشف الجوانب التحريفية فيها ، وكان هذا متمشيا مع الخط العام للحركة الشيوعية الدولية آنذاك .

كما أعدت «حدتو» مجموعة من المحاضرات الدعائية الصغيرة ، كان قد لعب

دورا فى اعدادها المرحوم احمد أبو العلا زوج السيدة أنجى أفلاطون ، وكان عضوا بمكتب الدعاية آنذاك .

كما طبعت حدتو بعض كتيبات «ماوتسى تونج» و«ليو شاوشى» أذكر منها «الديمقراطية الجديدة» و«كيف تكون شيوعيا طيبا» وفى هذه الفترة بالذات وبحكم الانشغال بقضايا مراحل الثورة منذ معتقلات ١٩٤٨ كانت الأدبيات الصينية السياسية تجد رواجا بين الشيوعيين المصريين وخاصة فى صفوف حدتو .

وفى الغالب لم تعقد مدارس كادر فى تلك الفترة ، باستثناء بعض المدارس التى عقدت فى معتقل الهايكستب يناير — يوليو ١٩٥٢ .

وعموما كان الاهتمام بالعمل التثقيفى والدعائى ضعيفا وهذا أمر كان يستوجب النقد والتصحيح وان كان وراء هذا الضعف أسباب عديدة أهمها :

١) انشغال قيادة حدتو بالنشاط السياسى والجماهيرى اليومى الى جانب النشاط التنظيمى الداخلى .

٢) عدم وجود جهاز كفء للدعاية والتثقيف ، فلم يكن هناك مكتب مكتمل للدعاية يعاون مسئول الدعاية المركزى طوال تلك الفترة من ١٩٥٠ — ١٩٥٢ وكان هذا المسئول هو السودانى (الجنيد على عمر) الذى كان العمل الدعائى يمثل عبئا غير محتمل بالنسبة له ، وكان (الجنيد) يكره العمل الدعائى وكان يكرر دائما أمامى القول بأن كتابة أو ترجمة عمل دعائى يمثل بالنسبة له «حالة ولادة» .

٣) احتقار — العمل الفكرى من جانب قيادة وكوادر حدتو وهو احتقار عززه الدور التخريبى الانقسامى الذى قام به جزء كبير من مثقفى حدتو ، هذاالدور التخريبى لم يكن من المفروض ان يؤدى الى احتقار العمل الفكرى ، وان ادى الى احتقار دور هؤلاء المثقفين فى العمليات التخريبية والانقسامية .

الراية ود.ش فى ميدان الثقافة والدعاية :

كانت جهود «حدتو» فى مجال الدعاية والتثقيف قليلة بالمقارنة بدور وحجم حدتو السياسى والجماهيرى ، وهى جهود لا يمكن ان يرتفع اليها مجهود الراية

ود.ش ، فجهود هذين التنظيمين فى هذا المجال كانت فى مستوى العدم تقريبا اذا قارناها بجهود حدتو القليلة والضعيفة .

ـ لم نسمع ان الراية ود.ش ترجمتا أو طبعتا كتبا نظرية أو محاضرات كبيرة كمحاضرة «التيتوية» التى ترجمتها وطبعتها حدتو ، اذ كان المرتكز الدعائى والتثقيفى للراية لا يتعدى دراسة بعض مقالات وتقارير الرفيق (خالد ــ فؤاد مرسى) .

●●●

٩ ـ حدتو فى معركة الكفاح
ضد الانقسام ومن اجل الوحدة
فى الفترة من ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢

فى فترة الأزمة السياسية والجماهيرية التى امتدت بدورها الى أزمة فى صفوف التنظيم الشيوعى فى ١٩٤٨ ، انتشرت الاتجاهات الانقسامية وتكونت عدة تنظيمات انقسامية رفعت اكثر الشعارات تطرفا ويسارية فى السياسة والتنظيم .

فى بدايات سنة ١٩٥٠ كانت هناك عدة تنظيمات شيوعية موجودة فى الساحة السياسية أشرنا اليها فيما سبق ونستعرضها فى ايجاز شديد .

ما هى التنظيمات التى اندمجت فى حدتو وما هى التى ظلت خارجها فى نطاق الفترة التى ندرسها ٥٠ ـ ١٩٥٢ .

أسماء التنظيمات الشيوعية :

١) الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) التى واصلت العمل مباشرة بعد غلق المعتقلات بعدد قليل من قادتها وعدد قليل من أعضائها بعد ان أنهكها العمليات الانقسامية طوال الفترة ٤٨ ـ ١٩٤٩ .

٢) نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم) وهو عبارة عن تنظيم تشكل من اندماج (العمالية الثورية) و(نحش) وبعض عناصر حدتو فى تنظيم واحد ، وكل عناصرها الانقسامية كانت منقسمة من حدتو أثناء الأزمة .

٣) منظمة (النجم الأحمر) وهى انقسام من (نحش) تشكل على أساس أن (نحشم) ليست منظمة كفاحية وأنها تعادى العمال ، وطوال الفترة التى ندرسها كانت هذه المنظمة تدور فى فلك د.ش سياسيا وكل عناصرها كانت منقسمة عن حدتو أثناء الأزمة .

٤) الحزب الشيوعى المصرى (الراية) وقد سبق التعرض لطريقة تشكيلها وروافد هذا التشكيل ، ويمكن ان يقال ان بعض عناصرها قد انقسم عن حدتو .

٥) الفجر الجديد أو د.ش ، وهو تنظيم نما مستقلا عن ح.م وحدتو منذ نشأة الحركة الشيوعية الوسطى قبيل وخلال الحرب العالمية الثانية .

٦) منظمة (جات) التى كان يتزعمها الدكتور عصام جلال وكان من ابرز عناصرها أحمد طه .

٧) أما منظمة (م.ش.م) فرغم انها كانت أكبر تجمع انقسامى من حدتو فى ١٩٤٨ ، فقد أحبطت تماما وابتعدت عن الساحة السياسية فى الجزء الأكبر من الفترة التى ندرسها ٥٠ ـــ ١٩٥٢ ، أحبطت بفعل التطرف اليسارى فى الميدانين السياسى والتنظيمى بعد ان هاجر أهم قادتها للخارج ، وطوال الفترة التى ندرسها كانت لها بعض العناصر المسجونة فى قضايا شيوعية لكن لم يكن لها وجود حقيقى فى الساحة السياسية ؟

التقارب والتباعد بين حدتو وهذه التنظيمات :

من خلال الممارسات السياسية والجماهيرية التى تعرضنا لها بالتفصيل فى الصفحات السابقة حدث تباعد سياسى وتنظيمى وجماهيرى بين حدتو وبعض المنظمات التى شكلت عمليا التيار الانتهازى ، كانت الراية ود.ش وكذلك النجم الأحمر بعيدة تماما عن حدتو ، وكانت تتخذ مواقف سياسية وجماهيرية متناقضة فى الجوهر مع موقف حدتو فى كافة القضايا التى تعرضنا لها .

وبالتالى لم تكن قضية الوحدة بين هذه التنظيمات الثلاثة وحدتو أمرا ممكنا أو سهلا لسببين :

أولاهما : الفروق الشاسعة فى الميادين السياسية والجماهيرية كما سبق ان شرحنا بالتفصيل .

ثانيهما : أن هذه التنظيمات الثلاثة كانت تعادى قضية الوحدة بشكل جذرى ، كانت د.ش أقدم وأرسخ قدما فى معاداة الوحدة تاريخيا بحكم انها نشأت خلال الحرب العالمية الثانية ، وعادت وحدة حدتو فى سنة ١٩٤٧ . أما الراية فرغم انها حديثة النشأة بالمقارنة بـ د.ش فكانت ترفع شعار انها فقط (الحزب) وكل من خارجها ليسوا شيوعيين ، واستمرت فى هذا المنهج حسبما سنرى فيما بعد

حتى سنة ١٩٥٧ . اما منظمة النجم الأحمر فلم تكن ذات تأثير يذكر فى هذا الميدان ولا غيره سلبا أو ايجابا.

والنتيجة المستخلصة من هذا العرض السريع ان هذه التنظيمات الثلاثة كانت تشكل التيار الانتهازى فى الفترة التى ندرسها ، وانتهازيتها لا تجسدها فقط مواقفها السياسية والجماهيرية بل تجسدها وهذا امر منطقى تماما موقفها العدائى من قضية توحيد الشيوعيين فى مصر .

والغريب فى الأمر انه رغم الاتفاقات السياسية والتنظيمية بين د.ش والنجم الأحمر لم تحدث وحدة بينهما أو اندماج من النجم الأحمر فى د.ش رغم ما يشاع من انه كانت هناك محاولات بينهما لاتمام عملية وحدة أو اندماج ، وعلى العكس من ذلك تحققت عمليات وحدة واندماج بين حدتو وبعض المنظمات الاخرى التى تقاربت معها سياسيا وجماهيريا وبالتالى تقاربت معها تنظيميا ، سواء اتخذ هذاالتقارب شكل وحدة أو اندماج .

وهذا امر سنتعرض له تفصيلا فى الصفحات القادمة .

التقارب بين حدتو وبعض المنظمات الماركسية :

فى السطور السابقة أشرنا الى التباعد السياسى والجماهيرى بين حدتو من ناحية ومنظمات (الراية ود.ش والنجم الأحمر) من ناحية اخرى . والى جانب التباعد كانت تلك المنظمات ترفض مبدأ الوحدة مع حدتو بل وكانت تتهمها بأبشع الأتهامات .

وعلى العكس من ذلك حدث تقارب سياسى وجماهيرى مع منظمات (نحشم وجات) وانعكس هذا التقارب فى قبول هاتين المنظمتين الاندماج فى حدتو ، وقد تواكب مع هذا الاندماج أن مجموعة من (م.ش.م) انضمت الى حدتو (محمد عباس فهمى واخوته) وكذلك انضمت الى حدتو مجموعة كانت منسلخة من (نحش) اذكر منهم (ابراهيم المناسترلى ـــ احمد فؤاد الذى كان رئيس بنك مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو ـــ احمد ابوالعلا وزوجته الفنانة انجى أفلاطون) كما انضم اليها (عبدالمنعم الغزالى) مع النجم الأحمر .

وهنا يثار تساؤل هام هو لماذا اتحدت أو اندمجت تلك التنظيمات والمجموعات والعناصر فى حدتو فى تلك الفترة ؟ لماذا حدث هذا بينما كانت غالبية هؤلاء معاول هدم لحدتو فى الفترة من ٤٨ الى نهايات ٤٩ وبدايات سنة ١٩٥٠ باعتبارها تنظيمات ومجموعات وعناصر ساهمت بشكل أو آخر فى عمليات الانقسام عن حدتو ؟

تتلخص العوامل التى ساعدت على الوحدة والاندماج فى المناخ الديمقراطى والجماهيرى العام والقوة السياسية والتنظيمية التى اكتسبتها حدتو والخبرة المكتسبة من مرارة وخسائر الوضع الانقسامى .

ولا شك ان هذه العوامل الثلاثة التى اشرنا اليها كانت مفتقدة فى سنوات ٤٨ ــ ٤٩ ، وافتقادها كان من العوامل التى سببت وسهلت عمليات الانقسام .

واستخلاصا للدروس سوف نستعرض بشىء من التفصيل وجود أو افتقاد تلك العومل الثلاثة ، مقارنة بين الوضع فى ٤٨ ــ ٤٩ حيث ازدهرت الانقسامية وبين الوضع فى ٥٠ ــ ١٩٥١ حيث ازدهرت نسبيا الرغبة التوحيدية .

هذا الاستعراض والمقارنةهامة ، فبدونهما ، تصبح الرؤية لقضية الانقسام والوحدة رؤية عاطفية وغير علمية ، وقد تفسر احيانا بانها نتاج مؤامرات أو عوامل شخصية أو نفسية .

كثيرا ما نسمع عن ان هناك عوامل معينة وراء المحاولات الانقسامية كالتآمر ، ومحاولات أجهزة الأمن ، أو اضطهاد القيادة المركزية لكوادر المنظمة .. الخ . من العوامل الثانوية التى قد تكون صحيحة بدرجة أو أخرى اذا لم نغفل العوامل الأساسية وراء الوضع الانقسامى سواء فى نشأته واستمراره .

وكثيرا ما نسمع ــ وخاصة فى فترة الأزمات السياسية والتنظيمية ان تلك الازمات والاخطار تستوجب الوحدة بين الشيوعيين ، وهذا القول يعكس بحق الطموح العاطفى المشروع من أجل الوحدة ولكنه طموح لا علاقة له بالعلم الثورى ولا بالتجربة الثورية .

نستخلص من هذا ان للانقسام والوحدة قوانين موضوعية لا بد من الاسترشاد بها فى دراسة هذه القضية .

وعلينا ـــ الآن ـــ ان نستعرض بشيء من التفصيل الظروف التي ساعدت على اتمام عمليات الوحدة والاندماج في الفترة من ٥٠ ـــ ١٩٥٢ .

أولا : المناخ الجماهيرى والديمقراطى الملائم للوحدة :

فى ظل هذا المناخ الجماهيرى والديمقراطى العام فى فترة حكم الوفد من ٥٠ ـــ ١٩٥٢ انتعشت الحركة الجماهيرية والسياسية للطبقة العاملة وفئات الشعب الكادحة فى الوطن كله ، وبالتالى انتعشت حركة الطلائع السياسية وبشكل خاص (حدتو) .

وتبلور هذا الانتعاش فى الصحافة التقدمية العلنية التى تعددت اسماءها (البشير ـــ الملايين ـــ الميدان .. الخ) ، كما تبلور فى البناء الشامخ لحركة السلام المصرية ، وفى اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات عمال مصر ، وفى الغاء معاهدة ١٩٣٦ واشتعال الكفاح المسلح فى القنال .

فى ظل هذاالجو الديمقراطى والانتعاش الجماهيرى حدثت لقاءات نضالية بين عناصر حدتو وعناصر بعض التنظيمات الاخرى وبالذات (نحشم) وتواكب مع هذه اللقاءات انتعاش الأمل فى تحقيق وحدة أو اندماج بين التيار الثورى (حدتو) وبين الفصائل والمجموعات والعناصر التى ابتعدت عنها فى فترة سابقة ، ووجد هذا الأمل طريقه للتحقيق .

ما حدث فى الفترة من ٥٠ ـــ ١٩٥٢ فى انتعاش لقضية الوحدة نتيجة انتعاش الحركة الجماهيرية والسياسية وتحقيقها هو ما حدث بالضبط فى سنوات ٤٦ ـــ ١٩٤٧ ، ففى تلك الفترة أيضا ، انتعشت الحركة الجماهيرية والسياسية ، بالرغم من ان البلاد كانت تحكم فى تلك الفترة بحكومات الأقليات الحزبية .

وأدى ذلك الانتعاش الجماهيرى والسياسى الى تحقيق الوحدة بين منظمتى (حدتو واسكرا) فى يونيو ١٩٤٧ فى منظمة واحدة هى (حدتو) .

نستخلص من هذا الاستخلاص قانونا هاما نابعا من تجربة الحركة الثورية المصرية هو ان توفر المناخ الجماهيرى والديمقراطى العام يحقق الامكانية الفعلية لوحدة الشيوعيين المصريين .

وعلى العكس من ذلك فان سيادة الارهاب من قبل السلطة الحاكمة وانكماش الحركة الجماهيرية ، وعزلة الشيوعيين عنها ، يخلق المناخ الملائم للأنقسام فى الحركة الشيوعية المصرية ، وشيوع التشرذم فيها .

وفى ظل هذا الانقسام قد توجد الرغبة العاطفية للوحدة ، ولكنها لا تتحقق فى الغالب الأعم ، اكبر دليل على ذلك فى الفترة من ٤٨ ــ ١٩٥٠ هو ان سيادة مناخ الارهاب فى ظل حكومات الاقلية وانكماش الحركة الجماهيرية مع التحضير المحموم لحرب فلسطين (١٥ مايو ١٩٤٨) أدى الى انتعاش الاتجاهات الانقسامية فى تلك الفترة ، فتعددت التنظيمات والمجموعات الانقسامية (صوت المعارضة ــ نحو منظمة بلشفية ــ العمالية الثورية ــ نحش وقد انتعشت تلك الاتجاهات الانقسامية تحت مختلف الحجج والدعاوى السياسية والنظرية والتنظيمية) .

نستخلص من هذا القانون النقيض لقانون الوحدة وهو ان سيادة الارهاب وانكماش الحركة الجماهيرية والسياسية يشجع اتجاهات الانقسام والتشرذم فى الحركة الشيوعية المصرية .

فقد تتولد رغبة عاطفية هنا أو هناك لتحقيق الوحدة فى ظل هذا المناخ ، ولكن هذه الرغبة لن تجد طريقها للتحقيق الا اذا تغير هذا المناخ المعاكس ، وأصبح مناخا ديمقراطيا وجماهيريا ملائما للوحدة .

ان استعراض قانون الوحدة ، وقانون الانقسام فى الحركة الشيوعية المصرية ، ليس الهدف منه الاستسلام لأى من القانونين استسلاما قدريا ، بل الهدف منه هو فهمه والتعامل معه والتأثير فيه لزيادة فاعليته الايجابية أو الحد من أثاره السلبية .

فاذا كان الارهاب الشامل مع ما صاحبه من انكماش فى الحركة الجماهيرية والسياسية شجع كقانون عام حركة الانقسام والتشرذم ، فان التيار الثورى (خدتو) استخلص من هذا القانون للكفاح ضد أثاره السلبية ونتائجه السلبية (الانقسامية) والتوعية باثارها الضارة ، والحيلولة دون انتشار الخطر الانقسامى أو على الأقل الحد منه .

وفى الجانب المقابل اذا كان توفر المناخ الديمقراطى وانتعاش الحركة الجماهيرية والسياسية يشجع ــ كقانون عام ــ حركة السعى من أجل الوحدة ، فان التيار

الثورى استخلص هذا القانون لاستخدامه بشكل ثورى يؤتى ثماره فى أقرب وقت وبأقل التضحيات الممكنة .

وهناك فرق شاسع بين انتظار «الانتصار» وبين الكفاح من أجله .

ثانيا : القوة السياسية والتنظيمية التى اكتسبتها حدتو وساعدت على الوحدة :

«حدتو» التى تشكلت فى يونيو ٤٧ ، اكتسبت سمعة سياسية وجماهيرية واسعة خلال فترة ستة أشهر (يونيو ٤٧ — نوفمبر ١٩٤٧) وازدادت قوتها التنظيمية خلال تلك الفترة ، وتجسدت فى ارتفاع اعداد عضويتها من ١٦٠٠ إلى ٤,٠٠٠ آلاف عضو ، كما ازداد توزيع مجلتها العلنية (الجماهير الى ١٥,٠٠٠ الف نسخة) .

ومن المعروف ان العمليات الانقسامية خلال ١٩٤٧ و١٩٤٨ ، والضربات البوليسية بعد حرب فلسطين قد أنهكت حدتو .

ورغم هذا كله فقد استعادت حدتو جزءا هامامن قوتها السياسية والتنظيمية والجماهيرية خلال عامى ٥٠ — ١٩٥١ .

كل الاعمال الجماهيرية التى سردناها تفصيلا فيالصفحات السابقة كانت بقيادة حدتو ، وبالتالى ، كانت قوة حدتو سياسية وجماهيريا نقطة جذب للمنظمات والمجموعات والعناصر التى اندمجت فى حدتو وخاصة أنها كانت فى الأصل منسلخة من حدتو ، أى كانت فى الأساس عناصر «حدتوية» ، كان الحنين يراودها للعودة الى حدتو بعد ان ابتعدت عنها لسبب أو آخر .

ثالثا : خبرة مرارة الانقسام :

واذا كان المناخ الديمقراطى وما صاحبه من انتعاش للحركة الجماهيرية ، وما ارتبط به من قوة سياسية وتنظيمية « لحدتو » ، وقد ساعد على تحقيق الوحدة بين (حدتو ونحشم وجات) فان الخبرة المكتسبة من مرارة الانقسام كان عاملا هاما فى هذا الصدد .

فى فترة انتعاش الحركة الانقسامية فى ٤٧ — ٤٨ كان من السهل خداع الكثيرين بحشر دعيه الانقسام ، بحجة الخلافات السياسية التى لا يمكن التوفيق

بين أصحابها وأطرافها ، ووحجة خيانة قيادة حدتو التى لا يمكن التعايش معها تنظيميا .

عاشت تلك العناصر دوامة الانقسام ، وكانت تتوهم ان تبنى — من خلال انقسامها — منظمة شيوعية تفوق حدتو فى قوتها وقد تحول هذا الوهم الى سراب بعد معاناة الانقسام خلال سنتين .

لم تحصل تلك العناصر على المنظمة المنشودة بل على العكس من ذلك وصلت الى نهاية الشوط الى ان تكون فى يدها منظمات وحلقات وشلل ضعيفة سياسيا وجماهيريا وتنظيميا .

كان هناك طريقان أمام تلك العناصر التى انقسمت على «حدتو» فى ٤٨ ، أما اليأس الشامل بما يصاحب ذلك من هروب لخارج البلاد ، او البحث عن الراحة الكاملة فى الوطن ، وهو ما حدث لمنظمة (م.ش.م) وبعض العناصر القيادية فى العمالية الثورية ، واما استمرار فى العمل الثورى وهو الطريق الذى كان يؤدى حتما للعودة الى «حدتو» من جديد — أيا كانت طريقة واسلوب تلك العودة .

عادت تلك المجموعات والعناصر الى «حدتو» بعد ان اكتسبت خبرة ثمينة وبعد ان ذاقت مرارة الانقسام .

خطة حدتو لاتمام عمليات الوحدة والأندماج فى تلك الفترة :

الظروف الموضوعية — التى أشرنا اليها فى الصفحات السابقة — كعوامل مساعدة للوحدة لم تكن تؤتى ثمارها بدون خطة تنتهجها « حدتو » لاتمام عملية الوحدة ، والقضاء التدريجى على الوضع الانقسامى .

وفى هذا الصدد أذكر ان الرفيق (كوربيل) كان قد صاغ تقريرا برأيه فى قضايا الوحدة والصراع الايديولوجى ، وأرسله لقيادة حدتو ، ووصل لها فى ١٩٥٣ ونشر فى ذلك الحين ، ويقال ان «كوربيل» صاغ هذا التقرير أثر مناقشة واسعة اختلفت فيها وجهات النظر بينه وبين (ابراهيم عبدالحليم) اثناء تواجد الآخر على المحاور التالية :

المحور الأول : ان بشاعة الوضع الانقسامى ، قبل وحدة اسكرا وح.م فى يونيو ١٩٤٧ أو بعدها تستوجب الكفاح العنيد والمتواصل ضد الانقسام ومن

أجل الوحدة ، دون يأس أو احباط .

المحور الثانى : ان تحقيق الوحدة الشاملة بين حدتو والمنظمات الماركسية الاخرى خارجها بضربة أو خطوة واحدة ليس امرا ممكنا بسبب الفروق السياسية والتنظيمية والمواقف المختلفة من قضية العمل الجماهيرى الى جانب العداء التقليدى من جانب تلك المنظمات لقضية الوحدة ، وكان هذا العداء ممزوجا بالغرور من جانب (الراية) وتجلى هذا الغرور فى الحديث عن (لا شيوعية خارج الحزب) .

المحور الثالث : ان الوحدة بين حدتو والمنظمات الأخرى ستتحقق أساسا من خلال العمل الجماهيري فى مختلف المجالات ، ومن هنا كانت حدتو تركز على تشكيل لجان تنسيق كفاحية بينها وبين المنظمات الاخرى .

كانت حدتو ترى ان النضال من أجل الوحدة من خلال العمل الجماهيرى سيؤدى الى واحد من نتيجتين ، اما تصفية المنظمات الأخرى وتبقى حدتو قوية ، واما الى اذابة الشكوك وعدم الثقة والوصول الى ممارسة مشتركة بين حدتو والمنظمات الاخرى .

المحور الرابع : ان تتأكد لحدتو القيادة السياسية والتنظيمية من خلال تلك الوحدات ، ولذا كانت حدتو تتحمس دائما أن يكون للمنظمات الماركسية مندوبون فى اللجنة المركزية لحدتو دون ان تكون لتلك المنظمات غالبية فى القيادة الجديدة .

ولم يكن هذا الأمر غريبا ولا شاذا ولا شرطا تعسفيا ، فمن المعروف ان «حدتو» كانت أقوى من مجموع تلك المنظمات فى المجالات السياسية والجماهيرية والتنظيمية .

هذه المحاور الاربعة لم تكن خاطئة ، وان كان ينقصها محور خامس هام هو (الاهتمام بالصراع الايديولوجى) ، وهذا نقد هام لتجربة حدتو فى العمليات الوحدوية ، اذ كان من الضرورى ان تهتم حدتو بشن صراع فكرى ضد الأفكار الخاطئة التى تروجها (الراية ود. ش) باعتبارهما قطبى الرحى فى التيار الانتهازى .

وكان وجه الخطأ فى موقف حدتو هو تجاهل أهمية الصراع الفكرى والاهتمام فقط بقضايا العمل الجماهيرى فى اقتناع منها بأن العمل المشترك وحده هو طريق

الوحدة، ونست حدتو ان الممارسات المختلفة فى الميدان العملى خلفت مدارس فكرية وسياسية لا يمكن التوفيق بينها فى عملية وحدوية ، وان الأمر يستوجب هزيمة مدرسة فكرية هى (مدرسة التيار الانتهازى) وانتصار مدرسة فكرية اخرى هى بالضرورة (مدرسة التيار الثورى) .

ولم يكن من الضرورى آنذاك الاهتمام بقضية الصراع الايديولوجى من خلال «لجان وحدة» التى كانت المنظمات الاخرى ترفضها ، اذ كان من الممكن اصدار (نشرة حوار) بمعرفة «حدتو» تتولى هذه المهمة الايديولوجية .

لو قدر لمثل هذه النشرة ان تصدر لكان فى الامكان الحاق هزيمة فكرية بكافة أو غالبية الأفكار التى تروجها (الراية ود.ش آنذاك) عن سرية حركة السلام وطبقيتها ، وعن الابتعاد عن النقابات العمالية بحجة انها صفراء ، وعن اقتصار كفاح الشيوعية فى المدن لتدعيم الديمقراطية الخ .. من الأفكار التى كانت تروج آنذاك .

ولو قدر لهذه النشرة الحوارية ان تصدر لما توقف دورها على هزيمة الأفكار الخاطئة للمنظمات الاخرى ، بل ان هذا الدور كان يستمد بالضرورة الى تدعيم وجهات نظر حدتو السياسية والتنظيمية وتحصين عناصرها ضد كل الأفكار الواردة اليها من خارجها .

كان افتقاد هذ الأسلوب فى الصراع الفكرى نقصا هاما فى حدتو فى تلك الفترة ، وهو أمر يستوجب النقد الذاتى .

كيف تمت عمليات الوحدة بين حدتو والمنظمات الاخرى ؟

أم منظمة اندمجت فى حدتو ، كانت (جات) والعوامل التى ساعدت على هذا الاندماج هى أن زعيمها الروحى د. عصام جلال سافر للخارج بهدف استكمال دراساته العليا فى الطب ، الى جانب نمو العلاقات بين قادة حدتو وعلى الأخص (كورييل وسيل سليمان رفاعى) من ناحية وبين أحمد طه أبرز مناضل فى تلك المنظمة وثانى رجل فيها بعد الدكتور عصام جلال ، لقد نمت تلك العلاقات داخل معتقل الهايكستب وغداها كون (احمد طه) مناضل نقابى وعمالى .

لا أذكر أن هناك مناقشات سياسية وتنظيمية جرت بين (حدتو وجات) وفور الاندماج اصبح (احمد طه) عضواً فى اللجنة المركزية لحدتو ، بينما نظم زفاقه فى المنظمة (اسماعيل جبر ــ صلاح سلمى ــ يحيى المازنى وآخرين) فى الهيئات التنظيمية الأخرى لحدتو ، كل حسب قدرته وكفاءته .

ثانى مجموعة اندمجت فى حدتو ، هى المجموعة التى انسلخت عن (نحش) قبل توحده مع العملية الثورية وتشكيل (نحشم) .

كان من ضمن هذه المجموعة (أحمد فؤاد) وكان قاضيا فى ذلك الوقت وأصبح فيما بعد ثورة يوليو ٥٢ رئيسا لمجلس ادارة بنك مصر ، وكان من ضمنها كذلك (ابراهيم المناسترلى ــ احمد ابو العلا وزوجته أنجى أفلاطون وأنور أبو العلا شقيق أحمد أبو العلا) .

وكان لهذه المجموعة صلات من ضباط الجيش ، وقد مثل هذه المجموعة فى اللجنة المركزية الاستاذ احمد فؤاد الذى أصبح ــ فى حدتو ــ مسئولا عن قسم الجيش الذى كان مشكلا من الضباط الشيوعيين ، وبحكم هذه الصلة كانت ــ لأحمد فؤاد ــ علاقات مع الضباط الاحرار . وعمل أحمد أبوالعلا ــ داخل حدتو ــ فى مكتب الدعاية المركزى ، بينما كانت تعمل زوجته ضمن مجموعة العمل فى حركة السلام المصرية .

وثالث مجموعة اندمجت فى حدتو ، كانت (نحشم) وكان ذلك فى عام ١٩٥١ ، وهذه المنظمة تكونت نتيجة وحدة بين (نحش) وكان زعيمه (هلال شوارتز) وبين العمالية الثورية ، وبعض رفاق «حدتو» الذين كانوا فى سجن مصر آنذاك (زكى مراد ــ سيف الدين محمد صادق) .

ويقول رفاق حدتو الذين اندمجوا فى (نحشم) ان ذلك الاندماج تم بناء على قرار من قيادة حدتو فى الخارج التى كانت تتفاوض مع «العمالية الثورية» وهى القيادة التى كان من أعضائها السودنيان (الجنيد على عمر وأحمد سليمان) ، وكانت هذه القيادة تتفاوض مع العمالية الثورية بعيدا عن قيادة حدتو فى المعتقلات وفى ظل معارضة من (كمال عبدالحليم) .

وأذكر انني كنت أقضى فترة عقوبة (ثلاثة أشهر حبس) بسجن مصر فى قضية مظاهرة الأزهر التى أشرت اليها فيما سبق ، وهناك تقابلت مع (زكى مراد) وتناقشت معه ــ بحكم العلاقة الحميمة التى كانت تجمعنا ــ حول سلامة هذه الوحدة من عدمها ، اصر كل واحد منا على موقفه ، تمسكت باستمرارية حدتو وعضويتى فيها ، واختار هو الاندماج فى «نحشم» ، وكان كمال عبدالحليم آنذاك فى السجن باعتباره احد قادة حدتو .

استمرت «نحشم» فى نضالها منذ يناير ١٩٥٠ ، وكان من قادتها فى الخارج (زكى مراد ــ احمد الرفاعى ــ سيف صادق ــ فكرى الخولى ــ عبدالمنعم ابراهيم ــ عبدالحميد السحرتى ــ جمال شلبى ــ اسما حليم) .

وكان التنسيق الكفاحى الفعلى يتم بين رفاق حدتو ونحشم يتم فى أوساط الطلبة وفى اطار حركة السلام المصرية والنضال الجبهوى ، وكان الرفيقان (زكى مراد ــ وأحمد الرفاعى) يمثلان «نحشم» فى مجالات التنسيق مع حدتو .

خلال اللقاءات المشتركة نمت الرغبة والحاجة الى تحقيق وحدة أو اندماج بين حدتو ونحشم ، وبناء على ذلك جرت مناقشات سياسية وتنظيمية من خلال لجنة مشتركة تضم عناصر من حدتو ونحشم ، كان يمثل حدتو فى تلك المناقشات «سيد سليمان رفاعى وكاتب هذه السطور» ، وكان يمثل نحشم فيها (زكى مراد وأحمد الرفاعى) .

وتمت غالبية هذه اللقاءات فى مدرسة شبرا الثانوية ، وفى مكتب سكرتير المدرسة (محمود توفيق) وحضر بعض هذه اللقاءات الرفيق (عبدالخالق محجوب) أثناء تواجده بالقاهرة قادما من السودان .

شملت المناقشات اللائحة والبرنامج ، ولم تكن هناك خلافات ذات شأن حولهما ، وانتهت المناقشات بوحدة بين حدتو ونحشم ، وأصبح (زكى مراد وأحمد الرفاعى) عضوان فى ل.م حدتو .

وكانت هناك معارضة شديدة فى صفوف نحشم لاتمام هذه الوحدة ، وكان من المعارضين لها (جمال شلبى ــ أسما حليم وآخرين) ممن هم خارج

السجن ، وفى داخل السجن كان من المعارضين لها (هليل شوارتز) الذى غادر البلاد للخارج عام ١٩٥٢ .

وقد انخرط المعارضون للوحدة فى صفوف نحشم فى عملية التوحيد وان أصبحوا أقل حماسا فى العمل بالمقارنة بعناصر نحشم الاخرى .

أما فى حدتو فلم تكن هناك آية معارضة للوحدة ، باعتبارها تمت طبقا لمعايير «حدتو» فى الوحدة .

والمجموعة الرابعة التى اندمجت فى «حدتو» هى العناصر التى وفدت الى «حدتو» من م.ش.م (سعد رحمى ومحمد عباس وأخوته مصطفى وصفوت عباس) ، وقد لعبت هذه العناصر وبالذات (محمد عباس فهمى وسعد رحمى) دورا هاما فى بناء حدتو فى الخمسينات ، فقد كانا ثوريين محترفين ، وعملا ممدة كبيرة — بهذه الصفة — فى الصعيد .

الأوضاع التنظيمية الداخلية فى حدتو :

استعرضنا — فيما سبق — المواقف السياسية والأعمال الجماهيرية والأعلامية لحدتو ، وقارنا بينها وبين مواقف وأعمال التنظيمات الماركسية الأخرى التى كانت تشكل التيار الانتهازى ، كما استعرضنا عمليات الوحدة والاندماج التى تمت بين حدتو وبعض المنظمات والمجموعات الماركسية .

وسوف نستعرض — فيما يلى من صفحات — تطورات البناء الداخلى فى حدتو فى الفترة من ١٩٥٠ وحتى قيام الثورة فى يوليو ١٩٥٢ .

الوضع القيادى المركزى لحدتو :

استأنفت حدتو عملها فى فبراير ١٩٥٠ بقيادة مركزية محدودة العدد ، (كوربيل — سيد سليمان رفاعى — محمد شطا — كمال شعبان) وقد خرج الأربعة من المعتقلات فى بداية عام ١٩٥٠ ، وانضم اليهم من الخارج (كمال عبد الحليم — الجنيد على عمر) .

مع نمو العمل الجماهيرى ، واتمام عمليات الوحدة مع (جات ونحشم) توسعت القيادة المركزية لحدتو ، بضم الرفاق (زكى مراد ــ أحمد الرفاعى ــ أحمد طه) للجنة المركزية .

وفى منتصف عام ١٩٥٠ انضم كاتب هذه السطور وفؤاد حبشى ويوسف مصطفى للقيادة المركزية .

وتوزعت المسئوليات فى القياذة المركزية ، بالشكل التالى (سيد سليمان رفاعى ــ كمال عبد الحليم ــ كمال شعبان) للقيادة العامة للمنظمة ، وخاصة بعد نفى كوربيل للخارج ، وفى مرحلة لاحقة تخصص (كمال عبد الحليم) للعمل العلنى فى حركة السلام المصرية كمسئول أساسى عنه ، أما (شطا) فكان يعمل كمنسئول عن منطقة الاسكندرية ، (فؤاد حبشى) مسئول منطقة بحرى ، أما الباقون وهم (كاتب هذه السطور ــ يوسف مصطفى ــ أحمد طه) فكانوا يغملون بمنطقة القاهرة ، ويعكس هذا اهتمام (حدتو) بعاصمة البلاد .

ومع بروز امكانيات العمل النقابى العلنى تم تصعيد الرفاق (محمد على عامر ــ سيد ترك ــ أنور فلتس) الى القيادة المركزية ، وشكل الرفاق الثلاث المكتب النقابى لحدتو تحت اشراف ومسئولية الرفيق '' أحمد طه '' ، وعندما انضم '' أحمد فؤاد '' للجنة المركزية تولى مسئولية قسم الجيش ، وتولى الرفيق '' زكى مراد '' مسئولية العمل فى السلام والتحالفات مع القوى السياسية الأخرى ، أما (أحمد الرفاعى) فان تخصصه كان العمل وسط الطلبة .

وفى مرحلة لاحقة تم تصعيد (كمال الشلودى) الذى كان يعمل فيالبداية فى منطقة القاهرة ، ثم تخصص فيما بعد فى الجهاز الفنى للطباعة ، وهو الجهاز الذى قام بطبع منشورات الضباط الأحرار فى الفترة من فبراير ١٩٥٢ الى يوليو ١٩٥٢ .

يتضح من هذا العرض حقيقتان الأولى ان التوسع فى القيادة المركزية كان يتم طبقا لمقتضيات العمل واحتياجاته .

الثانية ان جزءا كبيرا من قيادة حدتو كانت مخصصة للعمل الجماهيرى للمنظمة .

وكانت اللجنة المركزية لحدتو باتساع عددها وتمثيلها للمجالات المختلفة لا تجتمع معا كهيئة مركزية واحدة ، ولا يرجع هذا لاعتبارات الأمن ، اذ كان من الممكن التغلب عليها فى ظروف المناخ الديمقراطى العام فى البلاد .

كان السبب وراء هذا الخلل التنظيمى فقدان الاحساس بأهمية القيادة الجماعية للمنظمة ، الى جانب ان تركيز النشاط فى يد السكرتارية المركزية والمكتب السياسى حال — وهذا خطأ جسيم — دون عقد اللجنة المركزية بانتظام .

ومع هذا فان كل مجموعة من مجموعات العمل المركزية كانت منتظمة فى اجتماعاتها ، وتناقش مشاكل العمل الموكول اليها علاوة على المشاكل العامة للمنظمة .

السكرتارية المركزية للمنظمة كانت مشكلة فى البداية ، بعد طرد كورييل لخارج البلاد من الرفاق (سيد سليمان رفاعى — يوسف مصطفى — الجنيد على عمر — وكاتب هذه السطور) ، وفى المرحلتين — المشار اليهما كانت السكرتارية المركزية هى القيادة الفعلية الحقيقية لحدتو ، وكانت تجتمع وخاصة فى المرحلة الثانية يوميا ، وكان هذا امرا سهلا بحكم أنها مشكلة من ثوريين محترفين .

ويلاحظ ان السكرتارية المركزية فى المرحلة الثانية خلت تماما من الرفيقين (كمال عبدالحليم — كمال شعبان) لهذا الأمر أسباب مختلفة ، (كمال عبدالحليم) طلب اعفاءه من عضوية السكرتارية المركزية لصعوبة الجمع بين نشاطه العلنى فى حركة السلام وعضوية السكرتارية المركزية ، وكان هذا أمرا منطقيا بطبيعة الحال ، أما كمال شعبان فقد تخلى عن عضويتها وعن الاحتراف الثورى بحجة واضحة وصريحة هى احتياجه للاستقرار العائلى (الزواج) ، وقد اختار البحث عن عمل فى الحكومة ، وفعلا التحق كمهندس مبانى بوزارة الاشغال ، ثم تخلى عن العمل الشيوعى بشكل كامل ، وأشهر انه كان أمينا وشريفا وصريحا فى عرض ظروفه الشخصية و لم يلجأ الى المراوغة وانتحال الخلاف السياسى ، أو تحميل المنظمة مسئولية تخليه عن العمل الشيوعى ، وكنت أقدر فيه هذه الصفات خاصة أنه علمنى الكثير طوال مسئوليته عنى فى حدتو ، وكانت (لكمال شعبان) مكانة كبيرة فى نفوس الكثيرين فى حدتو بما فيهم اعضاء القيادة المركزية .

الدليل على هذه المكانة ، ان الرفاق المركزيين فى حدتو حين كانوا فى معتقل الهايكستب فى يناير ٥٢ استدعوه لممارسة دوره فى القيادة المركزية بل ووصل الأمر الى اختياره كمسئول عن مجموعة «حدتو» فى الهايكستب .

كنت الوحيد ــ رغم صداقتى الشديدة له واعترافى باستاذيته لى ــ المعارض لممارسة العمل المركزى فى المعتقل واختياره مسئولا عن حدتو .

وكان تقديرى الشخصى ــ نتيجة احتكاكى الشديد به ــ انه سيترك العمل الشيوعى تماما ــ كما كان الأمر قبل اعتقاله ــ فور الافراج عنه ، وهذا ما حدث فعلا ، وتباعد فعلا «كمال شعبان» عن العمل الشيوعي وعن زملائه واصدقائه فى حدتو بعد ذلك ، وكأن لسان حاله يقول هذا هو نهاية طاقتى وادعو لكم بالتوفيق .

وقد روج بعض الرفاق ــ بعد ذلك ــ ان السبب فى ترك كمال شعبان للعمل الشيوعى نشوب بعض المشاكل بينه وبين سيد سليمان رفاعى خاصة بعد طرد (كورييل) من مصر لكننى مازلت اعتقد ان السبب وراء تركه للمنظمة كان سببا شخصيا يتعلق برغبته فى الاستقرار العائلى ومن الضرورى ان ندرك ان بعض الرفاق الشيوعيين قد يفقدون طاقتهم خلال مسار الطريق .

كان «كمال شعبان» يمارس فى معظم حياته فى «حدتو» المسئولية التنظيمية وكان يمتلك قدرات كبيرة فى هذا المجال ، وبعد ان ترك العمل أصبحت المسئولية التنظيمية مشاعة وموزعة بين كاتب هذه السطور «ويوسف مصطفى» ومع ان «سيد سليمان رفاعى» كان يتولى المسئولية السياسية لحدتو ، كان يضطر احيانا الى ممارسة اجزاء من المسئولية التنظيمية .

لم تكن السكرتارية المركزية هى الوحيدة التى تمارس مهمات العمل المركزى فى حدتو فى ظل الغياب الكامل للجنة المركزية بل كان هناك المكتب السياسى الذى يجتمع على فترات لمناقشة القضايا ذات الصفة العامة .

ولم تكن قيادة حدتو المركزية خالية من الخلافات والمشاكل الا انها لم تتخذ طابع الخلافات السياسية ، بل انحصرت فى الخلاف حول بعض الممارسات مثلا : الخلافات حول العلاقة بين العمل الجماهيرى والعمل الحزبى والجهد المبذول فى كل منهما .

كانت هناك مشاكل أساسا بين (سيد سليمان رفاعى وكمال عبدالحليم) حول حجم الدور الذى يمارس فى العمل الجماهيرى .

كان الأول يرى ان هناك تركيزا اكثر من اللازم فى الدور المبذول فى حركة السلام المصرية التى تستوعب جزءا هاما من رفاق حدتو المركزيين وكوادرها الوسطى ، بينما كان الثانى يرى ان هذا أمر طبيعى وليس فيه مبالغة .

واعتقد ان مصدر ذلك الخلاف هو ذلك التناقض الطبيعى الذى ينشأ بين من يعملون فى العمل الجماهيرى العلنى وأولئك الذين يعملون فى البناء الداخلى للتنظيم الحزبى ، وككل التناقضات فى أى حزب شيوعى يمكن ان يتحول هذا التناقض الى شىء خطير اذا لم يعالج فى الوقت المناسب .

والى جانب ذلك كان هناك نوع من التنافس على القيادة السياسية لحدتو بين (سيد سليمان رفاعى وكمال عبدالحليم) كان الأول بحكم النشاط العام والمتعدد النواحى الذى يبذله فى المنظمة ، وبحكم انه منحدر من أصل عمالى يرى انه الأجدر بالقيادة السياسية ، وكان الكثيرون معه يرون فيه ذلك .

وقد كان هذا التفكير من جانب (سيد سليمان رفاعى) مع تمثل ممارسات المثقفين الاسكراويين فى حدتو يثير بعض المشاكل ، وكان يعتقد ان «كمال عبدالحليم» ينافسه فى المسئولية السياسية أو لا يعطيه قدره من الاحترام كمسئول سياسى للمنظمة .

وكانت بعض التصرفات من جانب (كمال عبدالحليم) تزكى هذا الاتجاه العدائى للمثقفين من جانب (سيد رفاعى) ، فقد طرح فى اجتماع المكتب السياسى لحدتو اقتراح بتصعيد (على الشلقانى) الى اللجنة المركزية باعتبار انه يقوم بدور نشيط فى حركة السلام بعد عودته من باريس اثر فترة غياب عن مصر .

كان وراء هذا الاقتراح (كمال عبدالحليم) وكان (سيد رفاعى) يعارضه باصرار ، وكنت معه فى موقف المعارضة ، ورغم الحجج الكثيرة التى قدمت من المعارضين لاثبات عدم كفاحيته وعدم جدارته لعضوية اللجنة المركزية فقد صدر قرار الاغلبية بتصعيده ، وقد خيب (الشلقانى) كمثقف ومن أسرة ثرية ظن الاغلبية ، فقد ترك العمل الشيوعى بعد حريق القاهرة .

ومن المسائل التى أثارت خلافا حادا فى قيادة حدتو ، ذلك الاتهام بالبوليسية الموجه الى (محمد سليمان رفاعى شقيق سيد سليمان رفاعى) .

خلاصة هذا الأمر ، ان (كمال عبدالحليم) اخطر السكرتارية المركزية بأن محمد سليمان رفاعى وكان اسمه الحركى (ممدوح) هو المسئول عن القبض على كاتب هذه السطور فى قضية شيوعية ، والمسئولية هنا مسئولية (ابلاغ للأمن) وليس مجرد خطأ .

وزيادة فى تأكيد الاتهام ، أصر (كمال عبدالحليم) على القول بأن شخصا فى جهاز الامن ابلغه بهذه الواقعة .

وبما انّ الواقعة المنسوبة الى (محمد سليمان رفاعى) كانت خاصة بى فقد أكدت — من جانبى — صحة الاتهام — ودللت على ذلك بأن المقابلة كانت بينى وبين (ممدوح) أمام سينما ديانا ، وان الهدف من المقابلة كان استلام اوراق استنسل لوثيقة حزبية منه من المفروض طباعتها ، وفعلا استلمت الوثيقة وبعد دقائق من مغادرتى لمكان المقابلة تم القبض على من خلال كمين ضخم كان يرأسه «عبدالرحمن عشوب» الضابط بالبوليس السياسى آنذاك .

لو كان الأمر مجرد مصادفة أو خطأ لتم القبض على (ممدوح) معى والحوار الذى أجراه معى (عشوب) كان مضمونه انه لا يهتم بمن أعطانى أوراق الاستنسل ، انما ينصب اهتمامه الى أين سأتجه بالأوراق والى من ستسلم ؟

فى بداية الأمر لم ينصرف شكى الى (ممدوح) ، ولكن بعد توارد المعلومات ، واسترجاع شريط عملية القبض على ، تيقنت ان (ممدوح) عميل للبوليس السياسى ، وأعلنت ذلك فى كافة الاجتماعات الحزبية فى مواجهة شقيقه (سيد سليمان) رغم الصداقة الشديدة التى كانت تربط بينى وبينه .

كان سيد رفاعى ينظر للأمر من زاوية أن الطعن فى (ممدوح) طعن فيه ، بينما لم يكن الأمر كذلك على الاطلاق .

ويمكن ان يقال انه رغم عدم وجود خلافات سياسية أو نظرية فى حدتو ، فان غياب (كورييل) عن ساحة حدتو باعتباره كان الأب الروحى والمسئول السياسى عن حدتو قد حرك بعض التناقضات بين القادة الثلاثة (سيد سليمان —

كمال عبدالحليم ــ شطا) وخاصة بعد انسحاب (كمال شعبان) تماما من العمل ، والملاحظ ان (شطا) لم يكن يقدم نفسه صراحة كمنافس «السيد سليمان» ولم تكن الظروف تؤهله لذلك ، فقد انقسم مع «العمالية الثورية» فى حدتو ، وعاد الى حدتو فى المعتقل ناقدا نفسه نقدا ذاتيا ، ولكنه كان يتضامن مع «كمال عبدالحليم» فى بعض المواقف مثل الموافقة على تصعيد (الشلقانى) للجنة المركزية .

ومع كل هذا فقد كان هناك اعتراف عام من كوادر «حدتو» وبالذات الكوادر الوسطى بجدارة (سيد سليمان) للقيادة السياسية للمنظمة نتيجة نشاطه العام ، وامتد هذا التقرير حتى للرفاق فى الحزب الشيوعى السودانى ، وكنت واحدا من الذين يعترفون بدوره ويقدرونه ورغم هذا الاعتراف بدوره وتقديره ، فان (سيد سليمان) كان يمارس معالجة الخلافات بطريقة سيئة وغير توحيدية مما كان يعيق حلها ، فمن ناحية اطلق نظرية بين كوادر «حدتو» وبالذات فى اللجنة المركزية مضمونها ان هناك تياران فى حدتو أحدهما ثورى يتزعمه هو ويضم (سيد ترك ــ وآخرين منالعمال ، وكذلك زملاؤه فى الطيران (فؤاد حبشى ويوسف مصطفى ــ والسودانى الجنيد على عمر) وثانيهما تيار انتهازى يتزعمه (كمال عبدالحليم) ويضم بعض لمثقفين فى حدتو .

لميكتف «سيد سليمان» بهذا التنظير بل كان يقوم احيانا بتحريض (فؤاد حبشى ــ ويوسف مصطفى وسيد ترك) ضد كمال عبدالحليم وضد بعض الرفاق الذين لعبوا دورا فى العمل الجماهيرى العلنى لحركة السلام .

ورغم ان كاتب هذه السطور كان عضوا فى السكرتارية المركزية فأنه لم ينخرط فى هذا الصراع ذو الطابع الشخصى وكان يحاول دائما قدر استطاعته التوفيق فيما بين هؤلاء الرفاق ، وكان يتخذ الموقف الموضوعى فى المشاكل المثارة حسب اقتناعه .

ادلل على موقفى الموضوعى بالمثلين التاليين :

الأول : اننى حاربت مع (سيد سليمان) ضد تصعيد (على الشلقانى) للجنة المركزية ، ليس من منطلق انه مثقف ، أولأنه متعاون مع «كمال» فى حركة السلام ، بل من زاوية محددة هى انه كان هاربا من العمل النضالى فى أراضى

مصر طوال ثلاث سنوات تقريبا ٤٨ ــ ٥٠ ، اذ كان يعيش فى هذه الفترة فى باريس ، الى جانب انتمائه الطبقى ، وقد كان تقديرى فى محله فقد ترك العمل النضالى بعد حريق القاهرة ، وترك حتى النضال فى صفوف حركة السلام المصرية . وفى المقابل حاربت مع كمال عبدالحليم معركة اتهام (ممدوح لقناعتى بحكم صلتى بالموضوع بصحة هذا الاتهام ، رغم علاقتى القوية بشقيقه (سيد سليمان رفاعى) .

مجالات النشاط التنظيمى لحدتو :

من الناحية الجغرافية لم يكن نشاط «حدتو» منحصرا فى القاهرة والاسكندرية ، كما هو الشأن غالبا بالنسبة للمنظمات الاخرى ، بل امتد هذا النشاط الى بعض محافظات الوجهين البحرى والقبلى وان كان نشاطها فى القاهرة والاسكندرية يحتل الأهمية الأولى .

كان حجم العضوية فى القاهرة اكبر ، والكوادر القيادية المخصصة لها أكثر .

فى القاهرة ، كان يعمل من الكوادر المركزية (كاتب هذه السطور ــ يوسف مصطفى ــ كمال الشلودى) الى جانب ما يفرزه نشاط الكوادر المركزية فى العمل العلنى (السلام ــ الحركة النقابية ــ التحالفات السياسية) ، وكان ينخرط فى نشاط العاصمة مجموعة كبيرة من الكوادر الوسطى التى كانت تعمل فى لجان الأقسام التابعة للقاهرة .

فى الاسكندرية ، كان العضو المركزى المسئول عنها هو (شطا) وكان يعاونه فى هذا العمل (شحاتة عبدالحليم ــ سعد الساعى ــ سيد حسن عبده ــ فتحى داود ــ فؤاد منير وآخرين) .

فى بحرى كان العضو المركزى المسئول عنه (فؤاد حبشى) وكان يعاونه (طاهر البدرى ــ سيف صادق ــ عبدالسلام الخشان ــ حامد الموجى ــ احمد سليم ــ بدير النحاس ــ رفعت السعيد وآخرين) .

* * *

العمل وسط فئات الشعب المختلفة :

لم تكن حدتو تحصر نشاطها التنظيمى والسياسى والجماهيرى فى طبقة اجتماعية واحدة كالعمال أو فئة اجتماعية من فئات البرجوازية الصغيرة كالطلبة ، بل على العكس من ذلك فان هذا النشاط يمتد لكافة الطبقات والفئات الاجتماعية التى تشكل الأساس الاجتماعى والطبقى للجبهة الوطنية الديمقراطية ، كالفلاحين والحرفيين والموظفين والتجار والقوات المسلحة .

ونظرا لأن نشاط «حدتو» كان ينشأ وينمو فى المدن أساسا ، فان العمل بين العمال والطلبة كان يجد الاهتمام الأكبر ، ولكن هذا الاهتمام لم يمنع «حدتو» من الكفاح ضد المقولة الخاطئة لـ (م.ش.م) بحصر النشاط كلية وسط العمال ١٠٠٪ أو مقولة «ع.ث» بالعمل ٧٥٪ وسط العمال ، وهذه المقولات انتعشت كثيرا فى ١٩٤٨ وأن كانت قد انهزمت تماما فى الفترة من ٥٠ ـــ ٥٢ .

فى القاهرة ، كان العمل وسط المناطق العمالية فى شبرا الخيمة والمطرية والزيتون ، وخاصة بين عمال النسيج ، وذلك الى جانب العمل وسط الطلبة وفى الأحياء السكنية ، وفى مدينة الاسكندرية كان نفس الشىء الذى يحدث فى القاهرة .

أما فى بحرى فقد كان هناك نشاط فى صفوف الفلاحين فى القرى بمحافظات الدقهلية ودمياط والغربية ، وبين أبناء البرجوازية فى المدن الصغيرة بتلك المحافظات الثلاثة وغيرها .

«حدتو» والتنظيم الفئوى للنشاط :

كان شكل التنظيم الفئوى هو السائد فى حدتو حتى منتصف عام ١٩٤٨ ، وقد كان هذا الشكل من أسباب المشاكل والخلافات داخل «حدتو» ، وارتكن الانقساميون فى محاولاتهم لخداع العضوية وجرها للانقسامات الى وجود هذا الشكل .

وتثبت التجربة التاريخية الحركة للشيوعية المصرية والعالمية أن أشكال التنظيم ليست مبادىء أو أطر مقدسة لا يمكن الخروج عليها ، بل هى على العكس وسائل

وأشكال يمكن تجربتها والحكم عليها من خلال الفوائد والأضرار التى تحققها ، فاذا اعطت نتائج ايجابية فى العمل الجماهيرى والتنظيمى يمكن الأخذ بها ، والعكس بالعكس اذا اعطت نتائج سلبية .!

مثلا ، ثبت من تجربة ٤٦ ـــ ١٩٤٨ أن تشكيل قسم خاص «للنوبيين الشيوعيين» فى ح.م ثم حدتو أعطى نتائج أفضل فى العمل الجماهيرى (تشكيل روابط وجمعيات نوبية فى القاهرة) ، كما أعطى نفس النتائج فى العمل التنظيمى (زيادة العضوية النوبية فى حدتو) ، وفى اعتقادى ان هذه النتائج لم تكن لتحقق أو لأصبحت محدودة ، ولو تم تنظيم الرفيق النوبى فى مجال عمله ، وكان هذا هو الوضع الملائم آنذاك لأن المواطنين النوبيين كانوا مركزين فى أحياء شعبية معينة القاهرة ، وكانت لهم أماكن خاصة تجمعهم ، وكانت علاقاتهم المشتركة أقوى من علاقتهم بالمواطنين المصريين .

ويمكن الاستشهاد بأمثلة اخرى كتشكيلات الطلبة والسودانيين فى ح.م وحدتو للتدليل على عدم قدسية الأشكال التنظيمية .

اذن ، فان تجربة الاشكال المختلفة للتنظيم والمقارنة بين نتائجها مسألة ضرورية ومطلوبة خاصة فى بدايات العمل التنظيمى فى مجال معين .

لقد عدلت قيادة «حدتو» جزئيا منذ ١٩٥٠ عن الاشكال الفئوية للتنظيم بالمعنى الذى كان متعارفا عليه فى حدتو آنذاك لا من باب ادانة تلك الاشكال كما فعل الانقساميون فى ١٩٤٨ ، انما من زاوية ان الاشكال الجغرافية تعطى نتائج أحسن فى المرحلة الجديدة .

كانت الاشكال التنظيمية بعد ١٩٥٠ تجمع بين الشكلين الجغرافى والفئوى فى نفس الوقت ، فالشكل الفئوى تبلور فى (رابطة طلاب حدتو أو رابطة الطلاب الشيوعيين) وكان على رأس هذه الرابطة (عبدالمنعم الغزالى) ، أما الاشكال الجغرافية بالقاهرة فكانت (شبرا الخيمة ـــ الزيتون) وكانت فى الأساس اقساما عمالية ، وكانت هناك أقسام خاصة بالأحياء الشعبية فى مدينة القاهرة (بولاق ـــ السيدة الخ)

وإذا كان الشكل الفئوى للطلاب أصبح قائما حتى بعد ١٩٥٠ ، فان هناك أشكال فئوية انتهت تماما ، مثلا (قسم الأزهر) لانعدام العضوية به بعد ١٩٥٠ ، أو «القسم النوبى» لانشغال كوادره القديمة (زكى مراد — كاتب هذه السطور — محمد نور الدين سليمان جاسر) بالمهام القومية لحدتو أما «قسم الأجانب» فقد انتهى تماما بعد ان فقد أهميته السياسية ، بطرد الأجانب من مصر أو هجرتهم للخارج بعد حرب فلسطين (مايو ٤٨) .

قضية البرنامج واللائحة فى حدتو :

كان لحدتو فى ١٩٥٠ برنامج ولائحة وكانت النقطة الجوهرية فى ذلك البرنامج هى تحديد مرحلة الثورة بأنها ثورة وطنية ديمقراطية موجهة أساسا ضد الاستعمار وأعوانه من الاقطاعيين والبرجوازيين الخونة ، باعتبارها خطوة أولى وضرورية نحو الثورة الاشتراكية كما تضمن البرنامج بنودا خاصة بتوزيع الارض على الفلاحين ، وتأميم المنشآت الكبيرة وخاصة ذات الطبيعة الاستعمارية ، الى جانب المطالب الخاصة بالفئات والطبقات الشعبية المختلفة ، وكانت هناك — فى البرنامج — مطالب خاصة بالقوات المسلحة وبالأقلية النوبية .

أما جوهر اللائحة فكان ان النظرية التى تتبناها «حدتو» هى الماركسية اللينينية التى تستهدف القضاء الكامل على استغلال الانسان لأخيه الانسان باقامة الاشتراكية سعيا للهدف النهائى فى بناء الشيوعية على أرض مصر .

وفيما يتعلق بالقواعد التنظيمية التى تحكم عمل «حدتو» كانت اللائحة تنص على خضوع الاقلية للأغلبية ، وخضوع الهيئات الدنيا للهيئات العليا ، وخضوع المنظمة كلها لمركز واحد (المؤتمر العام واللجنة المركزية) وادانة التكتلية والانقسامية فى المنظمة .

وكانت اللائحة لا تقر مبدأ الانتخاب للهيئات العليا من الهيئات الدنيا ، ولا انتخاب الهيئات لمسئوليها السياسيين (باستثناء اللجنة المركزية) وكانت تأخذ بمبدأ التعيين للهيئات الدنيا والمسئولين .

وقد طبع البرنامج واللائحة فى مرحلة مبكرة من حياة حدتو فى ١٩٥٠ ، اذ شاركت شخصيا مع (يوسف مصطفى) فى طبعهما فى منزل احد الرفاق الذين

انضموا فى حدتو من مجموعة (جات) .

اذكر هذه الواقعة لطرافتها ، فقد فاجأنا ـ ونحن نقول بالطباعة ـ احد اقرباء هذا الرفيق الشاب (١٨ سنة) ، وكان سن قرينه كبيرا ويبدو انه كان ولى أمر هذا الرفيق .

فاجأنا بالسؤال ماذا تطبعون ؟ وكانت اجابة (يوسف مصطفى عليه فكاهية وهزلية وغير مقنعة ، طلب الرجل كبير السن منا أن نحزم امتعتنا (جهاز الطباعة والأوزاق) ونرحل فورا ، ولم نكن نملك غير التنفيذ الفورى ، ولا نعرف ماذا تم لرفيقنا صغير السن ، فقد انقطع عن المنظمة بعد ذلك .

شبكة الثوريين المحترفين فى حدتو :

كانت حدتو فى هذه الفترة ـ سيرا على تقاليدها ـ حريصة على بناء شبكة واسعة من الثوريين المحترفين ، تقوم بمهام بناء المنظمة .

لم تكن قيادة حدتو المركزية ضيقة الأفق فى هذه القضية ، فلم تبنى شبكة الثوريين المحترفين لأداء العمل التنظيمى ذو الطبيعة الداخلية ، بل سعت فى نفس الوقت الى بناء شبكة الثوريين المحترفين المخصصين للعمل الجماهيرى بنوعياته المختلفة ، سواء فى مجال حركة السلام ، أو الحركة النقابية .

وقد تخصص لهذا الجانب من العمل العلنى من الثوريين المحترفين (كمال عبدالحليم ـ محمد على عامر ـ سيد ترك) ، كما تخصص للعمل التنظيمى العام والبناء الداخلى من الثوريين المحترفين (سيد سليمان رفاعى ـ يوسف مصطفى ـ فؤاد حبشى ـ محمد شطا ـ سيف الدين محمد صادق ـ ضياء بدر ـ عبدالمنعم الغزالى ـ فوزى فام ـ كمال الشلودى ـ وكاتب هذه السطور) .

اعضاء حدتو فى السجون المصرية :

بعد تصفية المعتقلات فى ١٩٥٠ ظل بعض السجناء الشيوعيين المحكوم عليهم بسنوات فى السجن كان بعضهم أعضاء فى م.ش.م ، والبعض الآخر من أعضاء حدتو ، أما الجزء القليل فقد كانوا أعضاء فى (نحشم) التى اندمجت فى «حدتو» بعد ذلك .

كان ضمن هؤلاء المسجونين الشهيدين (شهدى عطية الشافعى ــ محمد خليل قاسم ــ وفؤاد عبدالحليم ــ حمدى عبدالجواد ــ هلال شوارتز ــ مارسيل اسرائيل ــ عبدالقادر العايدى ــ فؤاد الدهان ــ محمد حسن جاد «برق» ــ محمد يوسف الجندى ــ شريف حتاتة وآخرين) .

ولم تنس حدتو ــ فى غمار نضالها الجماهيرى ــ هؤلاء الرفاق .

فأولا : انتهزت فرصة الغاء معاهدة ٣٦ ، ورفعت عاليا شعار الافراج عن المسجونين الشيوعيين ، وفى المظاهرة الضامتة الضخمة التى تحركت فى نوفمبر ١٩٥١ من ميدان التحرير واجتازت أهم شوارع القاهرة (سليمان باشا وفؤاد) كانت لافتات الافراج عن الشيوعيين تحتل جزءا هاما من المظاهرة . وكان من المتوقع والممكن الافراج عن هؤلاء لولا حريق القاهرة فى يناير ٥٢ .

وسيرا على التقاليد الثورية لعبت «حدتو» دورا هاما فى تهريب بعض رفاقها من المسجونين (محمد يوسف الجندى ــ الدكتور شريف حتاتة) من يد العدو الطبقى .

اختفيا فى القاهرة فى بداية الأمر ، ثم سافرا خفية للخارج بعد ذلك ، ولم يقيما بالخارج للأبد كما يحلو الأمر لبعض الثوريين ذوى الصيحات والصرخات العالية ، فقد عاد الدكتور شريف الى مصر فى سنة ٥٣ وظل يكافح الى ان قبض عليه وحكم عليه بالسجن فى ١٩٥٤ ، أما الجندى فقد عاد لمصر فى سنة ١٩٥٦ وظل يكافح الى ان قبض عليه وحوكم فى ١٩٦٠ .

ورغم وجود كفاءات فكرية وثقافية من الرفاق فى السجون ، فان «حدتو» لم تستفد من هؤلاء الرفاق استفادة حقيقية فى هذا المجال ، وكان هذا نقصا شديدا يستحق النقد .

وكان السبب وراء ذلك ، هو ان «حدتو» فى تلك الفترة لم تول قضية الدعاية والثقافة الاهتمام الكافى التى تستحقها بسبب الانغماس فى النشاط العملى الجماهيرى والتنظيمى ، كما ان هناك عاملا ثانويا فى انعدام الاستفادة بهؤلاء هو تشتتهم فى اكثر من سجن بالوجهين القبلى والبحرى تنفيذا للخطة التى لجأت اليها السلطات البوليسية آنذاك .

ووإذا كانت هناك جهود فكرية رأت النور ـــ بعد ذلك ـــ مثل الكتاب الذى اصدره الشهيد شهدى عطية الشافعى فى ١٩٥٦ بعنوان (تطور الحركة الوطنية فى مصر) فلم يكن هذا بتوجيه من القيادة الحزبية ، بقدر ما كان جهدا فكريا خالصا من الرفيق (شهدى) .

الاجهزة الفنية فى حدتو :

كانت «حدتو» تركز معظم اهتمامها على اصدار الصحافة العلنية للمنظمة ، وفعلا كانت «لحدتو» فى تلك الفترة صحافة علنية تعددت اسماءها من بدايات ١٩٥٠ وحتى حريق القاهرة .

وفى الفترة من ٢٦ يناير (حريق القاهرة) وحتى قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ، كان من المستحيل اصدار صحافة علنية «لحدتو» لانعدام الديمقراطية وغياب الشيوعيين وراء اسوار المعتقلات ، ورغم هذا الاهتمام بالصحافة العلنية ، فان «حدتو» لم تنس ـــ فى لحظة ما ـــ بناء اجهزة فنية سرية للمنظمة ، تصدر صحافتها السرية .

وكانت تلك الاجهزة تتطور ـــ حسب تطور قوة حدتو ـــ فى البداية كانت أجهزة بدائية جدا (رولوهات خشبية ، ثم رونيوهات ، ثم مطبعة حروف بدائية) .

والرفاق الذين ساهموا فى العمل على الاجهزة الفنية ، او ساهموا فى حمايتها والاتصال بها كانوا (سيد ترك) الذى كان يخفى الجهاز الفنى بمنزله المملوك له بالدور الارضى فى المعادى كما ساهم فى هذا المجال (محمد محمود) الذى كان يقيم بالزيتون ، وفى مرحلة لاحقة كان (توفيق ندا ومحمد سليمان رفاعى «ممدوح» الذى سبق الحديث عنه كعميل للبوليس السياسى ، وفى مرحلة متقدمة كان «كمال الشلودى» وملكون ملكونيان من أصل أرمنى) ، وقد قاما بطباعة بيانات الضباط الأحرار فى جهازها الفنى ، وتم ضبطهما ومحاكمتهما بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وقد وقعت تلك الأجهزة الفنية فى يد البوليس السياسى فى فترات مختلفة ، أما نتيجة اختراق بوليسى (محمد سليمان رفاعى) أو لحدوث أخطاء شديدة فى عمل الجهاز الفنى أو فى آليات الاتصال به .

وكان (سيد سليمان رفاعي) رغم مسئوليته السياسية عن حدتو يهتم شخصيا بمسألة متابعة الاشراف السياسى والفنى على الاجهزة ، وقد تم القبض عليه فى احدى القضايا الشيوعية الخاصة بجهاز فنى ، ومكث فى السجن عشرين يوما تقريبا .

اذكر هذه الواقعة بسبب ان (كمال شعبان) أقام ضجة كبيرة حول القبض على (سيد رفاعى) فى قضية اجهزة فنية ، كان (كمال شعبان) عضوا فى السكرتارية المركزية للمنظمة ، وكان فى بداية تفكيره فى الانسحاب من العمل الشيوعى .

ثارت مناقشة حامية بينى وبينه فى تلك الفترة حول تلك الواقعة ، كان يركز على دراسة أسباب ضبط الجهاز الفنى والقبض على (سيد رفاعى) وايقاف أى عمل قبل اتمام هذه الدراسة .

كانت وجهة نظرى لا ترفض الدراسة المطلوبة ، انما كنت أطالب بتحريك دولاب العمل ، ثم انتظار الافراج عن المقبوض عليهم ، وقد اتخذت هذا الموقف حتى لا يتوقف دولاب العمل ، فى اطار الاحباط الذى كاد ان يصيب الرفاق فى الهيئات الحزبية بعد اعلان نبأ القبض على المسئول السياسى للمنظمة ، كان (كمال شعبان) فى حالة الاستعداد النفسى للتوقف عن العمل ، ولذا لم يكن يهمه توقف العمل فى المنظمة .

انتصرت وجهة نظرى فى النهاية ، وتحرك دولاب العمل الحزبى وكان الصوت المرجح ، هو صوت الشيوعى السودانى (عوض عبدالرازق) الذى كان يعمل ضمن السكرتارية المركزية «لحدتو» فى ذلك الوقت .

لم تكن «حدتو» تكتفى بقدراتها الفنية المحدودة ، بل كانت تحتمل الاستفادة بامكانيات أخرى ليست مملوكة لها ، كطباعة بعض الكتب فى مطابع علنية تجرؤ على القيام بهذا العمل مقابل أجر معين ، يكون بالطبع أجرا سخيا لأن المطبعة كانت تقوم سرا بهذا العمل الذى يحمل طابع المخاطرة والمغامرة .

كما ان «حدتو» كانت تستعين برفاقها فى الخارج (مجموعة روما) فى طبع بعض الكتب وارسالها الى مصر على دفعات .

وكان هناك فرق شاسع بين تكنيك الطبع المتقدم فى الخارج ، والتكنيك المتخلف البطىء فى مصر .

دور الشيوعيين السودانيين فى عملية البناء الداخلى لحدتو :

سوف يقتصر حديثى — فى الصفحات القادمة — عن دور الشيوعيين السودانيين فى عملية البناء فى الفترة من ٥٠ — ٥٢ ، ومن المعروف ان الجيل الأول من الشيوعيين السودانيين ، جيل (عبدالخالق محجوب — التيجانى الطيب — عوض عبدالرازق) ساهم خلال تواجده فى مصر فى بناء (ح.م ثم حدتو) واستمرت هذه المساهمة حتى ١٩٤٩ تقريبا ، حيث عاد البعض من أبناء هذا الجيل الى السودان ، اما باختياره (عبدالخالق محجوب — عوض عبدالرازق) لاحتياج العمل الشيوعى فى السودان اليهم ، وعاد البعض منهم للسودان بأوامر من الحكومة المصرية (التيجانى الطيب — عبدالقيوم سعد — شاكر مرسال — تيدى لاركن جيمس — عبده ذهب وآخرين) حيث كانوا فى المعتقلات والسجون فى تلك الفترة جنبا الى جنب مع رفاقهم المصريين .

عادوا للسودان وبحكم الخبرة التى اكتسبوها فى مصر ساهموا فى بناء الحركة الشيوعية فى السودان (حستو ثم الحزب الشيوعى السودانى) .

ومن المعروف ان ح.م ثم حدتو ساهمتا بنشاط فى نشأة وتطور الحركة الشيوعية السودانية ، وكان هذا النشاط هو التطبيق الحى لشعار الكفاح المشترك وحق تقرير المصير للشعب السودانى ، الذى رفعته ح.م .

وقد تميز هذا النشاط والشعار ح.م ثم حدتو عن نوعين من القوى السياسية فى مصر هى حركة البرجوازية المصرية بتجمعاتها السياسية المختلفة التى كانت تطالب بوحدة وادى النيل تحت التاج المصرى ، وفى الجانب الآخر تميزتا بذلك النشاط عن المنظمات الماركسية المصرية الأخرى التى لم تعط أى إهتمام يذكر لدعم الحركة الشيوعية السودانية حتى بعد نشأتها .

فى الفترة التى نعالجها غابت مجموعة كبيرة من كوادر حدتو فى السجون والمعتقلات ، وفد الى مصر الجيل الثانى من الشيوعيين السودانيين للدراسة فى الجامعات والمدارس الثانوية المصرية ، وكان من ابرزهم (الجنيد على عمر — عمر

محمد ابراهيم وشقيقه على محمد ابراهيم ــ وبابكر محمد على ــ والدكتور مصطفى السيد) ، وقد ساهم هؤلاء جميعا ــ بدرجات متفاوتة ــ فى بناء حدتو وبالذات بعد ١٩٥٠ ، فقد كانوا يكافحون جنبا مالى جنب مع الرفاق المصريين ، وكما قلت سابقا فان (الجنيد على عمر) كان عضوا فى ل.م حدتو وسكرتاريتها المركزية أما (عمر محمد ابراهيم ــ وبابكر محمد على) فقد ساهما بنشاط ضخم فى بناء الاقسام ذات الطبيعة العمالية فى القاهرة (شبرا الخيمة ــ منطقة الزيتون) أما (احمد سليمان ــ على محمد ابراهيم ــ والدكتور مصطفى السيد) فان نشاطهم كان مركزا فى أوساط الطلبة (جامعة القاهرة) .

فنتيجة هذا النشاط الواسع فقد امرت السلطات المصرية باعتقال (بابكر محمد على ــ عمر محمد ابراهيم) فى الهايكستب مع الرفاق المصريين بعد حريق القاهرة .

وبحكم الدور النشيط للرفاق السودانيين فى حدتو ، وبحكم نشاط حدتو وسط الطلاب السودانيين فى مصر ، فان مجهودات كثيرة بذلت فى تلك الفترة لتدعيم الحزب الشيوعى السودانى ، وقد تجسدت وسائل الدعم فى جمع تبرعات وبناء اجهزة فنية ، واستقبال الرفاق السودانيين للتدريب لمدد محددة فى فروع حدتو .

كانت هناك علاقات متينة بين حستو فى السودان وحدتو فى مصر ، وكانت زيارات السودانيين للقاهرة كثيرة ، ولم يشعر أى رفيق سودانى ، وهو يزور القاهرة انه بعيد عن أهله وحزبه .

كان التقليد المتفق عليه منذ فترة طويلة ، وطبق فى الفترة التى ندرسها هو ان أى رفيق سودانى يصل بالقاهرة ينظم اتوماتيكيا فى حدتو ، وأى رفيق سودانى يجند فى القاهرة فى حدتو يكتسب العضوية اتوماتيكيا فى الحزب الشيوعى السودانى بمجرد عودته للسودان .

وكانت الخطة المتبعة مع الرفاق السودانيين ــ داخل حدتو ــ هى كما كان الأمر فى ح.م وحدتو حتى ١٩٤٨ ــ تدريبهم على الأعمال المختلفة وبالذات فى المستويات القيادية المركزية والوسطى .

ولا يعنى هذا انه لم يحدث سوء تفاهم بين حدتو والحزب الشيوعى السودانى ، وتم هذا فى واقعتين محددتين .

الأولى : احتجاز (عوض عبدالرازق) فى القاهرة ، وتفاصيل هذه الواقعة هى ان (عوض) كان مختلفا مع قيادة الحزب الشيوعى السودانى فى بعض المسائل السياسية ، وكانت خلافاته والمجموعة الصغيرة التى تسانده — فى الأساس — مع عبدالخالق محجوب باعتباره السكرتير العام للحزب ، ويبدو ان (عوض) كان يرى انه الأجدر بقيادة الحزب بدلا من عبدالخالق ، وتطور الخلاف السياسى — من جانب عوض — الى القيام باتصالات جانبية لاجراء تكتل ثم انقسام فى صفوف الحزب .

جاء (عوض) للقاهرة فى سنة ١٩٥١ وحاول استمالة قيادة «حدتو» لمواقفه السياسية ومحاولاته التكتلية والانقسامية ، لم تكن الاستمالة سهلة ولا متيسرة ، فمن ناحية كانت العلاقات بين قيادتى الحزب الشيوعى والسودانى وحدتو قوية جدا ، وفى نفس الوقت كانت حدتو — بحكم خبرتها الذاتية تعادى أية عمليات تكتلية أو انقسامية وخاصة بعد تجربة ١٩٤٨ .

وناقشت السكرتارية المركزية الأمر ، فيما بينها ، وطرح عليها خياران لا ثالث لهما ، احتجاز (عوض) فى القاهرة أطول مدة ممكنة ، أو السماح له بالعودة للسودان بما يرتبط بالعودة من مباشرة نشاطه الانقسامى .

وأزنت السكرتارية المركزية بين الاختيارين ، وفضلت احتجازه للتقليل من فاعلية نشاطه الانقسامى ولاعطاء فرصة لقيادة الحزب السودانى للقضاء أو التقليل من الآثار السلبية لنشاطه الانقسامى . وتم حصر نشاط (عوض) فى القاهرة فى حدود القيادة المركزية لحدتو وكان يقدم بعض المساعدت هامة فى مجال الدعاية .

بعد فترة من الزمن ، اكتشفنا ان احتجاز (عوض) فى القاهرة لم ينل رضاء الحزب الشيوعى السودانى ، كما لم ينل رضاء (عوض) .

كانت قيادة الجزب السودانى ترى ان احتجازه قلل من امكانية القضاء النهائى عليه سياسيا وتنظيميا ، كما أن (عوض) قد اكتشف بعد عودته للسودان ان ذلك الاحتجاز قلل من فاعلية نشاطه التكتيكى والانقسامى ضد الحزب السودانى .

وقد حاولت قيادة حدتو ان تشرح للحزب السودانى نبل مقصدها فى الاحتجاز ، وقد كان هذا خطأ بالحتم من قيادة حدتو ، وسبب الخطأ الأساسى

ان حدتو لم تكن لديها خبرة أممية فى العلاقات بين الأحزاب والمنظمات الشيوعية فمهما كان الاختيار من جانب حدتو وفوائده ، فان الأمر النهائى فى تقدير سلامة أى من الاختيارين كان لا بد أن يكون موكولا له ، وكان الأمر المنطقى ان تنفذ «حدتو» اختيار الحزب السودانى ولو خالفته .

الثانية : كانت مسألة اعادة (احمد سليمان لعضوية «حدتو» كان أحمد سليمان قد فصل من الحزب الشيوعى السودانى بسبب ادمانه شرب الخمر ، وطبقا للتقاليد المتبعة آنذاك كان من المفروض ألا يكون عضوا فى حدتو عندما حضر للقاهرة لاستكمال الدراسة الجامعية . ولكن «حدتو» اتخذت موقفا مغايرا لهذا التقليد ، منحته عضوية «حدتو» مراعاة لدوره النشيط فى الجامعة سواء بين الطلاب السودانيين أو المصريين ، ومراعاة لما التزم به من انه سيقلل من شرب الخمر .

هذا الأمر لم يحدث سوء تفاهم كبير بين الحزب السودانى وحدتو بالمقارنة بذلك الذى حدث فى موضوع (عوض عبدالرازق) .

والدليل على ذلك ان (احمد سليمان) عاد للسودان ، وأصبح من الشخصيات الجماهيرية الهامة وعضوا فى ل.م الحزب السودانى ومكتبه السياسى ، الى ان انقسم عن الحزب بعد انقلاب النميرى .

* * *

١٠ - د . مصطفي هيكل .

محضر نقاش - ١ -

أجريت المناقشة فى ٧ - ١٢ - ١٩٧٢ فى برلين الشرقية

س هل يمكن أن تروى لى كيف تأسس تنظيم القلعة ؟

جـ فى البداية وبالدقة حوالى عام ١٩٣٩ تجمعت معى مجموعة من شباب حى القلعة ، كان سنى حوالى ١٧ عاماً ، وكان التجمع وطنى بحت ، كنا نناقش قضية معاهدة ١٩٣٦ ومشاكل البطالة بين المثقفين ، والنضال ضد الفاشية ، وربما ساعد كثيراً على تكوينى السياسى المبكر أننى كنت أقطن فى درب اللبانة رقم ٦ أى فى المنزل الملاصق تماماً لبيت الفن والذى كان يضم مجموعة من الفنانين التقدميين ، وكان أخى الأكبر أحمد رساماً ولديه مرسم فى بيت الفن مع الرسام فؤاد عبد العزيز ، ومن ترددى على بيت الفن تعرفت على كامل التلمسانى ورمسيس يونان وغيرهما . ومن خلال الفنانين تعرفت بعصام حفنى ناصف وعرفنى عصام بالدكتور عبد الفتاح القاضى ومن مناقشاتى مع هؤلاء جميعاً عن الفاشية والحرب ومشاكل الثقافة والأدب ومن قراءاتى فى مكتبة أبى عضو هيئة كبار العلماء وأحد رجال الدين النشطين فى تأييد الشيخ على عبد الرازق ومن قراءاتى فى كتب سلامة موسى والمنفلوطى وشبلى شميل ، وكنت أناقش ذلك كله مع مجموعة أصدقائى التى كانت تلتقى فى زاوية الطريق بين مسجدى الرفاعى والسلطان حسن .

وبدأت المجموعة تشعر بالرغبة فى المزيد من المعرفة وبدأنا نبحث عن سبيل لهذه المعرفة ، والتقينا - عن طريق بيت الفن - بأنور كامل وكان فى جماعة « الفن والحرية » ، لكن علاقتنا به كانت متقطعة وكان أنور كامل يردد أمامى اسم د . عبد العزيز هيكل وهو ابن عمى فأسرعت بالاتصال به ، ومن خلال المناقشات معه اتضحت أمامى أمور كثيرة ، وحوالى عام ٤٠ - ١٩٤١ بدأت علاقات مجموعتنا تتسع واتصلنا بعدد من الأخوان المسلمين

وكسبنا بعضهم إلى صفنا ، وفى ٤١ ـــ ١٩٤٢ بدأ يتبلور فى مجموعتنا فكر اشتراكى محدد المعالم ، وان كان غير مدروس دراسة كافية .. وفى ذلك الحين وقع حادث ٤ فبراير وهزنا الحادث هزاً عنيفاً وأطاح بما كان لدينا من ميول وفدية وحثنا على أن نسعى نحو تنظيم مستقل . ولكى نتصور حالة هذه المجموعة الصغيرة من الشبان فى هذا الحى بالذات يجب أن تعلم أن هذا الحى كان يضم المركز الرئيسى للأخوان المسلمين وكان يضم بالمقابل ـــ وبالضرورة ـــ لجنة وفدية شديدة النشاط ، وفى القلعة ذاتها كانت تتمركز قوات احتلال انجليزى يستفز وجودها السكان فى كل لحظة ، وفى الحى أيضاً المدرسة الخديوية الثانوية وكانت أحد معاقل الحركات الطلابية ـــ وكنت رئيس جماعة الخطابة بها ومن ذلك المزيج كله وتأثراً به بدأت مجموعتنا تتبلور .

وبعد ٤ فبراير ـــ كما قلت ـــ بدأنا فى البحث جدياً فى اقامة تنظيم وبدأ كل منا يجمع أكبر قدر من الكتب والمجلات التى كانت تصل من سوريا ولبنان ، وبعض الكتب والمجلات المترجمة التى كانت تصل من عصبة التحرر الوطنى الفلسطينية ، وفى هذه المرحلة امكننا أن نحصل على بعض الكتب الماركسية وأن ندرسها بلهفة مثل « الأجر والثمن والربح » ـــ البيان الشيوعى ـــ العمل المأجور ـــ رأس المال . وهكذا يمكننى أن أقول أننا قد أصبحنا فى عام ١٩٤٢ حلقة ماركسية وبدأنا فى العمل كمنظمة ، كان معظمنا فى البداية طلاباً ، وبدأنا كل شخص منا يجند بعض معارفه ، وفى هذا الوقت لم نكن نعلم على الاطلاق بوجود منظمات أخرى .

وفى العام الدراسى ٤٢ ـــ ١٩٤٣ دخلت كلية التجارة ـــ جامعة فؤاد الأول (القاهرة) وواصلت عملية التجنيد النشيط للعديد من العناصر وفى هذه الفترة أيضاً اتسعت مناقشاتنا مع كوادر الأخوان المسلمين ، كنا نجرى معهم نقاشاً ودوداً ودون انفعال ، ونجحنا فى اقامة علاقات جيدة معهم ، وعن طريق صلاح عبد الحافظ تعرفت بالمرشد العام للأخوان المسلمين الشيخ حسن البنا ومع استمرار نشاطنا فى صفوف الأخوان اصدر مكتب الارشاد قراراً بعدم السماح لى بالدخول إلى مقر المركز العام بالحلمية .

وفى عام ١٩٤٤ اتسع نشاط منظمتنا وبدأت عملية التجنيد تخرج عن اطار حى القلعة فقد اتاح لى تواجدى بالجامعة ضم عناصر نشيطة وفعالة مثل أحمد الرفاعى ــ عادل سيف النصر ــ مصطفى أغا ، كذلك فقد نشط أخى عبد الفتاح هيكل فى مدرسة بنبا قادن الثانوية ، وامتد نشاطنا الى الأزهر حيث جندنا محمد البخارى وعبد الفتاح يونس (وهو ابن شيخ التكية التركستانية وكانت بؤرة معادية للاتحاد السوفيتى ، وقد ساعدنا على اقامة صلات بالجالية التركستانية ومجابهة سياسية العداء للاتحاد السوفيتى فى صفوفها .

س هل كان نشاطكم محصوراً فى اطار الطلبة فحسب ؟

جـ لا . فحى القلعة أيضاً ملىء بالحرفيين وضممنا بعض صانعى الأحذية وعن طريقهم بدأنا الاتصال بنقابة صانعى الأحذية ومن خلالها بنقابات أخرى وتعرفنا فى هذه الفترة بمحمود العسكرى وفضالى عبد الجيد كذلك فقد نشطنا فى الاجازات الصيفية فى قرانا ونجح أحمد الرفاعى فى ضم عدد من فلاحى قرية طناح ونجحت أنا واخى عبد الفتاح فى اقامة نشاط فى قريتنا كفر غنام .

وبدأنا نشعر بالحاجة الملحة إلى ترجمة عدد من الكتابات الماركسية معتمدين على معرفتنا باللغة الانجليزية وبدأنا فى ترجمة بعض الكتب منها مثلاً أسس اللينينية لكننا دهشنا بعد ذلك عندما وجدناه مترجماً مطبوعاً باللغة العربية .

س ماذا عن علاقتكم بالمنظمات الأخرى ؟

جـ فى البداية كنا نتصور أننا التنظيم الوحيد ، وبعد اتساع نشاطنا بدأنا نشعر بالمنظمات الاخرى وبدأت هى تشعر بنا . وفى منتصف عام ١٩٤٤ كان أول لقاء لى مع هنرى كورييل ، وخرجت من النقاش مقتنعاً بضرورة الانفتاح على الجماهير والتخلى عن الحذر الشديد . وهكذا بدأنا علاقات واسعة بعمال شبرا الخيمة وعمال السجاير بالجيزة .

وفى أحد زياراتى لمجلس الشيوخ لمقابلة د . محمد حسين هيكل تعرفت على محمد خطاب وقامت بيننا علاقة وطيدة ومناقشات مستمرة . وعن طريق خطاب تعرفت بالضابط أحمد جمروش وضممته إلى التنظيم . ومن خلال النشاط تعرفنا على وجود منظمة ايسكرا وتقابلت مع شهدى عطية . واستمرت علاقاتى بكل من كورييل وشهدى عطية . وخلال مناقشاتى مع كورييل كان يركز على موضوعين أولهما العمل الجماهيرى (رفضاً لفكرة منظمة الكادر) والثانى هو التعميل وأهميته وضرورته .

س بعد أن اتصلتم بالمنظمات الأخرى ، ماذا كان موقفكم من مشكلة الوحدة ؟

جـ فى ١٩٤٦ إتصل بنا د . عبد الفتاح القاضى عن طريق صلاتنا لبعض زملاء مجموعة « العصبة الماركسية » وفى نفس الوقت تعرفنا بسعيد خيال ولجنة نشر الثقافة الحديثة ، وخلال فترة وجيزة أصبحت مجموعتنا بأكملها تعلم بوجود منظمات أخرى ، ولكن تحذيرات د . عبد الفتاح القاضى من المنظمات التى تضم عناصر أجنبية قد تركت صدى لدى بعض أعضائنا ، غير أننى ومع استمرار مناقشاتى مع هنرى كورييل تولدت لدى القناعة بعدم الأخذ بوجهة النظر التى ترفض التعاون مع الأجانب وهكذا أصبح لدينا الكيان والوجود الذى أطلق عليه من قبل الآخرين اسم منظمة « القلعة » .

س كم كان عدد تنظيمكم فى عام ١٩٤٥ ؟

جـ حوالى ١٢٠ عضواً .

س كيف تناولتم قضية الوحدة ؟

جـ كنا مع وحدة كل المنظمات وكان شعارنا وشعارى أنا شخصياً " ليس ثورياً من لا يوحد ارادة الثوريين " ، وبدأنا مفاوضات للوحدة مع كل من ح . م وايسكرا وتسهيلاً للأمور اتحدنا مع ايسكرا التى كانت فى الوقت نفسه تتفاوض مع ح . م من أجل الوحدة .

س شيء ملفت للنظر ، أنك كنت قريباً من ح . م ومعجباً بهنرى كورييل ثم تسارع بالوحدة مع ايسكرا لماذا لم تتحد مع ح . م ؟

جـ ربما كان السبب هو طبيعة التكوين الاجتماعي لايسكرا ولمنظمتنا فقد كان غالبية المنظمتين من المثقفين والطلبة ، وهكذا تقاربت المجموعتان ...

س عندما تم انضمامكم مع ايسكرا كم كان عددكم ؟

جـ حوالى ١٥٠ عضواً . الا أننى أود الاشارة إلى أن الوحدة مع ايسكرا لم تكن سهلة بالنسبة لنا ، فبعض عناصرنا رفضت الوحدة بحجة أن ايسكرا كان بها عناصر أجنبية وصاحب هذا الرأى كان مصطفى أغا . أما الأغلبية فلم تر فى ذلك أى مشكلة .

س كيف تمت عملية التوحيد مع منظمة ايسكرا ، وهل كانت هناك ثمة شروط سياسية أو تنظيمية ، ومن تولى مسئولية التفاوض من الجانبين ؟

جـ كنت أنا ممثل القلعة ، وكان شهدى ممثل ايسكرا ، أما عن الشروط فلم يكن لنا سوى الشروط العامة التى تبلورت نتيجة للمناقشات التى كانت تسود الحركة الشيوعية عامة فى ذلك الوقت وهى استكمال عملية التمصير بحيث تشمل كل القيادة ـــ فقد كان متفقاً عليها و لم تكن هذه القضايا جميعاً

محل خلاف أو اعتراض لا من جانب هنرى كورييل ولا من جانب شهدى عطية ، وأود أن أشير أننا اتحدنا سعياً وراء هدف الوحدة وليس بتأثير من أحد فمثلاً عندما انقسم شهدى من حدتو كنا ضد الانقسام وأدناه .

س هل كانت هناك من جانبكم شروط تنظيمية ، كالمشاركة فى القيادة مثلاً ؟

جـ لم يكن هذا أساس للنقاش ، أن وحدتنا تمت فى اطار الوحدة العامة كذلك فان عملية الاندماج لم تتم مباشرة فى كل أجزائها فبعض عناصرنا لم تكن قد وافقت بعد على الوحده ولهذا يمكننى القول بأن الاندماج قد تم حقيقة وبشكل متكامل من خلال عملية الوحدة الشاملة فى عام ١٩٤٧ .

س متى تمت الوحدة بين القلعة وايسكرا .

جـ عام ١٩٤٦ .

س هل كانت هناك خلافات ايديولوجية ؟

جـ لا .

س كتنظيم تكون وعاش من المصريين ، الم تشعروا بالغربة فى صفوف ايسكرا المليئة بالأجانب ؟

جـ لم نشعر بها لسبب بسيط هو أن معظم من كنا نعمل معهم كانوا من المصريين .

س تحدثت فى البداية عن علاقاتكم بقوى سياسية كثيرة ــ الأخوان المسلمين ــ الفن والحرية ــ محمد خطاب ــ ولم يرد فى حديثك أى ذكر لعلاقة مع حزب الوفد ، فهل كان لكم موقف ضده ؟

جـ فى أواخر ١٩٤٥ وأوائل عام ١٩٤٦ بدأنا الاتصال بالوفد وكانت علاقات جيدة تعمقت بعد الوحدة .

س بمن بالتحديد فى الوفد ... ؟

جـ مصطفى موسى ومجموعة الطليعة الوفدية أساساً .

* * *

١١ـ د . مصطفى هيكل

محضر نقاش (٢)

اجريت المناقشة فى ـــ ٣ ـــ ١٩٧٥ . فى برلين الشرقية

س لعلك تذكر مناقشتنا منذ عامين ونصف ، لقد طالعت ما سجلته من نقاش معك فى ذلك الحين (فى ٧ ـــ ١٢ ـــ ١٩٧٢)وأحسست أنه لم تزل هناك بضعة أسئلة يجب أن أحصل على اجابتها .. منها مثلاً تركيب أول قيادة لمنظمة القلعة ؟

جـ قبل أن ندخل إلى الأسئلة أود أنا أيضاً أن أعود بك الى قضية عامة ، اعتقد أنها ضرورية ، ولا زلت أشعر أنها كانت حاسمة فى توجهنا نحو تأسيس تنظيم شيوعى .. والحقيقة أنه كانت هناك ظروف موضوعية وظروف ذاتية دفعتنى دفعاً الى هذا الاتجاه ، لكننى أود أن أعود فأركز على حادث ٤ فبراير ، لقد اتجهت الدبابات البريطانية الى قصر عابدين وحى عابدين كما تعلم مجاور لحى القلعة والحلمية ، وانتشر الخبر وانطلقنا لنرى منظرا أورث فينا احساسا شديداً بالمهانة ، وكان الشعور السائد فى نفوسنا هو أنه كان يتعين على الوفد الا يقبل الحكم تحت ضغط الانجليز .

والحقيقة أنه لكى تفهم قصة منظمة القلعة فهما حقيقياً فانه يجب تفهمها كشىء متطور ونام نمت وتطورت فكراً وعدداً بشكل تدريجى ، كنا عدد قليل من الأعضاء يتزايد على المهل جداً ، ولقد كنا فى البداية مجموعة من ثمانية أصدقاء ستة طلاب منهم أنا وعبد العزيز بيومى وطالب أزهرى واثنان من العمال عامل بالمطبعة الاميرية اسمة ـــ رمضان ولا أذكر بقية اسمه وعامل فى الترسانة اسمه عبد العزيز لا أذكر ايضاً بقية اسمه .

وقد حدثتك فى النقاش السابق عن هذه المجموعة وكيف انجذبت نحو الفكر الاشتراكى . المهم أننا قررنا فى آخر فبراير ١٩٤٢ أن تكون تنظيماً شيوعياً وكونا خلية واحدة كنت أنا مسئولها ، وكنا متصورين اننا التنظيم الشيوعى الوحيد وبدأنا ننمو ولكن فى دائرة حى القلعة والمناطق المحيطة فقط ، عبد العزيز بيومى كان يتحرك فى منطقة درب الحصر وأنا فى الحلمية

وكنت طالباً فى التوجيهية فى المدرسة الخديوية ورمضان (عامل المطبعة الاميرية) كان يتحرك فى منطقة المحجر ، وحاولنا الاتصال ببعض الشخصيات المعروفة بميولها الاشتراكية فاتصلنا بعصام الدين حفنى ناصف ووجه لنا نصائح عديدة ولكنه رفض الانضمام لنا على اساس أنه سيكون عبىء علينا لانه مكشوف .. وعثرنا على بعض كتابات لنقولا حداد وقابلناه لكنه كان رافضاً بشكل كامل لموضوعه الحزب وكان ينصحنا بأن نقرأ ونقرأ .. ومنه أخذنا بعض الكتب .

ومن الشخصيات التى حاولنا الاتصال بها أيضاً سلامه موسى ، وكان شخصية جذابة واعطانا انطباع طيب واهدانا مجموعة من كتبه فلما قرأناها لم نجد فيها ما نريده ، ووصلنا أيضاً الى محمد عبد الله عنان وناقشناه طويلاً فى موضوع التنظيم وأسلوبه وتجاربه ، لكنه حاول أن ينصحنا بتنظيم ذو طقوس ، لكن النقاش معه أفادنا ومنه عرفنا فكرة الخلايا ذات الثلاثة أو الخمسة أعضاء .. وبدأنا نطبقها ، وأخذنا ننمو على مهل . لكن التوسع كان فى الأساس جغرافيا ومحصوراً فى حى القلعة ومن هنا جاءت تسمية التنظيم . ومن القلعة امتد نشاطنا الى سوق السلاح ومن هناك الى الأزهر .

وكان أهم عنصر أزهرى كسبناه هو محمد البخارى وكان نشيطاً وعن طريقه كونا خلية بالأزهر وكانت مجموعة نشيطة من عناصر شعبية بحته ... .

ومع اتساع نشاطنا بدأنا وجودنا كمنظمة وتبلور لنا برنامج — غير مطبوع — يركز أساساً على الاستقلال الوطنى والاستقلال الاقتصادى والمطالبة بالتأهيل ، (وقد استخدمنا هذا اللفظ بدلاً من التأميم لأن المجموعة الأزهرية فضلت لغوياً لفظ التأهيل نسبة للأهالى على التأميم نسبة للأمة) وبدأنا نعد لأنفسنا ككورس تثقيفى .

س كيف أطلق عليكم اسم القلعة ؟

جـ أطلقته المنظمات الأخرى عندما اكتشفت وجودنا ، واكتشفت حقيقة وضعنا الجغرافى وانحصارنا فى حدود حى القلعة .. ومن ذلك تمسكنا نحن بالاسم لما له من دلالات .

س اسمك الحركي هل كان الباشا أم أنه فرض عليك هو الآخر ؟

ج اسمى الحركى كان منصور ، ولكن المنظمات الأخرى أطلقت على اسم الباشا ، كما أطلقت على منظمتنا اسم القلعة ، ربما لأن عمى باشا وهو د . محمد حسين هيكل باشا وربما رمزاً لباشا القلعة . وعلى أية حال فقد قبلت الاسم وصار اسمى الذى اشتهرت به فى صفوف الحركة الشيوعية .

س هل كانت لديكم أجهزة طباعة ؟

جـ فى ١٩٤٤ بدأنا فى طبع كورسات ثقافية بالبالوظة ؛ ورمضان (عامل المطبعة) بدأ فى تأسيس مطبعة حروف لنا لكنها سرقت .

س من كتب هذه الكورسات التثقيفية ؟

جـ أنا . والحقيقة أننى كنت أعتمد فى عملية التثقيف فى الأساس على اصدار سلسلة من الكتيبات ،لعب بعضها دوراً تثقيفياً وبعضها كان بمثابة برنامج ...

س كيف اتسع نشاطكم التنظيمى بعد ذلك ؟

ج : انطلقنا فى العمل واتصلنا بمجالات عديدة . انا مثلاً دخلت كلية التجارة فى عام ١٩٤٢ وهناك جندت عادل سيف النصر وعادل صدقى ، ثم امتد نشاطى الى بقية كليات الجامعة والى حى بين السرايات القريب من الجامعة وهكذا ضممنا حمدى عبد الجواد وفؤاد عبد الحليم وأحمد الرفاعى .

س هل كنتم تصدرون نشره خارجية أو داخلية ؟

ج : لا .

س هل كان لديكم برنامج ولائحة ؟

ج : بينما كنا نستعد لذلك جاءت الوحدة وانشغلنا فى عملية التوحيد .

س كيف تمَ اتحادكم من العصبة ؟

ج : انضم ثلاثة منهم للقيادة اذكرَ منهم د . عبد الفتاح القاضى واثنين آخرين لا أذكر اسميهما لكن اذكر ان أحدهما كان طبيب اسنان والآخرين انضموا للاقسام . لكن ذلك لم يستمر سوى فترة قصيرة جداً . فقد طرحت مسألة الوحدة الشاملة ، وكان أعضاء العصبة الماركسية '' ضد الوحدة مع ح . م ، وكانوا يقاومونها سواء فى القيادة أو فى القاعدة وفى هذه الأثناء اتصل بى شهدى عطية وكانت لنا علاقة سابقة بايسكرا فى الجامعة ، وعرض علينا شهدى الانضمام لايسكرا تمهيداً للوحدة الشاملة . وعندما ما تمت الوحدة انطلق العمل بصورة واسعة جداً .

س اريد أن انتقل الآن إلى الموضوع آخر هو قصة « صوتِ المعارضة » ومشاركتك فيها ؟ وأهدافها ؟ ومبرراتها ؟

ج : بدأت قصة « صوت المعارضة » عندما اتصل بى شهدى وأبلغنى أنه بصدد تكوين التكتل الثورى ، وطلب منى الانضمام اليه ومحاولة استعادة مجموعة القلعة القديمة ورفضت لأننى ضد أى تكتل من حيث المبدأ ، لكننى كنت فى نفس الوقت أحمل العديد من الاعتراضات على أسلوب هنرى كورييل . فمثلاً كنا نرفض أن يكون هو سكرتير عام التنظيم ، وكنا نسعى بنشاط لاعادة شهدى على أساس ان يصبح هو السكرتير العام . وكنا نرى ضرورة عزل الاجانب فى قسم منفصل تنفيذا لقرار ل.م حدتو ، والحقيقة ان كورييل كان يعرقل تنفيذ هذا القرار ، وكنا نشعر ان كورييل يعبىء مجموعة ح . م القديمة ليضغط بها على المجاميع الأخرى . كذلك كنا نلاحظ انتشار الاتصالات الجانبية وكنا نرفضها على أساس انها خروج على مبادىء التنظيم ، وقد كتبت أكثر من مقالة حول هذا الموضوع فى صوت المعارضة . كذلك كنا نصر على ضرورة اعلان الحزب ، وكان كورييل يرى أن الظروف لم تنضج بعد لاعلان الحزب .

وهكذا وخلال هذه الفترة تكون داخل حدتو تيار من عدد من الكوادر

يتخذ موقف متعدد الجوانب :

* يرفض تكتل شهدى ويدينه ويطالبه بالعودة .
* ينقد سياسة القيادة وخاصة حول النقاط السابقة ..
* يرفض الانقسام .

هذا التيار بدأ يتبلور حول أربعة من الكوادر الأساسية هم أنا وأحمد الهنيدى (عمارة) وكان مسئول الأجهزة الفنية بحدتو ، واثنين آخرين . وقام هؤلاء الأربعة باصدار نشرة تدعو لهذه الأفكار واسميناها « صوت المعارضة » وكانت تطبع على الأجهزة الفنية للتنظيم التى كانت فى يد « عمارة » وتوزع على كل التنظيم .

س هل يمكن اعطاء فكرة عن محتويات عدد من أعداد « صوت المعارضة » ؟

ج : * معنى وحدة التنظيم .
* معنى وحدة الارادة والعمل .
* ما معنى الإنقسام .

وكنا فى كل عدد نصر ونلح على الالتزام بالقواعد الحزبية الأساسية .. والحقيقة أن صوت المعارضة قد لقيت استجابة واسعة فى صفوف القواعد ، خصوصاً اننا كنا نريد تصحيح الأخطاء ولا نريد الانقسام .

س ماذا كان رد فعل القيادة عند اصداركم لصوت المعارضة ؟

ج : يمكن القول بأنها لم يكن لديها مادة للاقناع بعكس ما نقوله ، ولم تتخذ ضدنا اجراءات تنظيمية .

س خلال مرحلة اصدار « صوت المعارضة » ماذا كانت علاقاتكم بمستوياتكم الأصلية ؟

ج : استمررنا فى العمل وحضور الاجتماعات وممارسة النشاط كالمعتاد ، وكانت هناك عناصر أساسية تلعب دورها فى استمرار ربطنا بالتنظيم وحل الخلافات بيننا وبين القيادة ومنها بالتحديد راشد (عبد الخالق محجوب) .

س الى متى استمر صدور « صوت المعارضة » ؟

ج : حتى جاءت الضربة البوليسية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وبدأت حملة الاعتقالات الواسعة وكانت الضربة واسعة جداً ، وأوقفنا « صوت المعارضة » على أساس أن الأولوية هى حشد التنظيم وتعبئته وحمايته من الضربة . واختفت « صوت المعارضة » واستمر مصدريها فى عملهم الحزبى .

س هل كان اسم « صوت المعارضة » هو اسم المجموعة التى تصدرها النشرة ، أم اسم النشرة ذاتها ؟

ج : كان اسم المجموعة أو التيار ، أما النشرة فكان اسمها « الرابطة » وهو يحمل معنى التوحيد .

س كم عدداً أصدرتم من نشرة الرابطة ؟

ج : أربعة أعداد أو خمسة .

س أشرت فى معرض حديثك إلى عدد من الكتيبات التى أصدرتها كعمل تثقيفى فما هى ؟ ومتى صدرت ؟

ج :

* فى البداية أعددت ملخصاً لكتاب رأس المال فى عام ١٩٤٥ كجزء من البرنامج لمنظمة القلعة وقد أصدرته فى كتيب بعنوان « خلاصة رأس المال » فى عام ١٩٤٧ .
* وفى سنة ١٩٤٥ أيضاً أصدرت كتيباً بعنوان « مؤامرات فى ميدان السياسة المصرية » ويتضمن نوع من البرنامج وتحليل لجماعة الأخوان المسلمين ، وقد أسهم فى طبعه جماعة من الوفديين .
* وفى ١٩٤٦ أصدرت كتيباً بعنوان « قضيتنا الوطنية بين الحكومة والشعب » .
* وفى ١٩٤٦ أصدرت كتيباً آخر بعنوان « مطالبنا الشعبية أو ماذا يريد الشعب » وكان عبارة عن برنامج لمنظمة القلعة .

* وفى ١٩٤٧ أصدرتُ أنْ وعبد الواحد بصيلة كتيباً بعنوان « لماذا أيدنا الاتحاد السوفيتى » .
* وفى ١٩٤٧ أصدرت مع عبد الرحمن بصيلة كتيباً هو « تطور المجتمع » وقد صدر باسم سرى هو مصطفى عبد الرحمن (أى تجميع للاسم الأول من كل منا) .
* وفى يونيو ١٩٤٩ أى بعد خروجى من المعتقل أصدرت « مذكرات معتقل » .
* وفى يوليو ١٩٥٠ ومع انطلاقة حركة السلام واستجابة لنداء استكهولم للسلام أصدرت « السلام وحرية الشعوب » .

س قلتَ أنه بعد الحملة البوليسية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ انتهت « صوت المعارضة » وانكم واصلتم العمل فى صفوف حدتو .. كيف ؟ والى متى ؟

ج : بعد حملة الاعتقالات عملت بنشاط وكنت عضواً فى اللجنة المركزية لحدتو وتوليت شئون الدعاية واستمر ذلك حتى اعتقلت فى ١٩٤٩ .

* * *

١٢ ـ محمود حمدى عبدالجواد

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٧ ـ ٧ ـ ١٩٧٥

س أريد أن أناقش معك موضوعين أساسيين أبدأ بأولهما وهو معلوماتك عن منظمة القلعة ، كيف نشأت ؟ وكيف إتحدت فى اطار منظمة حدتو ؟

ج : فيما أعلم تأسست منظمة القلعة عام ١٩٤٣ ، وكانت الشخصية الأولى فى المنظمة هي مصطفى هيكل الذى نجح فى تجنيد عدد من الشبان ، وكنت أنا وفؤاد عبد الحليم ومحمد البخارى وأحمد حمروش من أوائل الذين انضموا إلى هذه المجوعة . وقد تركنا محمد البخارى بعد ذلك وانضم لمنظمة ايسكرا ويمكن القول بأن النشاط الأساسى لتنظيم القلعة كان لا يخرج عن التجنيد والمشاركة فى حركة الطلاب فى ذلك الحين . واستمر هذا التنظيم قائماً حتى أوائل عام ١٩٤٧ حين بدأت تطرح فى صفوفه قضية الوحدة مع المنظمات الشيوعية الأخرى وكان هناك اتصال مع ح . م واتصال آخر مع ايسكرا لمناقشة قضية الوحدة .

واختلفت قيادة منظمة القلعة حول أى المنظمتين تتحد معهما ، وكان هناك اتجاه يرجح الوحدة مع ح . م باعتبارها أكثر شعبية ونضالية بينما البعض يفضل الوحدة مع ايسكرا على أساس القول بأنها المنظمة الأكبر عدداً .

ولم يتفق الاتجاهان وانتهى الأمر بانقسام المنظمة جزء اتحد مع ح . م وجزء اتحد مع ايسكرا ، وكان ذلك قبيل وحدة ايسكرا مع ح . م بفترة قصيرة جداً .

س ممن كانت تتكون قيادة منظمة القلعة ؟

ج : مصطفى هيكل ــ أنا ــ فؤاد عبد الحليم ــ أحمد حمروش ــ عبد الواحد بصيلة .

س من منكم اتجه للوحده مع ح . م ومن اتجه نحو ايسكرا ؟

ج : أنا وفؤاد عبد الحليم وما معنا من نشاط اتحدنا مع ح . م والآخرين مع ايسكرا .

س كم كان عدد القلعة عندئذ ؟

ج : حوالى ١٥٠ عضواً .

س نأتى الآن الى الموضوع الثانى وهو موضوع منظمة حدتو ش أو حدتو الشيوعية ، كيف تغير اسم حدتو الى حدتو ش ، وما هى علاقة ذلك بالخلافات بين القيادة الأساسية لحدتو والتى كانت موجودة بالمعتقلات آنذاك وبين القيادة المؤقته التى كنت بها والتى غيرت الأسم ؟

ج : فى عام ١٩٤٨ انفجرت الأزمة داخل حدتو ، وحتمت هذه الأزمة ضرورة مناقشة الأسس الفكرية للتنظيم ، لقد فرضت الأزمة علينا ضرورة مناقشة هذه الأسس .

والحقيقة أنه قبل هذه الأزمة كانت ثقة الكوادر مطلقة فى القيادة ممثلة فى يونس ، لكن تفجر الأزمة واستمرار الانقسامات ، وطرح العديد من القضايا الفكرية والسياسية والتنظيمية بدون أن تجيب عليها القيادة اجابة شافية ، هذا أدى اهتزاز الثقة فى هذه القيادة حتى من جانب الكادر الذى رفض باصرار أى تكتل أو انقسام .

وبعد القبض على يونس والمجموعة الأساسية من القيادة لم يبق من أعضاء اللجنة المركزية للمنظمة خارج المعتقلات الا ثلاثة أنا وفؤاد عبد الحليم وعبد الخالق محجوب .

س متى صعدتم للقيادة ؟

ج : أنا صعدت فى يناير ١٩٤٨ عقب تكتل شهدى ، وفؤاد صعد قبلى بقليل أما محجوب فكان بالقيادة منذ مدة ...

المهم أن الخطوة الأولى التى جابهتها بعد القبض على الكتلة الأساسية من القيادة كانت توسيع القيادة الجديدة وبالفعل صعدنا عدد من العناصر اذكر منهم مصطفى طيبة ومحمد الجندى .

وفى القيادة الجديدة بدأنا نناقش أهمية وضع أسس فكرية للتنظيم لائحة ، برنامج ، خط سياسى ، وعند فتح باب الصراع الايديولوجى للتحضير لعقد مؤتمر يقر هذه الأسس بدأت خلافات جذرية بين قسمى القيادة ، القسم الذى بالمعتقل ويتزعمه يونس والقسم الذى بالخارج ..

وكان يونس وبقية أعضاء القيادة بالمعتقلات يعارضون فكرة انعقاد المؤتمر ويعتبرون انعقاده فى هذه الظروف مجرد خضوع للاتجاهات الانتهازية البرجوازية الصغيرة والتى فرضت نفسها فى ظل الارهاب ومناخ الأزمة حتى على حدتو ذاتها ، وكان يعارض أيضاً التغيير فى الأسس الفكرية والسياسية التى يقوم على أساسها التنظيم . وبعد أن تقدمت المناقشة بغير اتفاق ظاهر قررت القيادة بالخارج تغيير اسم التنظيم الى حدتو ش (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .. الشيوعية) تمييزاً لهذه المرحلة الجديدة عن مرحلة سابقة هى مرحلة يونس . .

س ما هى نوعية التمييز الذى كنتم تسعون اليه . ولماذا ؟

ج : قررنا التمايز عن خط يونس ، خط القوات الوطنية والديمقراطية ، ذلك الخط الذى كان ينعكس فى السياسة فى موقف يقول بالتركيز أساساً على الفلاحين وأن الحزب ليس حزب للطبقة العاملة فحسب ، وانما هو وفى ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية حزب للطبقة العاملة وكل القوى الوطنية والديمقراطية . وكان هذا الخط ينعكس فى التنظيم فى شكل معاداة الديمقراطية والاستناد الى مبدأ المركزية فحسب وبالتالى معاداة أى صراع ايديولوجى أو أية دعوة لعقد مؤتمر ووصف ذلك كله بأنه دعاوى برجوازية صغيرة وثرثرة .. .

س قلت قررت القيادة بالخارج تغيير اسم المنظمة والتمايز عن خط يونس ... أريد أن أعرف المواقف بالتحديد .. ؟

ج : مصطفى طيبة انحاز خلال النقاش بين مجموعتى القيادة الى آراء مجموعة المعتقلات بزعامة يونس .. .

س وماذا كان موقف عبد الخالق محجوب ؟

ج : يمكنني القول أنه كان يرفض مواقف القيادة بالخارج بشكل عام ولو أنه استمر فى التعاون معنا لكن تعاونه استمر لفترة قصيرة اذ أصيب بعدها بمرض السل وحد ذلك من نشاطه بعض الشيء ، ثم سافر بعدها الى السودان . .

س من أذن الذين اتخذوا هذه القرارات ؟

ج : أنا وفؤاد عبد الحليم ومحمد الجندى . . .

س خلال مناقشتى مع الأطراف المختلفة حول ظاهرة الانقسامية وتفشيهما فى عام ١٩٤٨ فى صفوف منظمة حدتو قال الذين أنقسموا أن السبب فى تفشى هذه الظاهرة هو تشدد القيادة ورفضها لرغبات وآراء الكوادر وأنه كان يمكن تلافى الانقسامات لو أن القيادة انتهجت منهجاً مرناً ، بينما أكد « يونس » ان المنقسمين ليسوا سوى جماعات من البرجوازيين الصغار الذين هربوا من ميدان الكفاح تحت ضغط ارهاب السلطة الذى تصاعد فى هذا الوقت بالذات ... فما هو رأيك أنت ؟

ج : اتفق مع يونس فى أن الانقسامية كانت انعكاسا لظواهر سياسية ، لكننى أيضاً أرى أن القيادة عالجت هذه الأزمة بأسلوب غير ديمقراطى وبالاعتماد على الشلل الأمر الذى ساعد على تفجير الأزمة وليس على حلها بطريق سليم .

والحقيقة أنه كانت هناك خلافات سياسية وايديولوجية جادة ولو أن القيادة بزعامة يونس اتخذت حيالها منهجاً سليماً لكان بالامكان محاصرة هذه الخلافات وتصفيتها والحفاظ قدر الامكان على وحدة المنظمة .

س : يرى البعض أنه كانت هناك اتجاهاً للانكفاء الى الداخل ، أى حصر كل الجهود فى محاورات داخلية وصراعات ايديولوجية ، ويضربون مثالاً على ذلك بموقف شندى عندما أسس ن . ح . ش التى لم تقم بنشاط جاد واكتفت بالصراع الايديولوجى . ؟

ج : هذه الحجة فيها شيء من الصحة ، وكان يونس يرددها كثيراً ، والحقيقة ان

مجموعة شوارتز كانت « شلة » من المثقفين أغلقت نفسها على صراعات داخلية ، لكن الخطأ الذى وقع فيه يونس أنه انطلق من هذه الحجه وهى صحيحة الى موقف خاطىء وهو رفض الديمقراطية فى صفوف التنظيم وتجاهل الآراء المختلفة ورفض أى صراع ايديولوجي الأمر الذى عقد الأزمة وتصاعد بها وفجرها .

س ما هى قصة الوحدة مع ن . ح . ش ؟

ج : بعد اعلان تغيير اسم خدتو الى حدتو ش ، قررنا أن قضية توحيد كل الشيوعيين هى أحد القضايا الأساسية ، وقررنا السعى لتوحيد الشيوعيين فى حزب شيوعى واحد . وذعونا الى تشكيل لجنة للوحدة ، وقد تكونت لجنة للوحدة تضم ممثلين عن ن . ح . ش (نحو حزب شيوعى) ع . ث (العمالية الثورية) ، العصبة الماركسية ، وحدتو ش .

وقد استمر التنسيق والنقاش فى لجنة الوحدة حتى تمت الخطوة الأولى للتوحيد بين ع . ث . وحدتو .ش ون . ح . ش فى أواخر ١٩٤٩ . وسميت المنظمة الجديدة « حدتو » .

س هل سميت حدتو أم نحشم ؟

ج : لقد تمسكنا نحن باسم حدتو كمسألة مبدأ ، أما « نحشم » هذه فلها قصة أخرى ، اذ أن جزءاً من أعضاء نحش التى اتحدت معنا ما لبث أن سارع بالانقسام مكونا منظمة جديدة اسمها نحشم .

س ماذا كان موقف القيادة داخل المعتقلات من مسألة الوحدة ؟

ج : كان يونس يرى أن الانقساميين مجرد برجوازيين صغار ، ثرثارين ، هاربين من الكفاح ، وكان يرى ان حل المشكلة الانقسامية لا يكون بغير المزيد من النضال فى صفوف العمال والفلاحين والمزيد من العمل الكفاحى لتعزيز المنظمة وهو ما يمكن تلخيصه تحت اسم « النمو الذاتى » لكن الشىء الهام أنه برغم كل الخلافات فان يونس ظل يعتبرنا جزءاً من حدتو ، وكان يساعدنا قدر الامكان ووقف بجانبنا ضد تكتل المطبعة .

س : ماذا عن تكتل المطبعة ؟

ج : تكتل ثلاثة من الكوادر منهم مصطفى طيبة والهنيدى (مسئول الجهاز الفنى) وانسحبوا من التنظيم بعد أن استولوا على اجهزته الفنيه ..

س : ماذا بعد أن اتحدت المنظمات الثلاث وكونت حدتو من جديد ؟

ج : الحقيقة أن حدتو ش كانت تعرضت لضربات شديدة ومتلاحقة من البوليس وخاصة فى مايو ١٩٤٩ حيث استطاع البوليس أن يصفى القسم الأكبر من المنظمة ولم يبق من قيادة حدتو ش فى الخارج الا كمال عبد الحليم وابراهيم عبد الحليم وكان ابراهيم عبد الحليم هو الذى تابع العمل فى لجنة الوحدة .

ويمكن القول بأن التنظيم كان ضعيفاً للغاية ، وكان وجوده رمزياً ... ثم ما لبث المعتقلون أن خرجوا فى أوائل ١٩٥٠ وعادوا من جديد إلى قيادة التنظيم ..

* * *

١٣ البير اريه

محضر نقاش

جلسة المناقشة الثالثة ــ ٢٧ يوليو ١٩٧٥

س اريد أن تبدأ هذه الجلسة بملاحظات عن منظمة ايسكرا ، وكيف بدأت علاقاتك بها ؟

ج : بدأ إرتباطى بايسكرا فى نهاية عام ١٩٤٥ ، ولكن علاقاتى بالفكر الشيوعى بدأت قبل ذلك بقليل أى فى بداية عام ١٩٤٥ ، حيث كان عمرى ١٥ سنة ، حيث اتصل بى هانز بنكسفلت وكان شيوعياً غير منضم لأى تنظيم وجندنى أنا وعدد من طلبة المدارس الأجنبية وخاصة الليسيه ، وعملنا تحت قيادته ، وقمنا ببعض الأعمال التخريبية ضد المنظمات الصهيونية العالمية فى مصر ، ولما لم يكن بنكسفلت ينوى عمل تنظيم ولما عجز عن مواصلة العمل مستقلاً فقد سلمنا جميعاً لمنظمة ايسكرا ، ولم يدخل هو الى المنظمة ، وان كان قد ارتبط فيما بعد بمارسيل اسرائيل (منظمة تحرير الشعب) .

وهكذا وفى بداية ١٩٤٦ وجدت نفسى مرتبطاً دون ابلاغى بشىء . وبدأت العلاقة بشكل غريب ، زميله اتصلت بى أنا واثنين ممن كانوا معى وقالت اننا سنجلس معاً لندرس النظرية الماركسية . وكنا نتساءل عمن هذه الفتاه وعن الجهة التى تعمل معها ولم نتلق أى إجابة ، وبعد ذلك فهمنا أننا كنا مرشحين فى ايسكرا ، دون أن يخطرنا أحد بذلك ، ولعل هذا يعطينا فكرة عن أسلوب ايسكرا فى التجنيد ، ويمكن القول بأنه أسلوب حلقى عائلى ، وليس حزبياً بالمعنى المفهوم .

وكان معنا أعضاء فى مدرسة الليسيه وفى رابطة خريجى الليسيه ، وبدأنا نشاط جاد فى الرابطة وضممنا طلاب وطالبات من مدارس أخرى ، وكنا نعمل محاضره كل يوم سبت وكان يحضرها ما بين ٥٠ ، ١٠٠ طالب ، وكانت المحاضرات تتناول موضوعات اجتماعية وتربوية وفلسفية ومشكلات تهم الشباب والأسرة ونحاول أن تقدم مفاهيم وحلول ماركسية ، ولكن أود أن أؤكد أن اهتمامنا كان بعيداً تماماً عن الواقع المصرى . .

وكنا لا نقرأ إلا الكتب الفرنسية ومطبوعات الحزب الفرنسى ، وأذكر أننا عملنا فى فبراير ١٩٤٦ احتفال فى الليبنيه وحضر فيه عبد المنعم الغزالى ممثلاً للجنة التنفيذية للطلبة وأعلنا فى هذا الاحتفال تضامننا مع الحركة الوطنية المصرية ، وكان هذا بداية كسر حاجز العزلة عن المشكلات المصرية وبدأنا نهتم بمشاكل مصر وبدأت أقرأ الصحف المصرية وعشنا فى الجو المصرى وذهبت لأول مرة إلى جامعة فؤاد (القاهرة) وحضرت مؤتمراً ضخماً فى قاعة الاحتفالات تحدثت فيه لطيفة الزيات وجمال شلبى . .
والى جانب نشاطنا الجماهيرى بدأنا نشاط تنظيمى فقد طلب الينا أن نقرأ كميات كبيرة من كتب لينين بالانجليزية وكل ما أذكره عنها هو الملل الشديد من قراءتها فقد كانت فوق مستوى سنى وفوق مستوى اهتمامى وخصوصاً أن هذه الدراسة كانت تتم بشكل مجرد ودون ارتباط بالواقع المصرى . .

والى جانب هذا كنا ننشط وسط الطلاب سواء فى القسم الأجنبى أو العربى (كنا ندرس معاً فى المرحلة الابتدائية ثم نفصل الى قسمين عربى وأجنبى فى المرحلة الثانوية) ومن القسم العربى جندنا عدد من الطلبة منهم محمد سيد أحمد ــ الهام سيف النصر ــ محمد الشواربى ــ توفيق حداد ــ فؤاد حداد ــ حليم طوسون .

وفى صيف ١٩٤٦ سافرت الى باريس وهناك سمعت بحملة صدقى واتصلت بانجى افلاطون وكانت هناك هى وأختها كى تحضرا اجتماع مجلس اتحاد الشبيبه العالمى وانضممت اليهم وكونا معاً وفد مصر فى المؤتمر حيث واجهنا مندوب المالاى فى المؤتمر وأدنا النشاط الصهيونى بشدة وعدت الى مصر بعد ثلاثة أشهر وبعد عودتى اتصلت بى المسئولة وأبلغتنى أنه أثناء سفرى تم قبولى عضواً .. وكانت أول مرة أسمع فيها بوجود المنظمة ، وأرسلوا نسخة من اللائحة لنطلع عليها ووجدت اسم المنظمة مشطوباً وقالوا أن ذلك للحفاظ على الأمن وعلمت أن المنظمة اسمها شرارة (ايسكرا) وكانت أول مرة اسمع فيها بهذا الأسم . وكانت اللائحة باللغة الفرنسية وكذلك النشرات .

والحقيقة أن ايسكرا كانت تضم عدداً ضخماً من أبناء الجاليات الأجنبية وكان لنا نشاط واسع جداً وسط هذه الجاليات .. ووسط اليهود المناضلين ضد الصهيونية ، وسط الأرمن ضد الطاشناق ، وسط اليونانيين ضد الملكيين ، وسط الايطاليين ضد الفاشست . وكانت ايسكرا تقوم تنظيمياً عى أساس فئوى .. قسم للأجانب يتبعه أقسام أو دوائر للجاليات دائرة للايطاليين ــ اليونانيين الأرمن وهكذا

وكنا ننشط وسط العديد من النوادى فى القاهرة نوادى المكابى والليسيه ونادى اوبرج الشباب وفى الاسكندريه كانت هناك أنديه عديده مثل اصدقاء الثقافه ونادى القلم .

وكنا ننشط أساساً وسط الأجانب ولا أعرف كيفية العمل فى القسم المصرى

س وماذا عن علاقاتكم بالمنظمات الأخرى ؟

جـ فى البدايه لم اسمع بوجودها أصلاً ، ثم بدأت تصلنا النشرات الداخليه للمنظمه وكانت ضخمه الحجم بشكل ملفت للنظر وكانت بالغة الفرنسيه ومطبوعه بالرونيو وهى نشره اسبوعيه مليئه بتحليلات مطوله عن الوضع العالمى والوضع الدولى وكنا نحاسب على قراءتها . وبدأنا نجد اشارات فى هذه النشره عن منظمات أخرى وانتقادات لها .

وكنا ندهش من حجم النشرات الداخليه وضخامتها بينما لم نقرأ نشره واحده خارجيه وفيما بعد لاحظت نفس الأسلوب فى منظمة نحو حزب شيوعى مصرى (ن . ح . ش . م .) وادركت أن هذا أسلوب متعلق بشخص هليل شوارتز (شندى) الذى كان مسئولاً فى كلا الحالتين .

وفجأه بدأت النشره الداخليه تتحدث عن وحده مع منظمات أخرى وعن المنظمه ب والمنظمة جـ .. وكانت ايسكرا ترى أن ذكر اسم المنظمة يخل بقواعد الامان وكانت تختلف فى ذلك مع ح . م . والحقيقة ان ايسكرا كانت تدعى انها تهتم بالامان وكانت تنعى على ح . م . تفريطها فيه ، وكنا نتلقى محاضرات عن الامان كانت تحرص على تشكيكنا حتى فى اسرنا ولكن

أؤكد ان مستوى الامن كان مضحكاً كذلك كان مستوى البوليس .

وفى أواخر ١٩٤٦ ابلغنا أن الوحده تمت مع تحرير الشعب وتكونت الطليعة المتحدة .

س قبل أن نواصل حديثنا عن الوحده ، أريد أن أسألك عن موضوع الحفلات وما أثير حوله ؟

جـ كانت الحفلات اسلوب من اساليب العمل وكانت مجالاً جيداً للتجنيد ، ويجب أن تنظر للأمر فى واقعه الفعلى من حيث المناخ الذى كنا نعيش فيه والمرحله السنيه ، فالشبان من وسطنا وسننا كانوا عادة يذهبون لحفلات ولكن من طراز آخر ، أما نحن فكنا نقيم حفلات فعلاً ولكنها كانت مختلفة وكنا نمضى فيها بعض الوقت فى مناقشات سياسيه جاده .

س هل يؤكد ذلك القول من جانب الآخرين بأنكم كنتم أبناء طبقه ارستقراطيه ؟

جـ لا .. فالحقيقه أن معظمنا كان من أبناء أسر برجوازيه صغيره أو متوسطه .. ولكن الطابع الاجنبى للقسم كان يميزنا قليلاً .. فثمه فارق اجتماعى وحضارى بين البرجوازية الصغيرة والمتوسطه الاجنبيه ومثيلتها المصريه .. وكان هناك عدد محدود من أبناء الأسر الغنيه لكنهم كانوا من المصريين مثل محمد سيد أحمد ، الهام سيف النصر وكانوا محدودى العدد جداً .

س نعود الآن لموضوع الوحده ، وكيف مارست تجربتك معها ؟

جـ فى نهاية ١٩٤٦ كنت انشط فى نادى علتى وخلال هذا النشاط اصطدمت مع واحده من النشيطات فى النادى أنا وزميل لى .. ولم نكن نعلم انها مسئوله النشاط الحزبى فى هذا النادى ...

وفجأه وصلنا قرار فصل من الطليعه المتحده وتقرر الفصل دون سابق انذار أو تحقيق ... (فيما بعد أبلغنى مارسيل اسرائيل وعبد المعبود أن شوارتز

أبلغ السكرتاريه المركزيه لتنظيم الطليعه المتحده آن هناك اثنين من المخربين يعطلان العمل فتقرر فصلنا) .. وقدمنا التماس فتقرر قبولنا كمرشحين بشرط الا نفتح الموضوع بأى شكل فى خليه المرشحين . وهكذا تمت الوحده مع ح . م . دون أن أعرف فكنت لم ازل مرشحاً ، لكننى خضت معارك المنظمه ضد الصهيونيه ، وشاركت فى الرابطه المعاديه للصهيونيه ، ومعارك نادى المكابى ، ثم سافرت الى فرنسا وأنا لم أزل مرشحاً . وعدت فى عام ١٩٤٧ فقابلت مصادفه هانز بنكسفلت الذى ضمنى مباشرة الى قسم الدعاية فى حدتو ، وفجأه وجدت نفسى عضواً فى حدتو ، ونظمت فى مستوى لجنه دعايه تابعه لدائره من دوائر قسم الاجانب .

وكان قسم الاجانب فى حدتو ينقسم الى دوائر خاصه بالنوادى وأخرى خاصه بالجاليات ثم أقيمت دوائر للعاملين فى المنشآت الاقتصاديه كالبنوك والمصانع .. الخ .

والحقيقة أن فكرة قسم الاجانب هى من أفكار ايسكرا لأن عدد الأجانب فيها كان ضخماً بينما ح . م . كانت تتخلص من الاجانب . .

وفى أواخر ١٩٤٧ صعدت الى أحد أقسام مكتب الدعاية المركزى ، وكان مسئول المكتب مارسيل اسرائيل الذى اتهم فيما بعد بانه حول المكتب الى قلعة للعادليين (نسبه الى عادل أى عبد المعبود الجبيلى) وبدأت علاقاتى تتوطد بمارسيل ، وبدأت مشاكل التكتل الثورى ووقفنا ضده ولعب مارسيل دوراً كبيراً وحضر عديداً من الاجتماعات ليدين التكتل .

والحقيقة ان غالبية كادر حدتو وقف ضد التكتل الثورى ، ولكننا ما لبثنا ان انقسمنا نحن عن المنظمة وقد خرجت مع مجموعة العادليين وانضمت الى العمالية الثورية (ع . ث) ثم الى ن . ح . ش . م .

س لماذا انقسمت ؟

جـ كنت مقتنعاً بآراء العادليين .

س اقصد ما هو السبب فى الانقسامات ، ولماذا انقسم الكادر عن المنظمه ، وما هى الخلافات النظريه التى انقسم على أساسها .

س الحقيقة اننا تجمعنا وفق علاقات شخصيه ، وقد تجمع الاجانب حول مارسيل اسرائيل (مرسى) وانقادوا له ، ولم يبق من الأجانب مع هنرى كورييل (يونس) الا عدد محدود .

س ازيد انطباعاتك عن اسلوب عمل ايسكرا ؟

جـ ايسكرا حددت لها هدف يمكن تحديده كما يلى اجانب يجندون اجانب ثم هؤلاء يجندون مثقفين مصريين وهؤلاء يجندون عمال مصريين .

لكن هذه الخطه البسيطه لم تتحقق فلم تستطع ايسكرا ان تصل الى العمال بشكل كاف .. والسبب هو أن أسلوب التجنيد كان عائلى ، أى من خلال الأقارب ، ومن خلال العلاقات الشخصيه ومن ثم كان من الصعب الوصول الى العمال .. كذلك كانت الدعايه مكثفه لكنها مجرده — وخاليه من أى حياه أو أى علاقه بالواقع ويمكن أن تصلح للتدريس فى أى حزب أوربى ، لكنها لا تصلح لحزب فى مصر ، كذلك لم يكن هناك جماهيرية للمنظمه ذاتها ، فالمنظمه كانت لا توقع نشراتها ، بل كانت تعتبر أن اسمها سرا ، وكان هناك خوف وحذر الى درجه تثير الضحك . وكانت النشرات تصدر بالفرنسيه فى معظمها . . .

ويكفى أن أقرر لك ان ٩٩ ٪ من الأجانب الذين احتشدوا بكثره فى ايسكرا قد هاجروا من مصر فور تعرض الشيوعيين لأول حمله بوليسيه حقيقيه فى ٤٨ — ١٩٤٩ ولم يبق سوى عدد محدود جداً منهم أنا وعدد قليل آخر .

والآن وبعد هذه السنين أقرر وبصراحه أن أسلوب ح . م . كان بالقطع هو الأفضل رغم أنه بدون ايسكرا ربما لم أكن لا أنا ولا غيرى يمكننا من التعرف على الماركسيه ، فكورييل لم يهتم بالعمل وسط الجاليات الاجنبيه وكرس جهده للعمل وسط المصريين .

ولكن ايسكرا امتلكت عنصراً ايجابياً فقد حشدت جهود عدد من المخلصين الأجانب وأذكر مثلاً انهم قدموا لها مساعدات ماليه كبيره ، وعندما تقرر فتح باب الاكتتاب تبرعت زميلتان كل منهما بالدوطه وكانت الف جنيه لكل منها والف جنيه كانت فى هذه الأيام مبلغ كبير جداً .

كذلك فان عدداً من الأجانب قد بذل جهداً مخلصاً ومتفانياً وقدم امكانيات ضخمه للعمل:

والمشكلة الحقيقيه لم تكن فقط فى تجنيد عدد كبير من الأجانب وانما كانت فى انهم لم يطلبوا منا تعلم اللغة العربية ولا الت على مشاكل الشعب المصرى ، أو العمل وسط المصريين ، والسبب فى آعتقادى أن زعيم المنظمه هليل شوارتز لم يكن يصلح الا للعمل الحلقي المغلق .

واذا أردت تقييمى لمجمل المرحله فاننى أقرر أنن بعد هذه السنين أشعر بالندم لأننى لم انضم الى ح . م . منذ البدايه فقد كانت تمتلك الخط الأمثل ، هذا رغم أننى عشت المرحله الأولى امتلك انتقادات كثيره ضد كورييل و لم أقابله مطلقاً خلال فتره اقامته فى مصر .

كذلك اعتقد أن الإنقساميه والتكتليه هى ميراث من اسلوب ايسكرا ومن تكوينها الطبقى والأجنبى والأسلوب الحلقى والعائلى فى التجنيد وتربيه الأعضاء بروح الكراهيه للمنظمات الأخرى .

لكن ايسكرا امتلكت بعض الايجابيات فقد أسست مثلاً دار الأبحاث العلميه ، ونجحت فى تكوين عدد من الكوادر الهامه وسط المثقفين المصريين ولعبت دوراً هاماً فى الجامعة .

اما تصور أن ايسكرا كانت مجرد منظمه تدير حفلات وتضم عدد من الارستقراطيين وتدعو للحريه الجنسيه فهذا غير صحيح مطلقاً وانما يجب أن تنظر للأمر كله فى اطار مناخ أجنبى برجوازى صغير ومتوسط . .

... واذا أردت مقارنه بين كوادر ح . م . وايسكرا فاننى اكتفى بالقول بان ٩٩ ٪ من كوادر ايسكرا ما لبثت أن تكتلت وانقسمت أما كوادر ح . م . فان غالبيتها صمدت ضد الانقساميه . .

واذا أردت مقارنه بين كورييل (يونس) وشوارتز (شندى) فلا شك أن كورييل كان أكثر نضجاً وأكثر قدره على تلمس الواقع وعلى الاهتمام به .

١٤ ــ محمد الجندى
محضر نقاش

س : أريد تقييمك لعملية الوحدة بين ايسكرا و ح . م .

ج : التقييم ايجابى ، فقد كانت خطوة صحيحة وضرورية ، وكان الكادر كله فى المنظمتين ينادى بها ، وكان الموقف السليم للتيار الثورى والذى ظل ثوريا باستمرار ينادى بالوحدة ، والوحدة لا تعنى وحدة بأى شكل ولكنها تعنى تجسيد للاتجاهات الثورية والمفاهيم الثورية ونبذ للاتجاهات الخاطئة .

وقبل الوحدة كان هناك صراع طويل الامد بين ح . م . وايسكرا حول بعض المفاهيم التنظيمية لانه فى السياسة لم يكن هناك خلاف كبير ، وتركزت الخلافات حول قضايا مثل المركزية الديمقراطية ــ اساليب العمل الحزبى ــ اساليب ادارة وحسم الصراع داخل الحزب .. ويمكن القول ان هذا الصراع قد انتهى بحسم الموقف لصالح مفاهيم ح . م . فتم التأكيد على مبدأ المركزية الديمقراطية مع وضع الظروف السرية فى الاعتبار ، بينما كانت ايسكرا ترى اجراء انتخابات من القاعدة الى القمة ، وكانت فعلا تمارس انتخابات لكنها انتخابات شكلية ، اى ان ترشح القيادة شخص وتطلب من المستوى انتخابه .

والمفهوم الثانى الذى دار حوله صراع كان شعار التمصير والتعميل وكانت ايسكرا ترى ان التمصير شعار شوفينى ولم تعط هذه المسألة اى اهتمام الاقبيل الوحدة حيث تم تصعيد شهدى عطية وعبد المعبود الجبيلى للقيادة وهكذا خضعت ايسكرا لمفهوم التمصير ايضا .

س : كان البعض فى ح . م يرى ان الوحدة لا مبرر لها ، وانه يمكن تصفية ايسكرا فى مجال النضال العملى .

ج : هذا غير صحيح فايسكرا لم تكن مجرد سلبيات ، فقد كان لها ركائز هامة وسط الطلبة ويمكن ان يقال ان دورها فى تأسيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال لم يقل عن دور ح . م إن لم يكن اكثر .

وكان ثمة تنسيق بين المنظمتين فى مجال اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وقد مثل ايسكرا شهدى عطية ، ومثل ح . م . كمال شعبان .

ويمكن القول ان ايسكرا قد مثلت بشكل جدى فى انتخابات اللجان التنفيذية للطلبة وانتخب من كوادرها فى هذه اللجان لطيفة الزيات ـــ جمال غالى ـــ عبدالمنعم الغزالى ـــ محمد جمال الدين شلبى ـــ ثريا ادهم ـــ سعد زهران وأنا وآخرين .. وقد بدأت ايسكرا نشاطا عماليا ، وكونت الجامعة الشعبية ..

س : ولكن لماذا لم يتم تقارب بين اعضاء المنظمتين ؟

ج: السبب فى الغالب هو التركيب الطبقى، فايسكرا كانت تضم عددا كبيرا من الاجانب والمتمصرين وعددا من المصريين من طلاب الليسية اى من ابناء الطبقات الغنية ، وكانت غالبية اعضائها المصريين طلبة وكان تكوين ح . م مختلفا .

س : بماذا نفسر تفشى ظاهرة الانقسام ؟

ج : أولا التكوين الطبقى حيث سادت عناصر البرجوازية الصغيرة ، ومع أول ضربة فـر البرجوازيون الصغار من الميدان رافعين اكثر الشعارات ثورية . ولابد ان نلاحظ ان التكتلات والانقسامات اتت اساسا فى اقسام المثقفين والطلاب وقد ساعد على ذلك التنظيم الفئوى .

س : ما هى روايتك لنشأة التكتل الثورى ؟

ج : كان اعضاء التكتل يطالبون بمطالب معقولة منها مثلا الغاء التنظيم الفئوى وطالبوا بالتركيز على العمال فى مواجهة تقرير يونس (هنرى كورييل) الذى يقـول ان حزبنـا هـو حـزب القـوات الوطنيـة والديمقراطيـة .

وتطورت المسألة الى أرقام ونسب جافة فالعمالية الثورية قالت ٩٠ ٪ عمال و م : ش . م . قالت ١٠٠ ٪ .

س : وكيف ترى نشأة منظمة العمالية الثوريـة (ع . ث) . ؟

ج : بعد التكتل الثورى كان هناك داخل قيادة حدتو خلاف حاد ، وقاد عبدالمعبود الجبيلى (عادل) مجموعة تطالب بالتركيز على العمال (٩٠ ٪) وتنادى بعقد مؤتمر ، وادانة خط القوات الوطنية الديمقراطية وقد انضم الى عادل عدد من اعضاء القيادة منهم أحمد شكرى سالم ، محمد شطا ، عبدالرحمن الناصر ، جمالى غالى .. كما تعاطف معهم كثير من مثقفى ايسكرا وبعض عمال ح . م .

وكانوا يشنون حملة هجوم على كورييل

س : وماذا كان موقف هليل شوارتز ؟

ج : لم يكن له أي تأثير فى هذه المرحلة ، فقبل الوحدة لم يكن أحد يتعامل معه او يراه احد او حتى يستطيع ان يناقشه أحد ، اما بعد الوحدة اكتشف الكادر أنه شخص عادى تماما ، وحتى كوادر ايسكرا لم تعد تكن له ذات التقدير السابق ، بل وتمردوا عليه اذ ظهرت قيادات جديدة تجمع حولها الكادر مثل شهدى وعبدالمعبود الجبيلى .

بينما ظل هنرى كورييل (يونس) محتفظا بتأثيره* على عدد واسع من الكادر . بل نلاحظ انه قد حدث تمايز جديد فبعض كوادر ايسكوا انحازت لتيار ح . م . مثل شريف حتاته ومحمد الجندى

س : ما هى قصة حدتو ش ؟

ج : تحت ضغط الكوادر اضطر ما تبقى من حدتو خارج المعتقلات وانا منهم لعمل نقد ، واعلنا رفضنا لخط القوات الوطنية الديمقراطية ، واننا حزب الطبقة العاملة ومن ثم اضفنا تأكيدا لهذا الموقف لفظ الشيوعية الى الاسم .

كما اننا غيرنا شكل التنظيم والغينا التنظيم الفئوى وطبعا ادى هذا الى خلافات بيننا وبين رفاقنا بالمعتقلات .

وبدأت داخلنا مشاكل فعبد الفتاح الهنيدى انسحب وكان مسئولا عن المطبعة الحزبية وسلمها لمصطفى طيبه الذى ما لبث ان تكتل مع المجموعة العاملة على الجهاز الفنى وبدأ فى الضغط على القيادة وأسمى تكتل المطبعة ، والحقيقة انه كان يخطط سرا للانضمام لمنظمة الراية ، وقد أخذنا على رفاقنا فى المعتقل انهم اخذوا موقف الحياد بيننا وبين تكتل المطبعة .

* أعد محمد الجندى ورقة ببعض ذكرياته عن هروبه من السجن ، وسوف نوردها ضمن هذا الكتاب فى موضعها .. كذلك سيرد له محضر نقاش آخر فى موضعه من تسلسل الاحداث

١٥ ــ زكى مراد

محضر نقاش

اجريت المناقشة بالقاهرة فى ٢٥ ــ ١١ ــ ١٩٧٤

س : اختلفت التقييمات حول وحدة الحركة المصرية مع ايسكرا ، هل لنا ان نسمع تقيميك لهذه الوحدة كواحد من معاصريها ؟

ج : يهمنى اولا ان اسجل ان الوحدة لم تقتصر على تنظيمى ح . م وايسكرا الا بسبب الموقف المتعنت والرفض العنيف من جانب مجموعة الفجر الجديد ، لابد من تسجيل ذلك ، لانه يكفى ان نتصور كم كان سيختلف مسار الحركة الشيوعية اختلافا كليا لو كانت الفجر الجديد قد قبلت التوحد فى الوحدة .

ومن هذه الزاوية فان الفجر الجديد تتحمل جزءا كبيرا من مسئولية استمرار الطابع الانقسامى للحركة الشيوعية فيما بعد ، ولقد صرح لى رئيس حزب شقيق مؤخرا انه كان بالقاهرة فى نهاية عام ١٩٤٦ وغادرها وقد ترك الجميع على مائدة الوحدة ، ولقد الحت ح . م . الحاحا شديدا على الفجر الجديد الا تترك صفوف الوحدة .

اقول هذا لا لمجرد ان الوحدة قد تمت بدونهم وانما لان تواجد الفجر الجديد فى التنظيم الموحد كان سيشكل الى حد كبير مانعا امام تطور الحركة فى اتجاه انقسامى ، ولكان مسار وتطور الصراع الداخلى قد تم بصورة افضل .

اما الشىء الثانى الذى اود ان اسجله ان جماعة الفجر الجديد لم تكتف بالانسحاب من الوحدة وانما قامت بحركة غاية فى الخطورة وهى انها جمعت عدد من المنظمات الصغيره التى انشقت على ح . م . فى ظروف ضربة يوليو (العصبه الماركسية ــ وجبهة تحرير الشعب ــ ومنظمات اخرى غير معروفة) وما ان تمت الوحدة فى يونيو ١٩٤٧ حتى فوجىء التنظيم الذى يجرى توحيدة ببيان اسمه « بيان جبهة المعارضة » .. يهاجم الوحدة ويصفها بالانتهازية ويهاجم المنظمة الجديدة هجوما عنيفا ، والغريب فى الامر ان الفجر الجديد لم تكن تعترف بمثل هذه المنظمات ولكنها استخدمتها فقط فى تكريس الانقسامية ، وقد كان هذا البيان المسمى « بيان جبهة المعارضة » .. « البداية » .. الحقيقية لحملة الشتائم والمهاترات والاتهامات فى صفوف الحركة الشيوعية فقبلها كانت العلاقات ودية بين الجميع .

ولقد كانت الفجر الجديد ، تتهم الوحدة بالتعجل ، والتعجل هو ان تقوم القيادة بحركة تسبق بها الظروف الموضوعية وارادة القواعد ، لكن الذى حدث هو ان تطورات النضال الوطنى فى الفترة من نهاية ١٩٤٥ وحتى نهاية ١٩٤٦ قد ادخلت مجموع القواعد فى كل من ح . م . وايسكرا فى عدد كبير من المعارك المتتالية ، وهكذا فرض العمل الجماهيرى ــ مسألة الوحدة العملية بين القواعد ، وتعرضت القيادة لضغوط شديدة من القواعد وكانت قيادة ح . م . تنادى من البداية بالوحدة ، ولهذا فقد كان ثقل الضغط الاساسى موجها ضد قيادة ايسكرا .

وقبل ان تتم الوحدة كان هناك تنسيق فى مجالين اساسيين الطلبة (انا من ح . م . وجمال غالى من ايسكرا) والعمال (محمد شطا من ح . م . ومصطفى بقشيش من ايسكرا) .

وكنا مثلا نتناقش طويلا مع جمال غالى فلا نجد معا اى مبرر لاستمرار هذا الوضع .

ومن امثلة الاعمال المشتركة ان اعضاء ح . م . وايسكرا أصدروا معا منشور ٢١ فبراير والمعنون « الجلاء بالدماء » .. وكان موقعا باسم اللجنة الوطنية للعمال والطلبة .. وكان التنسيق تاما بين القواعد لدرجة ان العضو الذى كان يتسلم المنشورات لم يكن يعرف من الذى يوصلها له وهل هو من ح . م . أو ايسكرا .

وبينما كانت الوحدة قد تمت كواقع عملى بين القواعد . كانت القيادات تناقش ثلاث مسائل أساسية من الناحية النظرية :

١) المركزية الديمقراطية وضوابطها .

٢) التمصير . هل هو واجب فورى (كما تطالب ح . م .)

٣) التعميل .

وخلال المناقشات بين القيادات حدث تطور هام فقد انسلخ قسم كبير من ايسكرا بقيادة عدد من العناصر الشابة اذكر منهم « عبدالمنعم الغزالى » وقد ساءها مماطلة قيادة ايسكرا واتصلت مباشرة بقيادة ح . م . لمناقشتها فى الوحدة .. ويمكننى التأكيد بأن ــ الوحدة قد فرضت فرضا على شوارتز وانه قبلها على مضض ، وهكذا وتحت ضغط قبلت قيادة ايسكرا الوحدة ووقعت على البيان الذى اعدته ح . م . والذى تناول النقاط الثلاث السالفة الذكر .

وهنا اود أن اتوقف لاسجل عدة ملاحظات .

كانت ايسكرا ، ح . م . تلتقيان فى اشياء وتختلفان فى اشياء . كانتا تلتقيان فى نقطة تميزهما معا عن افجر الجديد وهى فكرة المنبر المستقبل ورفع شعارات مستقله ، بينما كانت الفجر الجديد ترى التسلل فى العمل السياسى والى الاطار الوطنى من خلال التسرب الى داخل حزب الوفد وترديد شعارات وطنيه عامه وهذا الالتقاء قرب بين ح . م . وايسكرا فى العمل المشترك فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة .

● كذلك التقت ايسكرا و ح . م . حول شعارات سياسية مستقلة ومتميزه وبرامج مستقلة للعمل الجماهيرى كانت تقدم كشعارات وكبرامج ماركسية ... وكانت هناك ايضا نقاط خلاف .

● اختلاف فى اسلوب التناول نتيجة لاختلاف التركيب الطبقى لكل من المنظمتين .

● اختلاف فى نوعية ومجال التوجه .. فمثلا ح . م . كانت قوية فى الاحياء السكنية بينما ايسكرا لم يكن لها نشاط تقريبا فى الاحياء السكنية .

ايسكرا كانت أقوى فى مجال الطلاب و ح . م . كانت موجودة ومؤثره ولكن بنسبة أقل وكذلك فى مجال المثقفين والمثقفين الأجانب .

وفى مجال العمال كان تواجد ح . م . فعليا ومؤثرا وذو جذور اما ايسكرا فيمكن القول بأنها كان لها تمثيل فى مجال العمال وليس تواجد بالمعنى المفهوم .

وهذه الاختلافات فى التوجه نبعت من اختلاف التركيب الطبقى ثم انعكست مره اخرى على التركيب الطبقى العام للمنظمة واهتماماتها والقادمين الجدد فيها ..

● نقطة خلاف اخرى ، هى الموقف من الدين كانت ح . م . تضم عناصر متدينة ولم يكن لدى كوادرها اى استعداد لاستعداء الجماهير من هذه الزاوية . اما ايسكرا فقد كانت تعتبر مسألة الموقف من الدين والتدين مسألة هامة وملحة .

● كانت ح . م . تعمل وسط النساء ولكن باحتراس ورهبه وتفصل بين الاعضاء من الجنسين وباختصار كانت تعالج الامر معالجة يمكن القول بأنها « شرقية » اما ايسكرا فقد انعكس الطابع « الاجنبى » على اسلوبها فى هذا المجال ، وكان هناك « تحرر » و « حفلات » .. وخاصة فى اوساط المثقفين .

● كانت ح . م . تراعى السرية المطلقة ، والحقيقة ان كوادر ح . م . لم تعرف بعضها البعض الا بعد الوحده ، اما ايسكرا فقد كانت غالبية كوادرها تتواجد

فى دار الابحاث العلمية .

● نقطة الخلاف الاخيره والحاسمة كانت فى اسلوب تناول المسائل ، فكوادر ايسكرا اعتادت على النقاش المستمر والذى لا يوصل الى نتيجة ، كنا فى ح . م . نناقش القضايا ثم نصل الى قرار سريعا ، اما كوادر ايسكرا فان متعة النقاش لديهم كانت تدفعهم الى مناقشة الموضوع الواحد طوال جلسة ثم جلستين ثم ثلاثة وهكذا دون ان نصل الى اى اتفاق .

وهكذا وبعد الوحدة استغرق الجميع فى النقاش ، ومارس اعضاء ايسكرا « هوايتهم » فى المناقشة الى اقصى مداها .. ورويدا رويدا بدأنا نشعر ان كمية النقاش زادت وان كمية العمل قد قلت .

س : اسمح لى ان اعترضك . لدى سؤال عن الارقام . عند الوحدة كم عضوا تقدمت بها ايسكرا وكم عضوا تقدمت بها ح . م . ؟

ج : اولا ايسكرا سارعت قبل الوحدة مع ح . م . بتوحيد نفسها مع عدد من المنظمات الصغيرة التى كان من المفترض ان تدخل فى اطار الوحدة العامة ، لكن ايسكرا فعلت ذلك لتقوى نفسها فى مواجهة ح . م . ومع ذلك وفيما اذكر فقد تقدمت ايسكرا بثلاثمائة عضو و ح . م . بسبعمائه عضو ..

المهم انه برغم الخلافات فان الوحدة قد حققت دفعة كبيره فى العمل وحثت الجميع على بذل مزيد من الجهد .. وإذا استخدمنا الارقام فانه بعد سبعة اشهر فقط من الوحدة قفز عدد الاعضاء فى حدتو الى ١٥٠٠ عضو وحوالى ضعف هذا العدد من المرشحين وكان لدينا مجلة اسبوعية ممتازة هى « الجماهير » كانت توزع ١١٫٥٠٠ نسخة وهذا رقم ضخم بالنسبة لتوزيع المجلات الاسبوعية فى ذلك الحين ويمكنك ان تعرف قيمة هذا الرقم اذا علمت ان روزا اليوسف كانت توزع فى ذلك الحين ١٢٫٠٠٠ نسخة .

وكانت لدينا مجلة نصف علنيه اسمها « كفاح العمال » كانت توزع حوالى خمسة آلاف نسخة .

وصدرت نشره داخلية « الكادر » ونشرة نظرية « الوعى » وبلغ من تفاؤل « شندى » بهذه النتائج ان دعا الى اكتتاب لبناء واعلان الحزب ..

كانت هذه فترة الازدهار ثم ما لبثت الامور ان تعقدت كثيرا لدى اول مناقشة جاده لوضع أول مشروع لخط سياسى عام لهذا التنظيم الكبير وكان ذلك فى أوائل

١٩٤٨ وبدأت التكتلية والانقسامية وسادت المنظمة حالة من الفوضى والتسيب وسادت ـــ الكوادر الوسطى حالات من الزعامية ، لكن ذلك كله تركز اساسا فى قسم الطلبة وقسم الاجانب ولم تتأثر اقسام العمال الا بعد فترة وبعد ان اصبحت الانقسامية حقيقية واقعة .

س : اريد ان تصل بى الى نقطة مهمة ، اعتقد انك خير من يستطيع توضيحها وهى قصة منظمة نحشم (نحو حزب شيوعى مصرى) ، كيف تكونت ، وكيف اتحدتم مع حدتو فيما بعد ؟

ج : كنا فى السجن وكنت فى حدتو ووصلتنا معلومات خادعة عن ان هناك وحده بين حدتو و ع . ث (العمالية الثورية) و ن . ح . ش (نحو حزب شيوعى وهى انقسام قام به هليل شوارتز) ونفذنا هذه التعليمات الخادعة ، وهكذا خرجت من السجن فى يناير ١٩٥٠ لأجد نفسى فى نحشم ولاجد انه ليس صحيحا ان حدتو قد دخلت هذه المنظمة ، وكان من السهل ان اترك نحشم واعود الى منظمتى لكننى وجدت ان هذا غير مفيد وعندما خرجت من السجن وجدت أن نحشم عباره عن مجموعة صغيرة من الاعضاء هى عبدالحميد السحرتى ـــ سيف صادق ـــ عبد المنعم ابراهيم ومجموعة صغيره من الاجانب ويتزعم الجميع طالب طب فاشل هو جمال شلبى .. ويكرس كل وقتهم ونشاطهم فى مناقشات لا تنتهى دون عمل جدى أو حقيقى .

وعند خروجى استدعيت الى اجتماع ل . م المنظمة . وفى أول جلسة احتدم ـــ الخلاف بينى وبين جمال شلبى وانتهى الأمر ـــ وفى نفس الاجتماع اتخذ الحاضرون قرارا بابعاد جمال شلبى والدعوة لاجتماع آخر يحضر كل عضو فيه ومعه قائمة بالقوات المستعدة للعمل معنا فى بناء المنظمة واتفق على « تجنيب » قسم الاجانب وان تكون مهمته هى تسديد الاشتراكات والترجمة واعطينا لكل منا مهله شهر لتقديم قوات جديدة ...

وبعد شهر عقدنا اجتماعنا واتفقنا على اسلوب للعمل ـــ اعتقد أنه كان جديدا وللحقيقة اود ان اقول الرفاق العمال عبدالمنعم ابراهيم ـــ سيف صادق ـــ فكرى الخولى كانوا مصدر الفكره الاساسية وكانت كل مهمتى هى صياغتها وتطورها .. وتقوم الفكره على اساس بناء تنظيم من نوع جديد أو شعبتين ، شعبة مخصصه للعمل الجماهيرى ، تتحرك بشكل علنى وتعمل وسط الجماهير وتدافع عن خط

المنظمة بينها وخصصنا لهذه الشعبه فكرى الخولى ــ عامل وكان فى ذلك الوقت وكيل نقابة نسيج القاهرة ، وأحمد الرفاعى احد قادة الحركة الطلابية وانا كمسئول لهذه الشعبة ..

وكان المطلوب من التنظيم هو ان يحيطهم بالضمانات القانونية بمعنى عدم تكليفهم باية تكليفات تضر بانهم او تعرضهم للخطر من حمل المطبوعات او الى ذلك ويكفى ان ينظم التنظيم مع كل منا علاقة لقاء كل شهر مثلا نطلع فيه على المطبوعات ويدلى برايه فيها ..

اما الشعبة الاخرى فهى مخصصه لبناء التنظيم الداخلى (جهاز فنى ــ جهاز اتصال ــ اماكن ــ الخ) ..

وبعد ان اتفقنا على هذا الاسلوب قررنا ان نعود للاجتماع بعد شهرين لمراجعة النتائج وفى هذا الوقت كان عدد الاعضاء المصريين فى نخشم ١٣ عضوا فقط بما فيهم المركز .

واجتمعنا بعد شهرين فكان عدد المرشحين المطروح على التنظيم قبولهم من القاهرة والاسكندرية وبعض المدن الاخرى يزيد على ٦٥ شخصا ، والاهم من ذلك ان الشخصيات المخصصة للعمل الجماهيرى قد برزت بشكل كبير فى مجال العمل الجماهيرى العام ، وبعد سته اشهر اى فى ابريل ١٩٥١ وفى اجتماع للجنة المركزية استمعنا الى تقرير من المسئول التنظيمى يقول ان لدينا ١٣٠ عضو وحوالى ١٥٠ ــ ٢٠٠ مرشح .. وفى المجال الجماهيرى كانت هناك « لجنة الميثاق الوطنى » التى ضمت شخصيات وطنيه هامه وعدد هام من الصحفيين والسياسيين والقيادات الطلابية والعمالية وقد بدأت باجتماع جماهيرى فى نادى كلية الحقوق بجامعة القاهرة حضرته عدة شخصيات اذكر منها صبرى السوربونى ــ ابو الخير نجيب ــ فتحى الرملى ، واعتذر عن حضور الاجتماع د . عزيز فهمي ــ احسان عبدالقدوس وارسلا للمجتمعين برقيات تأييد ويمكن وصف هذا الاجتماع بأنه كان نواه لتوحيد تيار من الطلاب والصحفيين والمثقفين الاحرار تتوجه بالدعوة الى كل الشخصيات السياسية والنقابية والحزبية لتبنى « ميثاق وطنى » يطالب بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وبدأ الكفاح المسلح فورا لتحرير الأرض ــ حرية حمل السلاح .... الخ .

كذلك فقد كونا بالتعاون مع حزب مصر القناه هيئة اسميت « هيئة تأميم قناة

السويس » .. وكذلك كنا قد تواجدنا فى حركة انصار السلام .. وفى هذا الاجتماع (ابريل ١٩٥١) قدمت أنا تقريرا عن العمل الجماهيرى ، ثم أثرت قضية الوحدة مع حدتو كضرورة كفاحية .

وكان اعضاء اللجنة المركزية قد أثاروا قضية ترشيحى مسئولا سياسيا للمنظمة لكننى رفضت وصممت على تأجيل بحث هذا الموضوع وكانت ل . م المنظمة مكونة فى ذلك الحين من زكى مراد ــ عبدالمنعم ابراهيم ــ سيف صادق ــ عبدالحميد السحرتى ــ وصعد اليها كل من أحمد الرفاعى ــ اسماء حليم ــ فكرى الخولى .

وفى هذه الأثناء وبعد ان كانت حدتو تتجاهل نحشم باعتبارها منظمة صغيره محدودة التأثير ، اخذت تهتم بنا . وكان الشهيد عبدالخالق محجوب فى زيارة للقاهرة ، ثار هو قضية وحده حدتو ونحشم وصمم على ان تتم الوحدة خلال زيارته للقاهرة وترأس هو لجنة الوحده بين المنظمتين .

س : ممن كانت تتكون لجنة الوحدة ؟

ج : الشهيد عبدالخالق محجوب رئيسا ، ومن جانب حدتو سيد سليمان رفاعى ومبارك عبده فضل ومحمود توفيق (سكرتيرا للجنة) .. ومن جانب نحشم انا واسماء حليم ــ وأحمد رفاعى .

وتمت الوحدة .. لكن حدتو ابلغت اعضاءها انها ليست وحده وانما اندماج . وعندما اقرت اسس الوحدة اصرت ل . م . نحشم على استكمال الهيكل التنظيمى وعلى انتخابى مسئولا سياسيا ، وكان المبرر الذى قدم هو اعطائى تفويض لانجاز الوحدة . وتنفيذ الاجراءات العملية للوحدة .

س : متى تمت الوحدة ؟

ج : فى أول نوفمبر ١٩٥١ ، وكان ذلك فى اوج التهاب الحركة الوطنية وتصاعدها وكان اعضاء المنظمتين قد اندمجوا فعليا فى ميادين الكفاح . والاهم من ذلك هو ان هذه الوحدة قد اعادت الى الوجود من جديد منظمة حدتو بقواتها الاصلية عام ١٩٤٧ .

وبعد ذلك بدأت فترة من النشاط الهائل فى مختلف ميادين العمل وبرزت حدتو

كقطب هام فى الحركة الوطنية ، وتشعب النشاط فى مجالات عده :

ـــ الكفاح المسلح .

ـــ توحيد الحركة العمالية .

ـــ توحيد القوى الوطنية والديمقراطية .

ـــ العمل فى صفوف القوات المسلحة .

ـــ تعزيز حركة السلام .

ـــ توحيد نضال شعوب الشرق الأوسط ضد الاحلاف والاستعمار (مؤتمر شعوب الشرق الأوسط) ... والحقيقة ان الفترة من نوفمبر ١٩٥١ الى يناير ١٩٥٢ كانت مزدهرة وحافلة بنشاط جارف ، ويمكن القول بانها قد ارست تقاليد هامة فى العمل الشيوعى وسط الجماهير .

* * *

١٦ ــ فوزى جرجس
محضر نقاش
اجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٧ يناير ١٩٧٦

س : كيف بدأت علاقتك بالحركة الشيوعية ؟

ج : فى البداية كنت شخص عادى يهتم بالثقافة ، وكنت أرتاد النوادى لأستمع الى المحاضرات ، وفى مرة استمعت الى محاضرة فى علم النفس القاها الدكتور الأهوانى فى النادى الديمقراطى .. وناقشت المحاضر مناقشة مطولة ، فبدأت ألفت انظار القائمين على أمر النادى ، وخاصة مارسيل اسرائيل الذى بدأ يهتم بى ، وشجعنى على الانضمام للنادى وما ان اصبحت عضواً حتى احسست بوجود صراعات فى النادى .. وكانت الصراعات تجرى بين ثلاثة مجموعات : مجموعة كورييل ، ومجموعة مارسيل ، ومجموعة مضرية يتزعمها مدرس بكلية البوليس هو محمد نصر الدين وكان نصر الدين يطالب بابعاد الأجانب عن النادى ليصبح ناديا مصريا .

وما لبث الاتحاد الديمقراطى ان إنهار ، وما لبثت جماعة ثقافة وفراغ [مارسيل إسرائيل] ان أقامت ناديا للمحاضرات وبدأت اشترك فى هذا النادى والقيت عدة محاضرات فيه عن المرأة وعن تاريخ الفترة من ١٩١٩ الى ١٩٣٩ .. وكنت احس ان ثمه مجموعة تتحرك ويقودها مارسيل ولكنى لم انضم اليها .

ومن خلال علاقتى بجماعة ثقافة وفراغ بدأت تتكون لدى ثقافة ماركسية كافية وجمعت حولى مجموعة من الشبان وصل عددهم الى حوالى ١٥ شخص .. وما أن تجمعوا حولى حتى بدأت أشعر بالمسئولية تجاههم وكنت قد بدأت اتعرف بأحد رجال الحركة الشيوعية القديمة هو الدكتور عبدالفتاح القاضى .. ووضعت نفسى انا ومجموعتى تحت تصرفه .. وكان الدكتور القاضى منضما للحركة المصرية للتحرر الوطنى . فقد كنا نعرف قدراً من الماركسية لكن تنقصنا الامكانيات ، كما تنقصنا ــ وهذا هو الأهم ــ الخبرة فى العمل التنظيمى .

وهكذا انضممنا الى ح . م ..

وبعد انضمامنا مباشرة بدأت اشعر ببوادر معركة داخل المنظمة كان القاضى احد اطرافها ، فقد كان يعارض بشدة فى وجود الاجانب ويطالب بالتمصير

الكامل .. كما كانت له ملاحظات منها :

ـــ اختفاء المناخ الديمقراطى فى المنظمة .

ـــ سيادة العلاقات الشخصية .

وبعد فترة بدأت أنا نفسى امتلك عدة ملاحظات فقد اعطى كورييل لنفسه الحق فى الاتصال بأى عضو فى المنظمة وكنت أرى ان هذا خطأ ، كما لاحظت ان عدد الاجانب كبير نسبيا ، وكنت منذ البداية منظما فى قسم المثقفين وبدأت الاحظ خطأ فكرة التنظيم الفئوى .

وكتبت عدة تقارير قلت فى احدها اننى لا اشك فى اخلاص قادة المنظمة من الاجانب لكن وجودهم على رأس التنظيم ضار وان عليهم ان يثبتوا ثوريتهم بالانسحاب من القيادة .. ولم أتلق اى رد ..

وفى قسم المثقفين قلنا لانفسنا ان المهم هو تكوين كادر مصرى مثقف بالماركسية وعلى هذا الاساس بدأنا فى ترجمة سلسلة الكتب الخضراء ، وكانت الترجمة دقيقة جداً وتمت مراجعتها بدقة ، وكنا نترجم من الانجليزية وتتم المراجعة بواسطة متخصصين فى اللغتين منهم بعض أعضاء المجمع اللغوى .

كما قمنا بالاسهام فى طباعة هذه الكتب .

واستمرت هذه المرحلة حوالى سنتين وتركز خلافنا فيها مع المنظمة حول مسألتين :

١ ـــ الاجانب

٢ ـــ العلاقات الشخصية

ولما جاءت حملة القبض فى سنة ١٩٤٦ تفكك التنظيم وكان هذا طبيعيا ولم يبق متماسكا الا قسم المثقفين ، وقسمنا كان القسم الوحيد القائم على اساس تنظيمى صحيح ومتماسك ولم تمسه حملة القبض ، وكونا منظمة جديدة اسمها العصبة الماركسية .. ويمكن القول اننا وصلنا الى هذا الوضع دون اعداد مسبق .

س : ما هى قصة أنكم رفعتم شعار احناء الرأس للعاصفة ؟

ج : هذا غير صحيح ، وهو شعار مخترع ولقد سمعت بهذا الشعار لأول مرة عام ١٩٥٢ عندما دخلت المعتقل وتحققت من ان الذين اطلقوا هذه الشائعه هم مجموعة محمود العسكرى اى طليعة العمال .

س : كيف وقع الانقسام اذن ؟

ج : لم يكن انقسام ، بعد الحملة البوليسية سنة ١٩٤٦ تفككت المنظمة وبقينا نحن وحدنا كقسم مثقفين نمتلك ملاحظات على الاساليب السابقة فكونا منظمة جديدة .

س : اذن كنتم جميعا من قسم المثقفين ؟

ج : فى البداية نعم ، ثم اقمنا علاقات بالعمال .

س : كم وصل عدد اعضاء العصبة الماركسية وممن تكونت قيادتها ؟

ج : بلغ عددنا حوالى ٦٠ عضوا مثقفين وعمال والقيادة كانت من خمسة وكان الدكتور عبدالفتاح القاضى المسئول السياسى وانا المسئول التنظيمى .

وقد وضعنا خط سياسى وخط تنظيمى . لكن غلبة المثقفين فى المنظمة اضعفت من اندفاعها الثورى وكان نمونا غير مرضى ، واثبتت الايام ان البعض غير قادر على الاستمرار ومنهم كان د . القاضى ونقطة الضعف الاساسية اننا لم يكن لدينا محترفين ثوريين ، ومن ثم خضع العمل فى التنظيم للهواية ولأوقات الفراغ وهذا لا يمكنه ان يحقق اى تقدم لكن لم يحدث عندنا اى انقسام فى البداية .

ثم تكون ما يسمى بالحزب الشيوعى المصرى وصاحب عملية تكوينه حمله ديماجوجية وعمليات خداع ضللت الكثيرين وقيل ان شخصا ما قدر فوض من الامميه لتأسيس الحزب وان من لا ينضم اليه سيعتبر خارجا على الشيوعية واستطاعت هذه المجموعة ان تكسب الى صفها طوسون كيرلس وكان مسئول جهاز الطباعة عندنا ، وقد كسبوه بشكل غير شريف فقد انضم اليهم وسرق جهاز الطباعة ومع ذلك ظل عندنا يراوغنا .

وبدأنا نشعر بأن اسرارنا تسربت ، واخذ الكثيرين يشعرون بالخوف وبدأت المنظمة فى التفكك .

س : ما هى النشرات التى كنتم تصدرونها ؟

ج : نشرة خارجية اسمها الاجير وكنا نطبع منها حوالى ٤٠٠ نسخة .

ونشرة داخلية لا اذكر اسمها .

س : لماذا رفضتم المشاركة فى وحدة ح . م وايسكرا ؟

ج : كنا نتمسك بمبدأ يقول : قبل اى وحدة يجب ان تناقش نقط الخلاف مناقشة

ايديولوجية كاملة وتحدد نقاط الاتفاق والاختلاف تحديداً كاملا .. ومن ثم اعتقدنا ان هذه الوحدة تتم بشكل غير مبدئى .

ومن ثم رفضنا هذه الوحدة وطالبنا بصراع ايديولوجى ولجنة مشتركه لادارة الصراع ثم مؤتمر يقرر فيه الكادر كل شيء .

س : هل كنتم على علاقة بمنظمة اتحاد شعوب وادي النيل ؟

ج : نعم وهى مجموعة صغيره تزعمها عبد الفتاح الشرقاوى ، وكانت تجمعا من المثقفين قالوا بضرورة المزاوجه بين الدين والماركسية فى حركتنا على اساس اننا نعيش فى بلد يلعب فيه الدين دوراً حاسما .

لكنهم كانوا قليلى العدد وشديدى الخوف .

س : كيف تحولتم من لعصبة الماركسية الى منظمة نواه الحزب الشيوعى المصرى ؟

ج : بعد تكوين ما أسمى بالحزب الشيوعى المصرى وخروج طوسون كيرلس ومجموعة المطبعة واحساسنا بأننا قد كشفنا للآخرين ، من خلال تصرف تآمرى بحت ، فهو لم يناقشنا فى شيء ، بل ظل معنا يجارينا بينما هو مع الآخرين ، ونتيجه لهذا الاسلوب التآمرى بدأ البعض يتشكك ويتخوف من احتمال تسليمنا للبوليس ، وبدأ الاعضاء فى الانسحاب فى هدوء ، فأعلنا ان التنظيم يحتاج الى اعادة تكوين .. وكان ذلك فى اواخر ١٩٤٩ .

س : كم كان عددكم قبل خروج طوسون كيرلس ؟

ج : حوالى ٢٠٠ عضو .

س : كيف قامت منظمة النواه ؟

ج : بعد اعلان اعادة التكوين ، اعلنا تأسيس منظمة نواه الحزب الشيوعى المصرى ، وهى امتداد للعصبة بأيديولوجيتها وأنما على اساس الاهتمام بمزيد من العمل الجماهيرى والاتصال اكثر بالنقابات والحركة العمالية .

واصدرنا من جديد مجلة الاجير ، ومجلة داخلية اسمها الطليعة .

وبدأنا صراعا فكريا حاداً مع منظمة الحزب الشيوعى [الراية] وهاجمنا قيادتهم بشدة وقلنا انها قيادة فاشية ، وان خطهم السياسى هو نفس خط حدتو ، وناقشنا قضية الديمقراطية الشعبية وقلنا انها شكل من اشكال دكتاتورية البروليتاريا بينما هم كانوا يرون انها شكل جديد للبرجوازية الديمقراطية ... وكان هذا هو اول صراع ايديولوجى يجرى على اسس واضحة وكنا نحاول ان نجعل كوادر

هذه المنظمة يفيقون من الوهم الذى سيطر عليهم ، وان نخرجهم من جو الرهبة الذى احاط الرفيق خالد سكرتيرهم العام نفسه به الى درجة ان احد اللجان ارسلت الى مجلة « راية الشعب » رسالة تحيه بمناسبة مرور عامين على تأسيس « الحزب » قالت فيها ان مقالات الرفيق خالد قد افادت فى تثقيف ملايين الملايين من العمال فى كل بلاد العالم واختتمت الرسالة بالشعار الذى اصبح شهيرا فيما بعد وهو « عاش الرفيق خالد ألف عام » .

وقد شنوا هم ضدنا حملة ارهاب فكرى وتشنيع واتهمونا اننا عملاء الاستعمار الامريكى .

* * *

١٧ ـ احمد صادق سعد

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٦ ـ ٤ ـ ١٩٧٥

س : اعتقد أنه لكى نبدأ من البداية الحقيقية فانه يتعين علينا أن نتعرف على بداية علاقتك باتحاد أنصار السلام . فهل يمكن ان تروى لنا بأكبر قدر ممكن من التفصيل كيف بدأت هذه العلاقة ؟

ج : كنت طالبا فى المرحلة الثانوية فى الليسيه الاسرائيلى بالاسكندرية بمحرم بك وكانت مدرسة صغيرة وبالمصادفة مرضت مدرسة التاريخ وحلت محلها مدرسة أخرى مؤقتا هى السيدة / آنا طوبى وكان مقررا علينا فى هذه السنة دراسة تاريخ الثورة الفرنسية ، وفى أول حصة حدثتنا آنا طوبى قائلة انكم تدرسون التاريخ بشكل خاطىء وانه لكى تفهموا التاريخ فهما صحيحا يجب أن تدرسوه على ضوء الصراع الطبقى ، وشرحت لنا باختصار المادية التاريخية ، واهتم بعضنا بالأمر ووجدنا فيه بابا جديدا للمعرفة وبدأت هذه المدرسة فى تزويدنا ببعض الكتب الماركسية ، ثم دعتنا لحضور جلسة فى اتحاد انصار السلام بالاسكندرية ، وكان هذا أول اتصال لى بهذه المنظمة .

س : متى تم ذلك ؟

ج : حوالى عام ١٩٣٤ أو ١٩٣٥ .

س: اين كان مقر هذا الاتحاد ؟

ج: فى شارع متفرع من شارع سعد زغلول بالاسكندرية .. وأود أن أضيف اننى بعد هذه العلاقة التى لم تدم طويلا انقطعت عنهم واتصلت بمجموعة أخرى كانت تضم عددا من الاشخاص منهم زكى ليفى وكان اسمها جماعة « الحزمة » la gerbe وكانت جماعة ثقافية واذكر اننى القيت فيها محاضرة عن اندرية جيد ، واذكر أنه كان هناك خلاف بين جماعة « الحزمة » واتحاد أنصار السلام ، ويبدو أنه كانت توجد لدى زكى ليفى أو حوله اتجاهات تروتسكية .

وأذكر اننى حضرت فى عام ٣٥ أو ١٩٣٦ (على ما اذكر) مؤتمرا نظمه اتحاد أنصار السلام بالاسكندرية للتضامن مع الحبشة ضد الغزو الايطالى وشاهدت

لأول مرة بول جاكو وهو يلقى كلمة بالفرنسية ولازلت ترن الى الآن فى اذنى صيحته وهو يقول « لا .... لا نريد الحرب » .

وفى عام ١٩٣٧ انتقلت الى القاهرة لادخل كلية الهندسة ، وفى القاهرة بدأت اتردد على اتحاد أنصار السلام فى مقره بشارع شريف وهناك تعرفت على ريمون دويك ومارسيل اسرائيل وايلى ميزان وراؤول كورييل وجورج حنين وغيرهم ، واذكر أننى سمعت محاضرة لجورج حنين على الفرويدية أو السيريالية .

وفى هذه الفترة بدأ اتصالى ببول جاكو . وكان هناك ايضا بيريديس وزوجته الكسندرا وكثيرين آخرين .

س : ما هى مدى علاقة اتحاد انصار السلام بالمصريين ؟

ج : يمكن القول بأنها كانت علاقات خفيفة وقليلة ، وقد نجح الاتحاد فى جذب بعض المصريين وخاصة فى المؤتمرات العامة والتى تتعلق بالنضال ضد الاستعمار مثل مشكلة الحبشة ، ذلك ان مسألة السلام لم تكن مفهومة لدى الرأى العام الوطنى المصرى باعتباره كان يريد الحرب ضد الاستعمار .. ومن المسائل الهامة التى قام بها اتحاد أنصار السلام فى هذا الصدد أنه نظم ــ علاقة ما ــ بين الزعيم الهندى نهرو والنحاس باشا .

س : حسنا لنواصل قصتك ؟

ج : بعد أن دخلت الجامعة ، اذكر أنه كانت هناك محاولة من بعض اعضاء مصر الفتاة لاقامة مؤتمر لنصرة فلسطين ، وأذكر أنه فى يوم من الايام دخلت مجموعة منهم الى المدرج وهتفوا ضد اليهود .. وأنا وقفت واعلنت احتجاجى وتكلمت ــ بلغه عربية ذات لكنه أجنبية ــ متحدثا عن الفارق بين اليهودية والصهيونية ، وقلت اليهودية دين والصهيونية حركة سياسية معادية واستعمارية وطلبت الى الطلبة أن يهتفوا معى تسقط الصهيونية ، وكان اعضاء مصر الفتاة قد كونوا لجنة لمعاداة الصهيونية ولتأييد شعب فلسطين وأنضممت اليها ونشر الاهرام نبأ تكوين اللجنه ونشر اسمى ضمن اعضائها ، ومع اتجاه النية لعقد مؤتمر طلابى لمساندة فلسطين اتصل بى طالب يهودى مصرى وعرض علىّ أن نعمل معا لاقناع القائمين على المؤتمر بعدم مهاجمة اليهود كيهود .. وخلال المناقشة قال لى « انا عرضت

● بيريديس كان شاعرا يونانيا مرموقا وآقام هو واخوته فى مصر ، وعملوا اساسا فى صفوف التنظيم الشيوعى اليونانى والذى كان تابعا مباشرة للحزب الشيوعى اليونانى . وبعد أن غادر بيريدس مصر أقام فى قبرص حيث توفى هناك .

الامر على الباشا » فقلت : أى باشا ؟ قال : قطاوى باشا وبعد عدة ايام قال لى نفس الطالب ان القائمين على الاعداد للمؤتمر قابلوا الباشا وافهمهم بعدم مهاجمة اليهود واشار بأصابعة اشارة تفيد الى أنه قد أعطاهم نقودا .

وبعد ذلك اتصلت بايلى ميزان فى جماعة l . i. s. c. a « الجمعية الطلابية الدولية لمناهضة معاداة السامية وحكيت له القصة ، وبعدها بعدة ايام اخبرنى أن هناك شخص يريد مقابلتى وان يسألنى بضعة اسئلة عن الاتجاهات المعادية لليهود فى الجامعة ، وتوجهت الى هذا الشخص واسمه سقال وهو تاجر او قومسيونجى وأخذ هذا الشخص فى توجيه عدة اسئلة لىّ حول هذا الامر ثم طلب منى أن أكتب تقريرا ، ولكننى رجعت الى اصدقائى فى اتحاد انصار السلام لاستشيرهم فقالوا ان رائحة هذا الامر ليست طيبة ونصحونى بعدم كتابة أية تقارير لهذا الشخص .

وأود أن اشير الى ان كبار اليهود المصريين والاجانب كانوا فى هذا الوقت يشجعون ــ بشكل أو بآخر ــ الحركة التقدمية فى صفوف الاجانب باعتبارها درع معادى للتمييز العنصرى ضد اليهود .

وأذكر بعد ذلك أنه حدث انقسام فى صفوف اتحاد انصار السلام وقد نظم هذا الانقسام (راؤول كوربيل ــ جورج حنين ــ مارسيل اسرائيل) وعلى ما أذكر فان هذه المجموعة كانت تريد اضفاء التأثير التروتسكى على اتحاد أنصار السلام ، وبطبيعة الحال فان التروتسكيه كانت بالنسبة لنا كشيوعيين شيئا كريها جدا .

س : هل يمكن أن تحدثنى بشىء من التفصيل عن طبيعة اتحاد انصار السلام وعلاقته كهيئة بالجماعة الماركسية التى كان يرأسها بول جاكو دى كومب ؟

ج : الحقيقة ان اتحاد انصار السلام كانت جمعية علنية ولها لوائح قانونية وطبقا لمعلوماتى أنا ــ وأنا لم أكن أحضر كثيرا فى اجتماعاتها ــ فانه لم يكن هناك أى نوع من التكتل الخاص للمجموعة الماركسية ، وكان كل النشاط علنيا بالفعل ولم يكن هناك قوى خفية تتستر خلف الاتحاد . وانما كانت هناك حلقات من أشخاص تتلاقى خلال اجتماعات الاتحاد ثم تجلس مع بعضها البعض وبدأت هذه الجماعات تنظم لنفسها دراسات فى النظرية الماركسية وانا شخصيا انضممت لاحد هذه الحلقات الدراسية .

س : ماذا كنتم تفعلون فى هذه الحلقة ؟

ج : كنا مجموعة من اربعة أو خمسة اشخاص نجتمع مرة أو مرتين فى اسبوع فى منزل واحد منا ونقرأ صفحة أو صفحتين من كتاب فى الاقتصاد السياسى ثم نجرى مناقشة حولها وكان النشاط ثقافى ودراسى بحت .

س : اى كتاب كنتم تدرسون مثلا ؟

ج : كنا ندرس كتاب مبادىء الاقتصاد السياسى لسيجال وهو كتاب ممتاز .

س : هل كان هناك احد ينظم مثل هذه الحلقات الدراسية ؟

ج : الحقيقة لم نشعر بذلك وكان احساسنا اننا نتجه اليها تلقائيا .

س : هل كان هناك شخص ما يتولى ادارة الحلقة وقيادتها وتوجيه العملية الدراسية فيها ؟

ج : عموما كان هناك فى كل حلقة شخص أكثر فهما .

س : كيف سارت الامور بعد ذلك ؟

ج : فى سنة ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية ولم يعد هناك معنى لاتحاد أنصار السلام واجتمعنا وكنا عشرة أو خمسة عشر شخصا واتفقنا على ضرورة حل اتحاد انصار السلام طبقا للائحة وناقشنا تأسيس جماعة اخرى اسميناها groupe ETUDES(جماعة البحوث)● وفى ذلك الحين قرأنا رسائل ابريل للينين وكانت تتناول قضية الحرب الاستعمارية وطبيعتها — وانتهينا فى ذلك الحين الى أن الحرب القائمة ذات طبيعة استعمارية ، وأود أن اشير الى أن الاتحاد الديمقراطى اصدر فى ذاك الحين (سبتمبر ١٩٣٩) بيانا يؤيد فيه « الحلفاء » وقد نشر البيان فى « الجورنال دى ايجيبت » وفى ذلك الوقت كان الكومنترن يرى أن الحرب القائمة حرب استعمارية .. وفى ذلك الحين على ما أذكر اصدر جورج حنين مجله « دون كيشون » وكانت تهاجم الاتحاد السوفيتى .

● سبق ان استخدمنا اسم « مجموعة الدراسات » كترجمة لاسم « Groupe Etudes لكن صادق سعد اكد ان مؤسسى الجماعة قد ترجموا الاسم واستخدموه على هذا النحو ومن ثم فاننا سوف نستخدم اسم « جماعة البحوث » باعتباره الاسم الحقيقى وبرغم الخطأ الواضح فى الترجمة (المؤلف)

(١) هذا الكتاب بعنوان Egypt Now صدرت طبعته الأولى فى يونيو ١١٤٣ والطبعة الثانية فى يناير ١٩٤٤ . عن دار حورس للنشر . وقد اشير فى صدر صفحته الأولى الى أن المؤلف Hilary Way Ment بالتعاون مع Groupe Etudes

وقد أصدرت « جماعة البحوث » كتيبا عن تاريخ مصر كسبيل لتقديم دراسات عن مصر وتاريخها ونضالها الى مجموعات الاجانب والمتمصرين وجنود الاحتلال . وكانت « جماعة البحوث » عبارة عن نادى ثقافى وكان مقرها فى شارع عدلى (اظن فى المبنى الذى يوجد فيه حاليا مكتب التلغراف) .

وكان اعضاء « جماعة البحوث » يهتمون بمقابلة العديد من جنود الاحتلال ومناقشتهم حول ضرورة تحقيق الامانى القومية للشعب المصرى فى هذه الفترة كان نشاطى محدودا فقد كنت مشغولا فى دراستى .

وفى عام ١٩٤٠ أو ١٩٤١ احد الاصدقاء ريمون دويك او يوسف درويش (لا أذكر) أوجد صله بعدد من الشبان المصريين كانوا ينشطون فى جمعية لمحو الامية ، ثم وجدنا أنهم غير نشيطين بما فيه الكفاية فقررنا نحن أن نؤسس جمعية لمحو الامية .

وكان هدفنا الاساسى هو ايجاد صلة ما مع الشعب المصرى . وكان مقر الجمعية خاص بالعمال فى شارع ورشة القطن فى بولاق ومقر آخر للفلاحين فى ميت عقبة اسهم فى تأسيسه شخص يسمى عبد الوهاب مشرقى وقد أصبح جاسوسا فيما بعد .

وهكذا ومن هذين الفرعين تأسست « جماعة الشباب للثقافة الشعبية » .

وفى عام ١٩٤٢ اقتربت جحافل جيش النازى ، ودارت معارك العلمين الشهيرة وبدأت موجه واسعة من هجرة الاجانب عامة واليهود خاصة خوفا من اضطهاد النازى ولازلت اذكر فى ذلك اليوم أنه صعدت الى سطح منزلى فوجدت العديد من اعمدة الدخان يتصاعد فى القاهرة فقد كانت السفارة البريطانية وغيرها من المراكز البريطانية الهامة تحرق اوراقها .

وفى ذلك الحين اجتمعنا أنا وريمون ويوسف لنناقش هل نهاجر أم لا ؟ النازيون قادمون ونحن يهود وشيوعيون فهل نهاجر أم نبقى ؟ وقررنا أن نبقى على اساس أنه لا يصح ان يغادر الشيوعيون جميعا البلد .. فى حين هاجر الكثيرون . وفى هذه الاثناء كنا نحن الثلاثة منتظمون فى الحلقة الماركسية التى تعمل خلف « جماعة البحوث » والتى هاجر الكثير من اعضائها ..

س : هذه الحلقة الماركسية هل كانت واسعة ؟

ج : حوالى ٢٥ أو ٣٠ شخص كلهم اجانب أو متأجنبين باستثنائنا نحن الثلاثة .

وقد بقينا نحن الثلاثة رغم المخاطر الكبيرة . وعلى اواخر ١٩٤٢ كان يوسف قد أوجد صلات بالحركة النقابية المصرية عن طريق محمود العسكرى أولا ثم يوسف المدرك ، وكان مكتبه كمحام عمالى وفى الاستشارات النقابية قد بدأ فى النشاط . وفى ذلك الحين ايضا لفتت نظرى « المجلة الجديدة » التى كان يصدرها مصطفى كامل منيب واسعد حليم ورمسيس يونان وعصام الدين حفنى ناصف ، ثم قررنا أنا وريمون العمل وسط المثقفين واسسنا لجنة نشر الثقافة الجديدة مع سعيد خيال .

وهكذا اهتم يوسف بالنشاط العمالى وبدأنا نحن فى العمل وسط المثقفين فى لجنة نشر الثقافة الحديثة ومن ثم لم يعد هناك مبرر لاستمرار جماعة الشباب للثقافة الشعبية وقررنا حلها .

وفى هذه الفترة كنا قد بدأنا مرحلة نشاط فعلى وسط المصريين واجتمعنا مع بول جاكودى كومب وقلنا له أننا استمررنا لفترة فى العمل مستقلين بدون توجيهات من الحلقة الماركسية التى هاجر معظمها الى فلسطين خلال معارك العلمين ، واقترحنا أن نستقل عن هذه الحلقة وان ننظم انفسنا بالطريقة التى تناسبنا .

وقد تم ذلك بدون أية حساسيات أو خلافات فقد رحب بول جاكو والمجموعة الاجنبية بذلك ، واستمروا فى تقديم مساعدات لنا قدر طاقاتهم . وبدأوا فى اعداد دراسات عن مصر ، والحقيقة ان بعض هذه الدراسات كان قيما للغاية ومنها دراسة لتاريخ مصر من عصر محمد على ودراسات اقتصادية وقد نشر بعضها فى مجلة الفجر الجديد . وعندما أسسنا التنظيم الشيوعى عام ١٩٤٦ ، أصبحت البقية الباقية من « جماعة البحوث » حلقة ملحقة وخادمة للتنظيم ، أى أن علاقة السيادة قد انقلبت .

س : عندما قررتم انتم الثلاثة الانفصال عن الحلقة الماركسية الاجنبية ، لماذا لم تعلنوا تأسيس تنظيم شيوعى ، كما فعل الاخرين ؟

ج : لقد كان امامنا هدف مزدوج .

١) فهم مصر ، على أساس رسم ما اسميناه السياسة الشيوعية المصرية بمعنى أننا كنا مقتنعين بأنه لا توجد شيوعية بشكل مجرد ، وانما هناك سياسة شيوعية لكل بلد من البلدان . وان الخطأ الرئيسى التى وقعت فيه الحركة الشيوعية الأولى فى مصر والنشاط الشيوعى الاخر الذى كان موجودا وقتئذ كان يكمن

فى عدم تفهم الطابع القومى الخاص والشخصية المتميزة والخاصة لمصر وكنا نؤكد أنه لا توجد سياسة شيوعية قابلة للتطبيق فى جميع البلدان ، وانما توجد شيوعية خاصة بكل بلد من البلدان . ومن ثم فان المهمة الرئيسية للشيوعيين هى اكتشاف ما هو الخط الخاص بمصر ، وهذا الخط يجب أن يكون مبنيا على أساس دراسة وفهم متعمق للخصائص المصرية للمجتمع والاقتصاد والتاريخ ... الخ ، وبدون الاعتماد على مثل هذه الدراسة يمكن اعداد سياسة شيوعية مصرية .

٢) ايجاد علاقات جماهيرية بالحركة الشعبية الوطنية والديمقراطية المصرية ، وذلك — من جهة — كعنصر ضرورى لتحقيق الهدف الأول ، لأنه ليس من الممكن فهم مصر من الكتب — ومن جهة أخرى — لاختيار مدى صحة هذه السياسة فى التطبيق العملى ، وأيضا كعملية تحضيرية لتجميع واعداد العناصر اللازمة لبناء التنظيم فى المستقبل .

وعلى هذا الاساس فقد منعنا انفسنا عن وعى من اعلان تأسيس تنظيم شيوعى ، وكنا نعتقد أن تأسيس حزب شيوعى فى هذا الوقت كان سيشغلنا فى مهام تنظيمية تمنعنا بدورها من أن تحقق الهدفين السابقين .

والحقيقة اننى الان وبعد مراجعة متأنية لما حدث اعتقد أن موقفنا فى هذا الصدد كان — جزئيا — خاطئا . ذلك أنه كان من الممكن بطبيعة الحال ايجاد تنظيم دون ان يمنح ذلك تحقيق الهدفين المشار اليهما سابقا .. بل وربما يساعد على تحقيقهما بصورة افضل . وان كنت اعتقد أن الدراسات والمعلومات والاستنتاجات التى توصلنا اليهما خلال الفترة من ١٩٤٢ حتى ١٩٤٦ كانت الاساس لسياسة الحركة الشيوعية المصرية عموما ولفترة طويلة . وانا اعتقد أننا ابرزنا اهمية الدور الوطنى للشيوعى المصرى ليس كتكتيك أو كمناورة وانما على اساس أنه لايمكن ان يوجد شيوعى مصرى الا اذا كان وطنى وان الوطنية جزء من شيوعيته والشيوعية جزء من وطنيته . أى أن الوطنى النقى هو الشيوعى ، وأن الشيوعى النقى هو الوطنى ، وهذا الأمر لم يكن ملموسا فى ذلك الحين بشكل كاف وانما كانت تسود الى حد ما ايديولوجية الشيوعية الاممية بمعنى اللاقومية (كوز موبوليتان) .

واني اعتقد ان توقف الحركة الشيوعية — بعد هذه الفترة — عن استمرار الدراسة الجادة والمتعمقة لواقع مصر ، كان احد الاسباب الرئيسية لتيه الحركة

الشيوعية وتخبطها امام الحقائق الجديدة التى طرحتها احداث ثورة ١٩٥٢ وما تلاها من إحداث ولم يزل هذا النقص قائما حتى الآن .

وفى هذه الفترة ايضا قمنا بعمل جماهيرى واسع ، وبالذات فى مجال النقابات العمالية والنضال من أجل استقلاليتها (مجلة الضمير ـــ لجنة العمال للتحرير القومى ـــ الهيئة السياسية للطبقة العاملة) وبطبيعة الحال فقد تلازم ذلك مع النهضة النقابية والسياسية التى كانت قائمة فى ذلك الحين فى صفوف الطبقة العاملة ، غير أن جهودنا قد اسهمت فى تصاعد هذه النهضة واوضحت بشكل واضح وواقعى وملموس دور الطبقة العاملة المصرية وخاصة دورها كامكانية كامنة ، لأنه فى ذلك الحين كان هناك تيار يتساءل هل حقيقة الطبقة العاملة لها الدور الطليعى فى المعركة ؟ اليس الطلبة ـــ فى ظل ظروف مصر ـــ هم طليعة الحركة ؟ ولعل هذه التساؤلات قد ترددت مؤخرا ايضا .

س : اسمح لى أن اقاطعك ، لكننى اريد أن أنتهى من مسألة عدم اعلان التنظيم ذلك أن البعض يعزو عدم اتجاههم لتأسيس تنظيم شيوعى فور استقلالكم عن « جماعة البحوث » لم يكن للاستعداد ، وانما كان نتيجة أوهام تواجدت لديكم حول امكانية العمل فى صفوف حزب الوفد واستحداث جناح يسارى فى داخله .. ما هو مدى صحة هذا التصور ؟

ج : هذا غير صحيح ، واليك عدد من الدلائل تؤكد عدم صحته .

١) سلسلة المقالات فى الفجر الجديد التى تحدد موقفنا بشكل مبدئى من حزب الوفد .

٢) نشاطنا فى صفوف الحركة العمالية ، والتركيز على تأييد الحركة النقابية المستقلة .

٣) تأسيسنا للجنة العمال للتحرير القومى (الهيئة السياسية للطبقة العاملة) .

أليس هذه دلائل على أننا لم نكن نركز جهودنا على استحداث تيار يسارى فى حزب الوفد . لكننى أؤكد بأنه كان لنا اهتمام خاص وواضح بالعمل فى صفوف حزب الوفد ، وهذا طبيعى وصحيح .

س : لكن ثمة دليلا فى صالح الافتراض الذى اشرت اليه فى سؤالى السابق وهو أنه عندما أعلنتم قيام تنظيمكم كان فى صفوفه عدد كبير نسبيا من الكوادر الوفدية

ج : ليس هذا دليلا على رفضنا لفكرة تأسيس التنظيم المستقل وانما هو دليل على تواجدنا فى صفوف الشعب ونجاحنا فى أن نجذب الى الماركسية العناصر الطليعية والديمقراطية والوطنية والتى كانت متواجدة بطبيعة الحال فى صفوف الوفد أكثر من أى مكان آخر باعتباره الحركة الديمقراطية والوطنية الواسعة الوحيدة واعتقد ان موقفنا هذا كان ولم يزل صحيحا حتى الان ، وان الموقف الذى اتخذته بعض المنظمات من المعاداة للوفد بدعوى أنه يمثل قيادة اقطاعية ــ برجوازية أو برجوازية كبيرة ... الخ كان موقفا خاطئا ، خصوصا وانهم كانوا يعادون الوفد ككل قيادة وجماهيرا ويتحالفون مع اعدائه وخاصة مصر الفتاة والاخوان .

وأنا اعتقد أن الوضع فى مصر الآن يحتمل امكانية قيام حركة واسعة ــ لن تكون وفدية بطبيعة الحال ــ وانما ان تكون حركة واسعة وتحت قيادة برجوازية ما :.. وخاصة البرجوازية الصغيرة بكل تناقضاتها واختلاطها وفى هذه الحالة يجب البحث عن شكل وأسلوب التحالف والتناقض معها وليس البحث عن التناقض فقط .

أخيرا أود أن اقرر أن النقد الحقيقى الذى يمكن أن يوجه لنشاطنا فى هذه المرحلة أو الذى يمكن أن أوجهه لنفسى هو أن اهدافنا الاشتراكية لم تكن واضحة ، كنا باسم الشيوعية أو باسم الماركسية ديمقراطيين الى النهاية ووطنيين الى النهاية وإنما لم نوضح بما فيه الكفاية أهدافنا الاشتراكية ولم نبرز كموقع طبقى متميز ، ولذلك امتزجنا إلى حد ما بالحركة الواسعة للبرجوازية الصغيرة .

س : نأتى الآن الى المرحلة التالية وهى مرحلة .. « الفجر الجديد » و « الضمير » نقول انهما كانا جنينين لتنظيم ، كيف كنتم تستخدمونها للاعداد للتنظيم ؟ والى أى حد كنتم تضعون مسألة تأسيس التنظيم والاعداد له فى جدول اعمالكم ؟

ج : كانت المجلتين تمهيد للارض ، لا أوافق على تعبير « جنين » مجرد تمهيد وكنا مثلا نحرص على جمع تبرعات من اصدقاء المجلة ، ونظمنا زيارات لقراء الفجر الجديد فى الوجهين البحرى والقبلى وحاولنا ــ ولم ننجح كثيرا ــ فى تكوين لجان « اصدقاء الفجر الجديد » .. ومن خلال هذه اللجان كان من المفترض العمل على تكوين نقاط ارتكاز للعمل التنظيمى المقبل وفعلا عندما قررنا تأسيس التنظيم اخترنا افضل هذه العناصر وربطناهم برباط تنظيمى ، لكننا لم نختر كل الناس .. والمجلة كانت منبرا يجذب الناس ذوى الاتجاه التقدمى ، وكذلك كانت

مجلة « الضمير » والهيئة السياسية للطبقة العاملة .

وأود أن اشير الى بعض ملاحظات هامة حول هذه الفترة .

١) ان العمل الثقافى التقدمى ، والعمل العمالى السياسى قد اعطى ثمرة جيدة جدا وانعكس اكثر ما انعكس فى نجاح اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ..

س : اسمح لى أن اقاطعك .. لكن ممثلى المنظمات الاخرى يقولون إن اللجنة الوطنية للطلبة والعمال كانت احدى ثمار نشاطهم هم .

ج : هم اساسا كانوا فى اللجنة الوطنية للطلبة ، لكننا نحن الذين دفعنا العمال الى الالتقاء مع الطلاب وشجعنا على تكوين اللجنة الموحدة للعمال والطلاب ، والحقيقة أنه بانضمام العمال الى هذه اللجنة تغير مضمونها وثقلها ونشاطها تغيرا كيفيا ..

س : آسف للمقاطعة .. والان استمرّ فى سرد ملاحظاتك ..

ج : ٢) فى هذه الفترة انتشرت فكرة خاطئة هى ان اللجنة الوطنية للطلبة والعمال هى الشكل المصرى للسوفيتات ونحن عارضنا هذه الفكرة لاسباب واضحة اهمها عزلة اللجنة عن الفلاحين ، وان موقف الطلاب بطبيعته وقتى .. والحقيقة أنه قد حدثت خلافات حادة ومناقشات حامية حول هل الدور القيادى للعمال .. أو للطلاب فى اللجنة .. واذكر أنه بعد نجاح أول اضراب عام دعت له اللجنة نجاحا ساحقا ، حاولت الأطراف الأخرى الدعوة الى اضراب عام آخر دون ان تكون الظروف له ناضجة ونحن تنبأنا بفشل الاضراب وقد فشل فعلا . وعلى أية حال ـــ فاننا كنا نعتبر اللجنة الوطنية للطلبة والعمال « لجنة تحريك » أو « لجنة عمل » وليس باية حال تنظيم مستقر وأنه لا يمكن أن يحل محل الجبهة .

س : يقال أنه كان لكم نشاط عمالى ولكنه كان منحصرا فئويا فى عمال النسيج ، وجغرافيا فى شبرا الخيمة .

ج : ليس هذا صحيحا ، وقد سافر يوسف المدرك الى مؤتمر اتحاد نقابات العمال العالمى ومعه ٧٠ ألف توقيع من مختلف النقابات فى مختلف المدن .. القاهرة الاسكندرية ـــ المحلة ـــ كفر الدوار ـــ بور سعيد .. الخ .

وأود ان اواصل فأقول انه بعد هذا العمل الواسع ، ومن خلال محاولة مراجعته وتقييمه الان يتضح أن فكرتنا حول عدم البدء باقامة تنظيم شيوعى قد منعتنا من أن نستفيد الفائدة الحقيقية من هذا النشاط ومن أن نجنى كل ثمراته ان السبعين

ألف عامل الذين ايدوا سفر المدرك الى مؤتمر اتحاد نقابات العمال العالمى والخمس عشرة ألف عامل الذين وقعوا على عرائض تأييد لجنة العمال للتحرير القومى كانوا حشدا هائلا لكننا لم نخرج منه فى الواقع إلا بعدد قليل جدا من الرفاق اسسنا التنظيم عام ١٩٤٦ . وهذا عيب خطير ، لاننا من وجهة استبعدنا ــ فى هذه الفترة ــ امكانية اقامة تنظيم ، ومن جهة أخرى لاننا لم نفكر فى اقامة تنظيم جماهيرى واسع وديمقراطى الى جوار التنظيم السرى يستطيع تجميع كل هذه القوى ، والحقيقة ان هذا العيب كان شائعا لدى الشيوعيين المصريين عموما فقد نشطوا نشاطا جماهيريا واسعا فى احيان كثيرة وكان حصاده التنظيمى ضئيلا .

س : بعد حملة صدقى باشا فى يوليو ١٩٤٦ اغلقت الفجر الجديد والضمير وحلت لجنة نشر الثقافة الحديثة ، وباختصار اغلقت كل أو معظم ابواب العمل العلنى ، وبدأتم فى تكوين تنظيمكم .. فكيف تمت الخطوات الأولى لتأسيس هذا التنظيم ؟

ج : بعد خروجنا من السجن اتفقنا نحن الأربعة أنا وريمون دويك ويوسف درويش وأحمد رشدى صالح على ضرورة تأسيس تنظيم ..

س : اسمح لى أن اقاطعك .. من كان صاحب الفكرة ؟

ج : أنا .. واتفقنا أولا على اعداد الوثائق الاساسية للتنظيم وعملنا لائحة وخط سياسى وخط تنظيمى ، وخط جماهيرى ، وخط نقابى ، واتفقنا على الاتصال بعدد من الاصدقاء الذين كانوا على علاقة وثيقة بالفجر الجديد والضمير ، وعرضت عليهم الوثائق ، وجمعناهم مع عدد من الرفاق الاخرين أما على اساس جغرافى أو على اساس محل العمل ، وتمت الموافقة على الوثائق بعد ادخال بعض التعديلات عليها ، وقامت كل مجموعة بانتخاب مسئولها بعد أن قمنا نحن بتزكية عدد من المرشحين ، وهؤلاء المسئولين اجتمعوا فى سبتمبر ١٩٤٦ فى أحد مقاهى شارع الهرم ، وتمت فى هذا الاجتماع عملية اقرار الوثائق واعتبر الاجتماع مؤتمر تأسيس .

س : كم كان عدد اعضاء هذا المؤتمر ؟ وما هى اسماؤهم ؟

ج : سبعة أو ثمانية أذكر منهم أنا ــ ريمون ــ يوسف ــ محمود العسكرى ، وربما المدرك ولا أذكر الباقى .

س : من الذى كتب الوثائق ؟

ج : نحن الأربعة اشتركنا فى كتابتها .

س : ما هو الاسم الذى اخترتموه للتنظيم ؟

ج : الطليعه الشعبية للتحرز (ط . ش . ت) .

س : هل انتخب هذا المؤتمر قيادة ؟ كم عددها ؟ وما هى الأسماء ؟

ج : انتخب الاجتماع لجنة مركزية من ثلاثة أنا — ويوسف — ومحمود العسكرى ، واعتقد ان رشدى صالح ضم للجنة المركزية بعد ذلك .

س : هل وزعتم مسئوليات فيما بينكم ؟ وكيف ؟

ج : أنا مسئول سياسى .

يوسف درويش . مسئول تنظيمى .

محمود العسكرى مسئول عمل جماهيرى .

س : لم تعلنوا اسمكم وبقى هذا الاسم سرا ، لماذا ؟

ج : فى هذا الوقت أو قبله بفترة كنا قد درسنا تجارب بعض الاحزاب وخاصة تجربة الزملاء اليونانيين فيما يسمى بقواعد السرية والامان ، وكانت هذه القواعد مستخلصة من تجارب العمل الشيوعى فى ظل الفاشية ، وأنا فى الحقيقة أتحسر لان مثل هذه القواعد لم تكن مطبقة ومنتشرة ومعمول بها فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية .. وكان هناك مبدأ اساسى فى هذا القواعد هو : مالا يفيد الحركة يضر ..

ومن ثم سألنا انفسنا ما فائدة اعلان الاسم .. ولما لم نجد فائدة امتنعنا عن اعلانه ، وربما كنا مخطئين فى ذلك ، ولكنه ليس خطأ مطلق وخاصة فى ظروف مصر فانا اعتقد أن بعض اشكال التنظيم الهلامية يمكن أن تكون مفيدة ..

س : يقال أنكم كنتم متشددين الى درجة الجمود فى مسائل السرية والامان ، فهل هذا صحيح ؟

ج : نعم كنا متشددين فى السرية والامان ولكن لاشك فى أن هذا التشدد حمانا حماية كبيرة جدا ، وكنا أقل المنظمات تعرضا للضربات البوليسية ، ولم يتساقط منا الكثيرين ولم يكن هناك حملات شاملة ضد تنظيمنا ، وكنا نتبع من بين ما نتبع من قواعد السرية والامان اسلوب العزل الأفقى والعزل الراسى أى العزل بين خليه وأخرى والعزل بين مستوى وآخر ، ولهذا لم يكن من الممكن للبوليس ان يشن حملة واسعة ضدنا .

ورغم اننا كنا نقوم بنشاط جماهيرى كبير وواسع الا أننا استطعنا ان نحمى التنظيم مدة طويلة .

وكنا حريصين بمعنى أننا حمينا انفسنا من التفكك والثرثرة التى تميز منظمات وعقلية البرجوازية الصغيرة ..

س : البعض يقول أن هذا الحذر المبالغ فيه هو امتداد لمدرسة بول جاكو فهل هذا صحيح أم انكم صناع هذا الخط .. ؟

ج : ليس صدفة أننا تجمعنا منذ البداية مع بول جاكو ، ولابد من اساس فكرى وسياسى عام لمثل هذا الالتقاء . ولكن هذا لا يعنى أن هناك مدرسة اسمها « مدرسة بول جاكو » .

س : عندما تأسس التنظيم فى سبتمبر ١٩٤٦ كم كان عدد الاعضاء على وجه التقريب ؟

ج : ٢٥ أو ٣٠ تقريبا .

س : الا تعتقد أن هذا الرقم قليل جدا بالنسبة لما تحدثت عنه من نشاط وعلاقات ؟-

ج : نعم قليل ، ولكن مترابط جدا .

س : عندما تواجدكم كتنظيم ما هو موقفكم من التنظيمات الاخرى ، خاصة وانكم تواجدتم فى فترة انتشار الدعوة للوحدة ؟

ج : تجاه قضية الوحدة كان لدينا موقف مزدوج ، بمعنى ذو شقين هو :

(١) كنا معترفين بوجود تنظيمات مختلفة أخرى ترفع راية الماركسية اللينينية باشكال مختلفة وهناك ضرورة ما لتوحيد صفوفها .

(٢) وفى نفس الوقت كنا نرى أن وجود عدد من التنظيمات هو فى ذاته دليل على وجود خلافات سياسية وفكرية متباينة العمل وعلى هذا الاساس كنا نرى ان الخلافات يجب أن تصفى من خلال عمل مزدوج :

أ ــ تصفية الخلافات فى العمل الجماهيرى ومن خلال الالتقاء فى العمل المباشر والعلنى كلما امكن .

ب ــ تصفية الخلافات الايديولوجية بناء على هذا الالتقاء .

وكنا ــ فى هذا الصدد ــ نرفض أى نوع من التوحيد الوفاقى والذى قد يقوم على اساس توزيع المناصب فى القيادة أو على اساس تنازلات غير مبدئية .

وأنا لم أزل حتى الآن اعتقد بصحة هذا الموقف ، واعتقد أنه لا يزال صحيحا حتى الآن فيما يتعلق بتوحيد حركة اليسار عموما .

س : يقول رواة التاريخ من جانب منظمة حدتو ، أن تنظيمكم كان ضد الوحدة وأنه فى محاولة منه لعرقلة توحيد كل المنظمات فى عام ١٩٤٧ حاول أن يغرى مجموعة « العصبة الماركسية » بالابتعاد عن خط الوحدة بادعاء السعى للاتحاد معها .

ج : لا اذكر . ولا اعتقد . وكل ما اذكره فى هذا الصدد أنه فى يوم ما كانت هناك محاولة من جانبنا للاتحاد مع تنظيم لا أذكر اسمه وانما أذكر أن سعيد خيال كان فى قيادته .. وقد عقد هذا التنظيم مؤتمرا لبحث مسألة الوحدة مع ح . م وانقسموا فى المؤتمر جزء اتحد مع ح . م وجزء لم يتحد وبعد ذلك تم الاتصال بهم ولكنه لم يثمر .

س : الم تحدث انقسامات فى صفوفكم .

ج : لا . ولكن حدث حوالى عام ١٩٥١ ان قسم الطلبة عندنا اثار بعض المشاكل واعتقد انها كانت متعلقة بمسألة الوحدة ، واتخذنا ضدهم اجراءات بالغة العنف فقررنا حل قسم الطلبة ووزعنا اعضاءه على وحدات مختلفة .. ولكن لم يحدث انقسام فى صفوفنا .

س : هل صحيح أن مدة الترشيح للعضوية كانت طويلة جدا بصورة مبالغ فيها ؟

ج : ممكن ، ولكن هذا كان انعكاسا لخط عام .

س : هل ظل موقفكم تجاه قضية الوحدة كما هو ؟

ج : نعم ، كخط عام وإن كان هذا لاينفى اننا مثلا أرسلنا مندوبا إلى لجنة للوحدة وكان مندوبنا هو اسماعيل محمد وقد ارسلناه كسد خانة وليعلم ماذا يجرى .

س : ماهى قصة رد رشدى صالح على مقال شهدى عطية « الشعب يريد حزبا من نوع جديد » ، وهل كنتم مع هذا الرأى الذى ردده رشدى صالح ؟

ج : هاجم رشدى مقال شهدى وبالغ فى رفضه للمقال ، وقد ايدنا نحن مقال رشدى وكان هذا خطأ من جانبنا ، فقد فهم من مقال رشدى اننا معارضين لتأسيس حزب شيوعى وأننا معارضين للوحدة مع هذا الحزب .. وبرغم أن مقال رشدى كان فعلا يعطى هذا الانطباع ، الا أنه فى واقع الأمر يتنافى مع خطنا العام ، ويمكن تفسير مقال رشدى صالح بأننا كنا نرى أن هذه الدعوة الصادرة من هؤلاء الناس بالتحديد وفى هذا الوقت بالتحديد ، وبهذه السياسة بالتحديد دعوة غير مقبولة وعلى أية حال فأننا نتحمل مسئولية الموافقة على هذا المقال .. ويمكن القول أن هذا الموقف كان نشازا فى الخط العام .

ولكن لكى أكون واضحا فاننا كنا نعارض بشده أن تتولى حدتو الدعوة والادعاء بتأسيس حزب شيوعى . أو أن يكون هذا الحزب استمرارا لسياسة حدتو ولخلفيتها الايديولوجية .

س : ماذا كان موقفكم من قضية فلسطين ؟

ج : كان عندنا باستمرار موقف ضد الصهيونية ومع الحركة الوطنية الفلسطينية وكنا نرى ان الحل سيكون بالكفاح المشترك لليهود والعرب ضد العدو المشترك وهوالصهيونية والاستعمار الانجليزى ، وموقفنا هذا واضح تماما فى مجلة الفجر الجديد وفى الضمير وفى كتابى الذى اصدرته عام ١٩٤٧ بعنوان « فلسطين بين مخالب الاستعمار » .

وهذه الخطوط الاساسية لازالت صحيحة .

وعندما صدر قرار التقسيم اتخذ تنظيمنا موقفا رسميا ضده واذكر اننى نشرت افتتاحية فى مجلتنا السرية (الهدف) ضد قرار التقسيم وذلك على اعتبار أننا قلنا ان جانب من موقف الاتحاد السوفيتى يرجع الى مصالحة كدولة فى الصراع الدائر ولكننا حاذرنا من أى هجوم على الاتحاد السوفيتى . واذكر ان مقالى هذا اثار اعتراض بعض الزملاء على اساس أنه لا يجوز أن يختلف موقفنا عن موقف الاتحاد السوفيتى .

س : هناك رواية تقول أنك شخصيا نقدت هذا الموقف فيما بعد فى المعتقل فى عام ١٩٤٩ . فهل هذا صحيح ؟

ج : محتمل ، وعلى أية حال فقد ظللنا على موقفنا من معارضة قرار التقسيم حتى انتهاء الحرب واتضاح حقيقة دور ومواقف الرجعية العربية . وعموما فقد غيرنا موقفنا فيما بعد .

س : غيرتم موقفكم الى ماذا .. ؟

ج : الموافقة على قرار التقسيم ، والمطالبة بتنفيذه ، أى ايجاد الدولة الفلسطينية وهاجمنا بطبيعة الحال الاعتداءات الاسرائيلية .

س : لنعد الآن إلى التنظيم الذى اسستموه عام ١٩٤٦ ما هى ميكانيكية العمل فيه والخبرات التنظيمية المتميزة التى قام على اساسها ؟

ج : كان تنظيمنا يقوم على اساس العمل الجماهيرى ، وكان لدينا نوعين من الخلايا خلية العمل وخلية الحى ، وكنا نعارض تماما أى تنظيم مخالف . وكنا نرفض

أن نقبل فى صفوفنا أى أجانب . فلم يكن مسموحا بإنضمام أى شخص غير مصرى . وأى اشخاص من أى جنسيات أخرى لا يجوز ضمهم للتنظيم وانما يجرى تجميعهم فى حلقات مساعدة ، ولكن لا حقوق لهم ، بمعنى أنهم ليسوا أعضاء وليس لهم صوت فى الانتخابات .

س : هل كنتم تتبعون اسلوب الانتخاب ؟

ج : كان لدينا ديمقراطية مركزية . لكنها — فى الحقيقة— أوقفت لفترة طويلة ، غير أننا فى عام ١٩٥٧ اجرينا انتخابات من القاعدة للقمة وتم انتخاب مندوبى المؤتمر التاسيسى لحزب العمال والفلاحين .

س : غيرتم إسمكم أكثر من مرة لماذا؟

ج : بدأنا باسم الطليعة الشعبية للتحرر (ط . ش . س) ثم وجدنا أنه غير ملائم وأنه لا يعبر عن مضمون طبقى ، فقضية التحرر الوطنى ليست قضية طبقية فقد اصدرنا منشورا ووقعنا عليه « طليعة العمال » وقد احتفظنا باسم طليعة العمال حتى عام ١٩٥٧ .

س : وماذا عن اسم د . ش ؟

ج : لم يكن هذا اسمنا ، ولم نطلقه على انفسنا ، والذى حدث أننا يوما اصدرنا خط سياسى أو استراتيجية تأثرنا فيها الى درجة كبيرة بكتاب ماوتس تونج « الديمقراطية الجديدة » وقلنا أن هدفنا هو اقامة حكم الديمقراطية الشعبية والناس قالوا أننا أصحاب نظرية الديمقراطية الشعبية اى د. ش ، مثلما اطلقوا علينا جماعة الفجر الجديد والحقيقة لم يكن هناك أى تنظيم اسمه الفجر الجديد كذلك فان محمود العسكرى اخترع يوما ما ومن تلقاء نفسه اسم « نحن » واستخدمه البعض ضدنا .

س : ما هى أسماء نشراتكم ؟

ج : كان لدينا مجلتين ، مجلة داخلية اسمها « الهدف » ولم تكن توزع الآ على الاعضاء ويعاد جمع نسخها مرة أخرى ثم تعدم . وكنا نطبع منها نسخ بعدد الخلايا (حوالى خمسين نسخة) . ومجلة جماهيرية وكانت توزع خارج التنظيم واسمها « كفاح الشعب » .

س : هل كانت نشراتكم تصدر باستمرار مطبوعة بالرونيو ؟

ج : فى الغالب « ولفترة قصيرة طبعنا مجلتنا بمطبعة . والى جانب المجلات كنا

نصدر عددا من الدراسات النظرية والتنظيمية . مطبوعة بالرونيو .

س : فى ١٥ مايو ١٩٤٨ عندما بدأت حملة الاعتقالات كم كان العدد التقريبى لتنظيمكم ؟

ج : اظن أن عددنا كان قد وصل الى حوالى المائة .

س : ما هو أكبر رقم وصلتم اليه فى تاريخكم .. ؟

ج : فى عام ١٩٥٧ كان عددنا حوالى الف أو الف ومائتان .

س : كل المنظمات تعرضت لضربات شديدة عام ١٩٤٨ ، فماذا كان عمق الضربة ضدكم ؟

ج : قليل . كان مجموعنا فى المعتقلات حوالى ١٠ أو ١٢ ولم يكن الجميع أعضاء .. أنا وريمون ويوسف اعتقلنا ولكن رشدى وابو سيف هربا .

* * *

١٨ ـــ حلمى يسن

محضر نقاش

أجريت المناقشة باقاهرة فى ١٢ فبراير ١٩٧٨

س : سؤالنا التقليدى هو من أنت وكيف أصبحت شيوعيا؟

ج : ولدت عام ١٩١٩ من مواليد بنى سويف ، وقد ولدت فى أسرة ثرية ويمكن القول أنها اقطاعية كانت تلعب دورا هاما فى مديرية بنى سويف كلها ، وكان أبى واخوته يمتلكون مائتى فدان ، وكان أبى برغم تعليمه المحدود يقرأ كثيرا ولهذا تبنى مواقف ايجابية من قضايا وطنيه وتقدمية عديدة مثل قضية تحرير المرأة .

وكانت عائلتنا ككل وفدية ، وكان أبى رئيس لجنة الوفد ، وعائلتنا عائلة سياسية بمعنى الكلمة فحتى أمى دخلت السجن لأنها شاركت فى مظاهرة ضد صدقى باشا فى عام ١٩٣١ .

ورغم هذه الاستنارة الفكرية الا أننى كنت ألاحظ دوما عسفا واضطهاد من جانبها ضد الفلاحين العاملين فى أرض عائلتنا . وقد أثر ذلك تأثيرا هاما فى اتجاهى السياسى فيما بعد .

وكان طبيعيا فيما بعد أن أصبح عضوا فى الشباب الوفدى ، ولكننى وعندما وقع النحاس معاهدة ١٩٣٦ شعرت ببعض الرفض لهذه السياسة ولهذا اتجهت الى مصر الفتاة التى كانت تعارض معاهدة ١٩٣٦ بشدة ، ثم ما لبثت أن اكتشفت علاقاتهم بالقصر وسياستهم الديماجوجية . ولست أذكر بالضبط متى بدأت أول علاقة لى بالشيوعية ، لعلها بدأت فى الأشهر الأخيرة من عام ١٩٣٩ أو فى بدايات عام ١٩٤٠ ، تحديدا فى بدايات نشوب الحرب العالمية الثانية .

وفى هذه الأثناء تعرض والدى لأزمة مالية حادة ويمكن القول أنه فقدَ ثروته بسبب ادمانه المخدرات ، وبدأت أعمل مضطراً لأعول نفسى وأعول أخى الصغير ، فور حصولى على الشهادة الثانوية .

وبدأت فى البحث عن رؤية سياسية واضحة ، وترددت على عدد من الأندية الثقافية وأذكر أن أول محاضرة استمعت اليها كانت حول خزان أسوان وكهربته

* ثمة محضر نقاش آخر مع حلمى يس اجرى فى ١٠ ـــ ١١ ـــ ١٩٨١ ، وسوف يرد ضمن هذا الكتاب وفق التسلسل الزمنى لما يحتوية من معلومات . كذلك سنورد له فى موضعه برنامجاً انتخابياً رشح نفسه على أساسه فى انتخابات مجلس الامة عام ١٩٥٦ .

وتعليته مرة ثالثة .. وكانت المحاضرة تلقى فى « جماعة الدراسات » وقد لفتت انتباهى الى حقائق هامة وأثرت فى كثيرا ، وكان مقرها ٥ شارع عدلى .

وهناك التقيت بمجموعة أخرى من ذات الاتجاه كونت جمعية اسمها « جماعة الشباب للثقافة الشعبية » وكانت تنشط فى بولاق (عمال) وفى ميت عقبة (فلاحين) حيث تقوم بنشاط لمحو الأمية والى جوار دروس اللغة العربية والحساب كانت هناك حصص للتاريخ وحديث عن حقوق الشعب وحريته .

س : كم كان عدد تلاميذ الفصل ؟

ج : أحيانا عشرة فقط ، لكنه وصل فى أحيان أخرى الى خمسين طالبا من سكان الحى المحرومين من أية فرصة للتعليم .

وقد كانوا سعداء بهؤلاء القادمين اليهم ليعلموهم دون أجر . وبطبيعة الحال لم نكن نناقش معهم أية مواقف سياسية بشكل مفصل وانما كنا نكتفى بالعموميات ، ولكم يكن أحد منهم يعلم أننا شيوعيون أو ماركسيون وانما فقط أننا مجموعة وطنية ..

س : ثم ماذا ؟ وتحديدا كيف أصبحت فعليا عضوا فى منظمة شيوعية ؟

ج : سألنى أحد زملائى فى « جماعة الشباب للثقافة الشعبية » هل قرأت تاريخ مصر فلما أجبت أننى درسته فقط فى المدرسة أبدى دهشته واعطانى مجموعة كتب عبد الرحمن الرافعى ، وكانت المرة الأولى التى أتعرف فيها على تاريخ مصر تعرفا حقيقيا وكان هذا الزميل قد طلب الى أن أقرأ هذه الأجزاء بعناية وأن ألخصها بعناية وأن أركز على دور الحركات والقوى الشعبية وليس الحكام والملوك .

س : من كان هذا الزميل تحديدا ؟

ج : ريمون دويك وكان من مجموعة الدراسات ، وبعد أن انتهيت من قراة كتب الرافعى أعطانى ثلاثة كتب أخرى هى دمار مصر لتيودور روزشنين ، التاريخ السرى للاحتلال البريطانى لمصر تأليف ويلفرد بلنت وكتاب عرابى المفترى عليه وقمت بدراستها وتلخيصها .. وهكذا وطوال ثلاث سنوات وباشراف وتوجيه من أعضاء جماعة الدراسات واصلت دراستى لتاريخ مصر ، وعبر هذه السنوات كنت أسمع منهم معلومات متناثرة عن الاتحاد السوفيتى وانتصاراته فى الحرب .

س : هل تعنى أن أعضاء مجموعة الدراسات كانوا يقومون بنوع ما من تربية الكادر المصرى ؟

ج : كانوا أجانب ، وكان أغلبهم لا يعرف العربية جيدا ، ومن ثم لم يكن بامكانهم العمل وسط الشعب المصرى ، ومن ثم فقد أقاموا علاقات بالمصريين عن طريق « جماعة الشباب للثقافة الشعبية » ومن ثم كانوا بشكل أو بآخر يوجهونها ثقافيا ..

ولكن وحتى عام ١٩٤٥ ، أى بعد حوالى ستة سنوات من العلاقة مع هذه المجموعة لم أسمع بشكل صريح وواضح كلمة « ماركسية » أو « شيوعية » .

ثم صدرت « الفجر الجديد » وطلب الى أن أكتب فيها فكتبت باسم مستعار ، وجمعت تبرعات لها ، بل وقمت بتوزيعها .

س : اذن نحن أمام أكثر من نقطة ارتكاز فهل لنا أن نتوقف أمامها وأن نعرف كيف كان يتم التنسيق بينها ؟

ج : كانت هناك « جماعة الدراسات » (للاجانب) وهناك « جماعة الشباب للثقافة الشعبية » (العمل وسط الأحياء الشعبية) (بولاق) وللاقتراب من الفلاحين (ميت عقبة) ، وهناك العمل وسط المثقفين عن طريق دار القرن العشرين التى أصدرت مجلة الفجر الجديد وعدة كتب هامة كما كان هناك نشاط عمالى أثر (لجنة العمال للتحرير القومى) والتى أصدرت مجلة الضمير .

ويمكننى القول أن ريمون دويك كان عنصر التنسيق بين هذه الجماعات واستمر الوضع على هذا الحال حتى كانت حملة صدقى ضد كل المنابر التقدمية العلنية والتى صحبتها حملة قبض واسعة شملت حوالى ٢٠٠ شخص ، ومعها حملة اعلامية ضخمة عن قضية الشيوعية الكبرى .

ولم أكن بين المقبوض عليهم ، وبعد حوالى شهر دعيت لمقابلة زميل فى هليوبوليس فقال لى « الآن وبعد ست سنوات من العمل معنا يمكننى ان أقول لك أنك أصبحت واحدا من مجموعتنا ودهشت دهشة بالغة ، لكننى شعرت بسعادة غامرة ، وكان الأمر سرياً للغاية لدرجة أنه لم يبلغنى باسم هذه المجموعة . وفهمت فيما بعد أننى كنت مرشحا طوال السنوات الست الماضية وعندما انضممت الى أول خلية عملت فيها شعرت بحيوية بالغة ، فقد كان هناك عمل جاد ومهام محددة ، ومسئوليات جسيمة ونشاط واسع فى مختلف الاتجاهات وكان هناك نشاط جاد وسط العمال ..

س : من هو هذا الصديق الذى أبلغك بمنح العضوية لك ؟

جـ : صادق سعد .

س : ومتى علمت باسم المنظمة؟
جـ : فيما بعد وكان اسم المنظمة « الطليعة الشعبية للتحرر » « وتختصر ط . ش ت » وقد حدث فى عام ١٩٤٨ ، أن قبض على أحد زملائنا وقال له الضابط : تعال يا طشت فتصور أنه يشتمه وغضب وثار ولكنه عرف للمرة الأولى اسم المنظمة ، لقد كنا نتبع أسلوب السرية المطلقة ، وكان هناك شعار « مالا ينفع يضر » ولهذا لم يمكن هناك مبرر لابلاغ الأعضاء باسم المنظمة ،أما أنا فقد علمت بالأسم عندما قرأت البرنامج واللائحة .

س : كيف تطور وضعك التنظيمى ؟
جـ : أذكر أننا فى بداية عام ١٩٤٨ عقدنا كونفرنس لرفاق القاهرة وانتخبت لجنة قيادية ثلاثية ضمت يوسف المدرك وطه سعد عثمان وأحمد رشدى صالح .. وبعد فترة ترك طه سعد عثمان القاهرة واستدعيت لأحل محله ..
س : هل لك أن تقدم لنا بعض معلومات عن نشاطكم فى القاهرة ؟
جـ : اعتقد كانت عضويتنا فى القاهرة ما بين ٥٠ ، ٦٠ عضوا ، وكنا نعمل بنشاط عارم الى درجة أن البوليس كان يتصور أننا ٥٠٠ عضو ، وقد أصدرنا مجلة طلابية للجامعة ، وكنا نكتب فى جريدة الكتلة .

وبرغم هذا النشاط العارم كانت السرية صارمة للغاية ، فحتى أنا وأنا عضو فى لجنة القاهرة لم أكن أعرف إلا عدد محدود جدا من الأعضاء ..
س : ماذا عن التركيب الطبقى لهذه العضوية ؟
جـ : يمكنني القول أن الغالبية كانت من العمال ، وكنا نتواجد فى نقاط ارتكاز مهمة فى شبرا الخيمة والزيتون والاسكندرية والمنيا ..
س : وماذا عن علاقتكم بحزب الوفد ؟
جـ : كانت لنا علاقات وثيقة بالوفد ، الوفد كان حزب غير منظم بالمعنى المفهوم ، فهو مجرد تيار سياسى وطنى يمتلك تأثيرا واسعا وسط الجماهير ، وكنا نسعى كى نخلق كيانات منظمة فى الوفد حتى يمكن التعامل معها .

وقد أقمنا علاقات وثيقة للغاية مع « الطليعة الوفدية » الجناح اليسارى فى الوفد وأصدرنا معهم مجلة « رابطة الشباب » وكان صادق سعد يكتب عمودا ثابتا يدعو فيه الوفديين الى تنظيم أنفسهم وكان يطالب كل مجموعة من الوفديين أن تجتمع

وتنتخب لها سكرتيرا ، وأن تعقد اجتماعات منتظمة وأن تعد محاضر لهذه الاجتماعات ، وعندما قرأ فؤاد باشا سراج الدين هذا العمود .. استدعى مصطفى موسى مسئول الطليعة الوفدية وقال له مبروك لقد أصبحتم تنظيما شيوعيا .

س : لنتابع الآن التعرف على نشاط « ط . ش . ت » .

جـ : عندما بدأت حملة اعتقالات ١٩٤٨ ، وتلتها المواجهة العنيفة بين الأخوان وجهازهم السرى والحكومة ، كان العمل بالغ الصعوبة بصورة لايمكن تخيلها ، كان البوليس يفتش اية لفافة يحملها أى شخص بالطريق العام ، وكانت هناك حملات تمشيط واسعة للأحياء والشوارع وكان البوليس يفتش البيوت بيتا بيتا بحثا عن الأرهابيين من الأخوان ، وكان العمل بالغ الصعوبة ، ولهذا توقف النشاط العلنى الى حد كبير ، وكنا نضطر الى نقل أجهزتنا الفنية من مكان لآخر ، وكانت هناك صعوبات بالغة فى ضمان أمن العمل التنظيمى ، ومع ذلك فقد قمنا بنشاط واسع وجماهيرى أيضا ولازلت أذكر عديدا من المناسبات التى قمنا فيها بتوزيع منشورات على نطاق واسع ، من بين هذه المناسبات كان احتفال الوفديين بذكرى وفاة سعد وكان النحاس يخطب فى حشد كبير ، كان ذلك يوم ٢٧ أغسطس ١٩٤٨ أى بعد بدأ حملة الاعتقالات وموجة الارهاب وفى هذا الاحتفال وزعنا منشور بكميات كبيرة حوالى ٤٠٠٠ نسخة وكان مطبوعا بالمطبعة وكان المنشور يطالب بالغاء الحكم العرفى والأفراج عن المعتقلين ، وكنا بمناسبة الأعياد نوزع منشورات عديدة فى الطرق المؤدية الى المساجد حيث يتوجه الناس فى الصباح المبكر لأداء صلاة العيد وكنا نهنئهم فى هذه المنشورات بالعيد ونشرح لهم حقيقة الأوضاع السياسية والاجتماعية ، كما كنا نرسل العديد من المنشورات بالبريد ، وعندما لاحظ البوليس تشابه المظاريف والخط الذى كتبت به العناوين قام بمصادرة المنشورات وفى المرة التالية طبعنا مظاريف عليها اسم مؤسسة أخبار اليوم وشعارها وعنوانها وأرقام تليفوناتها ووزعنا كميات من المنشورات داخل هذه الأظرف .

وهكذا قمنا بنشاط واسع دون أن نتعرض لحملات قبض واسعة .

س : متى أصبحت عضوا فى اللجنة المركزية لمنظمة ط . ش . ت ؟

جـ : بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ قبض على عضوين من اللجنة المركزية للمنظمة وصعدت أنا الى اللجنة المركزية فى أكتوبر ١٩٤٨ وكنا فى هذه الفترة نعمل

بنشاط ونحافظ على حيوية المنظمة بينما حدتو قد ضربت ضربات قاصمة ودخل معظم أعضاءها الى السجون والمعتقلات وتعرضت المنظمة لانقسامات عديدة .

وفى ذلك الحين اتحدنا مع منظمة حركة تحرير الشعب « ح ت. ش. » وكنا على علاقة بهم منذ لجنة نشر الثقافة ، واتحدنا معا كنا حوالى ٩٠ عضوا وكانوا حوالى ٦٠ أى أن المجموعة كلها كانت ١٥٠ ، وقد لاحظنا فيما بعد أنهم لا يهتمون بالعمل الجماهيرى .. ويركزوا على كتابة مقالات وتقارير عالية المستوى ، وقد استفدنا من ذلك بشكل مرض ، كما أنهم كانوا يقدمون لنا موارد مالية هامة وأماكن للاجتماعات الخ..

وهكذا وبرغم أن وحدتنا مع حتش أضافت لنا عناصر لا تهتم بالعمل الجماهيرى الا أنها أضافت لنا قوة وقدرات جديدة ومكنتنا من بناء نواة تنظيمية جيدة فى الوقت الذى كانت فيه المنظمات تتفكك تماما تحت وطأة ضربات البوليس وبسبب الانقسامية . وقد اسميت المنظمة الجديدة الديمقراطية الشعبية ـــ « د. ش » .

وفى عام ١٩٥٠ وعندما بدأت انتخابات البرلمان شارك العديد من كوادرنا فى الحملة الانتخابية للعناصر الوفدية التى قررنا أنها أفضل من غيرها مثل د . محمد مندور ، مصطفى موسى ، د . عزيز فهمى ، كذلك فقد رشحنا محمد يوسف المدرك عن شبرا الخيمة وكان معتقلا ، لكنه ما أن أفرج عنه حتى وجد زملاؤه قد أعدوا العدة لترشيحه ..

س : هل من مزيد عن العمل الجماهيرى لمنظمتكم ؟
جـ : عند الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، رفعنا شعار الكفاح المسلح ، ووضعناه موضع التطبيق حيث أقمنا معسكر للتدريب فى الشرقية وكونا مجموعات للكفاح المسلح ..

تميزت نشأة الطليعة الشعبية للتحرر كتنظيم ماركسى بالخصائص التالية :

١ – قامت كمنظمة ماركسية مصرية يتحمل فيها الماركسيون المصريون اولا واخيرا مهمام النضال من أجل المجتمع الاشتراكى المصرى وكان هذا يعنى انه يتعين على الماركسيين المنتمين الى جنسيات أجنبية ان يحددوا موقفهم : فأما ان

١٠٩ ــ أبوسيف يوسف

الطليعه الشعبية للتحرر

تميزت نشاه الطليعه الشعبية للتحرر لتنظيم ماركسي بالخصائص التاليه :

١ - قامت كمنظمة ماركسية مصرية يتحمل فيها الماركسيون المصريون اولا واخيرا مهمام النضال من أجل المجتمع الاشتراكى المصرى وكان هذا يعنى انه يتعين على الماركسيين المنتمين الى جنسيات أجنبية ان يحددوا موقفهم : فأما ان يقرروا البقاء فى مصر كمصريين واما أن يلتحقوا بالأحزاب الشيوعيه فى بلادهم . وتم تدشين هذا الفصل نهائيا بين الكوادر المصرية والأجنبية فى المؤتمر التأسيسى الأول للمنظمة فى أواخر عام ١٩٤٥ .

وكان الاتجاه الى تمصير التنظيم اتجاها اصيلا ومتكاملا انعكس فميا يلى :

أ ــ تدريس تاريخ مصر الحديث من منظور تقدمى لعمال وفلاحين من خلال مراكز لمحو الأمية (كما حدث فى بولاق او ورشة القطن وفى ميت عقبه)

ب ــ الاعتراف بان للاسلام كثقافة مضمون معارض للاستعمار .

جـ ــ الاهتمام بابراز العناصر التقدمية فى التراث القومى المصرى .

د ــ مطالبة ممثلى المنظمة فى مؤتمر اتحاد النقابات العالمى عام ١٩٤٥ (باريس) بان تكون اللغة العربية احدى اللغات المعترف بها فى الهيئات الدولية .

هـ ــ تمثل خط التحالف بين المنظمة وبين القوى السياسية فى اشكال مختلفة من التعاون المشترك والتنسيق مع القوى الثوريه .

و ــ التعامل مع الجماهير لشعبية الملتفة حول حزب الوفد باعتباره القيادة التقليدية للحركة الوطنية المصرية .

---

* حرص المؤلف على الا يورد ضمن هذه الشهادات الا ما حصل عليه بنفسه ، واستثناء من هذه القاعده ننشر هذه الشهادة التى حررها ابو سيف يوسف

* بناء على طلب المؤرخ العراق الأستاذ الدكتور طارق اسماعيل . ونظرا لما تحتويه هذه الشهادة وشهادة أخرى تاليه لأحمد صادق سعد فقد استأذنت الدكتور طلارق اسماعيل فى نشرها وقد تفضل فأذن بذلك .

ذ ــ عدم تأسيس مشروع تقسيم فلسطين ١٩٤٨ .

ثانيا : قامت الطليعة الشعبية للتحرر فى تركيبها كمنظمة للطبقة العاملة ، فكان للعمال الوزن الأكبر فى عضويتها كما كانت فى مقدمة المنظمات فى الأنشطة النقابية السياسية وبوجه خاص فى الفترة من ١٩٤٤ - ١٩٤٨ وانعكس هذا فيما يلى :

أ ــ نجاحها فى ارسال ممثلى العمال الى اتحاد النقابات العالمى فى باريس عام ١٩٤٥ بتأييد من عشر الف عامل .

ب ــ اصدار مجلة عمالية هى « الضمير » .

جـ ــ تكوين تنظيم عمالى ديمقراطى تحت اسم « لجنة العمال للتحرر القومى » .

د ــ العدد الكبير من الاضرابات العمالية التى قامت على اسس مطلبية (خاصة فى منطقة شبرا الخيمة) .

هـ ــ اقامة هيئات ديمقراطية لخدمة الحركة النقابية مكتب الأعمال النقابية (محمد يوسف الدرك) ومكتب للاستشارات القانونية للنقابات (يوسف درويش) .

و ــ كان للمنظمة وجود محسوس فى عدد من المناطق الصناعية الهامة فى القاهرة والاسكندرية وكفر الدوار والمحلة الكبرى وبورسعيد وغيرها .

ز ــ دفع الطبقة العاملة الى ان تأخذ دورا متزايدا فى حركة النضال المعادى للامبريالية والصهيونية (الحركة الوطنية) .

ثالثا : تفادت القيادة التى كونت الطليعة الشعبية للتحرر تدريس الماركسية كمجرد نصوص غير مرتبطة بالواقع . اعتمدت القيادة على فهمها للاشتراكية العلمية فى صياغة عدد من الوثائق التى كان يتم تثقيف الأعضاء والمرشحين بها : الرسالة السياسية ، الرسالة الفلاحية .. الخ . وسارت مطبوعاتها الديمقراطية مجلة الفجر الجديد والضمير ومعظم الكتب التى نشرتها دار القرن العشرين على تقليد محدد وهو محاولة تفهم الواقع المصرى على ضوء الماركسية (وذلك بغض النظر) عما تحقق فى هذا المجال من ايجابيات وسلبيات .

رابعًا : قامت نظرية بناء التنظيم على الأسس الماركسية التى كانت تحكم فى الأربعينات عملية انشاء حزب ماركستى . لكن القيادة التى انشأت التنظيم اولت أهمية خاصة لوضع معايير متشدده فى تجنيد الاعضاء خاصة المرشحين منهم لتكوين الهيكل القيادى من هنا :

أ ــ كان عضو المنظمة يتم ترشيحه من خلال الانجازات الملموسة التى يقوم بها

فى وسط جماهيرى معين ، وعلى ضوء ثقة الناس به فى هذا الوسط ، وعلى أساس مسلكه الاخلاقى العام .

ب ــ ضاعف من تمسك المنظمة بهذا المنهج فى اختيار الاعضاء نظام السرية الذى فرضته القوانين المعمول بها فى البلاد والتى كانت تجرم قيام تنظيمات تتبنى النظرية اللينينية وذلك مع ما ارتبط بهذا كله من محاولات أجهزة الأمن اختراق التنظيمات الماركسية والتعرف على خريطتها التنظمية .

خامسا : خط التحالف مع الأحزاب السياسية التى وجدت على الساحة انطلاقا من قناعة بناه المنظمة بأن الماركسيين المصريين هم او يجب ان يكونوا ــ ورثه او الاستمرار الطبيعى للحركات الوطنية والشعبية ــ حددت المنظمة ان حزب الوفد على الرغم من تذبذب قيادته بين قوى الاستعمار السرأى من ناحية والشعب من ناحية اخرى ــ يمثل القيادة التقليدية للحركة الوطنية وانه يتمتع بتأييد اوسع قطاعات الرأسمالية الوطنية ــ صغار الفلاحين والبورجوازية الصغيره الديموقراطية وقطاع من الطبقة العاملة تمثلهم عمال الحكومة (مثل عمال الترسانة والسكك الحديدية وعمال المطابع الأميرية . (وانه بناء على ذلك يتعين إقامة أشكال من التحالف والتعاون والتنسيق مع ممثلى قواعده الشعبية (الطلاب المنظمين تحت قيادة لجنة الطلبة التنفيذية العليا (الوفدية) والقوى الديموقراطية والتقدمية الذين شرعوا يكونون تيار الطليعة الوفدية ثم فئات المهنيين وخاصة المحامين . من هذا المنطلق كانت منظمة الطليعة الشعبية أكثر المنظمات الماركسية معارضة للأحزاب التى ضمت القوى غير الديموقراطية من البرجوازية الصغيرة مثل « حزب مصر الفتاة » او الأقسام المختلفة من البرجوازية الصغيرة (الاخوان المسلمون) .

ان هذه النقاط الخمس مجتمعة معا هى التى شكلت السمات الخاصة التى ميزت الطليعة الشعبية للتحرر عن غيرها من المنظمات التى عاصرتها فى فترة الاربعينات . وهى السمات التى تفسر فى اعتقادنا طائفة من الظواهر :

١ – عدم ارتباط المنظمة بمركز حلقه أجنبية خارج مصر يمكن ان تملى سياساتها عليها .

٢ – عدم تعرض المنظمة لانقسامات داخلية ، فالانفصال عنها كان يتم فرديا .

٣ – دخول كوادر هامة من منظمات أخرى فى صفوف الطليعة الشعبية واتحاد

قسم من منظمة حتش (القسم الذى رفض الانضمام لحدتو ، مع ط . ش . ت (١٩٤٩)

٤ – حماية المنظمة من اختراق الأمن لصفوفها القيادية وهو الأمر الذى كان عاملا من عوامل الحفاظ على تماسكها .

٥ – نمو المنظمة بعد توجهها الى التوسع فى ضم اعضاء جدد (منذ الخمسينيات) لتكوين اكبر تنظيم شيوعى من حيث العضوية المنظمة والمنضبطة .

* * *

تقييم عام لتجربة طشت (١٩٤٦ - ١٩٥٨)

١ - اسهمت (ط . ش . ت .) كواحد من المنظمات الماركسية الرئيسية فى تسليح حركة التحرر الوطنى فى مصر بالشعارات الرئيسية التى ساعدت على تطور هذه الحركة بمحتوى اجتماعي مناهض للنظام الذى اقامه كبار ملاك الأرض والرأسماليه التابعة للامبريالية كما ان العديد من الكتابات التى طرحها اعضاء المنظمة كانت ذات مضمون تقدمى تنويري نبه الأذهان الى ضرورة الطرح الجديد للعديد من القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية(*) .

٢ - لعبت (ط . ش . ت .) دورا هاما فى معركة استقلال حركة الطبقة العاملة المصرية عن الأحزاب البورجوازية واكدت على دورها القيادى فى حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى ٣ - ساهمت ط . ش . ت مع غيرها من المنظمات الرئيسية فى صياغة العديد من القضايا التى شكلت فيما بعد خاصة فى الخمسينات والستينيات ـ الأساس للبرنامج الوطنى والاجتماعي الذى تبنته وطورته ثورة يوليو .

٤ - ساهمت ط . ش . ت . مع غيرها من المنظمات الرئيسية فى بعث تيار اشتراكى أصبح احد التيارات الرئيسية فى الحياة السياسية والاجتماعية جنبا الى جنب مع التيارات السياسية الأخرى (التيار القومى وتيار الاسلام السياسى)

فى الوقت ذاته يمكن ان نلاحظ ما يلى :

لم تنجح ط . ش . ت فى ان تتطور لتصبح على النطاق القومى المصرى الحزب الاشتراكى الذى يوحد صفوف الطليعة العاملة والطبقات الثورية الأخرى تحت قيادته . ولم تنجح ط . ش . ت بالتالى فى تجاوز ظاهرة الانقسام التى استشرت داخل التنظيمات الماركسية العديدة . وظلت فترة طويلة اسيرة فكرة التمييز بين مرحلة « المنظمة » ومرحلة « الحزب » ويرجع هذا الاخفاق الى اكثر من سبب نكتفى بالاشارة الى اهمها :

أ ـ القيود والموانع التى حالت بين المنظمة وبين ان تسهم اسهاما خلاقا فى تطبيق

(*) من ذلك قضايا تأميم المصالح الاستعمارية وتحديد ملكية الأرض الزراعية واصلاح التعليم وتحرير المرأة والاهتمام بالأدب الشعبى (الفلوكلور) واعادة كتابة تاريخ مصر باعتباره تاريخ الشعب لا تاريخ الملوك .. الخ وقضايا السودان والموقف من الصهيونية .

نظرية الاشتراكية العلمية على واقع مصرى عربى له خصوصية . على سبيل المثال بينما اعطت المنظمة معظم الجهد لمواجهة متطلبات المعارك اليومية الا انها لم تبذل الجهد المطلوب على المستوى النظرى لحل اشد القضايا الاجتماعية الحاحا واخطرها فى ذلك الوقت وهى المشكلة الزراعية . فبينما ركزت تركيزا يكاد ان يكون تاما على النشاط فى المناطق العمالية ضعف نشاطها او كاد ان يختفى مع فقراء الفلاحين . وادى هذا الأمر الى خلل فى نمو حركة التحرير الوطنى التى ظلت البرجوازية الصغيره الحضريه (فى المدينة) هى القوة الاكثر نشاطا والأعلى صوتا فى الحركة الوطنية و لم يتم تنظيم الفلاحين فى معارك مباشرة او مع قوى الاحتلال او ضد كبار ملاك الأرض .

ب ـــ وقعت ط . ش . ت كغيرها من المنظمات الرئيسية وان كان ذلك بدرجة اقل ـــ تحت هيمنه الفكر الستالينى على الحركة الاشتراكية العمالية ، وذلك فى وقت كانت الستالينية فيه قد تحولت الى فكر متجمد فى حين طرحت الحياة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قضية الابداع والخلق فى النظرية الاشتراكية العلمية .

وعندما انفتحت (ط . ش . ت) على تجربة الثورة الضيقة لم تقم بعمل نقدى يستهدف وضع نظرية الطريق المصرى الخاص الى الاشتراكية . وهو موقف كان معارضا فى الجوهر لتعاليم الماركسية اللينينه . ذلك ان لينين نفسه فى لقائه عقب انتصار ثورة اكتوبر مباشرة مع ممثلى الاحزاب والحركات الثورية فى بلاد الشرق حدد ان الثوريين الروس ساروا فى الطريق الخاص بهم لانجاز ثورتهم وان الثوريين فى المشرق يواجهون فى بلادهم واقع اكثر تعقيدا وان عليهم ان يبتكروا الحلول التى تستجيب لمتطلبات هذا الواقع .

جـ ـــ ترتب على ما تقدم ان ط . ش . ت ظلت فى كثير من الاحيان فى موقف دفاعى لا هجومى ان صح هذا التعبير وذلك فى مواجهة التغييرات والانعطافات التى ظلت تتوالى على المجتمع وترتب على ذلك ان حصيلة عملها (وعمل الحركة الماركسية فى مجموعها) لم يكن تعود عليها لما بما ينمى صفوفها ويوسع من نفوذها بقدر ما كانت ثمار هذا العمل تتبدد او تذهب بكيفية غير مباشرة الى قوى أخرى .

أبو سيف يوسف

٢٠ ــ احمد صادق سعد

على سبيل المراجعة
مذكرات

اشك فى امكان ان يقول المرء ــ عندما يتحدث عن حركة سياسية اشترك فيها ــ « كان هذا صوابا او هذا خطأ » ، وان يكون هذا القول علميا من الناحية التاريخية . فالنقد الذاتى على هذا الشكل ــ الشبيه « بهذه خطيئتى » فى المسيحية ــ يمكن ان يكون ، وان يكون مفيدا فى الحالة الفرديه وفى هذه الحالة ، فدورى كشخص ، فى الحركة الشيوعية الماضية ليس بالأمر الهام ، مهما كانت المظاهر تقول العكس احيانا . اما النقد العلمى لماض تاريخى فيكون ــ فى رأيى ــ بمحاولة بحث الأسباب العامة والظروف المحيطة التى تضافرت تأثيراتها فأدت الى الخطوط العامة التى اتسمت بها حركة سياسية ما .

وفى هذا النوع من النقد قد توجد فائده ، من حيث انه يشكل درسا وخبره ماضيه . ولذا اعتقد ان الطريقة الأولى للنقد التاريخي فيها الكثير من الذاتية ، وبالتالى الكثير من الضرر . وهى ــ للاسف من الطرق الأساسية التى يلجأ اليها كاتب مثل رفعت السعيد فى مؤلفاته المتتالية عن الحركة الماركسية فى مصر (ولكنه ليس الوحيد فى هذا فى الحقيقة) .

ومن جهة اخرى ، فإن دراسة علمية لتاريخ ماض تنطلق من الموقف الذى يقفه المؤرخ من ظروفه ومشاكله الراهنة اذ يستحيل ان يتخلص من المشاكل الانية التى يصطدم بها . ولذا فكتابه التاريخ الماضى عبارة عن اعادة كتابه التاريخ الحاضر بصورة من الصور . واعتقد فى هذه الحالة ان الأفضل ان يعترف المؤرخ بهذا فى وضوح ونزاهة والا يحاول اظهار نفسه منفصلا او محايدا تماما عن المادة التى يتناولها بالعلاج .

واذ يحاول كاتب هذه السطور ان يلقى نظرة سريعة الى ماضى المنظمة التى اشترك فيها ، ففى هذه تلخ الأزمة الحالية للحركة الشيوعية المصرية ، وهى ازمة تدوم منذ فترة طويله ، وقد تكون بدايتها منذ ١٩٦٧ فى رأى البعض ، ومنذ ١٩٥٤ فى رأى البعض الأخر .

واعتقد انه لن يجانبنى الصواب لو قلت ان محور هذه الازمة الصعوبة البالغة التى تجدها هذه الحركة فى أن تتخطى الآلاف القليلة من المثقفين الحضريين اساسا وان تتحول الى حركة تقود بالفعل الجماهير الكادحة بفضل ارتباطاتها العضوية بها وخاصة بالطبقة العمالية . وقد يقال ان القمع الذى تتعرض له الحركة من جانب الدولة هو الحائل دون هذا التطور المطلوب .. ولذا كنت لا انفى أهميته ففى رأيى أن التغلب عليه يتوقف الى درجة كبيرة على الحركة الشيوعية ذاتها ، على خطه السياسى ومنهجها التنظيمى الخ . وليس فى مقدورنا ان نصد قمع الدولة الا بعلاج نواقص الحركة ذاتها .

فى الفترة الماضية ـــ قل من ١٩٤٢ حتى ١٩٥٣ ـــ لعبت الحركة الشيوعية دورا هاما على المسرح السياسى والاجتماعى العام ، وكان احيانا دورا قياديا (لجنة العمال والطلبه ، الحركة النقابية) ولعبت « طليعة العمال » دورا بارزا فى اضفاء مضمون اجتماعى طبقى للحركة الوطنية من خلال تعاونها مع الشباب الوفدى وفى تشكيل الجبهة الوطنية فى الجامعة وبعض الاحياء لمقاومة نزعة عبد الناصر الديكتاتورية حتى مارس ١٩٥٤ وفى تأكيد معالم الحركة النقابية الاستقلالية وقيادة الفئات العمالية الانتاجية (شبرا الخيمة ، حلوان ..) لها . غير ان هذه المنظمة بدأت تفقد نتيجة قمع الحركة الشيوعية بعامة ـــ هذا الدور منذ ١٩٥٤ واستسلمت ايضا للناصرية فى ١٩٦٥ مهما كانت الظلال فى هذا الاستسلام من تيار الى آخر . وهذا يدل على ان ثمة سمات اساسية فى طليعة العمال كانت تتفق مع الظروف السياسية والاجتماعية العامة فى الفترة الليبرالية ، ولكنها لم تتوافق مع متطلبات الفترة الناصرية .

وسبق ان اوضحت باقتضاب رأيى فى هذه الظاهرة فى المقدمة التى كتبتها لمؤلفى « صفحات من اليسار المصرى ١٩٤٥ - ١٩٤٦ » ، فلن أطيل فيه .

ويكفى هنا القول مرة اخرى ان الاستراتيجية التى كانت طليعة اعمال تسير على هديها كانت مرسومة على اساس ان البرجوازية القومية المصرية هى القائدة للحركة التحريرية فى هذه المرحلة ، ولكن هذه القيادة فى خطها الهابط وان القيادة التى سوف تأتى بعدها كانت ـــ حتما ـــ قيادة الطبقة العمالية و لم يكن مفهوما لنا فى ذلك الحين ان هذه الاستراتيجية غير صائبة لان القيادة الصاعدة فى ذلك

الوقت كانت بقيادة نوع من البرجوازية الصغيره (اقول اليوم « نوع من الشعبوية ») ، الأمر الذى يقتضى اجراء تغيير كامل فى الخط السياسى والتنظيمى والأهداف الخ

ثم يأتى هذا القصور ؟ كيف يتفق الأمر من ان تحرز المنظمة نجاحات كبيرة فى وقت ما ثم تخفق فى سرعة عجيبة بعد ذلك بقليل ؟ كيف يتفق الأمر من ان تلعب المنظمة دورا رئيسيا (عن طريق الفجر الجديد والضمير ولجنة العمال للتحرير القومى الخ) فى توضيح معالم جديدة للحركة الوطنية فى بعثها الجديد فى الاربعينات ثم تفقد البصر والبصيرة وتصبح فجأة عاقما فى فترة وجيزه ؟ لقد تضافرت ظروف وعوامل كثيرة لأعطاء هذه النتيجة (منها التأثير المباشر الذى جاء به رفيق يونانى مندوبا عن الكومنفورم ، ومنها عودة التبسيطية والجمود العقائدى للمتغلب بالاضافة الى الصعاب الناجمة من تحولات هامة فى سياسة الحكومة الوفدية ثم الاحكام العرفيه مدة طويلة .

ولكنى اعتقد ان السبب الأساسى فى اننا كففنا عن متابعة السير فى عملية جوهرية كنا قد قطعنا فيها شوطا ولكن توقفنا فيها ، وهى عملية دراسة الخصوصية المصرية فى اطار المفاهيم الماركسية العامة للاقتصاد والاجتماع والسياسة الخ . واتذكر ان الوثائق الأساسية التى تأسست المنظمة عليها كانت كلها مشتقة من ذلك الجهد الفكرى الأول فى الأساس .. اما بعد ذلك ، فكان معيننا قليلا (تقرير فى المجلة الداخلية « الهدف » بضرورة رفع شعار المطالبه بالجمهورية ..) وان كان فى بعض الاحيان هاما (تقرير ابو سيف يوسف عن عدم الحياد وعدم الانحياز ..) ومن الادلة الهامة على ذلك اننا عدنا فى « الرسالة السياسية » نتحدث عن دور الوفد الكبير بعد حريق القاهرة (١٩٥٣) .

وللموضوع وجه اخر ، شديد الارتباط بالاول ، وهو الوجه الجماهيرى العمالى . ففى وقت من اوقات الاربعينات استطاعت طليعة العمال — على صغر عدد اعضائها — ان تقود الحركة النقابية الاستقلالية المصرية فى معارك ضارية من اجل تحسين مستوى المعيشة وتأكيد الشخصية العمالية واستشراف دورها المستقبلى فى بناء الاشتراكية فى مصر — واعتبرت المنظمة النضال من

أجل المطالب الاقتصادية المحرك الأول للجماهير ، بحيث وضعت فى اللائحة التنظيمية من بين واجبات الاعضاء ان ينضموا الى نقابة مهنتهم او يعملوا على تأسيس مثل هذه النقابه ان لم توجد بعد . وكانت هذه السياسة سائرة فى مجالات اخرى غير العمالية (مثال ذلك تأسيس جمعية « ربات البيوت » التى رأستها السيدة انجي رشدى والتى استطاعت ان تمنع الوزارة الوفدية عام ١٩٥١ من رفع سعر الخبز) .. غير ان هذا الاهتمام الرئيسى بالمطالب الاقتصادية اخذ يضمحل بعد ذلك وترك مكانه بشكل متزايد للزاوية القومية البحتة للفكرة الوطنية الجبهوية . اى ان التوازن السابق بين الكفاح الوطنى (الذى يرتبط بالعمل الجبهوى الغير طبقى) وبين الكفاح الطبقى (العمالى خاصة) اختل . وقد زاد هذا الاختلال فى الفترة الأولى للناصرية ، حيث برز وجه اخر من العمل الجبهوى وهو من أجل الدفاع عن الديمقراطية الليبرالية البرجوازية . ثم زادت مرات ومرات بعد ١٩٥٤ مع سياسة عدم الانحياز والعدوان الثلاثى ثم حرب الايام الستة . هذا فى حين اننا كنا نقول — قبل ١٩٥٢ وبعد ١٩٥٦ — ان مرحلة ما بعد الاستقلال السياسى سوف تكون بالضرورة مرحلة تشتد فيها التناقضات الطبقية ، الأمر الذى كان المفروض ان يجعلنا نستعد لصعود الصراعات الطبقية وان نضع انفسنا على رأس الحركة العمالية الجديدة او المتجددة .

لقد غمرتنا موجة الوطنية البرجوازية المطلقة ، اى المجردة من المضمون الطبقى . صدقنا ان الاعداء السابقين للحركة التحررية ما زالوا هم هم الأعداء الحاليين للحركة التحررية فى مرحلتها الجديدة .

رغم انهم هزموا — فرضا — بثورة ٢٣ يوليو والاصلاحات المختلفة التى قامت بها وازيحوا عن السلطة ، ونسينا توقفنا السابق بان اعداء جددا يظهرون بعد الاستقلال . واعمانا الحديث المتكرر عن الاجراءات « الاشتراكية » وتذويب الفوارق بين الطبقات وان دور النقابة الآن (فى ظل عبد الناصر) اصبح للتعاون مع الادارة فى زيادة الانتاج الخ ، وهذا رغم اننا كنا بين الحين والحين نفيق ونقول كلمة هنا وكلمة هناك .. ولم نعر الا التفافا قليلا للتمايز الطبقى الجديد الذى كان قد نشأ ، وللاشكال الجديدة التى تتخذها الصراعات الطبقية (فى الجمعيات التعاونية الزراعية ، ولجان الانتاج بالمصانع ، ومجالس ادارة الشركات المؤممة

والمستويات الدنيا للتنظيم النقابى الموحد ..) فكان من الطبيعى ان تتبخر صلاتنا العضوية السابقة بالجماهير العمالية خاصة ، وببعض المراكز الشعبية عامه .

وبطبيعة الحال ، فهنا ايضا تضافرت ظروف كثيرة ساعدت على هذا التحول الضعيف الطبقية الذى طرأ على منظمة شيوعية اشتهرت بطبقيتها . من هذه الظروف الدكتاتورية الناصرية والرقابة على الصحف والمطبوعات ، وتحريم قيام الاضراب الخ .. وهى عوامل سترت عيوننا عن الصراع الطبقى الجارى واشكاله الجديدة . ومن هذه العوامل ايضا حدة الصدامات مع الامبريالية ، والحروب المتتالية التى كان من الطبيعى أن تدعونا الى تركيز التفكير فيما يوحد الامة واهمال ما يقسمها جانبا . وينطبق من هذا الحديث على الظروف السائدة قبيل ١٩٥٢ ، منها الغاء المعاهدة واستقالة عمال المعسكرات البريطانية والقتال الفدائى الخ .. ولكننى اظن ــ رغم هذا ــ ان هذه الظروف بذاتها كانت تستدعى الحرص الأشد على الوجه الطبقى للخط السياسى وان هذا كان من الممكن ان يكون طوق النجاة للمنظمة الذى ينقذها من التدهور اللاحق وربما يؤدى الى بعض التغييرات فى التاريخ المصرى بشكل عام .

واخيرا فهناك وجه ثالث للموضوع وهو المتعلق بالوحدة بين الشيوعيين او بين المنظمات الشيوعية وكان لطليعة العمال خط واضح فى هذا فى الاربعينيات وهو خط مزدوج : تصفية الخلافات الفكرية النظرية والسياسية القائمة بين المنظمات وبشكل محدد بين طليعة العمال وباقى الحركة المنتمى الى الجذر الحدتوى ــ والتعاون المشترك القاعدى من جهة أخرى فى الممارسة النضالية الجارية لاختبار الخطوط ــ المختلفة او المتفق عليها فى الميدان العملى . وكانت بين هاتين الناحيتين علاقة وثيقة دون شك ــ وفجأه فى ١٩٥٧ انقلب هذا الخط ١٨٠ درجة . ورغم ان الكلام فى المفاوضات من اجل الوحدة ، الوثائق المتبادلة كانت لاتزال تحمل نفس المضامين السابقة وكان يبدو فيها التمسك الشديد بنفس المبادىء الا ان ما كان يجرى فى الحقيقة كان غير ذلك ــ وانتهى الأمر فى ٨ يناير ١٩٥٨ الى وحدة تناقض تلك المبادىء تماما . ودامت هذه شهور قليلة ثم انهارت مع الانقسام الكبير . ولا يستطيع المرء الا ان يربط بين هذه التطورات وبين النجاح الساحق للحملة البوليسية الشرسة التى شنها النظام الناصرى والتى

استطاعت ان تلقى القبض على ما يقرب من جميع الشيوعيين وانصارهم الاقربين (١٩٥٩ - ١٩٦٤) . وكذلك بين تلك التطورات وبين حل الحزبيين الشيوعيين الذاتى فى ١٩٦٥ ..

وهنا ايضا يمكن القول ان ظروفا كثيرة تضافرت لاعطاء تلك النتيجة النهائية . لم تكن اقلها قسوة الاعتقال بدرجة لم يسبق لها مثيل فى الماضى ولا حتى فى اسوأ واسود ايام الملكية والسيطرة البريطانية وهى قسوة هربت الكثيرين من النضال السياسى الذى حصد ارواح شهدى عطيه الشافعى وفريد حداد ورشدى خليل ولويس اسحاق وغيرهم العديدين .. ومن تلك الظروف ايضا المواقف المتضاربة للقياده السوفييتية من نظام عبد الناصر وضغط مندوب الكومنفورم - الايطالى « اسبانو » من اجل تلك الوحدة اللامبدئية . وكذلك الاضطراب الفكرى الشديد الهائل والكلى الذى اصابنا جميعا عند قرارات التأميم فى ١٩٦١ وبعده اذ بها بدأ وكان برنامج الحزب الشيوعى يتم تنفيذه وتحقيقه على يد الحكومة فما الداعى لوجود هذا الحزب ؟

ولكن يبدو لى - بالاضافة الى هذه الظروف المباشرة - ان وحده ١٩٥٨ واعتقالات ١٩٥٩ - ١٩٦٤ وحل الحزبين فى ١٩٦٥ كانت امرا واحدا او ثمره واحده للنقطتين اللتين ذكرتهما فى السطور السابقة . فتوقف التجديد الفكرى وفك الارتباط بين النظرية والواقع من جهه والانعزال المتزايد عن الجماهير الشعبية عما والعمالية خاصة جعلا المنظمة (والحزب من ثمه) جسدا بلا روح ، ولم يتبقى فيها - مثلا عند الخروج من المعتقل فى ابريل ١٩٦٤ الا مجموعة صغيره من الافراد يؤكدون شديد تمسكهم بأفكار مجرده ، اقرب الى الايمان بالغيب من الاقتناع العلمى السياسى ، ويرتبطون فيما بينهم بعلاقات الصداقة الشخصيه الناتجة من الملازمة الطويلة فى درب مشترك ماض اكثر من الروابط الرفاقية النضالية المنظمة . كان الحزب قد مات ، وقرار الحل لم يكن الا شهادة رسميه بالوفاه .

كانت « طليعة العمال » نتاجا خاصا لظرف تاريخى معين وانتهت بانتهاء هذا الظرف . الظرف التاريخى كان نهاية مرحلة فى الحركة التحررية المصرية تتميز بقيادة البرجوازية الليبرالية . وبدء مرحلة جديدة لهذه الحركة ، مرحلة تقودها منظمات معبرة عن الكتلة الشعبية النكرة ، تلك الكتلة القريبة الشبه بالبرجوازية

الصغيرة وان اختلفت عنها فى نواح عديدة . ولذلك افضل ان اسميها منظمات « شعبوية » لاسباب لا تدخل فى نطاق هذا المقال . وعلى كل ، ففى رايى ان نشوء « طليعة العمال » وتطورها توافق مع بزوغ هذه القيادة الشعبوية الجديدة ، وان طليعة العمال لعبت دورا هاما فى توليد هذه القيادة واضفاء سمات معينة عليها من الناحية السياسية الفكرية . انتهى ذلك الدور مع استكمال شخصيه تلك القيادة واستقلالها ـــ بدرجة كبيره ـــ عن المجموع والمضطرب الاجتماعى والسياسى الذى بزغت منه والذى كانت طليعة العمال عنصرا من عناصر تكوينه الرئيسيه .

ولكن « طليعة العمال » لم تكن هى نفسها شعبوية ، لانها كانت ماركسيه . ولسنا فى حاجة الى ادلة على ماركسيتها أكثر من عملها فى قيادة الحركة النقابية الحمراء . فلماذا اختفت هذه الناحية الماركسية او قضى عليها وانصهرت كحركة فى الشعبويه ؟

فى رايى ان هذا يعود الى سببين : جدة التجربة مع عدم استعداد نظرى من جهة . وذلك لأن الناصرية كانت شيئا جديدا على مصر ، ولم يكن المسرح السياسى العربى قد عرف بعد ظواهر اصبحت مألوفة اليوم فى البعثية العراقية والسورية والفتحية الفلسطينية والخومينية الايرانية . وغيرها واكثر من هذا فلم تكن قد شاهدنا اخفاقات هذه التجارب وهزائمها المتتالية . واما عدم الاستعداد النظرى فالدليل على ذلك الاضطراب والتضارب الفكرى الذى كان ـــ ومازال الكثير منه قائما ـــ فى ميدان تحليل هذه الاتجاهات ، لا فى الانتاج الفكرى العربى فقط بل وعلى مستوى دولى ايضا .

والسبب الثانى يعود فى تقديرى الى تراث الحركة السياسه التحررية فى مصر منذ اوائل القرن الحالى على الاقل ، وهو ان قيادة هذه الحركة واقساما هامة منها مكونه من المثقفين وان علاقاتها بالجماهير الشعبية والكادحة غير عضوية الا فى القليل . فرغم الأهمية الكبيرة لدور هؤلاء المثقفين الا انه يصعب عليهم ان يعكسوا مطالب تلك الجماهير ورغباتها واحلامها دون تشويه . ولم تكن هذه الصعوبه فيصلا حاكما وحاسما حتى جاءت الناصريه فى الحكم ، لأن المرحلة السابقة كانت تعبر فى جوهرها وفى التحليل الأخير ـــ عن المصالح البرجوازية وعن الطابع القومى

الاساسى لهذه المصالح مع كل ما فيها من علاقة ومساومة وتهاون ازاء السيطرة القائمة لسلطة الطبقة السائدة . ففى تلك المرحله السابقة كان النظر الى الجماهير على انها اداة لتحقيق المصالح البرجوازية . اما فى المرحلة الجديدة التى افتتحتها الناصرية وشقيقاتها من التيارات الشعبوية الأخرى ــ فالأمر يختلف . اذ أن مصير القيادة الشعبوية ان تنهض فتخفق وتخفق المرة بعد الأخرى . المخرج الوحيد لهذه الدائرة المغلقة الجهنمية لا يمكن ان يكون الا بواسطة الجماهير الكادحة بقيادة الطبقه العمالية . وبطبيعة الحال يشترط هذا ان تحدث تغييرات اساسية فى قيادة الحركة التحررية . وتتخلص من مميزاتها الجوهرية الحالية « المثقفين » . المخرج فى التغلب على ما فى ذلك التراث من اوجه القصور (دون التخلص من الثقافة والادراك العملى بطبيعة الحال) .

أحمد صادق سعد

فبراير ١٩٨٧

٢١ ــ دار الابحاث العلمية

مذكرة

نفيد بأن القائمين على ادرة الابحاث العلمية هم حضرات : الدكتور محمد الشحات مدرس الكيمياء بكلية الطب ، وشهدى عطيه الشافعى افندى مدرس بالمعهد العالى التجارى ، ومحمد عبد المعبود الجبيلى افندى معيد بكلية العلوم ، وابو بكر نور الدين أفندى خبير بوزارة العدل .

حكمدارية بوليس مصر

وقد ارفقنا هذه المذكرة بالأوراق ، كما ارفقنا الاوراق التى سلمها الينا حضرة صاحب العزة رئيس النيابة ونبهنا بطلب سيارة اجرة للانتقال بها لاجراء تفتيش دار الابحاث العلمية .

وقفل المحضر على ذلك ، بعد اثبات ما تقدم حيث كانت الساعة السادسة والخامسة والعشرين دقيقة مساء وقررنا الانتقال لتنفيذ المطلوب .

وكيل النيابة

امضاء . مصطفى محرم

(*) كانت الأبحاث العلمية المنبر العلنى لمنظمة شرارة (ايسكرا) ، وقد لعبت دورا هاما فى تاريخ حركة اليسار المصرى فى الأربعينات وتردد اسمها كثيرا فى كل دراسة عن النشاط اليسارى فى هذه الفترة .

ولما كان من الضرورى محاولة استقصاء أكبر قدر ممكن من المعلومات عن هذه الدار ، مكانها ، طبيعتها ، اسلوب عملها ، نشاطها ، قيادتها فقد وجدنا انه من الملائم تقديم هذه البيانات الواردة فى ملف قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ والتى تتضمن معلومات أجهزة الأمن عن هذه الدار ومسئوليتها . ووصف للمكان الذى كانت تحتله الدار . ومحضرى تحقيق مع اثنين من المشرفين عليها ، وقد وردت هذه المعلومات الهامة فى الصفحات ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، من ملف القضية السالفة الذكر (المؤلف) .

اعيد فتح المحضر فى تاريخه الساعة السادسة والخامسة والخمسين مساءا بدار الأبحاث العلمية بالهيئة السابقة .

انتقلنا بسيارة الأجرة ومعنا حضرات الضباط وقوة من رجال البوليس حيث دخلنا الى دار الجماعة وهى بشارع نوبار رقم ٧ ساعة افتتاح هذا المحضر ، وبدخولنا لاحظنا انها عبارة عن شقة بالدور الأرضى من المنزل المذكور ، ويمين الداخل من بابها العمومى صالة مساحتها ٥ × ٧ امتار ، وبها سبعة غرف نبهنا بتوزيع رجال القوة فيها جميعا وبحراسة مداخلها ومنع أحد من الدخول أو الخروج وملحق بهذه الشقة حوش وجدنا به وبالدار عدة أشخاص كلفنا أحد حضرات الضباط بأخذ أسمائهم وعناوينهم وبدأنا تفتيش الغرفة الأولى التى تقع على يسار الداخل . وهى غرفة مساحتها حوالى ٣ × ٥ متر وبها دولاب به عدة كتب وبجواره مكتبة مكشوفة كثيرة على الأرض كما ان بها مكتب وبجواره كتب وللغرفة نافذة تطل على الشارع واخرى تطل على الحوش ، وقد وجدنا بالغرفة غالى كامل فهمى افندى سن ٢٥ سنة طالب بكلية الطب البيطرى الذى ابلغنا انه يستأجر المنزل بأجمعه من ناظرى الوقف ويقيم بالدور العلوى وأنه أجر الدور الأرضى من باطنه ، الغرف الثلاثة التى تقع على يسار الداخل بعد غرفة المكتب التى تحرر بها محضرنا الآن لدار الأبحاث العلمية والغرفة التى تقع على يمين الداخل لاتحاد البكالوزيا والتى تليها لدار التوريدات الصناعية والتى تليها لاتحاد البكالوريا ، واضاف الى ذلك ان غرفة المكتب خاصة به وانه يستذكر دروسه بها ، وان جميع ما فيها له عدا الكتب الموجودة بدولاب الكتب اذ أنه لدار الأبحاث وكذا الكتب الموجودة بجوار هذا الدولاب اذ انها خاصة بجماعة الأبحاث وانه سمح لهم باستعمال هذا الدولاب وحفظ الكتب وبالغرفة نظرا لضيق غرفهم ولعدم وجود دواليب لديهم . وقد فتشنا الغرفة وفحصنا ما بها من كتب فوجدنا بالدولاب نسختين متشابهتين عبارة عن العدد الثانى من نشرة دار الأبحاث العلمية سنة ١٩٤٥ . ووجدنا بالمكتبة الصغيرة المكشوفة نشرتين أخريين عبارة عن العددين التالى والخامس من نشرة الدار المذكورة ولم نجد بالغرفة عدا ذلك سوى كتب علمية فى مختلف العلوم منها ما هو خاص بالدار ومنها ما هو خاص بغالى افندى حسب قوله .

وقد سألنا غالى كامل افندى عمن استأجر الغرف المخصصة للدار منه فأجاب بأنه الاستاذ شهدى عطية الشافعى ، وقد سألناه ايضا عن المسئول عن ادارة الدار فأجاب بأنهم ثلاثة هم منير ملطى افندى وظريف عبد الله افندى ، وعبد الرحمن نصر افندى(*) وقد سألنا عن هؤلاء الأربعة فحضر الاستاذ شهدى عطية وظريف عبد الله افندى الذى قرر لنا انه محام لدى المحاكم الوطنية وسألناه عما يخص دار الأبحاث فى هذه الغرفة فأجابا بأنها الكتب الموجودة داخل الدولاب وبجواره وسألنا غالى كامل فهمى افندى عن النشرتين التى وجدناهما بمكتبه المكشوفة فأجاب بأنه اشتراها من الدار وثمن النسخة ثلاثة قروش ، وسألنا ، عما اذا كان لديه غيرها فأجاب بأنه لا يذكر ،وذلك لأنه يقرأها ويضعها بالمكتبة ، وسألناه عمن باعها له فقال ان اعضاء الدار جميعهم يبيعونها . وقد سألنا الاستاذين شهدى عطية وظريف عبد الله عن النشرتين الأخيرتين المظبوطتين فى الدولاب فأجاب بأنهما من نشرات الدار تقوم الدار بطبعهما لدى مطبعة لا يذكران اسمها ، وان هذه النشرات تطبع عادة بعدد يكفى الاعضاء وزوار الجمعية المعتادين التردد على الدار وان بالدار مجموعة من هذه النشرات لم يتم توزيعها بعد ومن المحتمل ان يكون العدد الأول قد نفذ وقد سألناهما عمن يقوم بتحرير هذه النشرات فأجابهما بأنها تحرر عادة متضمنة ملخص ما يلقيه اعضاء الدار من ابحاث بالدار وملخص لابحاث بعض الأعضاء الخاصة .

وقد استدعينا الاستاذ شهدى عطية وسألناه بالاتى .

اسمى شهدى عطية شافعى

سنى ٣٣ سنه

مولود بالاسكندرية

مقيم ٣ شارع القصر العينى

مهنتى استاذ بمدرسة التجارة

س : ما صلتك بجماعة دار الأبحاث العلمية ؟

جـ : انا عضو فى دار الابحاث

(*) وردت هكذا المحضر وصحتها عبد الرحمن الناصر (المؤلف) .

س : وما غرض الأعضاء ؟
جـ : القيام بالابحاث العلمية وتطبيقها على المجتمع ؟
س : وما هى شروط الالتحاق بالدار ؟
جـ : ان يكون العضو على درجة كبيرة من الثقافة — وان يتردد على الدار مدى شهراو اثنين وان يزكيه عضو فى الدار وان يدفع الاشتراك وان يقوم بتلخيص أى كتاب من تلقاء نفسه وعرض مجهوده على باقى الاعضاء والمناقشة فيه ونقده ، ولكل عضو الحق فى ان ينشر ما يشاء من ابحاث فى النشرة التى تصدرها الدار على انه فى هذه الحالة يكون ذلك على مسئوليته الخاصة وهذه النشرات يشتريها باقى الاعضاء أو الأشخاص الذين يترددون على الدار بمعنى انها لا تباع فى الطرقات .
س : وهل لهذه النشرة لجنة تحرير ورئيس التحرير ؟
جـ : لا . لأن نظام الدار من مقتضاه ان يتغير باستمرار جميع المسئولين فيه عن الادارة حتى يتاح لكل فرد التعود على مختلف انواع النشاط .
س : وهل من المعتاد أن يوقع كل شخص باسمه على ما ينشره من مقالات فى النشرة ؟
جـ : هذا يتوقف على رغبة الناشر الخاصة ، فإذا شاء كتب اسمه واذا لم يشأ لم يكتبه
س : واذا فرض ولم يكتب الناشر اسمه فى مقالته فهل يمكن معرفته ؟
جـ : لا يوجد نظام بالدار لمعرفة ذلك ، والأمر يتوقف على وجود أصل المقالة .
س : وجدنا بالنشرة رقم ٣ مقالة معنونة بعبارة كلمة التحرير فمن الذى يحرر مثل هذه المقالات عادة ؟
جـ : هيئة التحرير .
س : هل من الممكن معرفة اسماء اعضاء هيئة التحرير فى الفترة الخاصة لكل نشرة ؟
جـ : أنا شخصيا ما اعرفش ، وممكن بالاستعلام من الأعضاء الاهتداء .
س : وعلى أى فترات تصدر هذه النشرات ؟
جـ : هل ليست منظمة ، وتصدر بناء على تجمع المقالات وكفايتها لطبع نشره

س : لاحظنا من الاطلاع على النشرة الخاصة ان شخصا نشر مقاله بتوقيع « شين » عنوانها « مسرحية هزلية » فهل من هو كاتب المقالة ؟

جـ : ما اعرفش

(وقد لاحظنا من الاطلاع على صدر هذه المقالة على عبارة يفهم منها انها مرسلة من أحد أصدقاء الدار وان الدار نشرتها عملاً بحرية النشر ، على ان ما جاء بها لا يقيد المسئولين بالدار) .

س : وهل من المصرح به لغير الاعضاء نشر مقالات ؟

جـ : بالدار بها صندوق للمقالات كل شخص يريد نشر مقالة يضع فيه مقالته ، ونظرا لان الدار تعود الاعضاء واصدقائهم حرية الكلام وحرية النشر حتى توفر بذلك تطبيق الاسلوب العلمى الحق لمناقشة العضو فيما كتب ، فإذا كان كلامه غير معقول فاننا اعتدنا قبول اى مقالة توضع فى الصندوق ونشرها وتكتب باسم كاتبها أو لا نكتبه حسب رغبته فى المقال .

س : هل تعرف شخصا يدعى شكرى سالم ؟

جـ : ابوه وهو من اعضاء الدار .

س : وهل تعرف عنوانه ؟

جـ : لا أذكره لانى لست مسئولا عن الادارة الآن وأن كنت انا فى الأصل استأجرت الدار من غالى افندى ،، ولانى لا اعلم بالضبط ان كان فى الدار دوسيهات بعناوين الأعضاء من عدمه .

س : الديك اقوال اخرى ؟

جـ : لا .

تمت اقواله وامضى .

امضاء

وكيل النيابة

امضاء

وقد استدعينا الاستاذ ظريف عبد الله وبسؤاله اجاب بمثل ما اجاب به الاستاذ شهدى عطية واضاف اليه انه من شروط الالتحاق بالدار عدم اشتغال الاعضاء بالسياسة واستمرارهم فى عدم الاشتغال بها طوال مدة عضويتهم ، وعدم الانضمام لاى حزب سياسى فإذا انضم يفصل او يستقيل وقد سألناه عن عنوان شكرى سالم فأجاب بأنه يعلم ان شكرى هذا من اعضاء الدار وان لا يمكن له معرفة عنوانه ، وانه يمكن معرفة ذلك من الاعضاء ، واكتفينا بذلك من مناقشته وقد سألنا الاستاذين شهدى عطية وظريف عبد الله عما اذا كان يوجد بالدار دفاتر وكشوفات خاصة ببيان الاعضاء السابقين والحاليين بالدقة فأجابا بانهما لا يعرفان ذلك على وجه الدقة وان كان رجحا وجود مثل هذه الكشوفات .

وقد افهمناهما اننا فتشنا الدار ولم نعثر على شيء من هذه الكشوف فأجابا بأنه من المحتمل ان يكون منير ملطى افندى وعبد الرحمن الناصر افندى على علم بمقر هذه الأوراق وانه كان قد تقرر ان يذهب الاخير منهما الى وزارة الشئون الاجتماعية خلال هذا الاسبوع ومعه نسخة من قانون الدار والاوراق اللازمة لتسجيل الدار كجماعة تعمل لغرض مشروع ولا يعلما ما الذى تم فى هذا الشأن للآن .

واقفل المحضر على ذلك حيث كانت الساعة الثامنة والخامسة وخمسون دقيقة مساءا وصرفنا الاعضاء الذين فى الدار بعد ان سألناهم عما اذا كان احدهم يعرف عنوان شكرى سالم فأجابوا بالنفى . وقد ارفقنا بالاوراق كشفا بأسماء الأشخاص الذين قرروا انهم من بين الاعضاء وهم اربعة وعشرون شخصا من بين الموجودين .

وكيل النيابة
مصطفى محرم

امضاء

٢٢ ـ البير آرييه

محضر نقاش

س : ما رأيك في أن نواصل حديثنا الذى قطعناه منذ عام ، وأريد الآن أن أتعرف على رأيك فى مرحلة التكتل الثورى والظروف التى أدت الى تفجر الأوضاع فى حدتو .

جـ : عندما وقع التكتل كنت فى مجموعة تابعة لمكتب الدعاية المركزى . وتلقى أعضاء التنظيم نشرة داخلية تقول أن ثمة تكتلا يقوده شخص يسمى سليمان (شهدى عطيه) وأنه قد أصدر خطا سياسيا يهاجم القيادة وبدأت الاتصالات الجانبية ، وبدأت الأسرار تتبعثر فى كل مكان .

وألاحظ أن الهجوم على سليمان لم يكن سياسيا بمعنى أنه اكتفى بادانة التكتلية وسرقة موارد الحزب وادانة الاتصالات الجانبية لكنه لم يناقش أفكاره السياسية ولم يدحضها .

ويمكن القول أن التكتل خرج أساسا من قسم الطلبة حيث عقد الأعضاء اجتماعا عزلوا فيه قيادتهم (جمال غالى ـــ روبير ستون) وجزء من قسم الأجانب .

وقد ساعد ذلك القيادة على الاكتفاء باتهامهم بأنهم برجوازيون صغار وبدأت تشيد بأخلاقيات الطبقة العاملة ، المهم أن التكتل وقع فى اعتقادى فى ظل وكنتيجة لانتكاس النشاط فى الجامعة والركود العام فى النشاط الطلابى ويمكن القول أن غالبية من خرجوا مع التكتل أوكلهم كانوا من ايسكرا .

وقد قرأت فيما بعد خط سليمان وألاحظ أنه ركز أساسا على انتقاد الأشخاص فلم يترك شخص من أعضاء القيادة دون أن يوجه له انتقادات شخصية .

ويمكن القول أن الأخطاء الأساسية للتكتل بعد جريمة التكتل ذاتها كانت بعثرة أسرار التنظيم ، واباحة مبدأ التكتلية تحت حجة أن لينين تكتل ، واباحة الاتصالات الجانبية وتبرير سرقة موارد ومعدات التنظيم .

والحقيقة أن التكتل الثورى لم تكن له خطوط سياسية واضحة ومحددة ، فأنا مثلا لم أجد أى مبرر للاتصال بهم أو الاستماع اليهم والكثيرين لم يستجيبوا لهم . وربما أدى ذلك الى استسهال القيادة للأمر ، فتركت ذات الظروف التى ولدت المزيد من التكتلات .

واكتفت القيادة بعمل اجتماعات تنظيمية لفضح التكتل وأصدرت قرارات بفصل سليمان (شهدى) ، سيف (أنور عبد الملك) زوزو (حسين كاظم) .

ومن الذين نشطوا بحماس فى صفوف التكتل سعد زهران ـــ حسين الغمرى ـــ ميشيل عبد السيد ـــ داود عزيز ـــ محمد سيد أحمد ـــ الهام سيف النصر ـــ توفيق حداد ـــ نقولا ورد .. وعدد من الأجانب وكان معهم عامل وحيد هو محمد عبد الغنى جلال .

ونشط التكتل كما قلت فى سرقة الأجهزة الفنية والمكتبات وقد سرق التكتل جهازا فنيا أساسيا وأخفوه فى شقة بالايموبيليا فذهب يونس ومعه عدد من ميكانيكى الطيران بملابسهم الرسمية حيث أنتزعوا الجهاز بالقوة .

والمهم أن التكتل لم يصمد طويلا فقد تفكك بعد فترة وجيزة ، لقد انتشر سريعا بضجيج عال جدا ثم مات فورا ولكن بعد دق أول مسمار انقسامى فى جسد التنظيم .

وقد انفرط التكتل بعد أول ضربة وجهها لهم البوليس ، ولم يبق منه سوى مجموعة صغيرة التفت حول داود عزيز وسعد زهران ظهرت بعد فترة من الركود الطويل فى الوحدة مع حشم والحقيقة أن المئات الذى خرجوا فى التكتل قد خرجوا الى التكتل ليخرجوا سريعا بعيدا عن ساحة النضال .

وبرغم أن التكتل هو فى الأساس تعبير عن هروب العناصر البرجوازية الصغيرة فى وقت الجذر ، ولكن هذا تبسيط للأمور فقد كانت القيادة تمتلك عددا من العيوب فلم يكن هناك وضوح كاف للخط السياسى ، كذلك كانت هناك أخطاء فى عملية التوحيد ذاتها .

وبعد فشل التكتل نشبت الخلافات في صفوف القيادة بين اتجاهين أساسيين اليونسيين نسبة الى يونس (هنرى كورييل) والعادليين (نسبة الى عادل (عبد المعبود الجبيلى) وكان قد أعلن الأعداد للمؤتمر ونزل خط اسمى فيما بعد خط القوات الوطنية والديمقراطية ، وأذكر أنه كان خطا عاما جدا وكان يتكون أساسا من اقتباسات من ستالين وكانت فيه فقرة تشير الى مناقشات جرت فى القيادة حول مسألة هل الحزب هو حزب الطبقة العاملة أم حزب القوات الوطنية والديمقراطية وانتهى التقرير ــ وهذا هو المثير فى الأمور ــ الى التأكيد بأن الحزب هو حزب الطبقة العاملة ، ولكنه أورد نصوصا تقول بأهمية العمل وسط القوات الوطنية والديمقراطية وكانت هذه الفقرة محور صراع لا مبدئى قال أن الاعتراف بأن الحزب حزب الطبقة العاملة هو اعتراف شكلى وتمسكوا بلفظة عابرة تقول بأن الحزب هو حزب الطبقة العاملة والقوات الوطنية الديمقراطية .

وأنا أقرر بعد هذه السنين أن هذا الصراع كان تعبيرا عن ضعف نظرى وخلل فى التفكير العام للحركة الشيوعية المصرية عموما .

فيونس أمسك بقضية مهمة هى قضية المرحلة الثورية، مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وربما امتلك أساس الفهم السليم لهذه المرحلة ، لكنه لم يستطع أن يشرح فكرته بشكل مقنع ولم يقدم لها أية حجج أو أسانيد سياسية ونظرية فالحقيقة أنه لا تناقض بين كون الحزب حزبا للطبقة العاملة وبين قيامه بمهام الثورة الوطنية الديمقراطية .

أما العادليين فقد كانوا هم أيضا يتشبثون بعموميات سليمة فى أساسها ولكن دون فهم نظرى عميق أو حتى كاف وكانوا يرددون نصوصا بشكل حرفى دون أن يمتلكوا القدرة على تطبيقها على الواقع المصرى . ويمكننى القول بأن القيادة ككل لم تكن تمتلك المعرفة النظرية والسياسية الكافية للقيام بمهام المرحلة وفهمها فهما صحيحا .

كذلك هناك الأخطاء التى صاحبت عملية الوحدة .

وهناك أيضا البرجوازيين الصغار الذين توافدوا بكثرة الى المنظمة خلال فترة مد ثورى عارم ثم ما لبثوا أن تفرقوا سريعا بعد أول ضربة بوليسية ، وحتى العمال

كانت غالبيتهم عمال نسيج وهم وافدون جدد من الريف ووعيهم الطبقى غير كاف .

وهكذا انقسمت القيادة واقعيا الى مجموعتين اليونسيين وهم الأغلبية ومنهم فى القيادة (هنرى كورييل (يونس) ـ كمال شعبان ـ عبد الخالق محجوب ـ ايمى ستون (وكانت من ايسكرا) ـ سيد سليمان رفاعى ـ كمال عبد الحليم ـ فؤاد عبد الحليم ـ أحمد حمروش ـ عبد الفتاح الهنيدى والعادليين وهم الأقلية ومنهم فى القيادة (عبد المعبود الجبيلى (عادل) ـ محمد شطا (وكان من ح . م) ـ عبد الرحمن الناصر ـ عبد المنعم ابراهيم ـ عدلى جرجس ـ أحمد حمزة (منتصر) وعامل يسمى حركيا علام .

أما شندى فكان يؤيد العادليين أحيانا ويتخذ موقفا مستقلا أحيانا أخرى المهم يمكن القول أن التمايز بين اليونسيين والعادليين كان عودة الى ح . م وايسكرا باستثناءات قليلة أهمها انضمام أيمى ستون ، وبعض كوادر لجنة الرقابة وعدد مثقفى ايسكرا مثل محمد الجندى وشريف حتاته الى اليونسيين

وانضمام بعض العمال من أعضاء ح . م مثل محمد شطا (حميدو) وعلام ومنتصر الى العادليين .

وقد صب العادليون هجومهم على خط القوات الوطنية الديمقراطية أساسا ثم على التنظيم الفئوى وقالوا أنه تجسيد تنظيمى لهذا الخط السياسى بمعنى أن كل قسم فى المنظمة هو طليعة للفئة أو الطبقة التى يعمل فيها ومن ثم فان الحزب ليس ممثل طبقة وانما هو تحالف طبقات .

وفى هذه الفترة العصيبة التى سادها ارتباك شامل خرجت مجموعة من قسم المثقفين كقوة ثالثة وأسمت نفسها صوت المعارضة تدين اليونسيين والعادليين والتكتل الثورى معا وتطالب بمؤتمر فورى ومناقشات مفتوحة ، ولم تكن صوت المعارضة تعتبر نفسها تنظيما مستقلا بل مجموعة ضغط على القيادة . وقد شاركوا التكتل الثورى فى فكرة تبرير العمل التكتلى والاتصالات الجانبية ، والنقل الحرفى عن تاريخ البلشفى ، وبهذا يبدأ تاريخ الجرائم فى حق الماركسية وابتزالها فبدلا من تطبيقها تطبيقا خلاقا على الواقع المصرى ، تحو الكادر الى عبادة النصوص دون

فهم حقيقى لها الى درجة أن أول كتاب ماركسى طبعته صوت المعارضة كان « واجبات الاشتراكيين الديمقراطيين الروس » وقد أكدوا أن ظروف الحركة الشيوعية المصرية تماثل ظروف الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروس ناسين الفارق الضخم واختلاف العهد واختلاف السمات فمصر بلد شبه مستعمر فى ذلك الحين وعندها قضية وطنية ملحة ، وناسين أن خبرات الحركة الشيوعية عموما قد تطورت منذ وضع لينين هذا الكتاب .

وكانت قيادة صوت المعارضة من أوديت حزان وزوجها سيدنى سلامون وعبد الواحد بصيلة وبعض عضوات قسم النساء وأعضاء قسم الطلبة وانضمت اليهم مجموعات من التكتل الثورى مثل محمد سيد أحمد — توفيق حداد — سعد بطرس الطويل — منير بطرس الطويل — كريم الخرادلى — وعدد كبير من الأجانب .

وفى ظل هذه الظروف اتفق اليونسيون والعادليون على عقد مؤتمر وكان العمل قد توقف تماما وتفرغ الأعضاء للاتصالات الجانبية وترديد نصوص محفوظة ، وكان كل فريق يعكر أفه تكتل . لكن ذلك لا ينفى أنه كانت هناك أقسام بعيدة عن هذا المرض فأقسام الأقاليم والجيش كانت بعيدة عن التكتلات ولم تصل اليها يد الانقساميين فظلت تعمل بنشاط .. والمناخ العام كان يحكمه المناخ العام لمصر كلها التى ساد فيها ركود سياسى ، وهدأت حدة الحركة الوطنية التى اشتعلت عام ١٩٤٦ ، وسادتها الأحكام العرفية والبلبلة التى صاحبت حرب فلسطين ، والخوف الذى ساد الأعضاء من حملة الهجوم الرجعى المقبلة وتشككهم فى قدرة التنظيم على احتمالها . وهكذا تقبل الحركة الشيوعية على فترة الارهاب الحكومى وهى منقسمة ومفككة وأسرارها مبعثرة .. وأود أن أؤكد أن حدتو كانت بناء كبيرا ، وكان انهياره بهذا الشكل تعبير عن وجود مرض عضال وخطأ عام وشامل وعدم قدرة على اصلاح الأخطاء أدت الى هذه الكارثة .

وفى ظل هذا المناخ أعلنت الأحكام العرفية وفتحت المعتقلات وبدأت حملة اعتقال واسعة ضد الشيوعية شملت المئات منهم وقبض على عدد كبير من قادة المنظمة ومنهم يونس نفسه .

٢٣ ـ محمد سيد أحمد

محضر نقاش

س : نريد ان نتحدث ببعض التفصيل عن التكتل الثورى ، كيف بدأ وتحت اية حجة ؟

جـ : الحجة كانت ما اسمى بخط القوات الوطنية والديمقراطية ، ولم اسمع عن هذا الخط الا من انور عبد الملك فقد كانت المناقشة محصورة فى القيادة ، ولست إعتقد ان شهدى عطيه قد استنفذ وسائل المناقشة داخل القيادة ، فبمجرد طرح هذا التقرير اتخذه تكأة للتكتل .

وقد بدأت علاقتى بالأمر فى نوفمبر ١٩٤٧ عندما اتصل ابى انور عيد الملك ليدعونى للانضمام للتكتل . وكانت قيادة التكتل تتكون من : شهدى عطيه ـ أنور عبد الملك ـ سعد زهران ـ حسين الغمرى . وقد سمحوا لانفسهم بعملية اتصالات واسعة بمختلف الأقسام ، ويمكننى ان اقرر آن التكتل قد انتشر بسرعة غريبة .

س : وما هو تفسيرك لهذا ؟

جـ : لست اعتقد ان السبب كان خط القوات الوطنية الديمقراطية ، وانما اعتقد ان السبب الرئيسى كان تمرد الكوادر المصرية ضد وجود القيادات الأجنبية عموما واليهودية خاصة ، واعتقد ان هذا كان العنصر الحاسم ، واعتقد ان الأزمة التى تعرضت لها الحركة الشيوعية فى عام ١٩٤٨ كانت نابعة بشكل او بآخر من هذه المسألة ، رغم ان احد لم يعلنها صراحة .

والحقيقة ان بعض القيادات الاجنبية قد لعبت دورا فى اغلاق المنظمة فى وجه المصريين والعمال خاصة ، واذكر مناقشة تمت فى الأوبرج (وهو اسم اطلق على بيت على كورنيش سيدى بشر كان يتخذه الاجانب فى ايسكرا كموقع للمقابلات والحفلات) وكان عضو اجنبى يسأل شوارتز وكنا لم نزل فى ايسكرا هل آن الاوان لتجنيد العمال فهاجمه شوارتز بعنف مستندا الى نظرية المراحل المرحلة الأولى تجميع عدد من الاجانب المثقفين بثقافة ماركسية والمرحلة الثانية هى تجنيد عدد من المثقفين المصريين ونقل الوعى الماركسى اليهم ، ثم المرحلة الثالثة وهى ان نجند العمال ..

واعتقد ان ازمة الحركة عام ١٩٤٨ كانت تعبيرا عن مخاض الانتقال من المرحلة الأولى الى الثانية وكان المفجر هو القضية الفلسطينية ، والحملة المعادية التى حاولت الربط بين الشيوعية والصهيونية واحساس البعض بضرورة التخلص من هذا الاتهام بالتخلص من اليهود ، واعتبر البعض ان وجود اليهود فى الحركة قد اصبح عبئا وقيدا على الحركة .. ومن هذا المنطلق بدأ شهدى ، لكننى لا أقول ان هذا هو السبب الوحيد ولكن كان هناك ايضا احساس عارم لدى الكوادر بأن القيادة عاجزة وانها فوتت فرصة الاستفادة من حركة المد الوطنى العارم عام ١٩٤٦ .

والحقيقة انه كانت هناك نغمة شوفينية لدى بعض قادة التكتل الثورى مثل سعد زهران وحسين الغمرى واستمرت هذه العقدة طويلا لدى سعد زهران واستمرت معه حتى فى مرحلة الحزب الشيوعى المصرى . ولعل هذا ما دفع اعضاء التكتل الى اتباع اسلوب مغامر فى سرقة المطابع والأجهزة الفنية والمكتبات من المنظمة ، وكل من كان يعارض ذلك كان يتهم بأنه برجوازى وليس لديه حس طبقى . والحقيقة ان أحد لم يشعر باى قدر من الخوف على وحدة المنظمة ، ولا بمخاطر تمزيقها .. لقد جرد قادة التكتل الثورى الاعضاء من احساسهم بقدسية التنظيم ، بل لعلهم كانوا يشعرون بالسعادة مع نجاحهم فى تمزيق المنظمة .. وقد تكون التكتل اساساً من الطلبة والمثقفين بل وانضم اليهم عدد من الأجانب (ربما بسبب العداء التقليدى لاجانب ايسكرا ضد كوربيل) والمهم ان التكتل انتشر سريعا بصورة مخيفة ثم انهار وتفكك بعد ان فكك المنظمة ذاتها .

س : بماذا تفسر ذلك ؟

جـ : لقد دمروا حدتو وانتهت مهمتهم بذلك ، ثم تولدت اتجاهات اخرى ضد كوربيل ولكن من منطلقات غير منطلق التكتل الثورى وبعد ان تكرست فكرة الانقسامية بواسطة التكتل ما لبث هو نفسه ان تعرض للانقسامات وتكونت منظمات عدة :

ــ صوت المعارضة : وقد تكونت اساسا فى قسم المثقفين بواسطة اوديت حزان وسيدنى سلامون ثم انضم اليها سعد بطرس الطويل وفاطمة زكى ..

ــ ن . م . ب . : وهم مجموعة طلابية ضمت مصطفى امين ــ عبد الغفار

خلاف ــ الهامى سيف النصر ــ وميشيل كامل .

وكان تكتيك صوت المعارضة يختلف قليلا قالوا نحن تكتل ولكن لن نخرج من المنظمة وسنبقى فيها ، وكانوا يقولون ان القيادة تكتيكية وكانوا يقولون ان المنظمة تتكون من اربع تكتلات :

اليونسيين ــ العادليين ــ ن . م . ب . ــ صوت المعارضة .

ثم انضمت ن . م . ب . مع صوت المعارضة واخذوا النقيض الفكرى لخط القوات الوطنية والديمقراطية وقالوا انه خط برجوازى وليس شيوعى ، ورفعوا شعار تجنيد العمال ، ومن لا يصلح لتجنيد العمال لا يصلح لشيء . وعقد مؤتمر فى ١٩٤٩ فى منزل المستكاوى واعلنت المنظمة الشيوعية المصرية م . ش . م . وقد أعلنت منظمة وليس حزب على اساس انه لا توجد قواعد عمالية كافية . واتهمت م . ش . م . العادليين بانهم خط توفيقى .

س : ما هو مفهومك لخط القوات الوطنية والديمقراطية ولماذا عارضتموه ؟

جـ : لقد هاجمنا هذا الخط من ارضية جامدة ومتشددة ، والهجوم المتشدد سهل طبعا ، ولكن اى نظرة تضع فى اعتبارها ظروف هذه المرحلة ترى انه يمتلك منطقا له وجاهته (حركة جماهيرية وطنية وديمقراطية بنواة ماركسية) لكننا رفضنا اى نقاش ورفضنا الأمر رفضا كهنوتيا .

س : ما هى خبرة م . ش . م . ؟

جـ : فى البداية انتصرت م . ش . م . انتصارا تنظيميا ساحقا ، وبعد المؤتمر كسبت قوات عديدة ، ولكنها بتمسكها بفكرة انغماس الجميع فى تجنيد العمال وقعت فى قبضة البوليس وتساقط الاعضاء بالجملة ثم بدأت عمليات مستمرة من القبض ، وكنتيجة لهذه السياسة المغامرة كانت عضوية المنظمة فى يناير ١٩٤٩ حوالى ٥٠٠ عضو ، وبلغت فى يناير ١٩٥٠ حوالى ٣٠ عضوا .

س : ممن كانت تتكون قيادة م . ش . م .

جـ : اوديت حزان ــ سيدنى سلامون ــ فاطمة زكى ــ ميشيل كامل ــ توفيق حداد .

وعندما قبض على ميشيل كامل دخلت انا الى القيادة .

ويمكن القول ان القيادة اصبحت ثلاثية اوديت وسيدنى وانا لكنها فى واقع الأمر كانت ثنائية فأنا لم اكن العب اى دور قيادى .

وقد انهمكت قيادة م . ش . م . فى تدمير الكوادر وتحطيمهم .

وقبل القبض علينا انزلت انا من القيادة واصبحت القيادة اوديت وسيدنى .. واود ان اقدر ان اوديت انسانة مخلصة ولكن اوضاعا ما يمكنها ان تؤدى الى حالة كهذه ولكننى اعرف انها فى فترة ما كانت على علاقة شخصية بشخص له علاقة بالمباحث .

س : ثم ماذا ؟

جـ: عندما قامت ثورة يوليو قالت انها حركة فاشية وان الحل هو التوقف عن العمل ونقيم اتصالات فردية ونعود الى كلياتنا ودراستنا ونوسع من اطار علاقاتنا .

وبعد زواجها من المستكاوى قررت السفر للخارج لتلعب دور النواة الحزبية من الخارج ولما قامت عقبات فى سبيل سفرها تنازلت عن الجنسية المصرية وسافرت ولم تعد ..

* * *

٢٤ ـ سعد رحمى

محضر نقاش

اجريت المناقشة بالقاهرة فى ٥ سبتمبر ١٩٨٣(*)

س : كيف بدأت خطواتك السياسية الأولى ، وكيف اصبحت شيوعيا ؟

جـ : نشأت فى اسرة من المنيا لم تكن بعيدة عن السياسة ، ولعله ليس مصادفة أن اسمونى سعدا وقد ولدت بعد وفاة سعد بأقل من عام ولى اخت توأم اسميت صفية .

أبى ضابط سابق بالجيش ، وهو سليل أسرة اقطاعية لكنه بدد امواله ، وكان يمتلك اعجابا زائدا بغاندى . وكانت الأسرة تضم وزيرا وفديا هو الفريق على باشا فهمى الذى دخل الوزارة عام ١٩٣٦ .

وهكذا نشأت فى اسرة اقطاعية فقدت اموالها ، بكل ما يعنيه ذلك من تمسك بالكرامة والترفع ومحاولات الاستمرار فى الظهور بالمظهر القديم ، وكان ابى صديقا لهيلاس لاسى امبراطور الحبشة وعندما قامت ايطاليا بغزو الحبشة قام بصفته ضابط سابق بتكوين مجموعة مسلحة لمساعدة الاحباش وسافروا فعلا الى السودان فى طريقهم الى الحبشة لكن الانجليز اعادوهم من هناك .

اسلوب الاسرة وطريقة تفكيرها ومحاولاتها للترفع دفعتنى الى أن انتهج خطا معاكسا .

اثناء الحرب بدأ ابى كجندى سابق يبدى اعجابا متزايدا بالعسكرية السوفييتية ويتابع صمودها ثم انتصارها على النازى باهتمام زائد .

دخلت المدرسة السعيدية الثانوية وفى السنة النهائية منها بدأت اتابع مع بعض زملائى قراءة كتب طه حسين وتوقفنا باهتمام أمام روايته المعذبون فى الأرض .. وبدأنا ندخل فى مناقشات سياسية ونعرب عن كراهيتنا للملك .. وكان معنا فى المدرسة حمدى عبد الجواد ــ فؤاد عبد الحليم ــ أحمد شوقى الخطيب .. واخبرنا حمدى عبد الجواد ان بدأ يتردد على دار الابحاث ، وبدأ يحضر لنا مجلة ام درمان وقرأت قصيدة كمال عبد الحليم الشهيرة التى نشرت فى مجلة الكاتب المصرى ، وجندنى حمدى عبد الجواد الى منظمة القلعة وفى مظاهرات ١٩٤٦ شاركت بجدية

وفى احد المظاهرات لمحنى حمدى عبد الجواد فأبلغنى ان فترة ترشيحى قد اختصرت واصبحت عضوا . وان كنت لم يتم ضمى الى مجموعة ..

وانشغلت بالمذاكرة وتباعدت قليلا حتى حصلت على الثانوية ودخلت كلية الطب . وعرفنى حمدى عبد الجواد على فتحى خليل فقد كانت القلعة قد اتحدت مع ايسكرا .. وحضرت اول اجتماع فى منزل جمال غالى مع مجموعة من كلية العلوم اذكر منهم فخرى لبيب .

ثم التحقت بخلية اعدادى طب وكانت تضم مصطفى امين ، ميشيل سعد ، مكرم صليب ، وأنا وكان مسئولنا فتحى خليل .

ويمكن القول انها كانت فترة مجيدة من فترات النضال ، فقد كنا نعمل فى الشارع بحماس ، كنا نوزع مجلة الجماهير ونناقش الناس بحماس فى محتوياتها اثناء التوزيع ، واشتركنا فى لجان مكافحة الكوليرا ، وكان منزلنا فى الجيزة خاليا فترة الصيف فحولته الى مقر لرابطة الطلبة المصريين ، وانغمست لجان مكافحة الكوليرا فى عمل جماهيرى واسع فى الأحياء الشعبية ، وتعاونا فى ذلك مع لجنة الوفد فى مصر القديمة وكان من اعضائها البارزين انور زعلوك ، مصطفى اغا وبتوجيه من المنظمة دخلنا لجنة الوفد ، وانتخبت سكرتيرا للجنة مصر القديمة .

وبعد ذلك اصبحت عضو لجنة فرع مصر القديمة والروضة ، وكان مسئولنا عبد العزيز احمد فؤاد (مهندس) ثم آمال المرصفى (اصبح فيما بعد ضابطا بالجيش وعضوا بالضباط الأحرار) .. كان هذا فى فترة الصيف ، وعندما بدأ العام الدارسى تركت فروع الاحياء وعدت الى منظمة كلية الطب وكان مسئولها عبد الواحد بصيله وكان عددنا فى الكلية حوالى عشرين عضوا منظمين فى عدة خلايا وكانت خليتى تضم منير بطرس الطويل ـــ يوسف ادريس ـــ صلاح حافظ ـــ محمد يسرى احمد ـــ ابراهيم فتحى ـــ فتح الله ناجح وانا .

وذات يوم شاهدنى زكى مراد وانا اقود مؤتمرا ناجحا فى كلية الطب فى بداية عام ١٩٤٨ فأوصى بتصعيدى الى لجنة قسم كلية الطب وكانت تضم عبد الواحد بصيله ـــ عبد الغفار خلاف ـــ متير بطرس الطويل ـــ عمر محمد ابراهيم (سودانى) وانا . وكان زكى مراد مسئول لجنة القسم .

ثم ما لبثت الأزمة التنظيمية ان انفجرت فى حدتو ، وبدأت آثارها تمتد الينا ، وكان زكى قيادى صلب ومتشدد وكان يمثل القيادة اليونسية .. وافلت الموقف منه وبدأت الاتصالات الجانبية على اشدها ..

وكنت فى هذه الفترة فى سنة اولى طب ولم يكن عندى امتحان فتفرغت تماما للعمل . ونتيجة للاتصالات الجانبية تكونت مجموعة متقاربة ترفض القيادة اليونسية وترفض التكتل الثورى وكانت تضم عبد الغفار خلاف (طب) مصطفى امين (تجارة) ، حسين امين (حقوق) ، ميشيل كامل (طب اسنان) وكان معنا عامل اسمه عبد السلام زكى ، وصنعنا آلة طبع خشبية (رولو) ومارست اول عملية طبع فى منزل منير الطويل وكانت تساعدنى سعاد الطويل ، واصدرنا نشرة داخلية خاصة بكلية الطب وكان اسمها « شيوعيو كلية الطب » (ش . ط . ب)

- واصدرنا نشرة بعنوان نحو منظمة بلشفية (ن . م . ب) وكنت انا اكتب بمفردى كل المطبوعات واطبعها وصدرت عدة نشرات من ن . م . ب . وكانت تتميز باليسارية والصبيانية والمراهقة ، ولعل هذا كان طابعنا جميعا وان كنا لا نفتقد الاخلاص .. لكننا برغم اخلاصنا لم نكن نعرف حجم الجريمة الذى نرتكبها ولا كم العبث التى نردده .

- وكنا نعيش حالة من الضياع كجنود لا قادة لهم والتقينا بمجموعة « صوت المعارضة » وكانت مجموعة تقوم بمعارضة من داخل المنظمة وترفض الخروج منها ، لكنها كانت تمارس كل اشكال الاتصالات الجانبية والتخريب التنظيمى وكانت تضم : اوديت حزان ــ سيدنى سلامون ــ توفيق حداد ــ فاطمة زكى ــ عبد الواحد بصيله ــ عبد المنعم الغزالى ــ عزت عبد الغفور وزوجته سعدية عثمان .

وعقدنا اجتماعا مشتركا حضر فيه ميشيل كامل ــ مصطفى امين ــ وانا من ن . م .ب . وأوديت حزان ، سيدنى سلامون ، عبد الواحد بصيله واتفقنا على الانضمام اليهم دون شروط .

واسمت القيادة الجديدة نفسها باللجنة التحضيرية ودعت الخلايا لانتخاب ممثلين للمؤتمر ، لكن الانتخاب كان شكليا فقد كانت القيادة ترشح المندوب وعلى الخلية

انتخابه وقد رشحتنى القيادة وانتخبت للمؤتمر الذى انعقد اما ٢٨ او ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ بعد مقتل النقراشي وسليم زكى وكانت اجهزة الأمن منهمكة تماما فى تعقب الاخوان وكان المؤتمر مكونا من ٣٠ عضوا جزء منهم لم يحضر ليكون احتياطى للقيادة فى حالة القبض على المؤتمر ، وعقد المؤتمر فى شارع نخله المطيعى بمصر الجديدة .

وعرضت على المؤتمر وثائق « برنامج — لائحة — تقرير سياسى » وكانت الوثائق صبيانية بصورة تثير السخرية ، وأكد البرنامج ان البرجوازية كلها خائنة بكل اجنحتها اما اللائحة فكانت صبيانية ايضا . وسيطر على المؤتمر شخصان اوديت وسيدنى والمناقشات كانت شكلية تماما ، والجميع خضعوا لهم ولآرائهم الصبيانية خضوعا مبنيا على الانبهار والتسليم بتفوقهم النظرى .

استمر المؤتمر ثلاثة ايام وانتخب قيادة من سيدنى سلامون (مسئول سياسى) ، اوديت حزان (مسئول تنظيمى) فاطمة زكى — مشيل كامل ، توفيق حداد (ولم يحضر المؤتمر لأنه كان ضمن الاحتياطى الذى تقرر عدم حضوره) ولكى يتضح مدى حقيقة الشعارات فالمنظمة التى اعلنت من المؤتمر واسمت نفسها المنظمة الشيوعية المصرية (م . ش . م) والتى رفعت شعار ١٠٠ ٪ عمال كانت قيادتها كلها لا تضم عاملا واحدا وكانت المسئولية السياسية والمسئولية التنظيمية فى يد اثنين من الأجانب .

وما ان انفض المؤتمر حتى بدأت عقدة الزعامة تسيطر على اوديت ، وبدأت مرحلة من الدكتاتورية المفرطة بل والمدمرة وانفردت هى بكل قرار والاخرين جميعا اقزام .

وما لبث ان طردت اعضاء القيادة ...

واعتقلت مايو ١٩٤٩ وافرج عني فى فبراير ١٩٤٩ حيث عدت للتنظيم لكن الممارسات كانت غاية فى الفجاجة والصبيانية وتركت م . ش . م ، تركتها لاننى اقتنعت ان هذه المنظمة ليست باية حال منظمة ثورية ولم ارغب فى أخذ اى موقف مسرحى ولم اجد معى فى مجموعة الاسكندرية من يستحق ان اناقشة فتركتهم فى هدوء وعدت الى القاهرة وقد عقدت العزم على الا أعود للدراسة وألا اعود للاسرة وانما اتفرغ للنضال ..

وكان ميشيل كامل هو أول من قابلت وكان منهارا انهيار كاملا وفاقد لأى قدرة على عمل شيء ، لدرجة اننى قلت له سأعطيك موعدا فان لم تحضر سأعتبر انك تركت النضال .. ولم يحضر فى الموعد ، وقد توقف فعلا عن النضال .

واتصلت باعضاء من طليعة العمال وآخرين من النجم الأحمر ولم اقتنع بوجهة نظرهم ، وقابلت مبارك عبده ثم مع سيد سليمان رفاعى وتقدمت لهما بطلب قبولى كمرشح وان يعملوا على اعادة تكوينى .. وبدأت عملى التنظيمى فى يناير ١٩٥١ .

وتولى مسئوليتى عمر محمد ابراهيم (سودانى) وكان مسئولا للأقسام العمالية فقابلنى بمحمد على عامر حيث عملنا سويا فى قسم الزيتون والمطرية .

وفى يونيو ١٩٥١ ابلغنى سيد سليمان رفاعى اننى اصبحت مسئول قبلى ، ولم يكن لحدتو اتصالات كبيرة فقط اتصال محدود بالفيوم وآخر باسيوط وعنوان بقنا وسرعان ما اتسع النشاط واصبحت لنا قواعد جادة ومتسعة فى الفيوم واسيوط والمنيا وصدر قرار بتصعيدى الى اللجنة المركزية ممثلا للنشاط فى قبلى وفؤاد حبشى ممثلا للنشاط فى بحرى واصبحت ل . م ١٣ عضوا .

ثم كلفت انا وعبد المنعم الغزالى ببحث امكانيات استئناف الكفاح المسلح فى بالقنال وسافرنا الى بورسعيد وبدأنا نشاطا ملحوظا واخذنا فى تأسيس منطقة حزبية بالقنال .. حتى قبض على فى مارس ١٩٥٢ وبقيت فى السجن حتى عام ١٩٥٦ .

* * *

٢٥ ـ فاطمة زكى

محضر نقاش
أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٣ - ٦ - ١٩٧٥

س : كنت عضوة فى منظمة ايسكرا ، ومن هنا فاننى اريد أن أبدأ مناقشتى معك عن تلك الملاحظات التى أبداها لى اعضاء منظمة ح . م والتى كرروا فيها قولهم أن « ايسكرا » كانت منظمة تضم الكثيرين من الأجانب وايضا الاغنياء وانها كانت تهتم اساسا بالتثقيف وليس بالنضال العملى وانها كانت تقيم حفلات ترفيهية .. الخ ما هو رأيك فى هذه الملاحظات ؟

جـ : حقيقة كان هناك كثير من الأجانب وهذا انعكاس طبيعى لمرحلة تاريخية معينة والأجانب اغنياء وهم مثقفون ومعزولون عن جماهير الشعب المصرى ، اقصد ان هذه الملاحظات كانت ظواهر طبيعية لمرحلة البداية ، ومن الطبيعى عندما يبدأ هؤلاء الأجانب فى تجنيد مصريين فانهم يتصلون أولا بالمثقفين وربما بأبناء الاغنياء من المصريين وهكذا كان الصف الأول من الشباب المصرى الذى دخل ايسكرا من امثال جمال غالى ـ عبد الرحمن الناصر ـ وعبد المعبود الجبيلى ـ واحمد شكرى سالم ـ وشهدى عطية ، ومن خلال هؤلاء بدأ النشاط بتلامس مع عناصر من المثقفين من أبناء البرجوازية الصغيرة .

أما الحفلات فهى مسألة مبالغ فيها ، كانت هناك حفلات ورحلات ولكنها كانت محدودة ومنظمة ومفيدة فى بعض الاحيان ، وأذكر الآن حفلة اقيمت فى ٧ نوفمبر ١٩٤٦ بمناسبة ثورة اكتوبر وقد حضرت الحفلة وقد اقيمت فى منزل زميل اجنبى هو ارمان بليسى وكان المنزل شديد الفخامة وفى حى راق هو جاردن سيتى ولست انكر دهشتى لدى دخولى المكان لكن الشىء الهام ان هذه الحفلات كانت قليلة وبمناسبات محددة ..

وبرغم كل شىء فإن هذه العناصر سواء من الأجانب والمثقفين او ابناء الاغنياء قد أثبتت فى كثير من الاحيان نضاليتها ، والذى اريد ان اوضحه ان ذلك كان طبيعيا فى المرحلة الأولى .

اما عن الاهتمام بالتثقيف فهذا صحيح ولقد قضيت عاما كاملا ادرس الكتب الماركسية والخصها امام مجموعتى و لم امنح العضوية الا بعد هذه الدراسة الطويلة

والمركزة ، ولست اعتقد أن ذلك كان إمرا ضارا ، وخاصة فى البداية ، فإذا كانت المرحلة تتطلب تربية كوادر مصرية فقد كان من الضرورى الاهتمام بتثقيف هذه الكوادر ، كذلك فاننى أؤكد ان ذلك لم يقلل من نضالية الاعضاء فقد انطلقنا للعمل فى الجامعة وغرسنا فيها اساليب جديدة للعمل وحتى تلك الالفاظ التى لم يكن يسمع بها أحد مثل الأمبريالية والبروليتاريا ــ البرجوازية ...الخ والتى كانت مثار سخرية الكثيرين فى البداية اصبحت متناولة بشكل طبيعى فى اوساط الطلاب .

س : اريد الآن ان انتقل الى مرحلة التكتلات والانقسامات فى حدتو فما هى معلوماتك عن هذه المرحلة ؟ .

جـ : كان شهدى هو أول من استخدم التكتل ، وبعد اعلان خط القوات الوطنية الديمقراطية بدأنا نحن نتمرد وتمردنا على شكل التنظيم الفئوى ، ولكننا كنا ندين الانقسام ونسعى للضغط على القيادة واجبارها على عقد مؤتمر لنقد الخط السياسى ومحاسبة القيادة ، وهكذا تكون تكتل صوت المعارضة و« صوت المعارضة » كانت نشرة وليست اسم منظمة ولها لجنة لتحرير النشرة كانت تتغير من عدد لآخر لكننى اذكر العناصر الأساسية فى لجنة النشر كانت اوديت حزان ــ سيدنى سلامون (اسمه الحركى عدلى) محمود المستكاوى ــ سعد بطرس الطويل ــ محمد عباس سيد احمد ــ رضا اسكندر وانا .

وبعد ذلك اتحدت ن . م . ب (نحو منظمة بلشفية) مع صوت المعارضة وعقدنا المؤتمر فى نهايات ديسمبر ١٩٤٨ واذكر انه انهى اعماله فى ليلة مقتل النقراشى باشا ، وقد عقد المؤتمر فى شقة قمت انا باستئجارها فى شارع نخلة المطيعى بمصر الجديدة ، وتم تجميع اعضاء المؤتمر وارسالهم الى مقر الاجتماع بصورة ناجحة تماما .

وأذكر ان الذى تزعم المعارضة لاتجاهات اوديت فى المؤتمر كان مصطفى أمين . وفى نهاية المؤتمر انتخبت لجنة مركزية من اربعة ادويت ــ سلامون ــ ميشيل كامل ــ انا وعندما قبض على ميشيل كامل حل محله محمد سيد أحمد .

س : من كان المسئول فى اعتقادك عن ذلك الموقف المتشدد والعنيف تجاه المنظمات الأخرى الذى اتخذته منظمة م . ش . م ؟

جـ : اوديت اولا ثم سيدني سلامون .

س : هل يمكن ان تتحدثي عن بعض صفات اوديت التى منحتها مثل هذه السطوة على الكوادر ؟

جـ : قوة الشخصية ، التفانى فى العمل ، القدوة فى التقشف الشديد فى الحياة .

س : هل لك ملاحظات على اسلوب اوديت فى العمل ؟

جـ : كانت عنيفة جدا وصارمة للغاية واتبعت تجاه الكوادر اسلوب الارهاب والضغط الشديد وانتقل هذا الاسلوب منها الينا فكنا نعامل الكوادر والقواعد بنفس العنف والضغط .

س : اين عملت فى م . ش . م ؟

جـ : فى الفترة الأخيرة كنت مسئولة منطقة الاسكندرية وكان معى فى المنطقة اريك رولو وسعد الطويل ثم جاء « نينو » ليعمل معنا ، وقد قمنا بنشاط هام واشتركنا فى معارك جماهيرية خاضها عمال الميناء ولعبنا دورا هاما فى اضراب عمال سباهى الشهير ..

س : سمعت انه قد صدر قرار بتنزيلك من عضوية ل . م الى مرشحه ، كيف تم ذلك ؟

جـ : اتى « نينو » ليعمل معنا بالاسكندرية ويبدو أنه ارسل بعض ملاحظات ضدى الى القيادة بالقاهرة وكانت اوديت ترى اننى اخطأت لاننى لم اتوجه فور القبض على كريم الخرادلى الى منزله لتفتيشه واخلائه من الأوراق التى قد يهتم بها البوليس وفجأة وصل من القيادة خطاب مغلق مكتوب عليه لا يفتح الا فى اجتماع لجنة المنطقة وفتح الخطاب فى الاجتماع فاذا به قرار بتنزيلى الى مرشحه ..

وعلى هذا المنوال كانت اوديت تقود المنظمة باصدار قرارات عنيفة وصارمة أدت الى تدمير الكثيرين ...

س : ما هى الاسباب التى ادت الى تصفية م . ش . م فى اعتقادك ؟

جـ : التطرف اليسارى فى السياسة والتنظيم ، وشعار ١٠٠ ٪ عمال أدى الى ارتكاب حماقات كثيرة فقد فشلنا فى ضم عدد كاف من العمال وامتنعنا عن تجنيد اعضاء من فئات اخرى وكان اسلوب التجنيد فى العمال غير مجد ، وحقيقة

كان الشبان والشابات يقفون على ابواب المصانع ليجندوا العمال ، وكان طبيعيا ان يفشلوا وان يكونوا مثارا للسخرية وان يتسلل البوليس عن هذا الطريق ..

كذلك كان هناك سبب آخر هو شخصية اوديت الطاغية والتى عملت على تخويف الكوادر من بعضها البعض وضربها ببعضها البعض ، فقد فرضت سيطرتها وعاملت الجميع بقسوة بالغة وقتلت فيهم روح المبادرة .

س : وماذا عن دور سيدنى سلامون ؟

جـ : هو كان مثقف جيد من الناحية النظرية ، وكان هو العقل النظرى اما أوديت فكانت بارعة فى المناورة والتكتيك العملى وكانت قوية الشخصية وتفرض ارادتها على الجميع بما فيهم سيدنى سلامون نفسه ..

٢٦ ــ أحمد نبيل الهلالى

محضر نقاش

اجريت المناقشة بالقاهرة فى ٣ - ٦ - ١٩٧٥

س : اريد ان اتحدث معك حول نقطة محددة هى جهاز الرقابة فى المنظمة الشيوعية المصرية (م . ش . م .) الذى كنت عضوا فى قيادته ، فهل يمكن ان توضح لنا ماذا كانت مهام هذا الجهاز ؟

جـ : كان الهدف الأساسى من هذا الجهاز هو عمل تقيم مستمر لكل عضو فى المنظمة وحصر الكفاءات والامكانيات ومتابعة تطور العضو ومدى استيعابه ودراسته للنظرية الماركسية . وكذلك كان الجهاز يضطلع بالمهام المتعلقة بأمن المنظمة وبحث الشكوك التى قد تثار حول الأعضاء وكذلك التحقيق مع الاعضاء الذين قد تنسب اليهم مخالفات تنظيمية .

وفيما أتذكر انه كانت لدى لجنة الرقابة جداول معلومات تتضمن بيانات عن العضو ــ تاريخ انضمامه ــ معرفته للغات ــ معرفته للعمل على الالة الكاتبة . معرفته للعمل على اجهزة الطباعة ــ مدى دراسته لوثائق المنظمة ومحاضراته التثقيفية ... الخ .

س : كيف كانت لجنة الرقابة تمارس نشاطها ؟

جـ : فى كل خليه من خلايا المنظمة كان هناك عضو تابع للجنة الرقابة لا يعرفه الاعضاء وهذا العضو متصل مباشرة بجهاز الرقابة ويقدم تقارير دورية عن كل عضو فى مستواه وتطوراته الايجابية والسلبية ويبلغ عن اية شكوك حول الأعضاء

س : ممن كانت تتكون لجنة الرقابة المركزية ؟

جـ : من ثلاثة اشخاص المهندس رضا اسكندر (الذى انسحب بعد فترة وجيزة لرفضه القرار الصارم للمنظمة بضرورة إحتراف كل الكوادر الاساسية) وفتاه اجنبية لا أذكر اسمها وأنا .

س : وماذا عن علاقتكم باللجنة المركزية ؟

جـ : مندوب من اللجنة المركزية كان يتصل بمسئول اللجنة ويتسلم منه المعلومات ويبلغه توجيهات اللجنة المركزية .

س : هل نجحت هذه التجربة فى اعتقادك ؟

جـ : الحقيقة ان الفترة كانت وجيزة جدا ، ولم تتح فرصة حقيقية لهذا الجهاز كى يعمل ، لأن الضربات توالت بسرعة .

س : اريد ان اوجه لك سؤالا هاما هو : لقد كانت م . ش . م فى فترة من الوقت اكبر المنظمات الشيوعية واكثرها تجميعا للكوادر الاساسية فلماذا صفيت — وبشكل تام — بسرعة كبيرة ، اقصد لماذا لم تستطع هذه المجموعة من الكوادر التى كانت تتقد حماسا ان تصمد وان تواصل العمل ؟ والذى يهمنى هو أن كثيرا من المنظمات قد وجهت لها ضربات بوليسية قاصمة ، حدتو مثلا بعد كل هذه الانقسامات فى عام ٤٨ – ١٩٤٩ وبعد حملات القبض والاعتقال وبعد أن تبقى لها خارج السجون افراد معدودين عادت فى الخمسينات اقوى مما كانت فلماذا لم يحدث نفس الشىء لمنظمة م . ش . م ؟

جـ : سأجيب على سؤالك بصراحة ولكن فى حدود معلوماتى ، وأرجو أن تعتبر أن معلوماتى هى معلومات هامشية لاننى وبسبب ظروف خاصة (وضع والدى الخاص) كنت غير مندمج فى العمل الداخلى ومع ذلك استطيع ان اقول إن هناك عدة عوامل أدت الى تصفية المنظمة منها

١ – الخط اليسارى فى السياسة

٢ – الخط اليسارى والتصفوى فى التنظيم

٣ – الضربات البوليسية والقبض على عديد من الكوادر

٤ – الموقف الانقسامى تجاه المنظمات الاخرى والذى اتسم بالتطرف والانعزالية بل والطفولية والذى وصل الى درجة اتهام الجميع بالبوليسية ومنع مسجونى م . ش . م . من مجرد التكلم معهم باعتبارهم عملاء للبوليس .

ويدخل ضمن الخط التصفوى القول بشعار ١٠٠ ٪ عمال فقد كان مضحكا ارسال فتيات اجنبيات او شبان من أسر ارستقراطية ليقفوا على ابواب المصانع بهدف تجنيد العمال وطبعا المنظمة لم تستطع ان تجند عمالا بينما اقفلت ابوابها أمام الثوريين من العناصر الأخرى وذلك فى الوقت الذى توالت فيه الضربات البوليسية وهكذا حدث النزيف الذى لم يعوضه قادمون جدد وانتهى الأمر بالتصفية .

كذلك يدخل ضمن الخط التصفوى فى التنظيم ذلك العنف البالغ فى معاملة الكوادر وتجريدهم من اية قدرة على مناقشة القيادة وسلبهم وبشكل كامل القدرة على المبادرة اعرف حاله مثلا لعضوه فى اللجنة المركزية نزلت الى مرشحة ، ودونما سبب واضح ودون تحقيق .

س : حسنا كل ذلك يؤدى الى ضرب المنظمة ، واضعافها، لكن لماذا تفرق الجميع بعد ذلك وتبدد هذا الكم الكبير من الكادر ؟

جـ : الحقيقة ان اسلوب قيادة اوديت ـــ سلامون كان غريبا وشاذا فقد شككوا كل انسان فى الاخر ، واخضعوا الجميع لكهنوت تنظيمى صارم ، لدرجة أن أى كادر كان يخشى الاتصال بأى زميل آخر لأنه لا يعلم موقف التنظيم منه او تطور هذا الموقف ، هل تتصور اننى وبوليس لطف الله اشتركنا معا فى عام ١٩٥٤ فى مكتب للمحاماه واتفقنا على الا نتكلم فى السياسية لأن احدنا لا يعلم موقف المنظمة من الآخر ..

ولا يمكننى أن افسر ذلك الا بالنزعة البرجوازية الصغيرة والذاتية المفرطة لقيادة اوديت ـــ سلامون التى كانت تحرص على تدمير اى كادر يمكنه ان يتطور ليهدد مراكزها القيادية وعندما اصبح العمل صعبا وقبض البوليس على اوديت وسلامون واخذا يستعدان لمغادرة مصر ، صمما ـــ فيما يبدو لى ـــ على تصفية المنظمة وتفكيك راوبطها من منطلق ذاتى .. لقد اخذ يشيعان ان التنظيم امتلأ بالبوليس وبما انهما ينويان السفر للخارج اى بما انهما لن يستطيعا قيادة المنظمة ، فانه لا يمكن ان تبقى منظمة .

لقد تمت تصفية التنظيم عن عمد من جانب قيادة أوديت ـــ سلامون فقد قطعا كل راوبط المنظمة وعن عمد وحرصا على تشكيك كل انسان فى الاخر وظل وهم موقف التنظيم محلقا على رؤوس الجميع .

أما مثلا ظللت متصلا بالتنظيم حتى اغسطس ١٩٥٢ ، ثم فجأة قطع الاتصال دون سابق انذار ، وظللت انتظر وانا لا أعلم ان التنظيم قد صفى وظللت حتى عام ١٩٥٦ وانا اتصور أن التنظيم قائم ، واحاول ان ابحث عنه ، وأرفض الاتصال بأية منظمات أخرى .

والحقيقة ان احد اسباب التصفية ايضا هو أن قيادة اوديت ـ سلامون كانت تطبق نظرية تطهير الحزب تطبيقا اعمى وبغير ضوابط بحيث توالت عمليات الفصل لمجرد تخويف الأعضاء وارهابهم وبحيث اصبح كل انسان يتصور ان الآخر ربما يفصل فى احد حملات التطهير .

وباختصار فان القيادة اوديت سلامون قد صفت المنظمة عن عمد وحرصت وهى تصفيها على ضمان عدم استمرارها فيما بعد ..

تقول ان حدتو عادت رغم الضربات ، هذا صحيح ، لأنه كانت هناك رغبة فى الاستمرار ، ولم يكن هناك تعمد للتصفية من جانب القيادة ، واستمرت حتى اللافته التى استطاعت ان تجمع الاعضاء حولها فيما بعد ..

س : وماذا بعد ذلك ؟

جـ : استمر الحال على هذا الوضع كوادر م . ش . م . تخشى الاتصال ببعضها البعض على وهم ان التنظيم قائم وأنه ربما اتخذ موقفا من هذا الكادر او ذاك حتى كان تأميم القناة فى هذه الأيام اتصل بى على الشلقانى وتصارحنا ودعانى الى اعادة تجميع الكوادر والاعضاء والعمل وبدأنا فى التجمع . وقررنا الا ننضم الى منظمة الا على اساس توحيد كل الشيوعيين ، وكانت افكارنا بشكل عام اقرب الى افكار منظمة « الراية » وهكذا انضممنا اليها قبل الوحدة بعد اسابيع .

س : هل ثمة اشياء اخرى ترى انه من المفيد تسجيلها ؟

جـ : اريد ان اعود الى اسباب تصفية المنظمة ، وفى تقديرى ان الجرعة المكثفة جدا من عبادة الفرد فى منظمة م . ش . م قد ربت الاعضاء والكوادر بروح الخضوع المطلق للقيادة ونفت منهم روح المبادرة ومن ثم فعندما اختفت القيادة لم يجد احد القدرة على المبادرة او محاولة التطلع للحلول محلها .

س : حول من كانت تتركز عبادة الفرد هذه ؟

جـ : حول اوديت اساسا ثم سيدنى سلامون .

س : لماذا ؟ وما هى مميزات اوديت هذه الذى اكتسبتها كل هذا القدر من « عبادة الفرد » .؟

جـ : لا اعرف ، وربما كانت قوة الشخصية والاصرار والقدوة ، فهى كانت تدعو الجميع الى تكريس كل جهدهم وكل وقتهم للمنظمة وكانت تفعل ذلك وكان الجميع يشعرون انها تهب حياتها للعمل .. وفى هذا الصدد أقول أنه برغم كل السلبيات التى ادت الى تصفية م . ش . م . الا انه كانت هناك ناحية ايجابية هى دفع الاعضاء الى ما يشبه « التطهر » « والتفانى » فى الولاء للتنظيم ولو أن قيادة اوديت ــ سلامون استخدمت هذا الولاء من جانب الاعضاء فى اتجاه تصفوى ادى الى تصفية المنظمة .

* * *

نقولا غاريس

محضر نقاش

اجريت المناقشة فى أثينا بتاريخ ١٩٧٦/٣/١٠

س : كيف بدأت رحلتك مع الشيوعية ؟

ج : انضممت الى المجموعة اليونانية التابعة لقسم الاجانب فى حدتو

س : متى ؟

ج : حوالى مايو ١٩٤٨ اى مع بداية تفجر الازمة السياسية ومع بداية ظهور الانقسامات فى الحركة .

س : هل تذكر اسماء زملاء آخرين فى المجموعة اليونانية هذه ؟

ج : كنا كثيرين اذكر منهم : بيترو زوريو ، تاكيس باباروديتس ، فيفى كانا ، الاخوين ياناكاكس ، ديانيتس ، ليفكى .. وكان مسئول المجموعة ياتيس كارافولوس .

ج : كم كان عدد اعضاء المجموعة ؟

ج : حوالى ٢٠ عضوا ، وكانت المجموعة تابعة لدائرة الاجانب ، وكانت نشرات المنظمة تصلنا بالانجليزية ثم نترجمها الى اليونانية ونطبعها بالبالوظة . وعندما انضممت الى المجموعة كانت قيادة هذه المجموعة قد انقسمت بالفعل وانضمت بالعضوية التابعة لها الى تكتل صوت المعارضة ، وفى نهاية ١٩٤٨ حضر ممثل عن المجموعة فى مؤتمر م . ش . م . وفى هذه الايام ومع تردى الاوضاع وتحول المنقسمين من ادعاء الثورية الى الهروب من الكفاح بدأ شعار يرفع فى دائرة الاجانب مؤداه اننا اجانب وليس لنا دور فى مصر ومن ثم لا مبرر لبقائنا فى التنظيم ، وتقريبا غالبية المجموعة اتجهت هذا الاتجاه اما انا والاخوين ياناككس فقد قررنا البقاء فى ساحة النضال ورفعنا شعار حيث توجد تناضل .

وفى هذه الاثناء كانت الحرب الاهلية اليونانية مشتعلة وكانت القوى الديمقراطية تعانى من اقتراب الهزيمة وهنا رفع شعار انضموا الى الجيش الديمقراطى اليونانى وسافر من المتبقين معنا بافيس كارافولوس ، ايليوس ياناككس .. وبقى فى المجموعة انا والاخت ياناككس وليفكى . وفى ١٩٤٩ قبض على الاخت ياناككس ورحلت من مصر .

ومن صوت المعارضة انضممت الى م . ش . م . واصبحت مسئول خلية عمالية فى مصنع ايديال ، وكان محمد عباس فهمى هو مسئول قسم شبرا الخيمة وبعد فترة انقطع اتصالنا بالمنظمة وبقينا وحدنا . كان ذلك فى اواخر ١٩٤٩ او اوائل ١٩٥٠ ، لكننى استمريت امارس عملى مع المجموعة اعددت بضعة محاضرات من كتاب ليونتيف ، كما كنا نناقش القضايا السياسية العامة ، كانت الخلية من اثنين وانا كمسئول ثم جندنا رابع ..

وانتهت الاحكام العرفية ونحن لا نجد اى اتصال وبدأ الكفاح المسلح فى القنال ونحن منقطعون ولا نشعر باى اثر للمنظمة وبدأنا نحس بوجود حدتو مرة اخرى وبدأت مصر تموج بتحرك ثورى ، وحاولنا نحن ان نتحرك فاعددنا منشورا وكتبناه بالكربون بخط اليد لكن الكميات كانت محددة .

.. وبالمصادفة قابلت فى سينما ديانا مسئولنا السابق محمد عباس فهمى لكنه ابلغنى انه ترك التنظيم ، ثم اوصلنى بسعد رحمى لكن سعد رحمى ما لبث ان انضم لحدتو ..

وبعد فترة اتصل بى نور سليمان جاسر وكان فى السابق مسئولا فى م . ش . م . فأتى لنا كمسئول وقدمت له كشف حساب عن الفترة السابقة ، ومن بين ما قلته أننا عندما فقدنا الاتصال حاولنا الاتصال بحدتو فى محاولة للبحث من خلالها عن علاقة مع ش . م لكن نورثار واتهمنى بالبوليسية ولكن يبدو انه هو نفسه لم يكن مقتنعا بهذه السخافات التى كانت تتمسك بها م . ش . م . فعاد للاتصال بمجموعتنا واتصلنا بليفكى وبرفيق ايطالى جى مينتاستى واصبح عددنا حوالى عشرة تقريبا وبدأنا نكتشف اننا كل من تبقى من م . ش . م . فاشترينا رونيو واصدرنا نشرة « صوت البروليتاريا » .. وكانت خطتنا ان نبنى المنظمة من جديد ، ثم أتى حريق القاهرة واعلنت الأحكام العرفية واعتقل نور فقمت بتفكيك آلة الرونيو ونقلتها من مكانها فى غرفة فوق سطح احد المنازل الى منزل جى مينتاسى .

ثم بدأت فى نقل الارشيف والأوراق والحبر الى غرفة كان قد حددها لى نور قبل القبض عليه واثناء ذلك قبض على فى فبراير ١٩٥٢ . ودخلت السجن وقد

تدهش اذ اقول لك اننى شعرت بسعادة عندما دخلت السجن ووجدت بعض اعضاء وقيادات م . ش . م . ، فأخيرا سألتقى بالتنظيم ، لكننى بعد ان قدمت لهم تقريرا عن كل شىء ، أبلغونى لا تكلم أحدا مطلقا لا منا ولا من الآخرين حتى نرد عليك بالتعليمات .. واكتشفت انهم كانت علاقتهم سيئة بنور فابلغونى انهم قاطعونى انا ايضا بينما فرضوا على ان اقاطع آخرين .. ومع ذلك خضعت للتعليمات الحزبية فقد عاهدت نفسى أن أخضع للتنظيم بشكل مطلق ودون نقاش ، ان نتحاسب تنظيميا فيما بعد ..

وبقيت وحيدا تماما طوال عدة سنوات فى السجن لا اكلم أحداً ولا اسمح لاحد ان يكلمنى .. وفى احد المرات اجبرتنى ادارة السجن على السكن فى زنزانة واحدة مع نور سليمان جاسر واحمد خضر وكنت قد بدأت استشعر خطا موقفي واستجمع عدد من الوقائع التى تراكمت لتؤكد لى اننى اعيش وهم وجود منظمة لن تعد موجودة اطلاقا .. وهكذا انضممت إلى الحزب الموحد فى سجن القناطر .

س : هل لك ملاحظات اخرى ؟

جـ : فقط اعود فاؤكد ان الانقسامية هى الخطر الاكبر ، التطرف اليسارى الصبيانى الذى انساقت فيه م . ش . م . فهو ثمرة لروح البرجوازية الصغيرة التى ولدت الانقسامية والتمرد على التنظيم .

* * *

فخرى لبيب

محضر نقاش

اجريت المناقشة بالقاهرة في ٢٨ أغسطس ١٩٨٢

س : كيف تأسست منظمة طليعة الشيوعيين المصريين (ط . ش . م .)

ج : كنا مجموعة صغيرة هى آخر من تبقى فى التكتل الثورى ، فقد تفكك التكتل الثورى سريعا مثلما تجمع سريعا ، البعض انقسم واسس منظمات مثل ن . م . ب . ، وصوت المعارضة والبعض انضم دون اعلان الى منظمة طليعة العمال مثل د . فريد حداد ، د . فتحى خليل وفريد رمزى ولبيب رمزى .

أما سعد زهران وداود عزيز فقد تركا التكتل الثورى الى منظمة الراية .

وفى اواخر ايام التكتل الثورى كان التفكك واضحا ، فبعد القبض على شهدى عطيه ، انفرط العقد ، وعندما ظهرت فكرة القاعدة المشتركة دعيت الى اجتماع فى منزل فريد حداد حضره جواى ٣٠ او ٢٥ شاب وفتاة ويبدوا انهم كانوا القسم الاجنبى فى التكتل فقد كانوا جميعا من الاجانب ، ارمن ، يونانيون ، اسبان ، فرنسيون ، كانوا يتقدون حماسا دون ادنى لغة مشتركة مع الشعب المصرى وقلت لهم بصراحة انا مثقف مصرى ومع ذلك لاتجدون معى لغة مشتركة فماذا عن جماهير الشعب ، وان اقصى مايمكن ان تقدموه لنا هو بعض الامكانيات المادية فغضبوا وتركونا الى القاعدة المشتركة ومنها الى م . ش . م .

وفى التكتل الثورى كنت فى مجموعة تضم عبد المجيد ابو زيد ، عبد الله كامل وانا وكنا مسئولين عن الاجهزة الفنية والمكتبات ، وانا شخصيا كان عندى كمية خرافية من الكتب . وكان التكتل قد بدأ فى التفكك واحسسنا اننا بحاجة الى المعرفة ، وان كثيرا من الامور اختلطت وقررنا ان نقرأ ... وكونا مجموعة ثلاثية انا وعبد الله كامل ومصطفى درويش واخذنا فى القراءة فى نفس الوقت كنا نحاول التلامس مع الطبقة العاملة بطريقة قد تبدو ساذجة كنا نلبس ملابس عمال ونذهب الى مقاهى العمال ، وهناك تعلمنا اننا لايمكن ان نكسب العمال نضاليا من خلال المقاهى ، كان من الممكن كسب صداقات واجراء نوع من من الدردشة ولكن لم يكن من الممكن كسب عنصر نضال من دردشات المقاهى . وفى المقهى العمالية اصطدمنا بظاهرة رديئة ومؤسفة حيث كان عمال منظمة طليعة العمال

يمارسون وبشكل ردىء هجوما على حدتو وتاريخها امام العمال ..

وانا كانت لى بعض الركائز العمالية فى شبرا البلد منذ ان كنت اوزع الجماهير .. ومنذ اسسنا النادى المصرى السودانى فى شبرا (وقد اغلقه صدقى عام ١٩٤٦) ومنذ لجان مكافحة الكوليرا وهكذا كانت لى روابط فى المنطقة الممتدة من شبرا البلد ـــ شبرا ـــ جزيرة بدران .

وكانت احوال الكوادر الوسطى مؤسفة ، كل شيىء تفكك ، والثقة مفتقدة ، وكل يوم نسمع عن تأسيس منظمة جديدة تضم حفنة اعضاء ، والتقينا بابراهيم عرفه وكان قد اسس مع اربعة آخرين فقط منظمة اسمها « اتجاه النضال الثورى » وقدم لنا تقريرا هزليا مليىء بالعبارات الضخمة ، ثم قابلنا البعض من العصبة الماركسية ، وكان الجميع يتخبطون ، كان الانقسامية قد دمرت كل شيىء ، وبدت عملية اعادة البناء صعبة للغاية ويمكن القول اننا ادركنا كارثة الانقسام من الانقسام ذاته ، لقد وعينا خطورة الانقسام عندما مارسنا الحياة الانقسامية .

ورفضنا ان ننضم للعصبة الماركسية ، وبدأت مناقشات سياسية انتهت بوحدة أو اندماج مع العصبة وتأسيس منظمة باسم جديد نحن الذين اخترناه هو « نواة الحزب الشيوعى المصرى » على أساس ان هذا التجمع هو مجرد نواة الحزب ..

وكان معنا قبيل الاندماج عدد من الزملاء ولدينا آلة كاتبة والمكتبات وسلمناهم ذلك كله ولم يمض وقت طويل حتى وجدنا انفسنا مفصولين ، ودون ان ندرك ما جرى فصلنا فوزى جرجس دون سابق انذار ، فقط وجدنا انفسنا بلا أى اتصال .

وعدنا مرة أخرى مجموعة صغيرة . وكان اسلوب فصلنا من النواة صدمة شديدة لنا ، فاحسسنا ان الشيوعيين انفسهم بحاجة الى طليعة ، فلنكن نحن هذه الطليعة للشيوعيين المصريين .

وبدأنا فى تكوين التنظيم بهذا الاسم وتكونت قيادته منى ، مصطفى درويش ، عبد الله كامل ، حسن حسنى « الشهير باسم فوزى ابو شنب » ثم انضم الينا منصور زكى ، واقمنا علاقات عمالية محدودة استفدنا منها كمداخل للمصانع وبدأ نشاطنا ينمو وانضم لنا عمر مكاوى وصعد الى القيادة ، وكان متدينا للغاية

وسافر الى فلسطين ليقاتل هناك، حيث اكتشف ان المعركة تدور على ارض مصر وليس فى فلسطين ، وانضم هو ومجموعته الينا .

واتصلنا عن طريق عمر بمكتبه فى انجلترا وبدأ تصلنا كتب ماركسية من جديد ، فمثلا وصلتنا كتب ماوتسى تونج وكانت بالنسبة لنا كنزا وبدأنا فى ترجمتها ، واسسنا مطبعة سرية بمعرفة منصور زكى وكنا نطبع عليها ما نترجمه وكان لنا مجلة داخلية اسمها الطليعة ومجلة خارجية اسمها الصراع .

واتفقنا على عدة اسس فى عملنا : التوجه فى التجنيد الى العمال والفلاحين وخيرة المثقفين ، عدم تجنيد اقارب ، عدم تجنيد اجانب . وكانت لدينا منطقة عمالية فى شبرا الخيمة ، واخرى فى امبابه ونشاطات فى بهتيم وكفر الزيات وبدأنا فى الوصول الى بعض المناطق الريفية وكانت لدينا كوادر عمالية ذات نفوذ نقابى مثل محمود فرغلى (النقل) صلاح هلال (النسيج) ، كما انضمت الينا عدة عناصر بعد تفكك م . ش . م . واخذنا فى اعداد كورس تنظيمى مستيفدين من الخبرة الصينية .

ومن ابرز المعارك التى خضناها معركة عمال نسيج الشوربجى بامبابه (١٩٥٠) عمال الشرق والمكوك الذهبى بامبابه ، كما خضنا معركة الاضراب البطىء لعمال الترام والنقل العام التى قادها محمود فرغلى :

.. وفى مجال آخر للنشاط اهتممنا بموضوع وحدة الشيوعيين ، وكانت علاقتنا محصورة فى التنظيم الوحيد الذى نعرفه من قبل هو النواة فشكلنا معه لجنة وحدة واصدرنا مجلة مشتركة وكان يحكمنا فى مسألة الوحدة الشكل التقليدى المتمثل فى:

ــ نشرة لكل الشيوعيين

ــ مؤتمر واحد لكل الشيوعيين يعلن الحزب

لكن اعضاء النواة خاضوا معنا معركة عدوانية وليست توحيدية وكانت تحكمهم روح عدوانية والرغبة فى اطلاق مسميات مميزة فعندما عرضنا الافكار الصينية الجديدة عن الثورة الوطنية الديمقراطية من نوع جديد اطلقوا علينا اسم الانتهازية الصفراء .

ومع تصاعد نشاطنا بدأ البوليس يشعر بنا ووجه لنا ضربة عنيفة حيث قبض على كل اعضاء ل . م . ما عداى لاننى كنت فى ذلك الحين اعمل مدرسا فى كفر الزيات .. والمقبوض عليهم كانوا : عبد الله كامل — منصور زكى (الاجهزة الفنية) ، درويش مصطفى ، د . عمر مكاوى .

وحاولت اعادة بناء التنظيم وصعدت اثنين الى ل . م . احدهما محمد عثمان والآخر لا أذكر اسمه وكونا لجنة من ثلاثة ، وبدأنا ننشط من جديد واصدرنا نشرات بالبالوظة وبصعوبة بدأ العمل ينمو حتى قبض علينا فى ضربه جديدة .

* * *

٢٩ ـ هليل شوارتز (١)

محضر تحقيق النيابة

اجرى التحقيق فى ١٥ - ٣ - ١٩٥٠

فتح المحضر فى ١٥ / ٣ / ١٩٥٠ الموافق ٢٦ / ٥ / ١٣٦٩

بدائرة قسم مصر الجديدة . الساعة السابعة والنصف صباحا

نحن محمد طاهر عبد الحميد وكيل النيابة

ومعنا الجاويش محمد سليمان الهنداوى كاتبا للتحقيق بعد حلفه اليمين

حيث انشغلنا الليلة حتى منتصف الثانية صباحا بالتحقيق فى حادث ضبط وكر شيوعى بدائرة مصر الجديدة واثر الانتهاء من تحقيقه قدم لنا حضرة الصاغ أحمد حلمى محضرا تناول اجراءات ضبط وتفتيش هليل شوارتز وبعد الأطلاع عليه دعونا المتهم وسألناه قال :

اسمى هلال أدهم

سنى ٢٧ سنة

مولدى بالقاهرة

ومقيم فى شارع مراد بك نمرة ٢٦ بمصر الجديدة .

اعمل مدرس خصوصى وخريج الليسيه فرانسيه عام ١٩٤٠ .

س : ما قولك فيما نسب اليك ؟

جـ : انا لا اعرف بالتفتيش اللى تم لأنه تم فى غير حضورى ، ولا حدش مضانى على محضر .

(١) هليل شوارتز (هلال ادهم) هو مؤسس تنظيم شرارة (ايسكرا) ومسئوله السياسى وصاحب نظريته واسلوبه فى العمل . وقد اشتهر فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية بالاسم الحركى « شندى » وفي غمرة الانقسامات التى اجتاحت حدتو عام ٤٨ - ١٩٤٩ ، انقسم « شندى » مكونا مع عدد آخر من المنظمات المنشقة منظمة ن . ح . ش . م (نحو حزب شيوعى مصرى) القى القبض عليه فى مارس ١٩٥٠ ثم رحل بعد الافراج عنه فى عام ١٩٥٢ الى خارج البلاد .

يقيم الآن فى باريس حيث يعمل موظفا بوكالة الانباء الفرنسية . حاول المؤلف الاتصال به أكثر من مرة واجراء مناقشة معه لاثباتها فى هذا الكتاب لكنه رفض باصرار معلنا أنه قرر عدم الحديث عن فترة اقامته بمصر وانه نسى كل ما يتعلق بها . ومن هنا فإن محضر تحقيق النيابة معه يصبح ذا أهمية لأنه الوثيقة الوحيدة المتاحة التى تقدم لنا بعضاً من جوانب شخصيته . والنص الذى نقدمه هنا منقول من ملف القضية التى اتهم شوارتز وهو مثبت بالصفحات ١٠٢٩ - ١٥٣٠ من الملف (المؤلف) .

س : هل كنت تحتفظ بمنزلك على أوراق ونشرات ؟
جـ : انا مش مستعد ارد على السؤال ده .
س : ضبط في حقيبة قماش كمية كبيرة من نسخ مختلفة من النشرات والتقارير الشيوعية ..
جـ : انا موش حا اجاوب على حاجة ، وانا لن أجيب على أي سؤال الا لما اسأل المحامى بتاعى وأشوف اجاوب ايه .
س : اعترف بملكية الأوراق المضبوطة معك ، كذا اعترفت بالأوراق والكتب المضبوطة بمسكنك .
جـ : محدش سألنى ، وانا موش حا اجاوب على حاجة دلوقت ، وأنا ما اعترفتش لحد .
س : انت متهم بالانضمام الى المنظمة الشيوعية والترويج لمبادئها ...
جـ : محصلش كلام زى كده

تمت أقواله

ملحوظة :

طلبنا الى حضرة الصاغ احمد حلمى تحريز المضبوطات وارسالها الينا بالنيابة .

تمت الملحوظة .

وأقفل المحضر على ذلك فى تاريخه عقب اثبات ما تقدم ، ويرفق محضر حضرة الصاغ احمد حلمى الذى تأشر عليه منا بذلك ، ويطلب لباكر حضرة الصاغ احمد حلمى والملازم صلاح متولى والملازم محمد توفيق لمعى ومدام انيس فرتنش وزوجة المتهم ويحبس المتهم عسكريا وقررنا العودة .

وكيل النيابة
امضاء

حضرة على بك نور الدين لاتمام التحقيق ،،

رئيس النيابة
امضاء

٣٠ ــ هليل شوارتز (١)

محضر تحقيق النيابة

اجرى التحقيق فى ١٦ - ٣ - ١٩٥٠

نيابة الصحافة والنشر :

فتح المحضر يوم الخميس ١٦ مارس ١٩٥٠ الموافق ٢٧ جمادى الأول ١٣٦٩ هـ . الساعة الواحدة وخمسة عشر دقيقة مساءا .

بسراى نيابة استئناف مصر .

نحن على نور الدين وكيل النيابة

وعبد الستار الدمنهورى كاتب التحقيق

أحال علينا حضرة صاحب العزة رئيس النيابة اليوم المحضر الخاص بضبط المدعو هليل شوارتز الذى تم تفتيش مسكنه فى ليلة ١٥ - ٣ - ١٩٥٠ بمعرفة حضرات ضباط القسم المخصوص بوزارة الداخلية وضبط به عدد كبير من الأوراق والتقارير والنشرات التى ثبتت انضمام المذكور الى جمعية تدعو للمبادىء الهدامة وذلك لاتمام تحقيق هذا المحضر .

وبالاطلاع على هذا المحضر وجدناه محررا على ورقتين بمعرفة حضرة الصاغ أحمد حلمى الضابط بالقسم المخصوص بوزارة الداخلية بتاريخ ١٤ - ٣ - ١٩٥٠ الساعة الحادية عشر وخمس وخمسين دقيقة مساءا . وثابت به أنه وردت لادارة الأمن العام معلومات تفيد ان هليل شوارتز الذى ينتحل اسم هلال ادهم المعروف بتزعمه للحركة الشيوعية والسابق صدور امر عسكرى باعتقاله لخطورته على الأمن العام والهارب منذ ١٥ مايو ١٩٤٨ يقيم فى الوقت الحاضر فى شقة بالمنزل رقم ٢٦ بشارع مراد بك تبع قسم مصر الجديدة ويزاول نشاطه الشيوعى فى الاشراف على توجيه القائمين بالحركة الشيوعية وانه بناء على الأذن الصادر من النيابة قد تم تفتيش مسكن هذا المتهم بمعرفة حضرة محرر المحضر .

---

(١) هذا المحضر منقول من الصفحات رقم ١٠٣٠ ؛ ١٠٣١ ؛ ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، من ملف القضية .

ومرفق محضر آخر محرر بمعرفة حضرة طاهر بك عبد الحميد وكيل النيابة يوم ١٥ - ٣ - ١٩٥٠ الساعة السابعة والنصف صباحا ثابت به ابلاغ حضرته بهذا الحادث اثناء انشغاله بالتحقيق فى حادث ضبط وكر شيوعى بدائرة قسم مصر الجديدة وثابت به أيضا استجواب المتهم الذى ذكر انه يدعى هلال ادهم ، وقرر انه لا يعترف بالتفتيش الذى تم فى غير حضوره ورفض الاجابة عن الاسئلة التى وجهت اليه عن حيازته للاوراق المضبوطة الا بعد سؤال محاميه ، كما انكر اعترافه بملكيته لهذه المضبوطات امام حضرة الضابط صلاح متولى . وقد أمر حضرة وكيل النيابة بحبس المتهم عسكريا ، وأمر بطلب حضرة الصاغ أحمد حلمى والملازم صلاح متولى والملازم محمد توفيق لمعى وزوجة المتهم وصاحبة المسكن اليوم لسؤالهم .

وقد حضر اليوم حضرة الملازم اول صلاح متولى ولم يحضر حضرة الصاغ احمد حلمى وعلمنا أنه سيحضر بعد قليل ومعه الاحراز كما حضر المتهم وزوجته وصاحبة المسكن .

فشرعنا فى التحقيق بالاتى :

ادخلنا المتهم هليل شوارتز داخل غرفة التحقيق وسألناه عن اسمه فقال :

انا اسمى هلال ادهم . فسألناه عن اسم هليل شوارتز فقال : انا كان اسمى القديم هليل شوارتز ، وغيرته باسم هلال ادهم بناء على حكم من المحكمة من سنة ١٩٣٥ تقريبا وهذا الحكم غير موجود معى ويسأل والدى الدكتور يوما شوارتز بميدان سليمان باشا رقم ١ شقة رقم ١٨ وهو اللى عارف المسألة دى .

ثم سألناه بالاتى :

اسمى هليل ادهم

سنى ٢٧ سنة

مدرس خصوصى

مولود فى القاهرة

مقيم بشارع مراد بك رقم ٢٦ بمصر الجديدة

س : متى سكنت فى شارع مراد بك رقم ٢٦ بمصر الجديدة

جـ : اظن من اكتوبر ١٩٤٩ وسكنت فى اوده استأجرتها من مدام أنيس بثمانية

جنيهات في الشهر ، واقمت فيها باستمرار من اكتوبر ١٩٤٩ لغاية النهاردة مع زوجتى .

س :ما اسم زوجتك

جـ : اسمها برت متالون

س : ومتى تزوجتها ؟

جـ : تزوجتها فى عام ١٩٤٤ .

س : واين كنت تسكن قبل سكنك فى مصر الجديدة اى قبل اكتوبر ؟

جـ : كنت ساكن مع والدى فى ميدان سليمان باشا

س : ولماذا تركت السكن مع والدك وسكنت بمفردك .؟

جـ : نتيجة اعلان الاحكام العرفية شكيت انهم يقبضوا على فسبت مسكن ابى .

س : واين كنت تسكن من تاريخ اعلان الاحكام العرفية فى مايو ١٩٤٨ الى اكتوبر ١٩٤٩ عندما سكنت في مسكنك الحالى ؟

جـ : مش عاوز ارد على السؤال ده لانى شايفه خارج عن موضوع التحقيق وانا تركت السكن مع والدى من تاريخ اعلان الاحكام العرفية .

س : هل كانت زوجتك متزوجة من شخص آخر قبل زواجك بها ؟

جـ : لا

س : ولكن الثابت فى المحضر أن زوجتك ذكرت انها تدعى مدام باشكس ؟

جـ : فعلا احنا سمينا نفسنا انا باسم موريس باشكس وزوجتى باسم مدام باشكس لما سكنا فى مصر الجديدة علشان نهرب من البوليس ، لأن البوليس كان عاوز يقبض على وانا شكيت فى ذلك .

س : ولماذا كان البوليس يبحث عنك للقبض عليك ؟

جـ : هذا السؤال يوجه للبوليس .

س : ولكنك كنت تعرف بأن البوليس يريد القبض عليك .

جـ : كنت اشك فى هذا .

س : لاى سبب كنت تشك فى هذا .

جـ : لانى بصفتى يهودى كنت الاحظ ان هناك ناس كثير من اليهود بيتمسكوا بدون اى مبرر فخفت على نفسى .

س : هل كان بحث البوليس بسبب انك يهوديا فقط ؟
جـ : انا ما اعرفش هم كانوا بيدوروا على علشان ايه ، حتى انا معنديش تأكيد انهم كانوا بيدوروا على .
س : كيف قبض عليك ؟
جـ : قبض على وانا ماشى فى الشارع وراجع على البيت يوم الثلاثاء الساعة عشرة مساء تقريبا قرب البيت وكنت ماشى لوحدى .
س : من الذى قبض عليك ؟
جـ : اثنين رجاله واحد منهم لابس جلابية والثانى بدلة ، اظن كده .
س : وما الذى حصل بعد أن قبض عليك هذان الشخصان ؟
جـ : اخذونى الى البيت فلقيت هناك الافندى اللى كان قاعد هنا (يشير الى حضرة الملازم اول صلاح افندى متولى الذى كان يجلس فى غرفة التحقيق) وضابط آخر لابس رسمى ، وأظن كان فيه مخبر ما اخدتش بالى منه ، ولقيت واحد من الضباط وهو اللى كان لابس رسمى كان مع زوجتى فى الشقة ومقدرتش اتصل بها ، وعرفت انه حصل نوع من التفتيش ، وشفت اوراق مرمية على الترابيزة والافندى (يقصد الضابط صلاح متولى) فتشنى واخذ منى ظرف كنت شايله فى ايدى واخذ منى محفظة فيها شوية فلوس حوالى ١٢٥ قرش وحاجات عادية زى قلم ...
س : كيف عرفت ان البوليس فتش مسكنك قبل حضورك ؟
جـ : لقيت الورق محطوط وشفت القفل بتاع الضلفة اللى فى الشمال بتاعة الدولاب مكسورة .
س : ألم تسأل زوجتك أو صاحبة المسكن ؟
جـ : لا مكنش عندى فرصة اكلمهم
س : وما هى الأوراق التى رأيتها موضوعة على الترابيزة ؟
جـ : ما قدرتش اتأكد لانى شفتهم من بعيد ، وكنت فى اودة تانية ، غير الاودة اللى كان فيها الورق .
س : الم تستطع ان تتبين ان هذه الأوراق لك أم لا ؟
جـ : لا ما عرفتش
س : هل تستطيع ان تعرف ان كانت هذه الأوراق لك ام لا ، اذا عرضت عليك

الان ؟

جـ : ايوه

س : الم تسأل الضباط الذين وجدتهم بالمنزل عن سبب القبض عليك وتفتيش المنزل ؟

جـ : سألت المخبر فى السكة ومش متذكر اذا كنت سألت الأفندى فقال انه بوليس وما قليش أى سبب .

س : الم يسألك الضباط عما اذا كانت هذه الأوراق التى رأيتها موضوعة على الترابيزة لك من عدمه ؟

جـ : لأ ما سألنيش ، وانا سألت الافندى الضابط اذا كان عنده امر تفتيش من النيابة فقال لى لأ مش محتاجين لحاجات من دى

س : هل كنت تحتفظ بنقود لك فى ضلفة الدولاب التى كسرت ؟

جـ : نعم وانا كنت شايل فيها سبعين جنيه تقريبا وحاططهم فى ظرف

س : الا تذكر اوصاف هذا المبلغ ؟

جـ : أظن كان فيه ورقتين بعشرة جنيهات وسبع ورقان او ثمان ورقات بخمسة جنيهات والباقى جنيهات باستثناء ٣ أو ٤ اوراق من فئة الخمسة وعشرين قرشا وطبيعى مش ممكن اتذكر نوع الأوراق بالضبط وقد طلبت من حضرة الملازم الأول (وأشار الى صلاح افندى متولى) ان يترك هذه الفلوس والفلوس اللى فى محفظتى ويعطيهم لزوجتى فرفض .

س : وأين كنت تضع هذا المظروف الذى به النقود فى الدولاب ؟

جـ : على ارض الدولاب ـــ ثم عاد وقال : مش متذكر بالضبط .

فسألناه ان كان يضع هذا المظروف فى حقيبة فقال مش متذكر بالضبط ومتهيأ لى انه ما كانش فى الشنطة . .

س : هل كانت توجد حقيبه فى الدولاب

جـ : نعم

س : ما شكل هذه الحقيبة ؟

جـ : شكلها زى دى (وأشار المتهم الى الحقيبة المضبوطة والتى احضرها منذ برهة حضرة الصاغ احمد حلمى مع باقى الأحراز) ودى حقيبة عادية جدا زى ما انت شايف ومش ممكن اضمن انها هى بتاعتى .

س : هل كنت تضع فى الدولاب اوراقا ؟
جـ : نعم اوراق خاصة بشغلى كمدرس
س : وكتب ؟
جـ : نعم كتب خاصة بشغلى كمدرس وكتب عادية للاطلاع .
س : فى اى مادة تشتغل بالتدريس ؟
جـ : بادرس لغات وبادرس ادب وفلسفة وتاريخ
س : ولمن تقوم بالتدريس ؟
جـ : تلامذة وناس مش تلامذه
س : هل تستطع ان تذكر لنا أسماء التلاميذ الذين تدرس لهم ؟
جـ : ارفض الاجابة على هذا السؤال ، لأنه رأيى خارج عن موضوع التحقيق .
س : ولكن هذا يثبت ان لك عملا اذا تقدمت بالدليل عليه ..
جـ : ممكن اكون مدرس واشتغل فى الشيوعية ، وممكن ما كانوش مدرس وما يكونش لى اى عمل ولا اشتغل فى الشيوعية ، اذن ردى على هذا السؤال لا يمكن ان يثبت شىء
س : يقول البوليس انك تشتغل بالشيوعية فهل هذا صحيح ؟
جـ : لا غير صحيح
س : وهل لديك معلومات عن المبادىء الشيوعية ؟
جـ : ارفض الاجابة على هذا السؤال لأنه ليس له علاقة بالتحقيق .
س : ضبطت لديك بعض الكتب الشيوعية مما يدل على انك تهتم بهذه المواضيع
جـ : هل اهتمامى المزعوم بهذا الموضوع يعتبر جريمة ؟
س : هل انت تهتم بهذا الموضوع ؟
جـ : بما ان اهتمامى او عدم اهتمامى بهذا الموضوع لا يمكن ان يعتبر جريمة فى ذاته فأرى أن السؤال خارج عن موضوع التحقيق وارفض الرد .
س : الم يسبق لك أن اتهمت فى جريمة شيوعية ؟
جـ : لا
س : ما مقدار كسبك الشهرى من عملك كمدرس خصوصى ؟
جـ : حوالى ٢٥ جنيه ؟
س : الم يسبق لك العمل بأى مصلحة او شركة؟

جـ : اشتغلت فى عدة شركات وسيبت عملى بعد اعلان الاحكام العرفية لماشكيت ان البوليس عاوز يقبض علىّ ، واشتغلت من وقتها مدرس خصوصى .

س : وما مصدر النقود لديك ؟

جـ : من عملى ، ولما تركت عملى فى مصلحة تابعة للسفارة الامريكية فى مايو سنة ١٩٤٨ كان عندى فلوس متوفرة .

س : الديك اقوال اخرى ؟

جـ : عاوز اسجل احتجاجى على بعض نقط

أولا : التفتيش ما تمش بأمر النيابة ، وإذا كان فيه امر فما شفتوش

ثانيا : التفتيش تم فى غيابى

ثالثا : ما اتعملش محضر تفتيش وإذا اتعمل محضر ما شفتوش .

رابعا : ان البوليس حرم مراتى من الفلوس اللى كانت معايا

خامسا : ان البوليس قفل الدولاب فى غيابى

س : ما جنسيتك ؟

جـ : مصرى

تمت اقواله وامضى

امضاء

وكيل النيابة

امضاء

انتهى التحقيق

٣١ ـ جمال الدين محمود غالى

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٢٣ فبراير ١٩٧٦

س : اذ نلتقى فى عجاله اسمح لى بسؤال واحد حتى تتمكن من اجراء نقاش متصل ..

سؤالى هو ما هى معلومات عن قصة اغراء قيادات العمالية الثورية بالسفر للخارج للدراسة وقبولهم للاغراء .. ؟

جـ : لقد رفعت العمالية الثورية شعارات براقة ، وتحدثت بكلمات ثورية طنانة طوال فترة الاعتقال وبعد انتهاء المعتقلات عام ١٩٥٠ ، كان فؤاد سراج الدين وزيرا للداخلية ووضع خطة تستهدف تسفير أكبر عدد من الكوادر الشيوعية من المثقفين للخارج ..

وعرض عليهم منحا دراسية فى الخارج فان رفضوا توعدهم بالقبض عليهم ، وأنا شخصيا تعرضت لهذا الاغراء فقد استدعانى سراج الدين وعرض على منحة دراسية مدتها سبع سنوات لدراسة الطب الشرعى فلما رفضت توعدنى بالقبض على :

ومع الأسف فان كثيرا من قيادات العمالية الثورية قد قبل الأغراء وهربوا من ميدان الكفاح بعد أن رددوا أكثر الشعارات تطرفا وتركوا قيادة المنظمة دون سابق انذار ، وفجأة سافر معظمهم دون أن يخطر أحدهم الآخر .. وفى لحظة وجدت المنظمة نفسها بلا قيادة وتفككت والبعض كون منظمة النجم الأحمر أما أنا وكثيرين فقد انضممنا لحدتو ..

س : هل ثمة أسماء نذكرها لهؤلاء الذين سافروا ؟

جـ : كثيرين ولا أود أن أذكر الأسماء جميعا .. لكن القياديين الذى تحملوا المسئولية أكثر من غيرهم كان من بينهم عبد المعبود الجبيلى ــ عبد الواحد بصيلة ــ منير ملطى .

٣٢ ــ أحمد خضر

عن تنظيم النجم الأحمر

تلك هى مساهمة بسيطة أقدمها لزميلى المناضل المخلص د . رفعت السعيد عسى أن تساعده وتساهم معه ولو بقدر بسيط فى انجاز دراسته عن تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر .

واننى أرى من الأفضل أن أمر سريعا على أوضاع الحركة الشيوعية قبل وجود تنظيم النجم حتى تكون هناك صورة حية للوضع الذى وجد فيه النجم الأحمر خاصة واننى اعتبر نفسى جندى بسيط من الجنود المخلصة التى ضحت بشبابها ومستقبلها واحتياجات أسرها من أجل نشر الأفكار الاشتراكية العلمية والنضال من أجل تحقيق مجتمع الرفاهية والسعادة للشغيلة المجتمع الاشتراكى .

لقد انتهى الحزب الاشتراكى الأول بعد الضربات التى وجهت له على يد سعد زغلول وشيئا فشيئا أيضا بدأت تسود الأفكار الرأسمالية وأكثر من ذلك عندما بدأ يبدو شبح الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٩ - ١٩٣٠ بدأت تنتشر تدريجيا الأفكار الفاشية والنازية خلال الأزمة الاقتصادية العالمية التى سبقت الحرب العالمية الثانية .. وشيئا فشيئا بدأت المجلة التى يرأسها ثابت ثابت فى ذلك الوقت وهى مجلة تروج لسماد نترات الجير الألمانى ولكن فى حقيقتها مجلة تمهد وتروج للنازية والفاشية على أنهما المنقذ الوحيد للشعب الألمانى والشعب الايطالى لدرجة أن أغلبنا فى ذلك الوقت تعلق بهتلر تعلقا كبيرا على أساس أنه معاد للانجليز .

ومن جهة أخرى بدأت تظهر الأفكار الاشتراكية تدريجيا خلال الحرب العالمية الثانية نتيجة لاختلاط بعض الجنود الاشتراكيين ببعض المثقفين المصريين وأيضا نتيجة لاختلاط المثقفين الاشتراكيين الأجانب بالمثقفين المصريين . ونتيجة لهذا بدأت تتكون فى مصر حلقات ماركسية كان أهمها الحركة المصرية للتحرر الوطنى التي كنت أحد أعضائها ومؤسسيها .

(*) بناء على طلب من المؤلف أعد المناضل أحمد خضر أحد مؤسسى تنظيم النجم الأحمر عام ١٩٥٠ هذه المذكرة .

٢ – د . ش (الفجر الجديد)
٣ – الاسكرا التى احدث فيما بعد مع الحركة المصرية

ولقد تميزت الحركة المصرية للتحرر الوطنى بأنها ترتبط بعناصر شعبية حتى المثقفين فيها كانوا فى الغالب ينتمون للطبقات الفقيرة وخريجى الصنايع والعمال القابلين للتطور والنضال . كانت تنظيما مناضلا يستعمل النظرية كسلاح ومرشدا لتقوية النضال .

وكان للحركة المصرية خطة وخط سياسى لو أخذ به لكان وضعنا أفضل كثيرا جدا من وضعنا الآن .

ولكن الحرب الغير نزيهة التى وجهت ضد الحركة المصرية ، وضد هنرى كورييل (يونس) بالذات . و اننى للأسف قد اشتركت فى حملة التشهير والتشكيك هذه لبعض الوقت .. وقد أثبتت الأيام لى ولكل مناضل شريف أن هنرى كورييل كان من الأثرياء الذين ضحوا بما لهم ووقتهم وحياتهم طوال حياته وحتى اغتياله من أجل تحرير الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين والكادحين من استغلال الاستعمار والاقطاع والاحتكار .. ومن أجل الجمهورية الديمقراطية .. ومن أجل الاشتراكية العلمية .. من أجل الشيوعية .

أن الحركة المصرية كانت بحق التنظيم الثورى الذى يجمع بين النظرية الثورية والنضال بين الجماهير .

كما كانت الحركة المصرية بقيادة يونس التنظيم الذى سعى دائما من أجل وحدة الحركة الشيوعية حتى تمكنت من اتمام الوحدة بينها وبين الاسكرا فى منتصف عام ١٩٤٧ .

أما « الاسكرا » فكانت عبارة عن تنظيم يهتم بالتثقيف النظرى بعيدا عن مجالات النضال على عكس الحركة المصرية ، وخلق علاقات من خلال الرحلات الأمر الذى يبعد العامل والمثقف عن أرض المعركة بين الجماهير . وقد ساعد ذلك الأسلوب الخاطىء وتلك التربية فى « الاسكرا » على خلق تكتلات ومجموعات متنافرة بعد الوحدة مباشرة داخل « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » أما د .

ثر فكانت ـ خاصة فى السنين الأولى ـ تنظيم يهتم بالكفاح الاقتصادى وان كان هذا مهم ولكنه كان يقف ضد انزال المنشورات والمطبوعات الشيوعية بين الجماهير ويكتفى بمجلة نظرية عامة يحررها بعض المثقفين الاشتراكيين وكانت تهاجم الحركة المصرية والاسكرا بطريقة أفادت كثيرا البوليس السياسى بصرف النظر عن النوايا الطيبة والاخلاص للشعب .. كما كانت دائما وأبدا ضد الالتقاء أو الوحدة مع الحركة المصرية والاسكرا لدرجة انها لما أجبرت على الوحدة فى حزب واحد عام ١٩٥٨ سرعان ما اتفقت مع حزب الراية لضرب الحركة الديمقراطية والتخلص من قادتها .

المهم أن الحركة الشيوعية المصرية لم تأخذ أية فرصة من الوقت نتيجة للضربات المستمرة من جانب أعداء الشعب : الملكية والاستعمار والاقطاع ، لم تأخذ فرصة ليتضح للشعب من هم أصحاب الخط الثورى السليم ومن هم رفاق الطريق والانتهازيين والانقساميين .

ونتيجة لهذا الوضع الشاذ لم يمر الا وقت قصير وقصير جدا بعد وحدة الحركة المصرية والاسكرا الا وكان أغلب الشيوعيين المصريين من مختلف التنظيمات معتقلين عام ١٩٤٨ . وفى المعتقل استمرت الحملة المخربة ضد حدتو وضد المناضل هنرى كورييل وزملائه لدرجة أننى نادم الآن لاشتراكى فى تلك الحملات الضارة بقضية الطبقة العاملة وبقضية الاشتراكية العلمية والشيوعية بعد اغتيال ذلك المناضل الثورى .

ومع تزايد الارهاب البوليسى بدأت تحدث الانقسامات داخل الحركة الديمقراطية فى منتصف عام ١٩٤٩ فهذا « التكتل الثورى » وذلك « نحو حزب شيوعى » وثالث العمالية الثورية » .. الخ .

وهكذا استمر الوضع داخل المعتقل صراع فى صراع لتشويه بعضنا البعض لدرجة أن كل مجموعة كانت تسخر أغلب امكانياتها للصراع ضد المجموعات الأخرى ، وان كان للحقيقة أن العناصر الأساسية فى الحركة الديمقراطية وبالذات الذين ينتمون للحركة المصرية أقل من الآخرين بكثير هجوما لأنهم كانوا يهتمون بالمعارك الواسعة وسط الجماهير واصدار المجلات العلنية والسرية والدعوة للوحدة من جديد كامتداد لخط الحركة المصرية .

أن تبديد امكانياتنا وجهدنا فى الصراع ضد بعضنا هو السبب الرئيسى فيما وصلنا اليه الآن .

وفى أوائل عام ١٩٥٠ وبعد خروجنا من المعتقلات استمرت روح الانقسام واستمر النقاش خارج المعتقل داخل العمالية الثورية حتى انقسمت الى مجموعتين :

* النجم الأحمر .
* نحو حزب شيوعى مصرى .

النجم الأحمر

تأسس النجم الأحمر فى منتصف ١٩٥٠ من مجموعة صغيرة ولكنها كانت تخطو خطوات معقولة الى حد ما بالرغم من قصر المدة التى عاشها وهى حوالى ٥ سنين منذ تأسيسه حتى الوحدة التى أسست الحزب الشيوعى الموحد عام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ .

وكان تنظيم النجم الأحمر تنظيميا مناضلا بالرغم من صغره . فكان يهتم بالتجنيد من مجالات النضال واختيار العناصر القابلة للتضحية والتطور .. وكان دوره واضح الى حد ما ، وكانت مطبوعاته منقنه وواضحة .

كما أنه التنظيم الذى أعطى اهتماما لانتشار البطاله فى ذلك الوقت بشكل كبير .. لقد أعطى هذه القضية أكثر من غيره اهتماما كبيرا .. وهو التنظيم الوحيد الذى كتب ودعا لتنظيم معركة ، من أجل الحصول على قانون التأمين ضد البطالة ، وقد كتب الزميل نور أحد مؤسسى النجم الأحمر معى وآخرين ، كتب كتيبا صغيرا ولكنه كتيب جميل بعنوان الطريق الى مكافحة البطالة وقد خضنا بالفعل المعركة ونظمنا مجموعات من العمال العاطلين توجهت الى المطاعم على نطاق كل أقسام القاهرة وفى ساعة واحدة وبعد أن أكلوا امتنعوا عن دفع الحساب على أساس أنهم عاطلون ولا يجدون ثمن الطعام واقتادوهم الى أقسام البوليس فى تجمعات شعبية أزعجت الحكومة .. وقد كتبت كل الصحافة فى هذا الوقت عن ضرورة تأمين العمال ضد البطالة .

كما أنزل التنظيم المنشورات والنشرات التى توضح مشاكل العمال والفلاحين والجماهير الكادحة . وكذلك اشترك بدور لا بأس به فى حركة السلام المصرية

بقيادة المرحوم يوسف حلمى ذلك المناضل الممتاز ، وقد قام أعضاء النجم الأحمر بجمع كمية كبيرة من التوقيعات على نداء مجلس السلام العالمى ضد تجارب بجمع كمية كبيرة من التوقيعات على نداء مجلس السلام العالمى ضد التجارب النوويه .. وقد كان دوره فى حركة السلام المصرية دورا واعيا فكان يعمل داخل قضية كان يتناولها من زاوية الدفاع عن السلام العالمى وضد تجار الحروب وتجار السلاح .

* النجم الأحمر من الناحية السياسية كان له برنامج ولائحة ويهتم بالكتب النظرية لرفع وعى أعضائه .

النقاط الأساسية لبرنامج النجم الأحمر :

١ – الدفاع عن السلام العالمى .

٢ – القضاء على الاستعمار والملكية والاقطاع والاحتكار .

٣ – بناء جمهورية ديمقراطية شعبية كخطوة أولى فى طريق بناء الاشتراكية فالشيوعية .

٤ – وكان هناك فصلا عن موقف التنظيم من قضايا الطبقة العاملة وأهمها :

أ ــ استقلالية الحركة النقابية وضمان الحرية الكاملة لها .

ب ــ ٤٠ ساعة عمل فى الأسبوع .

جـ : مساواة المرأة بالرجل فى الأجور والحقوق .. الخ

د : دور حضانة ومطاعم ومغاسل لتسهيل عمل المرأة .

هـ : التأمين ضد البطالة .

٥ – ثم فصل عن قضايا الفلاحين وأهم نقاطه :

أ ــ مصادرة ما فوق الـ ٥٠ فدان وتوزيع الأرض على فقراء الفلاحين المعدمين .

ب ــ الاحتفاظ بجزء من الملكيات الكبيرة خاصة بعض التفاتيش الملكية لجعلها نموذجا للمزارع الجماعية والتعاونية .

جـ ــ تعويض الملاك الوطنيين الذين لم يعادوا الثورة وساندوها .

د ــ النهوض بالريف عمرانيا وصناعيا وعلميا وازالة الفوارق بين الطبقات والمدينة تدريجيا .

٦ – وفصل عن الحقوق العامة للمواطنين مثل :

أ ــ المجالس النيابية والتمثيل فيها من سن ١٨ سنة .. الخ

ب ــ التعليم (مجانية وامكانيات التعليم لكل المواطنين) .

جـ ــ الدين (حرية العقيدة وضمان حق العبادة) .

د ــ المساكن والمواصلات ... الخ ... .

٧ – اللائحة :

* الانتظام فى أحد خلايا الحزب (التنظيم)

* الدفاع عن برنامج وسياسة التنظيم .

* دفع اشتراك منتظم وجمع تبرعات بقدر الامكان .

* التنظيم أساسه المركزية الديمقراطية .

* ٣ شهور ترشيح بالنسبة للعامل .

* ٦ شهور ترشيح لغير العمال .

* الاحتفاظ بأسرار التنظيم شرط أساسى للعضو كذلك حافظ التنظيم على انزال الجريدة (النجم الأحمر) أسبوعيا .. وانزال محاضرات ونشرات سياسية ونظرية بين الحين والآخر .

ان النجم الأحمر قام بنشاط معقول فى حدود حجمه وامكانياته خلال العامين الأولين منذ تأسيسه فى منتصف عام ١٩٥٠ حتى معتقلات ١٩٥٢ بعد حريق القاهرة واستمر فى النضال ولكن بشكل ضعيف حتى تمت وحدة الحزب الموحد

القاهرة فى ٢٦ / ٩ / ١٩٧٩ أحمد خضر

* * *

٣٣ ــ مصطفى طيبة
محضر نقاش
اجريت المناقشة بالقاهرة فى ٨ - ١٠ - ١٩٧٨

س : هل يمكن ان نتعرف على نشأتك وان نسمع الى اجابتك على سؤال تقليدى هو : كيف اصبحت شيوعيا ؟

جـ : نشأت فى أسرة فقيرة ، واحدا من سبعة اخوة ، كانت امكانية التعلم بالنسبة لى تنحصر فقط فى امكانية حصولى على مجانية التفوق . ولدت بالاسكندرية وامضيت طفولتى فى بورسعيد وحصلت على الشهادة الابتدائية هناك وبسبب الفقر عجزت عن دخول المدرسةالثانوية فدخلت مدرسة الصنايع ثم مدرسة الفنون التطبيقية وقد اعتبرت فيما بعد كمعهد عالى .

لكننى لم اعمل بمهنتى لقد استوعبنى تماما النضال السرى ..

وقد بدأت كالعادة وفديا ، ثم اتجهت الى مصر الفتاة ، بل اننى انضممت الى الاخوان المسلمين لمدة ثلاثة او اربعة ايام فقط ..

كنت فى ذلك الحين بالقاهرة وتفتح ذهنى اول ما تفتح على يد كتابات سلامة موسى .. وبعد ان انهيت تعليمى وتوظفت واذ بلغت سن ٢٢ سنة انضممت الى الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح . م)

س : كيف انضممت الى ح . م ، ومتى تحديدا ؟

جـ : فى عام ١٩٤٦ تقريبا وفى هذه الاثناء كنت اتردد على الاندية الثقافية مثل نادى أم درمان ، جماعة نشر الثقافة الحديثة ، دار الأبحاث العلمية .. وقد ترددت على هذه الأندية بدافعين : اولهما الدافع الوطنى حيث جذبتنى اللهجة المعادية للاستعمار والمطالبة بتحرير مصر من الاحتلال البريطانى ، أما الدافع الآخر فهو رغبتى فى التعليم التى حرمت منها بسبب الفقر .. واحسست اننى يتعين على ان اعلم نفسى فأخذت فى التردد على الأندية الثقافية .. ولكننى ارتبطت اكثر بحلقة سلامه موسى وكنت اتردد عليها كثيرا .

وكنت موظف فى عمل ادارى بوزارة الحربية عندما انضممت الى خلية فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى جزيرة بدران . ولكن عملى الأساسى كان وسط عمال السكة الحديد .

س : نتحدث قليلا عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى .. هل كان بها عدد كبير من الأجانب ؟
وهل كانت علاقاتها العمالية كافية ؟ وماذا عن نشاطها الفلاحى ؟
جـ : أولا : كان عدد الأجانب قليل جدا ولا يكاد يذكر بالنسبة لمنظمة ايسكرا ، اما النشاط العمالى فقد كان مهما لكنه كان محدودا بسلاح الطيران ـــ المحلة الكبرى ـــ شبرا الخيمة ـــ السكة الحديد ولابد ان تعرف اننا كنا فى البداية اما النشاط الفلاحى فقد كان موجودا لكنه محدود ..

اما عن التقييم للحركة المصرية فقد اعلنت هى نفسها كمنظمة شيوعية لكنها فى واقع الأمر كانت حركة وطنية ، فقد افتقد الوطنيون المصريون المعادون للاستعمار بشكل راديكالى امكانية النضال ضد الاستعمار نضالا حقيقيا وسط الأحزاب السياسية الرسمية كالوفد او مصر الفتاة او الأخوان ..

وكانت ح . م صيحة قادرة على رسم طريق واضح ومحدد للنضال الوطنى وكانت تؤكد فى كل ادبياتها ان الاستعمار هو العدو الأساسى ، الاستعمار بكل اشكاله وكان هذا مهم جدا فى ذلك الحين حيث سادت وسط البرجوازيين الصغار فكرة التحالف مع الالمان ضد الانجليز .. ولكن ح . م كانت تدرس لنا الماركسية وكانت مهتمة بطبع الكتب الماركسية وتوزيعها .

س : كيف تطورت علاقاتك التنظيمية ؟
جـ : انضممت الى ح . م فى بداية ١٩٤٦ ، ثم تمت الوحدة مع ايسكرا عام ١٩٤٧ على ما اذكر وتكونت « حدتو » وهنا يبدأ نشاطى الحقيقى فقد تم تصعيدى الى عضو لجنة مدينة وبعد شهرين اصبحت مسئول مدينة القاهرة .

س : كيف تم تصعيدك هكذا بشكل مفاجىء ؟
جـ : لهذا سبب مهم ، ولعله يوضح ان التصعيد كان يتم وفق معايير ، فقد كنت انشط جماهيريا فى « رابطة خريجى الفنون التطبيقية » واصبحت سكرتير هذه الرابطة ، وقد اسهمت فى تنظيم اضراب لخريجى الفنون التطبيقية على نطاق القطر ، ونظمنا اعتصام بمقر الرابطة وكنا نطالب بتحسين أجورنا وبمنحنا لقب مساعد مهندس ثم مهندس وقد تحقق لنا ذلك ..

وبعد نجاح الاضراب ، طلب كورييل مقابلتى ، وكانت المرة الأولى التى اراه فيها ، وطلب منى ان اعد تقريرا عن الاضراب لعرضه على اللجنة المركزية ، وبعدها قررت اللجنة المركزية تصعيدى ..

وهكذا انضممت الى لجنة مدينة القاهرة وجلست فى اجتماعاتها مع عدد من المثقفين الذين كنت انظر اليهم بانبهار فى النوادى الثقافية المختلفة مثل شهدى عطيه ، عبد المعبود الجبيلى ، عبد الرحمن الناصر ، جمال غالى .

س : ألاحظ ان كل قادة القاهرة كانوا من المصريين ، فأين الأجانب ؟

جـ : ابتداء كانت ح . م فى اغلبها من المصريين (برجوازيين صغار ، قليل من العمال) وكان مثقفيها من ابناء الاحياء الشعبية ، وطلابها فيهم كثير من الازهريين اى ابناء افقر الفقراء ، اما ايسكرا فكانت بها نسبة عالية من الأجانب ومن المثقفين من خريجى المدارس الأجنبية اى ابناء الذوات ..

ولكننى اعتقد ان كلا من كورييل وشوارتز كانا بشكل أو بآخر وبنسبة متفاوتة ضد التمصير ، صحيح ان شوارتز كان يرفض موضوع التمصير اصلا على اساس اننا حركة شيوعية اممية لا تفرق بين البشر على اساس الوطن ، وان كورييل كان يدعو لتمصير المنظمة والجهاز القيادى لكنه كان فعليا يريد أن يظل المسئول الأول وان يظل متحكما فى المنظمة ولفترة كان كورييل يأتى بمصريين الى القيادة ليكون منها اغلبية ساحقة فى القيادة لكنه يظل بالنسبة للآخرين جميعا إلا له الذى لا يناقش .

كذلك فاننى اعتقد انه كان هناك اصرار من جانب الأثنين على ابقاء « الحزب » بعيدا عن « الشيوعية » وحصره فى اطار « التحرر الوطنى » برغم كل المقولات الأخرى والكتب والدراسات الخ .. وهذا تخريب واضح ربما لم يأت عفوا .. ولعل هذا هو سر تمرد شهدى عطيه عليه الذى طالب بالخروج من اطار التحرر الوطنى ألى الموقف الطبقى والاجتماعى وطالب بالتركيز على العمال .. ورفض تقريره فى اللجنة المركزية بل وسحق سحقا وخرج شهدى وكون التكتل الثورى .

س : ما هو تقييمك لوحدة « حدتو » ؟

جـ : الوحدة كانت شكلية تماما ، ولم تحقق اى اندماج عضوى لانها لم تتم على اساس ايديولوجى ، او مبدئى وكانت لها جوانب سلبية فالبرجوازيون الصغار ابناء الأحياء الشعبية من اعضاء ح . م وكذلك العمال تاهو فى بحر العضوية الكثيرة العدد من الأجانب والذوات القادمين مع ايسكرا وانبهروا باحياء جاردن سيتى والزمالك ، عموما كانت الوحدة شكلية تماما ، ولهذا سرعان ما انفرط عقدها .

س : كيف صعدت الى القيادة ؟

جـ : بعد حملة القبض الواسعة فى ١٩٤٨ ، قبض على غالبية القيادة وتم تصعيدى الى اللجنة المركزية واعددت مشروع خط سياسى جديد ووفق عليه بالاجماع ولم يكن يختلف عن الخط القديم . لكننى بعد فترة لاحظت ان هذا الخط لا يعبر عن خط ثورى للصراع الطبقى وانه مجرد خط وطنى .

وكان كورييل يراسلنى من المعتقل ويلح على ان احترف ، وان اترك الوظيفة الحكومية لكننى كنت ارفض ، كنت لا اريد ان اضع نفسى تحت رحمتهم وان اعيش بنقودهم .

وتلقيت معلومات تفيد اننى سيقبض على ، ارسلها لى كورييل من المعتقل ، وعرض على مرة اخرى ان احترف وان اختفى ، ووجدت نفسى بين اختيارين ان احترف او ان ابقى فى وظيفتى ورفضت الاحتراف ، فشنوا على حملة واسعة اننى ضعيف ومتخاذل وتم تنزيلى من اللجنة المركزية .

وفى هذه الأثناء كان شهدى قد عاد لحدتو بعد ان نقد نفسه ونظم عضوا فى لجنة قسم واتصلت به وعرضت عليه ان يتفرغ لكتابة تقرير يناقش ويحلل اوضاع « الصراع الطبقى فى مصر لكنه رفض .. وبدأ فى الاتصال بعدد من الزملاء منهم سعد زهران وداود عزيز وآخرون ، وفى نهاية عام ١٩٤٩ تقابلت مع د . فؤاد مرسى وكان عائدا من باريس وكان يستعد لدخول حدتو واعطيته كل وثائق حدتو وغيرها من المنظمات وابلغته اننى نفسى تركت حدتو .. وعكف فؤاد مرسى على اعداد التقرير الذى كنت احلم به فاعد وثيقتين هامتين الصراع الطبقى فى مصر وثورتنا المقبلة » والحقيقة اننى بهرت بفؤاد مرسى وكونا معا منظمة الراية ..

س : من هم المؤسسون الأوائل لمنظمة الراية ؟
جـ : د . فؤاد مرسى وانا وسعد زهران وداود عزيز وقد اصبحت انا مسئول التنظيم وكان فؤاد مرسى المسئول السياسى .. ولكن قبل اعلان الراية حاولنا خلق منظمة واحدة وكان فؤاد مرسى متصور وانا كنت اوافقه على ذلك ان كل من يقرأ هذين التقريرين سينضم الينا ولكن الآخرين رفضوا وبعد ستة اشهر من المحاولات قررنا ان نعلن تأسيس الحزب فى يناير ١٩٥٠ .

س : ما هى الأسس التنظيمية والسياسية لمنظمة الراية ؟
جـ : استطيع ان اتحدث فقط عن فترة البداية منذ التأسيس وحتى القبض على فى ١٨ - ٧ - ١٩٥١ لقد بدأنا بمجموعة صغيرة ، وقررنا ان نكون فى البداية تنظيما من الكوادر وان نكون هذه الكوادر ونثقفهم ثم نتوسع بعد ذلك ، واعددنا البرنامج ولأول مرة وضعنا ما يسمى ببرنامج الحد الأدنى وبرنامج الحد الأقصى كذلك لأول مرة تحدثنا عن التحرر الوطنى كمعركة ليست مستقلة بذاتها وانما كمقدمة لمتغيرات اجتماعية ومن هنا تأتى أهمية تقرير « ثورتنا المقبلة » الذى اعده د . فؤاد مرسى والذى تكلم فيه عن ثورة وطنية ديمقراطية تتلاحم وتتداخل مع ثورة اشتراكية ..

وفى الوقت الذى كنا ننتقد فيه بشدة تطرف حدتو فى العلنية وقعنا فى خطأ السرية المطلقة ورفعنا شعار خاطىء ـــ لم يكن من الممكن وضعه موضع التطبيق ـــ هو النقابات والاتحادات ولجان السلام السرية ويمكن القول اننا وقعنا فى اسار بعض الأخطاء اليسارية واننا حاولنا نقل تجربة الثورة الروسية بشكل مفتعل لكننا كنا نصحح اخطاءنا مع الممارسة ، فقد رفعنا شعار الجبهة الشعبية فى مواجهة شعار الجبهة الوطنية ، وفى التطبيق ادركنا خطأ هذا الشعار وغيرناه ..

ويمكننى القول انه فى المرحلة الأولى كانت منظمة « الراية » قادرة على تصحيح أخطائها ، اما بعد ذلك ، وعندما دخلت السجن فقد نشبت خلافات عديدة بينى وبين القيادة .

وكما قلت لك لقد ظللت المسئول التنظيمى للمنظمة فى فترة التكوين الصعبة ونجحنا فى بناء منظمة قوية وأجهزة طباعة ذات كفاءة عالية .. حتى قبض على

فى ١٨ - ٧ ١٩٥١ . وبعد ذلك تعرض التنظيم لتسلل عنصر امنى الى القيادة هو جمال غرسه وقد اوقع به خسائر فادحه .

س : سؤال اخير .. بالتحديد ممن تكونت اول لجنة مركزية لمنظمة الراية ؟

جـ : من اربعة : انا وفؤاد مرسى وسعد زهران وداود عزيز .

* * *

٣٤ ـ الدكتور جمال غرسة

رسالة

الأستاذ / الدكتور رفعت السعيد

فى صيف عام ١٩٤٩ (وكان عمرى ٢٠ سنة) اتصل بى شاب جنده أحد المعلمين [سعد زهران] ولنرمز لهذا الشاب بحرف (ك) فهو الآن كاتب مرموق ، قال لى (ك) أن استاذا مصريا ماركسيا حضر من فرنسا يحمل توجيها باستقطاب العناصر الثورية المخلصة لتشكل معا تنظيما واحد يكون سفينة النجاة للثوار لأن كل التنظيمات الأخرى هى تنظيمات بوليسية لا خير فيها ولابد من تدميرها . وكنت فى ذلك الوقت عضوا فى (ن . ح . ش) مع أسعد حليم واتصل (ك) ايضا بزميلى الذى يعمل فى الجهاز الفنى لـ (ن . ح . ش) وطلب منا سرقة مطبعة (ن . ح . ش) ليستخدمها الحزب الجديد ، ورتب نقل المطبعة لمخازن الحزب متنكرا فى زى بائع فول . وبعد ذلك قطع الحزب علاقته بزميلى الذى يعمل فى المطبعة وكان مثقفا هاربا من معتقل الهاكستب فاضطر ليعمل سباكا متجولا ويصلح بوابير الجاز ، بينما تركت دراستى فترة وعملت عاملا فى مطبعة ثم فى مصبغة بأمر الحزب .. الذي ما لبث أن قطع صلته بنا .. وبعد جهد استطعت الاتصال مرة أخرى بتنظيم (الراية) وقيل لى أن الحزب يرى أن من يسرق الجهاز الفنى لتنظيم ما قد يألف ذلك ويكرر فعلته ، ولذا قرر وضعنا تحت الاختبار ليرى معدننا .

وفى بداية ١٩٥١ صرت عضوا بلجنة منطقة القاهرة ، وساهمت فى توزيع منشور فى مظاهرة طلابية قامت احتجاجا على نبأ يقول بامكان إرسال قوة مصرية لحرب كوريا ، وقد اعتقلت بعد هذه المظاهرة وعثر فى غرفتى على بعض المنشورات فى يناير ١٩٥١ ، وقد أطلق سراحى بعد ثلاثة شهور بكفالة ودافع عنى المحاميان عادل أمين ولطفى الخولى وكنت أول من واجه المحقق بأهداف الحزب وصرحت علنا بعضويتى وبدعوة الحزب لاسقاط النظام الملكى . وقد كتبت عنى (أخبار اليوم) موضوعا ملفقا حاول الكاتب الربط بين حمامة عليها

(*) ورد جمال غرسه فى كتابى « منظمات اليسار المصرى » ١٩٥٠ - ١٩٥٧ حيث اتهمه بعض قادة منظمة (الراية) بالبوليسية ، وقد تفضل فوجه الى هذه الرسالة مدافعا بها عن نفسه ومواقفه .

حلقة معدنية من موسكو وبين قضيتى وبين أنصار السلام ، كما نشرت صورتى فى المصور ونشرت دفاعى صحيفة الملايين .. (يمكنك الرجوع اليها) .

وهكذا أصبحت عضوا مرموقا فى الحزب يمثل التحدى والصلابة وعندما قدمت للمحاكمة قرر الحزب أن أختفى لأصبح محترفا ثوريا ، فكنت أول ثورى محترف فى الحزب . وقد عملت فى الاسكندرية ثم نقلت للصعيد لاقامة قواعد الحزب هناك واصدار جريدة الفلاحين ، ولما حدث حريق القاهرة ١٩٥٢ وفد على عدد من مثقفى الحزب كفلت لهم الحماية فى الريف .

وفى فبراير ١٩٥٣ شن البوليس حملة واسعة على تنظيم الحزب بالقاهرة ، وبعدها استدعتنى القيادة لاعادة بناء التنظيم بالقاهرة بسبب نجاحى فى الاسكندرية والصعيد ، وعينت عضوا باللجنة المركزية وبالمكتب السياسي . وقد جلبت عناصر غير مكشوفة من الصعيد لقيادة العمل بالعاصمة وقمت بتأمين العناصر المكشوفة وتأسيس مطبعة لجريدة راية الشعب وكانت مطابع الحزب تدفن تحت الأرض ويكشفها البوليس بخلع البلاط فوضعت فكرة مختلفة لمطبعة الراية وهى أن تكون فى ا لدور الرابع فى طنطا وهى مدينة أعرفها جيدا ، وفعلا نفذ الفكرة مهندس بالمصانع الحربية وضع جدارا متحركا مثبت فيه حوض الغسيل وعندما كشف البوليس مكان الشقة وفتشها اضطر أن يحطم جدرانها قبل أن يصل للغرفة السرية .

غير أنه الحزب بين نهاية وبداية ١٩٥٤ تعرضت لحملة تشكيك من داخل الحزب نفسه وادعاءات بأننى أركز فى يدى سلطات كبيرة وأحاول فرض وصاية على القيادة . وكان اسمى الحركى (شريف) والبعض أخذوا يلقبوننى بالجنرال ، كما زعموا أن عندى ميول ارهابية . والواقع اننى كنت مسئولا عن الأجهزة السرية وعن جريدة (النصر) التى يحرزها بعض الضباط الأحرار المتذمرين من الحكومة كما أنى مسئولا عن جهاز أمن الحزب أو جهاز الرقابة ولديه عضوا فى كل خلية يبعث برسائله لى مباشرة وكنت قد كتبت نشرة عن كيفية كشف الجواسيس ومنع تسربهم للتنظيم ودربت الكادر على فرزهم .

وقد صار سكرتير الحزب (خالد) يتخوف من هذا الجهاز خاصة عندما طلبت اخضاع اتصالات أعضاء (ل . م) للرقابة ، وكان أحد أعضاء التنظيم وهو عامل نقابى اسمه الحركى (عنتر) قد التقى مرة بخالد الذى ساوره الشك فى عنتر ، وقد طالب خالد جهاز الرقابة باتخاذ اجراءات عنيفة ضد عنتر هذا لكننى رفضت على أساس من المبادىء .

.. وقد زادت حملة التشكيك ضدى بعد ذلك ، واستغلت رغبتى فى الحصول على موافقة الحزب للزواج من زميلتى الفلسطينية (أ) فطلبوا منى اختبار اخلاصها للحزب ثم اتهموها بعلاقات مريبة مع جهات استعمارية لأن أختها تعمل فى اغاثة اللاجئين ومع ذلك تمسكت بها لثقتى فى اخلاصها .

وفى نهاية يناير ١٩٥٤ طلبت منى القيادة حل جهاز الرقابة وتسليم كل الوثائق الخاصة به وكذلك مفتاح الشفرة التى تسجل بها المعلومات التنظيمية السرية .. وقد سلمتهم كل ذلك . وقد قيل أن السبب فى ذلك القرار كان عدم اذعانى لقرار الحزب بقطع صلتى بالزميلة الفلسطينية وانشغالى بقضايا القلب عن المسائل التنظيمية . ولكن هذا لم يكن السبب الحقيقى ، فالسبب كان يكمن فى الخلاف السياسى الذى نشب داخل التنظيم وكان صدى للخلاف الكبير بين أنصار محمد نجيب وأنصار جمال عبد الناصر فى مجلس الثورة . وكان رأى السكرتير (خالد) مساندة نجيب ضد عبد الناصر لأن نجيبا وعد بجمهورية ديمقراطية ، وكان رأيى — الذى تأثر به أعضاء جهاز الرقابة — أن الوقوف مع الأخوان ومع نجيب خطأ ، ولهذا اتهمت بتأييد عبد الناصر وبأن عندى ميولا طائفية معادية للأخوان .

لقد وقعت حملة ٢٧ فبراير ١٩٥٤ بعد تصفية جهاز الأمن فى الحزب ، وفى ظروف انقسام الرأى فى الحزب ، فى الوقت الذى تعمل فيه أجهزة الأمن الحكومية عبر سلطة أعلى وربما أجنبية لا تتأثر بالصراعات بين أشخاص الحاكمين وهدفها شل أى تنظيم ثورى عن الاستفادة من الثغرات والأزمات فى صفوف الحاكمين والمحافظة على النظام ريثما تنجلى الأزمة .

وبعد حملة ٢٧ فبراير ١٩٥٤ قطعت القيادة الحزبية — وكانت فى الاسكندرية — صلتها بالتنظيم أو بما تبقى منه ، وبعد مضى ثلاثة شهور أو أربعة

وزعت بيانا اتهمت فيه « الخائن شريف وعصابته » . بتخريب التنظيم وكشفه للبوليس ، وأكدت من جديد اصرارها على التحالف مع الأخوان وقد تم هذا التحالف كما هو معروف .

وخلال ذلك كان قد قبض على كل زملائى وأصدقائى ومن جندتهم بنفسى وأيضا على خطيبتى (أ) ، وعندما عرف بعض الزملاء بالاتهام الموجه ضدى انهاروا وحاول أحدهم الانتحار داخل السجن ، فقد كنت لهم بالنسبة له مثلا أعلى ، أما (أ) فقد مرضت ونقلت للمستشفى ، وفى لحظة يأس قررت زيارتها وليكن ما يكون ، فالسجن أحب الى من الحصار بين اتهامات الزملاء ومطاردة البوليس ، ولكن الذى حدث اننى ذهبت للمستشفى وزرت (أ) ولم يقبض على مما سبب لها صدمة عصبية ، وثبت الاتهامات ضدى . وفى نفس الوقت انطلق كل العملاء والذين طردتهم الرقابة من الحزب فى حملة مكثفة تتهمنى بالخيانة ، وصرت أتعمد الظهور فى أماكن الخطر ولكن لم يقبض على ، ولما كان هذا فوق طاقة أى انسان فقد مرضت مرضا خطيرا وأصبت بالتهاب بللورى ، وقد نقلنى صديق كان طبيبا فى القصر العينى (ويعمل الآن فى لندن) الى المستشفى للعلاج تحت اسم مستعار ولكننى اضطررت للهرب قبل اكمال العلاج لأن أحد الأساتذة أراد أن يتخذنى موضوعا لأمتحان الطلاب ومنهم طلبة الطب من دفعتى ، وقد آوتنى بعد ذلك أسرة كريمة وضعتنى موضع ولدها المغترب وعميدها كان من شيوخ الأزهر الأجلاء وبقيت معهم حوالى سنتين على مسافة أمتار من قسم البوليس ، وبعدما تحسنت صحتى أعدت الصلة مع فلول الحزب بالقاهرة وكان معهم عدد من الطلاب السودانيين والصوماليين ، غير أن صحتى كانت ضعيفة ولم أكن أقوى على حياة المطاردة خاصة بعد أن عادت الملاحقة من جديد ، وكان الحزب السودانى قد طرح دعوة الطلاب السودانيين فى ١٩٥٦ للانسحاب من المنظمات المصرية حتى لا ينقلوا للسودان جرثومة الانقسام وقد أيدت هذه الفكرة ، وتم تكوين مكتب السودان بالقاهرة التابع للحزب السودانى فى الخرطوم ، وبعد ذلك رتب الطلاب اليساريون السودانيون نقلى عبر الحدود السودانية حيث خشوا من تدهور حالتى الصحية . واشترك أربعون طالبا فى عملية نقلى لحلفا فى عام استقلال السودان . وقد شفيت بعد سنة من الاعتكاف والعلاج فى الطقس الجاف .

وفى عام ١٩٦٥ كان بعض قادة حزب الراية قد شغلوا مناصب وزارية ، تقدمت بطلب للرئيس عبد الناصر لاسقاط الأحكام الغيابية الصادرة ضدى والأذن لى بزيارة القاهرة ، وتوسط نفر من كرام السودانيين منهم مندوب السودان فى مكتب الجامعة العربية وأشاروا الى وقفتى ضد النظام الملكى سنة ١٩٥٠ وقد صدر قرار جمهورى يأذن لى بزيارة مصر على أن أتحاشى الاتصال بمن لهم نشاط سياسى وقد زرت القاهرة عام ١٩٦٥ والتزمت بدقة الشروط السالفة الذكر .

د . جمال غرسه

* * *

٣٥ ــ محمد الجندى

ذكريات عن السجن والهروب الى الخارج ثم الهروب الى الوطن

فى ٩ فبراير ١٩٤٩ قبض على فى شبرا الخيمة وأودعت سجن مصر وبعد شهر من اعتقالى صدر قرار بتطبيق نظام الحبس المطلق فى القضايا الشيوعية. وفى صيف نفس العام حوكمنا أمام محكمة برئاسة حسين الطنطاوى الذى أصدر حكما على وعلى فؤاد عبد الحليم وحمدى عبد الجواد وعبد القادر العايدى بالسجن خمس سنوات لكل منا وكان الحكم قاسيا. وفى نفس الفترة صدر حكم أقتشى على الشهيد شهدى عطية الشافعى بالأشغال الشاقة سبع سنوات .. ووضع الحديد فى قدميه لأول مرة فى قضية شيوعية وأمضى مدة العقوبة فى ليمان طرة.

كنا فى سجن الحضرة بالاسكندرية وكان الحبس انفراديا. وكان الشيوعيون موزعين على دورين فى السجن بين كل اثنين زنزانة خالية. وكنا نخرج لدورة المياة وللطابور اليومى بشكل انفرادى وذلك يمنع الاتصال تماما. ومع ذلك ففى كل مساء وبعد « التمام » كنا نضع جردل البول فوق جردل المياه وهو الأثاث الوحيد الذى تحتويه الزنزانة الى جانب البورش والبطانية وكنا نعقد الاجتماعات التى تدوم طويلة اذ كان علينا أن نوصل أحاديثنا بالواسطة الى رفاقنا فى الزنازين البعيدة وبالذات التى تقع فى الدور الثانى وبهذه الطريقة ظللنا ستة شهور نناقش اقتراحا بالاضراب عن الطعام لوقف الحبس الانفرادى. وكنت من مؤيدى الاضراب .. وبعد ستة أشهر حصل الاقتراح على أغلبية الأصوات وقمنا باضراب نجح بعد ثلاثة أيام وتقرر جمعنا والغاء الحبس الانفرادى.

وكان السجن فى هذه الفترة شديد القسوة فلا يوجد كانتين. وكان طعام السجن الذى كنا نقتصر عليه خصوصا فى فترة الحبس الانفرادى يقتصر على افطار مكون من نصف رغيف (شقة) وقليل من الملح. والغذاء يوم فول ملىء بالسوس ويوم عدس. أما العشاء فكان عبارة عن ماء ساخن به بعض الأوراق الخضراء يسمى خضارا وكنا نستلم مرة فى الأسبوع قطعة من الشغت تسمى لحما.

أعدت هذه الورقة بناء على طلب المؤلف.

وكنا الأربعة المحكوم علينا أول من صدق علينا فى سجن الحضرة .وكانت أول تجربة يلبس فيها الشيوعيين الملابس الزرقاء لتنفيذ الحكم . ودعينا مع باقى المساجين وسحبت ملابسنا وألقيت الينا بملابس السجن الزرقاء الممزقة وسحبت منا الأحذية والملابس الداخلية وسكنا كل منا زنزانة كبيرة فى الدور الثامن مع السوابق ! كانت معاملة المساجين لنا طيبة يحترموننا ولكن السجانين لم يكونوا يفرقون فى المعاملة .

وفى أحد الأيام نزلنا الى الحمام وجلسنا القرفصاء كالعادة مع باقى المساجين . وكعادة السجانين يقرنون أوامرهم بضرب أول مسجون قريب منهم . وهذا هو ما حدث مع حمدى عبد الجواد وفؤاد عبد الحليم الذين اشتبكا مع السجان أحيلا الى الضابط وعندما شكا له من أن السجان ضربهما قال « وايه يعنى هو كفر » وأمر بضربهما مرة أخرى .

استطعنا تسريب الخبر الى احدى الصحف الوفدية فى ذلك الوقت وكان ذلك فى عهد حكومة حسن سرى . نشرت الجريدة الخبر وأثار ذلك ضجة حتى أن الضابط حضر الينا وهو خائف وأخذ فى الاعتذار . وبدأ ينفذ كل طلباتنا . فجمعنا فى زنزانة واحدة وصرف لنا ملابس داخلية وأحذية وبدأت المعاملة تختلف .

ونقلت بعد فترة الى سجن مصر . وكان ذلك فى عهد حكومة الوفد عام ١٩٥٠ وكان هناك عدد كبير من المسجونين الشيوعيين وقررنا القيام باضراب عن الطعام لتحسين ظروف معيشتنا وقد أضربنا عن الطعام لمدة ٢٢ يوما . ولكن الحكومة الوفدية لم تفعل شيئا لتحسين أوضاعنا . كنت فى ذلك الوقت ضعيف البنية وبعد الاضراب وصل وزنى الى ٤٤ كيلو وبرزت غظامى فنقلنى الطبيب الى مستشفى السجن ثم نقلت بعد ذلك مع الدكتور شريف حتاته الى مستشفى القصر العينى . وقد نجحت فى ذلك وساطة عائلتى مع الحكومة الوفدية .

مكثنا فى المستشفى حوالى شهر نعالج من آثار الاضراب . وكنت أسكن فى عنبر طويل مع مسجونين من الأخوان المسلمين . أما الدكتور شريف حتاته فقد عومل معاملة خاصة باعتباره طبيبا فسكن فى حجرة مستقلة فى نهاية العنبر وكان

يحرسني صول واثنين من الجنود . وكان يحرس د . شريف ضابط واثنين من الجنود . أقمنا علاقة جيدة مع حراسنا . ودبرنا مع أحد الأطباء ومع رفاقنا فى الخارج خطة الهرب فى شهر رمضان .

كان مسموحا لأهالينا باحضار أى كميات من الطعام وأحضر شريف راديو وضعه فى حجرته . واعتاد الحرس أن أمضى أغلب وقتى فى غرفة شريف خصوصا فى شهر رمضان حين كنا نتناول معا طعام الأفطار .

كان الصول الذى يحرسنى مسئولا أيضا عن باقى العنبر . أما الضابط الذى يحرس شريف فكان مفطرا وكان يخجل أن يجلس معنا وقت الأفطار . فكان يبقى فى الحجرة المجاورة . أما الجنود الأربعة فكانوا يتجمعون فى الفراندة التابعة لغرفة شريف لتناول طعام الافطار . لعدة أيام عودناهم عندما يضرب مدفع الأفطار أن يفتح شريف الباب ويذهب الى الضابط فى الحجرة المجاورة ويقدم له كوبا من قمر الدين ثم يعود الى الحجرة ويغلق الباب خلفه .

فى اليوم المتفق عليه للهروب خرج شريف وسلم الضابط قمر الدين وخرجت وراءه وأغلقت الباب وخرج شريف ورائى . صعدت الى الدور الأعلى كما كان مخططا للتضليل وذهبت فى الممر الطويل حتى بيت الأطباء حيث نزلت من سلالم البيت وكانت تنتظرنا سيارة أحد الأطباء وخرجنا من القصر العينى ولم يستغرق ذلك غير دقائق قليلة . انفصلنا بعد الخروج وأخذت تاكسيا الى مصر الجديدة الى المنزل المحدد لى . لم أجد صاحبه فى المنزل . وكان محددا عنوانا آخر احتياطيا فى شبرا هو منزل صلاح حافظ . وكان وقتها طالبا فى كلية الطب ولم أكن أعرف صلاح وكانت هذه أول معرفة لى به . مكثت عنده حوالى أسبوع وأخذت انتقل من منزل الى آخر لمدة سبعة شهور .

وكانت أقصى مدة مكثتها فى أحد المنازل شهر كامل . ولم أكن أخرج اطلاقا . وأذكر أننى اختفيت فترة فى حجرة كان يستأجرها د . يوسف ادريس فى الجيزة لم يكن بها غير سرير واحد كنا ننام عليه معا وفى أحد الأيام أحسست بألم شديد فى أذنى وكان يوسف ادريس يدرس فى السنة النهائية لكلية الطب فوصف لأستاذه الاخصائى فى الأنف والأذن والحنجرة الحالة فوصف لى الدواء

ـ وقد ذكر يوسف ادريس فى احدى أحاديثه بعد
ى عنده بعض الشيوعيين الهاربين . واختفيت مرتين فى منازل
ـض الضباط الأحرار .

وكانت فترة الاختفاء طويلة فكنت أمضى وقتى اما فى الترجمة أو فى سماع الاذاعات الأجنبية وأبعث بأخبار الى مجلة « الملايين » التى كانت تصدر فى ذلك الوقت .

ورتب رفاقنا أيضا عملية هربى الى خارج مصر لأن بقائى فى الوطن مع تضييق الحصار والبحث أصبح صعبا للغاية .

وكانت الخطة أن أسافر عن طريق بورسعيد وقد صحبنى أحد الضباط الأحرار فى سيارته الى بورسعيد وتم الاتفاق عن طريق بعض البمبوطية مع بعض البحارة فى مركب فرنسى . وكان الشاعر الرقيق كمال عبد الحليم يشرف على عملية هربى بتكليف من تنظيمنا . الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى . وقد ضعدنا خمسة أشخاص سلم الباخرة وأعطينا الضابط الواقف على السلم زجاجة من العطر ونزل أربعة وبقيت أنا فى الباخرة حيث أخفانى اثنين من البحارة فى مخزن الباخرة تحت عنبر البحارة . وكان أمرا مألوفا أن يصعد البامبوطية مع بعض الزوار الى الباخرة وقت توقفها .

وكان خط سير الباخرة كما يلي : بورسعيد — بيروت — حيفا — الاسكندرية ثم تتحرك من الاسكندرية بعد ذلك .. وكان على فى هذه الفترة أن أطبق اجراءات أمن مشددة فلا أخرج على الاطلاق من مخبىء . وكان أحد البحارة الفرنسيين يحضر لى الطعام فى مخبىء الذى ظللت به لا أخرج منه لمدة خمسة أيام. وكان يردد (مع الصبر نصل إلى أهدافنا) .

وقفت الباخرة لمدة ٢٤ ساعة فى ميناء الاسكندرية كنت فى أثنائها فى شدة القلق من أن ينكشف أمرى . وعندما بدأت المركب فى الاهتزاز ايذانا بالتحرك بدأت أشعر بالراحة التى اكتملت عندما تحركت المركب بالفعل . متجهة طوال سبعة أيام الى مرسيليا وكان الوضع فيها أفضل اذ كان البحار يسمح لى بالنزهة على ظهر المركب لمدة ساعة كل يوم . فبدأت أظهر أمام باقى الركاب وكانت

ذقنى قد طالت ولم أحضر معى أدوات للحلاقة اذ أنه لم تكن معى أى حقائب وكنت ألبس ملابسى كلها فوق بعضها وذهبت الى الحلاق فوق المركب لحلاقة ذقنى وكان فى ذلك الوقت مخاطرة كبيرة ، لكن مخاطرة الظهور بلحية غير عادية كانت اكبر .

وفى أحد الأيام تقرر اجراء تجربة انذار وكان على جميع الركاب أن يحضروا أطواق النجاة ويلبسونها وكنت وحدى لا أملك طوق النجاة فلست مسجلا فى قائمة الركاب وكلما رآنى القبطان صرخ قائلا « احضر طوق النجاة » وأخذت فى البحث عن بحارى الذى وجدنى أخيرا وقادنى الى مخبىء .

وصلت المركب أخيرا الى مرسيليا . حضر الى البحار وطلب منى أن أبقى حتى ينزل جميع الركاب وبعد خروجهم بحوالى ساعتين اتفق معى على ان أخرج معه واذا سألنى أحد أقول له أننى ابن عمه .

والعادة أن جوازات السفر على السفن الفرنسية تجمع من الركاب قبل الخروج وتختم وتسلم لهم ويخرجون بعد ذلك وليس من اللازم بعد ذلك أن يبرزوها .

لم يكن معى أى أوراق للسفر . خرجت مع البحار ولم يتعرض لنا أحد وركبنا سيارة للتاكسى وأوقفنا رجال الجمارك وجرت مع البحار مناقشة لأنه كان يهرب بعض خراطيش السجاير وقد حسم المناقشة برشوة المفتش بعلبة سجاير .

أوصله التاكسى الى منزله ثم أخذنى الى محطة القطار . اشتريت تذكرة الى باريس وجلست فى احدى الصالونات مع رجل كان معى على الباخرة . وكانت هناك أيضا امرأة مسافرة . الرجل فى حوالى الأربعين من عمره غير متزوج وقال فى حديثه مع المرأة لماذا أتزوج . ليست عندى مشكلة فى الحصول على النساء ثم بدأ يتحدث معى ويسألنى عن وجهتى . قلت له أننى ذاهب للدراسة . وكان بادى الاستغراب لأنه لم تكن معى أى حقائب . وسألنى هل رأيت المترو ؟ قلت له نعم عندنا فى مصر مترو . فضحك لأنه أتى من القاهرة . وقال المترو شىء آخر ستراه فى باريس .

وصلت الى محطة ليون فى باريس وكان قريبا من المحطة عنوان أحد الأصدقاء ذهبت اليهم على الفور وأمضيت الليلة عندهم . وفى اليوم التالى التقيت مع أحد

الأصدقاء الذين كانوا فى مصر حتى عام ١٩٤٨ وتركوها بعد أن رحلوا من المعتقل . وكان الوقت شتاء فى شهر يناير ولم يكن لدى معطف بل كنت ألبس العديد من الملابس فلم أشعر بالبرد . قال لى اذا مشيت هكذا فى باريس سيسألون عن أوراقك ويقبض عليك وكنت الوحيد فى الشارع الذى لا يلبس معطفا . ذهب معى الى أحد المحلات واشترينا معطفا .

ظللت فى باريس تسعة شهور كنت أمضيها فى الترجمة ودراسة اللغة الفرنسية فى الأليانس فرانسيز والتقيت هناك بشريف حتاته الذى كان قد سبقنى فى السفر بعد أربعة أشهر من الاختفاء فى بورسعيد .

أصبحت أشعر بالملل وبقسوة الهجرة والاغتراب وذلك بعد تجربة الحياة فى مصر المليئة بالعمل السياسى والنشاط رغم الصعوبات ورغم السجن .

وفى مساء أحد الأيام قبض على عند خروجى من المترو . وفى ذلك المساء كان مواطنوا شمال أفريقيا من جزائريين ومغربيين وتونسيين قد قرروا اقامة احتفال للتضامن مع نضال الشعب المصرى ضد الاحتلال الانجليزى وكان ذلك عندما احتدمت المعركة ضد قوات الاحتلال فى قناة السويس وقد منع البوليس الفرنسى الاجتماع . وحاصر عددا من مخارج محطات المترو القريبة من مكان الاجتماع . وكان البوليس يسأل الأجانب عن تحقيقات الشخصية . استوقفونى وسألونى ولم يكن معى أى أوراق لتحقيق الشخصية . ساقونى الى القسم وهناك بدأ تحقيق البوليس معي . وكانت التوجيهات التى تلقيتها أنا وشريف حتاته من الرابطة الديمقراطية للمحامين والتى كانت تسمى « الانقاذ الشعبي » ألا نتحدث أمام البوليس ولا أمام النيابة حتى لا ينهى التحقيق ونطرد من فرنسا ويكون هناك خطر تسليمنا الى السلطات المصرية . ولهذا ظللت لمدة أربعة أيام أمام البوليس والنيابة أرد برد وحيد هو « لن أتكلم الا أمام قاضى التحقيق » وقد استفز ذلك محقق البوليس ولكمنى فى بطنى وطردنى وكيل النيابة من حجرته وقد شعر بالاهانة صائحا « أنا القاضى » ولكننى ظللت عند موقفى .

وأمام قاضى التحقيق حضر معى المحامى وحكيت له القصة كلها ورويت له حادثة ضربى فلم يهتم وقال ساخرا « لو كنت ابن سفير لما ضربك وأمر بحبسى وبعد ثلاثة أشهر من السجن حكمت على المحكمة بالحبس ١٥ يوما . والحقيقة

أنه لم يكن من المتوقع أن أحصل على عقوبة أكثر من ذلك لأن جريمتى كانت دخول البلاد بدون أوراق ولكن المحامى كان يطلب التأجيل دائما لأنه كان يخشى اذا أفرج عنى أن يرحلنى البوليس وكانت الأوضاع فى السجن قاسية بالنسبة لى . وكنت أشعر بقسوة السجن فى باريس أكثر منه فى مصر رغم أن الغذاء كان أفضل وكنا ننام على مراتب . وكان يسمح لنا بالكتب .

ألا أننى سجنت مع المسجونين العاديين (اللصوص — تجار الحشيش — الخ) وقد سجنت مع نفس هؤلاء فى مصر ولكنهم فى مصر كانوا يتسمون بالطيبة وكانوا يحاولون باستمرار مساعدتنا .

كانت الزنزانة تضم كحد أقصى ثلاثة مساجين فى البداية سجن معى رجل عذب ابنه بأن حبسه فى حجرة ومنع عنه الطعام — وآخر لص . ثم أفرج عنهما وجاء تاجر حشيش من مرسليا وأحد النصابين وكانت الزنزانة مغلقة بشكل دائم لا تفتح الا ساعة للنزهة وكان لساكنى كل زنزانة زنزانتهم فى الفناء يتجولون فيها .

وقد قبض على فى ديسمبر ولم تبدأ التدفئة الا فى أول يناير ولهذا كنا نعانى من البرد الشديد. استطعت الحصول على كتاب فى تعليم اللغة الروسية وأمضيت الشهور الثلاثة فى دراسة اللغة الروسية .

ثم أبلغت المحكمة بأننى حصلت على حق اللجوء السياسى فى جمهورية المجر الشعبية . وأفرج عنى وذهبت الى بودابست وعملت لمدة سبعة شهور فى اتحاد الشباب الديمقراطى العالمي ممثلا للشباب المصرى والسودانى . وقد وصلت بودابست فى مارس ١٩٥٢ وفى ٢٣ يوليو سمعت أخبار الثورة وطرد الملك وطلبت من مجلة الشباب المجرى مقالا حول تلك الأحداث فكان تقييمى ايجابيا لها . ثم وصلتنى الأخبار من مصر أن تنظيمنا « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » تؤيد الثورة . وكنت أوزع مطبوعاتنا على ممثلى الأحزاب المختلفة وقد سبب لى ذلك العديد من المشاكل . اذ أن جميع الأحزاب تقريبا كانت تعارض موقفنا . وأصبحت أشعر بجو غير ودى فى الاتحاد .

وعرضوا على منحة دراسية قبلتها على الفور واخترت دراسة اللغة الروسية والماركسية اللينينية . فدخلت المعهد العالى للغات الأجنبية . وكانت الدراسة صعبة لأنها كانت باللغة المجرية التى لم أكن أعرفها . ولكننى استطعت بجهد

مكثف أن أتغلب على تلك الصعوبة وحصلت على الدبلوم بعد ثلاث سنوات .

ثم طلبت من الشباب المجرى مساعدتى فى العودة الى مصر . فقدموا الى أوراقا للسفر حتى برلين الشرقية وهناك انتظرنى الصديق يوسف حلمى الذى كان قد سافر الى باريس بسبب ملاحقة السلطات له فى مصر . وتسلمت منه جوازا مزيفا أعده رفاقنا المصريين فى باريس ثم سافرنا من ألمانيا الى جنيف وأمضينا الليلة عند خالد محى الدين الذى كان مبعدا فى ذلك الوقت الى سويسرا بعد خلافه مع مجلس قيادة الثورة .

وفى اليوم التالى ركبنا معه السيارة حيث عبرنا الحدود الى احدى القرى الفرنسية وسألنا حرس الحدود كل شىء على ما يرام ؟ قلنا « نعم » ولم يحاولوا حتى الاطلاع على جوازات سفرنا . ركبنا القطار الى باريس وعشت بعض الوقت مع يوسف حلمى ثم انتقلت للسكن مع أحد الأصدقاء وهو يوسف حزان وبقيت فى باريس لحوالى عام . وفى هذه الفترة كانت قد تم الوحدة فى مصر بين حدتو وعدد من التنظميات الشيوعية الصغيرة وتكون الحزب الشيوعى المصرى الموحد وأُخترت عضوا فى اللجنة المركزية وأصبحت أثناء وجودى فى باريس مسئولا عن المجموعة الحزبية هناك .

رتبت سفرى الى القاهرة عن طريق السودان . سافرت مع يوسف حزان الى روما بالقطار وهناك انتظرت لمدة أسبوع لأخذ طائرة تسافر الى الخرطوم دون المرور على القاهرة . وفى النهاية نصحونى بالذهاب الى المطار وقد أجد هناك مكانا . وذهبت بالفعل وركبت الطائرة الى الخرطوم ونزلت فى فندق جراند أوتيل .

فى اليوم التالى ذهبت الى جريدة « الميدان » ورتبت لقاء مع الشهيد عبد الخالق محجوب الذى رحب لى وقال أنه لا يجب الذهاب الى الميدان أو أى أماكن علنية . ورتبوا لى اقامة فى فندق رخيص ظللت فى الخرطوم لمدة شهر كان الرفاق السودانيين يعدون لى فيها أوراقا سودانية أدخل بها الى القاهرة .

وقد سافرت كسودانى بالقطار ثم المركب وكنا فى شهر أغسطس وكانت الحرارة شديدة للغاية . ثم أخذت القطار الى القاهرة . وصلت الى القاهرة وكانت

كل المواصلات متوقفة بسبب اضراب عام للتضامن مع الجزائر في أغسطس سنة ١٩٥٦ . كنت قد اتفقت مع أحد الرفاق (فاروق ثابت) على انتظارى وكنت قد بعثت له برقية بذلك ولكنى لم أجده . عرفت بعد ذلك أنه كان فى الاسكندرية وقت وصول البرقية .

ذهبت الى بوفية المحطة وأدرت رقم تليفون منزلنا فلم يرد . كان قد تغير كنت أتراسل مع أختى وعرفت أنها تزوجت من محام هو عصمت سيف الدولة وبحثت عن رقمه فى دفتر التليفون واتصلت به وقلت له أنا يحيى السملوطى وكان هو الأسم الذى أراسل به أختى وقت وجودى فى الخارج . قال سأحضر على الفور . حضر وأخذنى الى المنزل وكانت مفاجأة شديدة لأختى .

عشت عندها بضعة أيام واتفقنا على ألا يعرف أحد من أقاربى بوجودى باستثناء اخوتى . ثم غادرت منزلها لاواصل نشاطى فى صفوف الحزب وعشت فى السرية وظللت أعمل سرا الى أن قبض على فى مايو ١٩٥٩ .

* * *

٣٦ ــ عبدالرحمن الخميسي

محضر نقاش

اجريت المناقشة فى بغداد بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٧٢

س : كيف اقترب كاتب كبير ومشهور كعبد الرحمن الخميسى من الماركسية ؟ ..

جـ : فى عام ١٩٥١ كانت مصر كلها ملتهبة الحماس ضد الاستعمار البريطانى ، وكان الغاء المعاهدة بداية المعركة وليس نهايتها ، ولعلك تتذكر كل ما كان .. النضال الجماهيرى العام ، كتائب الفدائيين ، كانت مصر كلها تتحرك ثوريا ضد الاستعمار .. فى هذه الاثناء بدأت فى قراءة الفكر الماركسى وكنت آنذاك احد كبار محررى جريدة المصرى ، انبهرت بعمق هذا الفكر وحيويته وقدرته على الاقناع وفعاليته فى حل مشكلات الوطن والشعب .

س : تحديدا كيف كان ذلك ؟

جـ : اذا اردت القصة من بدايتها فهى طويلة للغاية ، رحلة شاب مصرى ، يؤمن بمصر ، وبحقها فى الحياة الحرة وبحق شعبها فى حياة انسانية ، فى بداية حياتى السياسية دخلت الحزب الوطنى (حافظ رمضان) وفيما بعد ومع سطوع نجمى كصحفى وككاتب اصبحت عضوا باللجنة الادارية العليا ويمكن القول اننى فى ذلك الحين كنت وطنيا متطرفا ، فى ٤٤ - ١٩٤٥ عملت مراقبا عامة لاذاعة الشرق الأدنى ، متوخيا وبوضوح ان مهمتى كانت ادانة النازية وكشفها والتعبير عن وجهة نظر الحلفاء .. وما ان انتهت الحرب حتى وجدت حاجزا بينى وبين هذا العمل فلم يعد من الممكن العمل فى مكان كهذا بالنسبة لوطنى مثلى ، وتركتها لاعمل بجريدة المصرى ، وقد بدأت علاقتى بالمصرى وتوزيعه عشرة آلاف نسخة ، فلما بدأت نشاطى فيه زاد توزيعه للغاية الأمر الذى دفع احمد ابو الفتح الى اطلاق يدى فى ادارة تحرير الجريدة فألحقت بالعمل عددا من الشباب اللامعين فى مجال الكتابة والصحافة منهم عبد الرحمن الشرقاوى ــ يوسف ادريس ــ اكرم الرافعى ــ محمود محجوب ــ عزيز احمد فهمى ــ حسن فؤاد ولعل الأسماء موحية فكثير منها كان يساريا بل كان على علاقة تنظيمية بمنظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى كانت تمارس دورا هاما فى حركة الفكر والثقافة ..

وهكذا بدأت علاقاتى بعدد من اليساريين تتوطد ..

وفى عام ١٩٥٠ دعيت للانضمام الى المجلس المصرى للسلام فلبيت بحماس .

وجاءت احداث ١٩٥١ ، وتكاثفت امور شتى ..

مصر الملتهبة الحماس والتى تبحث عن طريق للخلاص ..

وعلاقاتى بالمثقفين اليساريين ..

ثم احساس المثقف الواسع الاطلاع والمتعدد التجارب بأنه عاجز عن استشفاف سبيل نحو المستقبل .. وبدأت فى قراءة الماركسية ،وما ان بدأت حتى امسكت بمفتاح كنز عزيز وثمين ، تفتحت امام عينى آفاق رحبة .. واندفعت بحماس لم اعرفه من قبل ، وامتزج فى داخلى حس الشاعر الرومانسى ، بعشق الوطن والشعب ، بالأمل فى فعل شيىء لانقاذ شعبى من تعاسته وكانت خطوتى الأولى نحو الماركسية ممتزجة بذلك كله .. وانضممت لمنظمة حدتو ..

س : ثم ماذا ؟

جـ : يمكن القول ان علاقتى الأولى بحدتو كانت فى ايامها الأولى مبهرة ، فللمرة الأولى يجد الشاعر والكاتب المتمرد على كل شيىء ، .. يجد نفسه سعيدا فى اطار عمل تنظيمى منضبط ، ثم كانت ثورة يوليو ، وكان ما كان من صدام ، اشتعلت شرارته الأولى عبر صفحات جريدة المصرى واغلقت المصرى وقبلها كنت انا فى السجن فى قضية شيوعية ، لكننى وقبل دخولى السجن تعرضت لاول أزمة خطيرة فى علاقاتى التنظيمية فالصرح المهيب الذى دخله الشاعر الرومانسى خاشعا بدأت فى داخله خلافات عنيفة ، وكان انقسام بدر (سكرتير عام المنظمة) وظهور حدتو ت . ث مأساة حقة بالنسبة لى ، حيث فقدت توازنى وان كنت قد وقفت مع بدر .

ومن السجن استدعانى عبد الناصر لمقابلته ، وبدأ اللقاء بعتاب قال عبد الناصر مبسوط كده ، انت عملتها وقلبت الدنيا ضد الحركة ، وانت اللى حركت جريدة المصرى وحشدت الناس ضدنا وتسببت فى اغلاق المصرى وفى سجن الكثيرين .

وكان ردى عاصفا وفى مجرى الحديث سألته لماذا امرت بفصلى من المصرى ؟ فاجاب ببساطة انا اللى فصلتك دى السفارة الامريكية هى اللى طلبت ذلك

بالحاح وقد حمل رسالة السفارة يوسف صباغ واكد على ضرورة فصلك ، وعرض الأمر على اصحاب المصرى فرفضوا ، ثم عادوا فألحوا على الحكومة فاستجابت . .

وبدأ الحوار يتخذ منحى هجوميا من الجانبين كنت قد شعرت بتقزز من خضوع الحكومة لطلب السفارة الامريكية ومن تقبل هذه المذلة ببساطة والحديث عنها ببساطة ، وكان عبد الناصر يشعر بحدتى فيرد بحدة هو الآخر ..

والغريب انه فى نهاية الحديث سألنى ببساطة : مش عايز اى خدمة ؟ فقلت لأ ، واعادونى الى السجن حيث بدأت بعد فترة ابشع عمليات تعذيب شهدتها مصر ..

س : اشعر بهذا ان لك تقييما خاصا لعبد الناصر ولحركة يوليو
جـ : لا شك انها حركة وطنية ، ولا شك انه زعيم وطنى ولكن افتقاد الديمقراطية دمر الكثير مما فعلوا هل تتصور كم التعذيب الذى تعرض له خصومهم السياسيون ، وهل تتصور انه فى أثناء مجابهة العدوان الثلاثى كانوا منهمكين فى بناء سجون جديدة ذات مواصفات خاصة تصلح للمزيد من التعذيب ..

وخلاصة الأمر فانني ممن يعتقدون انه لو ان القوى الوطنية والديمقراطية المصرية تركت لتتفاعل مع الأحداث بحيويتها الخاصة لكانت قد احرزت من النجاح والتقدم اضعاف ما حققه عبد الناصر ..

* * *

٣٧ ــ مبارك عبده فضل
محضر نقاش
اجريت المناقشة بالقاهرة فى ٢٢ يناير ١٩٨٢

س : الان ، واستكمالا لما بدأناه من حوار ، ولما اوردته فى مذكراتك اود ان استوضح منك عن تفاصيل انقسام حدتو ت . ث ، والأسباب الحقيقة لهذا الانقسام ؟

جـ : منذ فترة ٥٠ – ١٩٥٢ كانت هناك مقدمات للخلاف ، وفى هذه الفترة انا كنت وثيق الصلة ببدر (سيد سليمان الرفاعى ــ والسكرتير العام لحدتو) وكنت عضوا فى ل . م وفى السكرتارية .

س : ممن كانت تتكون سكرتارية حدتو ؟

جـ : بدر ، يوسف مصطفى (صدق) . والجنيد على عمر ، وانا وكان معنا رسميا كمال عبد الحليم لكنه لم يكن يحضر لاعتبارات خاصة بنشاطه الجماهيرى .

وفى هذه الفترة كان بدر يشن حملة شديدة ضد المثقفين وخاصة كمال عبد الحليم وزكى مراد واحمد الرفاعى وكان الثلاثة أساسيين فى نشاط حركة السلام ، وكان بدر يشن حملة عنيفة ضد عملهم الجماهيرى على أساس انهم يستنفذون طاقتهم فى هذا العمل الجماهيرى ولا يعطون اهتماما كافيا للعمل الحزبى . وبهذا كان بدر يضرب فى اتجاهين : ضد المثقفين ، ضد العمل الجماهيرى ، ومن هنا كان تقربه من مسلم (سيد خليل ترك) كعامل ، وحاول التقرب من محمد على عامر ولم ينجح .

وكانت هناك مشاكل عدة ..

فمثلا فى اواخر عام ١٩٥١ حدث خلاف عندما اقترح كمال عبد الحليم تصعيد على الشلقانى الى ل . م على أساس نشاطه الجماهيرى الواسع فى حركة السلام ، وعارض بدر فى ذلك ، وكانت معارضته صحيحة لكنه صعدها بشكل غير سليم فى شكل حملة ضد المثقفين وفى شكل حملة ضد العمل الجماهيرى .. ونمت بذور الخلاف بين بدر وخليل من ناحية وبين بدر وزكى مراد واحمد الرفاعى من ناحية اخرى .

أى

والحقيقة ان بدر كحدتو ادرا ممتازا وكان يلعب دورا هاما فى الجوالأساسيةاسية والتنظيمية لكن الوضع ما لبث ان تفجر عندما اتهم ممدوح (محد سليمان الرفاعى وشقيق بدر) بالبوليسية .

وكان خليل هو اول من وجه هذا الاتهام ، وانا اكدت على هذا الاتهام ، لأن الواقعة التى اوردها خليل كانت متعلقة بى ، فقد قام ممدوح بتسليمى شخصيا للبوليس وانا احمل كمية من المطبوعات والواقعة لم تشغل ذهنى عند وقوعها حتى اتى خليل بالتفاصيل والادلة ، فقمت بالتأكيد على هذا الاتهام . لكن بدر كان يتخذ موقفا شخصيا من هذا الأمر واعتبر بدر ان اتهام ممدوح موجه له شخصيا ، فليس سهلا ان يتهم شقيق السكرتير العام بالبوليسية .

س : للتاريخ هل تعود الان وقد انتهى الأمر الى تأكيد بوليسية ممدوح ؟
جـ : أنا متأكد انه سلمنى للبوليس ، وقد ربطت بعد ذلك عدة وقائع واعتقد انه قام قبل ذلك بتسليم احد الأجهزة الفنية ..

ثم تصاعد الخلاف ، فى الجانب السياسى كان بدر مع تحليلنا فى تأييد حركة الجيش ، حقيقة ان هذا التحليل منى بهزيمة فى أواخر عام ١٩٥٢ ، ورفعنا شعار اسقاط حركة الجيش ، ثم سارت الأمور بعد ذلك فى اتجاه ادانة حدتو واتهامها بأنها ايدت وساندت حركة الجيش عند قيامها ، واعتقد ان بدر قد نظر الى هذه الادانة نظرة شخصية بل اعتبرها ادانة له شخصيا باعتباره المسئول السياسى للمنظمة ، وكرد فعل راجع بدر العديد من المواقف السياسية القديمة فمثلا بدأ فى معارضة شعار الجبهة الوطنية الديمقراطية ، ورفع شعار اللجان الثورية القاعدية القولية ، وبالتالى وجه ضربة سياسية لعدة مرتكزات من مواقف حدتو الأساسية مثل :

١ - العمل الوطنى مع كل القوى الوطنية .
٢ - الاستفادة منن أى ثغرة فى مجال العمل القانونى

ويمكن القول ان بدر قد شعر بثقل هزيمة سياسية فتراجع مهرولا ..

س : كيف اتجه بدر للانقسام ؟
جـ : الافكار التى نادى بها بدر لم تجد صدى داخل قيادة حدتو باستثناء مسلم

شعر

وصدقى (يوسف مصطفى) ، ومن ثم وجد نفسه محاصرا ومعزولا ، وشعر بالغربة وسط تنظيم هو رجله الأول وقائده السياسى ..

وفى مثل هذه الحالة كان امامه احد خيارين :

ـــ اما الخضوع للأغلبية حتى تثبت الأيام مدى صحة افكاره .

ـــ او الانقسام ..

واختار بدر طريق الانقسام وعندما بدأ يفكر فى هذا التفكير احاط به وبسرعة فرسان الانقسامية القدامى ، والذين صوروا له ان غالبية كوادر حدتو ستخرج معه .

والحقيقة ان الرفاق السودانيين العاملين فى صفوف حدتو قد لعبوا دورا سيئا فقد أيدوا الانقسام وكان بعضا منهم من اقطاب الانقسام ، وان كان هذا لا يعنى أن توجيها من الخرطوم قد أتى لهم بذلك فالحقيقة ان الحزب السودانى لم يتخذ موقفا محددا وترك لاعضائه حرية الاختيار ، فذهب البعض مع بدر وبقى البعض فى حدتو .

وكان مسلم هو الذراع اليمنى لبدر فى انقسامه ، وكان مسلم شهيرا بحل المشكلات العملية ، اما فرسان الانقسام الحقيقيين منهما حموده (حمدى عبد الجواد) وسالم (فؤاد عبد الحليم) ، والحقيقة انهما استخدما اسم بدر ومكانته ثم ما لبثا ان سيطرا على التنظيم وعزلاه عزلا تاما والدليل انهم فى وحدة الموحد لم يقدموا بدر ضمن ممثلى ت ث فى القيادة واذا كان مقبولا تقديم حموده وسالم فى القيادة فان اختيار العضو الثالث فى ل . م الموحد يدل على التصميم على استبعاد بدر فقد اختارا عيد سيد احمد وهو عامل قليل الخبرة ، حديث التجنيد .

والحقيقة التى اود التأكيد عليها ان بدر كان يبالغ منذ فترة طويلة فى حساسيته ازاء المثقفين ولعله قد لعب دوراً جزئيا فى ابعاد الرجل الثانى فى حدتو عام ١٩٥٠ .. كمال شعبان (شوقى)

س : نأتى الان الى وحدة الموحد .. كيف تمت ؟

جـ : فى عام ١٩٥٣ تشكلت لجنة للوحدة فى سجن مصر ثم انتقلت بانتقال

السجناء الى سجن القناطر ، ويمكن القول ان هذه اللجنة ظلت باستمرار هى لجنة الوحدة الأساسية وان اللجنة التى وجدت خارج السجن كانت هامشية ومحدودة التأثير فى انجاز الوحدة .

وقد تشكلت اللجنة من :

ــ مبارك عبده فضل ممثلا لحدتو ثم حل محله فؤاد حبشى

ــ حمدى عبد الجواد ممثلا لحدتو ـ ت ث وكان يتناوب معه فؤاد عبد الحليم فخرى لبيب ممثلا لتنظيم طليعة الشيوعيين

ــ احمد خضر ممثلا للنجم الأحمر وكان يحل محله احيانا حماد عباس او عدلى جرجس

ــ ابراهيم عرفه ممثلا لتنظيم نواة الحزب الشيوعى وكان يتناوب معه بكر الشرقاوى وفى الاجتماعات الأولى كان فخرى مكى (سكرتير عصبة التحرر الوطنى الفلسطينية) كمراقب .

وقد اختار الجميع رفعت السعيد سكرتيرا للجنة يحرر محاضرها ويحفظ وثائقها وينظم اتصالاتها باللجنة خارج السجن . وطبعا قاطعت منظمتى الراية وطليعة العمال اللجنة .

وقد استمرت اللجنة لفترة فى سجن مصر ثم انتقلت بانتقال السجناء الى القناطر . ويمكن القول ان المناخ السياسى الذى تمت فيه مفاوضات الوحدة كان مناخ هزيمة سياسية لحقت بخط حدتو ، ففى المنظمات المختلفة وحتى وسط كوادر حدتو كان هناك هجوم عنيف على موقف حدتو من حركة الجيش .

ومن الطبيعى ان تنجم عن الهزيمة السياسية تنظيمية

الى جانب هذا كانت حدتو تعانى من العديد من المشاكل مثل مشكلة بيان السجن الحربى ، ويمكن القول أن كل حدتو كانت ضد الموقعين على بيان السجن الحربى ، وكانت هناك أيضا المشكلة القائمة بين قيادة حدتو الموجودة داخل السجن والقيادة المؤقتة الموجودة خارجه .

وكانت هناك مشكلات معقدة فقيادة حدتو المركزية كانت على عكس المنظمات الصغيرة ــ موزعة على سجون مختلفة : القناطر ــ ابو زعبل ــ ليمان

طره وأيضا خارج السجن ..

وفى هذا المناخ ارتفعت داخل حدتو نغمة الوحدة باى ثمن ، وتصور الكثيرين ان الوحدة ترياق لكل المصاعب والمشكلات وحتى فى داخل ل . م جدتو كان البعض مثل عاصف (محمد على عامر) يهدد بالانقسام اذا لم تتم الوحدة

وقد تم اتفاق الوحدة على أساس وثيقتين : وثيقة سياسية تم فيها ادانة لموقف حدتو من حركة الجيش ووصف الانقلاب بأنه انقلاب عسكرى امريكى ، ووثيقة تنظيمية كانت تتضمن عديدا من المظاهر الليبرالية .. وكان الغريب هو التأكيد سياسيا على دكتاتورية السلطة ثم ينعكس فى مجال التنظيم فى شكل ليبرالى ..

وتكونت اللجنة المركزية للموحد من ٣ ممثلين لكل منظمة من المنظمات الصغيرة

ــ النجم الأحمر : مثلها احمد خضر ــ عدلى جرجس ــ وعبد المنعم شتله (وكان خارج السجن)

ــ النواة : مثلها فوزى جرجس (فلما اعترض على الوحدة حل محله حسين غنيم من خارج السجن) ومحمود العالم (خارج السجن) وبهيج نصار

ــ طليعة الشيوعين : ومثلها فخرى لبيب ــ عبد الله كامل ــ محمد عثمان (والثلاثة داخل السجن)

ــ حدتو ت . ث ومثلها فؤاد عبد الحليم ــ حمدى عبد الجواد ــ عيد سيد احمد (والثلاثة داخل لسجن) .

أما حدتو فقد مثلها ١١ عضوا فى حين مثلت كل المنظمات الأخرى مجتمعة بـ ١٢ عضوا فى اللجنة المركزية وكان الآخرين يشترطون الا تحصل حدتو على اغلبية فى ل . م فى حين انها وفق وجودها السياسى والعددى ونشاطها خارج السجن كانت تستحق اكثر كثيرا من الأغلبية .

وكان ممثلى حدتو فى اللجنة المركزية : زكى مراد ــ محمد شطا ــ مبارك عبده فاضل ــ احمد الرفاعى ــ محمد على عامر ــ طاهر البدرى ــ محمد يوسف الجندى ــ شهدى عطيه ــ هنرى كورييل (يونس وقد اتفق على ان تظل عضويته معلقة لحين بحث مشكلته) ــ ابراهيم عبد الحليم ــ فؤاد حبشى ــ

وتقرر تحت ضغط الآخرين استبعاد كمال عبد الحليم من القيادة .

وقد تمت الوحدة فى مناخ عدوانى شديد ضد حدتو ، ولكن كوادر حدتو ما لبثوا وبصبر وثورية ان كسبوا الكثيرين الى صفهم ، وقد تمت الوحده فى فبراير ١٩٥٥ وسريعا بدأت التحولات فى سياسية عبد الناصر وبدأت تنمو داخل قيادة الموحد اتجاهات لاعادة التفكير فى الموقف من عبد الناصر واستعادت حدتو مكانتها ومهابتها من جديد داخل صفوف الموحد ..

.. وانا قدمت اول تقرير اطالب فيه قيادة الموحد باعادة النظر فى الموقف من عبدالناصر وايدنى محمد على عامر وفؤاد عبد الحليم وحمدى عبد الجواد وعيد سيد احمد وعارضنى بشدة طاهر البدرى وفخرى لبيب وعدلى جرجس .

.. وبعد فترة بدأت المواقف تتحدد بشكل اوضح .. ومن جديد عاد التألق الى تاريخ ومواقف وكوادر حدتو ، والحقيقة انه بعد خروج المعتقلين بدأ رفاق حدتو فى حملة نشاط جماهيرى واسعة أذهلت شركائنا فى الموحد وبدأت حملة احتضان لهم ودفعهم الى أضحان الجماهير فتغيرت مواقف كثيرة واصبح الكثيرين منتمين الينا فكريا وسياسيا وتنظيميا بعد ان كانوا لنا خصومة اشداء ومن هؤلاء احمد خضر — فخرى لبيب — حسين غنيم — بهيج نصار — محمود العالم .. الخ

ولعل هذا النجاح الكبير فى وحدة الموحد هو الذى اغرانا بالاندفاع الى وحدة ٨ يناير دون ترو وتصورنا امكان تكرار مثل هذا النجاح .. ولكن كان الفشل كبيرا ..

ومع تغير المناخ ، اتجهت الرياح لصالح حدتو الى درجة ان ل . م وافقت على منح كورييل عضوية اصلية فى ل . م ، وعلى ضم كمال عبد الحليم الى ل . م .

ويمكن القول ان نشاطا جماهيريا عارما كان بمثابة عملية صهر لكوادر الموحد معا .

* * *

٣٨ ـ أحمد الرفاعى

مذكرات

سنلاحظ أن هذه المذكرات هى مجموعة من الخاطرات سجلها صاحبها دون ترتيب زمنى . لكنها تتضمن فى مجملها خطوطا بالغة الأهمية لاستكمال الصورة العامة ..

كما انها تتميز بتقديم صورة مجسدة لأسلوب معاملة الشيوعيين فى بعض فترات الاعتقال ومواقفهم إزاءها .

لا ادرى لماذا تلح علىّ هذه الذكريات ، وكلما حاولت ان اطردها تعود الىّ من جديد ،وقد انساها لمدة طويلة ، واستريح من عنائها ،ولكن لا تلبث بعض الاحداث اليومية ان تعيدها الىّ من ثانية . تعيدها فى بعض الاحيان باهتة متقطعة لارابط بينها ،ولكن هذا الشريط لا يلبث ان يترابط من جديد ، وكأنه فيلم سينمائى يعرض على دقات نواقيس حزينة رتيبة ، تودع موكب صغير فى بحر الظلام ، عليها ان تبحر فى ظلمته بين امواج عاتية قد تبتلعها ولكنها تظل متمسكة بالسطح كعلبة صغيرة تعلو وتنخفض ولكنها رغم ذلك مصرة على إكمال رحلتها .

ما اكثر ما سمعت مثل هذه الذكريات ، يرددها اصحابها فى شرود وبلهجة المريض الذى يحب باستمرار ان يتحدث عن علته ، عساه قد يشرك الغير معه فى تخفيف حدتها .. وما اكثر من يطلبون سماع هذه القصص ويستزيدون منها ولكنهم لا يلبثون ان ينصرفوا عنك اما مللا من كثرة سماعها ، واما اشمئزازا من تفاصيلها .

وما كنت اريد ان اسجل شيئا من هذه الوقائع ببطولتها ومآسيها ، رغما عن انها ليست احداثا شخصية ، فهى ترتبط بالانسان وكرامته ، الانسان أى انسان وايا كان اسمه وتفكيره ، مرتبطة بحاضره ومستقبله . وبالذات الأنسان العربى الذى حكم عليه دائما ان يعيش فى خوف محروما من حقه فى الكلام والتعبير ... ودائما يعيش منسيا فى مجتمعه ، يفكر له غيره ، ويصوت له فى الانتخابات غيره ، ودائما هو محسوب فى الـ ٩٩٪ من الموافقين . نعم هى الكلمة المطلوبة لا . هى الكلمة المرفوضة . الويل لصاحبها .

لم أكن اتصور اننى سأجلس يوم من الأيام لاتناول الكتابة فلم تكن الكتابة مهنتى ، ولم اسع لان اكون كاتبا يعرف كيف يبرز الصور ، ويحبك الصياغة ، ويجسد الاحداث ، ويستبد بالقارىء فيجعله يعيش معه ، او يستبد به القارىء فيحوله الى راوية له .

ذكريات كثيرة وطويلة بعضها لازلت اعيشه واذكره ، وبعضها ضاع مع الزمن وسجله آخرون فى كتابتهم . ولكنها ايا كان الرأى عنها فهى جزء من كفاح شعبنا الباسل المناضل ، التى لابد ان تعرفها الاجيال الجديدة .

سجون فى عصر فاروق

واذا كانت الذكريات كما يقولون تترابط مع بعضها فى عقل الانسان ، وكل ذكرى تثير ذكرى اخرى وتخرجها الى حيز الوجود ، فلازلت اذكر هذه الايام فى سجن مصر فى ظل الاحكام العرفية فى عام ٤٨ أو ٤٩ ولكنها على كل حال كانت في ظل حكم ابراهيم عبدالهادى باشا حيث اعلنت الاحكام العرفية بأسم الأمن المطلوب لحماية قواتنا التى تحارب فى فلسطين ، والحقيقة انهم لم يكونوا يريدون بهذه الاحكام العرفية الحفاظ على أمن الوطن كما هو وارد فى المادة ٤١ من دستور ١٩٢٣ التى تتيح للحاكم اعلان حالة الطوارىء اذا كان هناك ما يستدعى ذلك مثل انتشار مرض معدى أو فيضان أو حرب ، ولكنهم كانوا يريدون بها تصفية الحركة الوطنية التي وصلت الى اقصى مداها فى عام ١٩٤٦ ،وتصفية حسابات سابقة مع جماعة الأخوان المسلمين الارهابية ، حينما اغتالت محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء .

لقد جن جنون الطبقة الحاكمة فى ذلك الوقت ، وقسموا القاهرة الى مربعات ويقومون حينما يأتى الليل بتفتيش منازل كل مربع للقبض على العناصر الوطنية أو عناصر الاخوان المسلمين الهاربة .

وكنت فى هذه الفتره هاربا من طلب نيابة المنصورة بالقبض علىّ ، حيث قبض على العديد من العناصر فى محافظة الدقهلية من الفلاحين ، بحجة انهم ينتمون الى منظمة شيوعية (حدتو) وتمكنت من الهرب فى هذه الفترة بعد ان اعطى زميل لى فى الدراسة كل المعلومات الكافية للقبض علىّ من وصف للطول والعرض والشكل ، واتهامه لى بأننى المسئول عن تجنيد بعض الخلايا الشيوعية فى قرية طناح والقرى المجاورة لها .

كانت أول مرة فى مصر يقبض على الفلاحين بتهمة الأنتماء الى منظمة شيوعية ، بعد ان كان المتهمين عادة من الطلبة أو العمال او المثقفين . ظهر عنصر جديد هو الفلاح المصرى ، والعامل الزراعى .

ولن انسى كلمة لمأمور سجن الأجانب فى هذه الفتره . حينما فوجىء بالمتهمين في هذه القضية ، ووجدهم كلهم يلبسون الجلباب الأزرق ، وبعضهم

حفاه ، وهو يضرب كفا على كف ويقول بلغة المستجير المتشائم : « والله مادامت الحكاية وصلت الى ابو رجلين مشققه ، ماعدش فيها فايده . عليه العوض فى البلد » .

المهم اننى هربت من أمر نيابة المنصورة بالقبض علىّ ، واستمر هربى لمدة طويله ، حتى قبض علىّ فى القاهرة مع بعض الاصدقاء والرفاق . « أحمد فؤاد بلبع» طالب الهندسة « روبير ستون » الأول على التوجيهية والاول فى دفعته فى كلية الهندسة . وآخرون .

كنا في هذه الفترة فى سجن مصر ، حيث يوجد عدد كبير من الرفاق الآخرين . وكانت المعاملة فى منتهى السوء مما دفعنا للاضراب عن الطعام من أجل ....

الحق فى قراءة الصحف ...

الحق فى وجود نور فى المساء ...

الحق فى العلاج الخارجى ...

الحق فى الاستمتاع بغذاء خاص ...

وربما كانت النقطة الاخيره مثيره للضحك ، حيث كان معظمنا لا يستطيع ان يستمتع بالغذاء الخاص ، وما يقتضيه من تكاليف ومصاريف ، ومن المفارقات الغريبه ان البعض من منظمة « م ش م » والذين كانوا يرفعون شعار ١٠٠ ٪ عمال وكلهم من ابناء الطبقات البورجوازية الكبيره القادره والذين ودعوا الكفاح الى لارجعه ..... يستقبلون غذاءهم اليومى من بيوتهم فى هدوء وبدون ضجه .

لازلت اذكر فى هذه الفتره قيادة الاضراب ..

اسعد حليم . شريف حتاته . كمال عبد الحليم .

مناضلون حقا . ولكن فقراء حقا . من اين يأتيهم الغذاء الخاص . كنا اذا حل المساء نضحك حتى ننسى آلام الجوع .

واستمر الاضراب حوالى خمسة عشر يوما . كان اضرابا قاسيا لم نحقق فيه اى مكسب . الا مكسب واحد حيث اقنعنا الادارة بتركيب اخشاب للنوافذ لتحول دون برد الشتاء القارص . وانتهى الاضراب بتحقيق ذلك المكسب الوحيد .

ومن المصادفات الغريبة انه مع انتهاء الاضراب الغيت الاحكام العرفية التى فرضها ابراهيم عبد الهادى وذلك بعد نجاح حزب الوفد وحصوله على الأغلبية المطلقة وتشكيل النحاس باشا للوزارة الجديده من الوفديين . وما ان ألغيت الاحكام العرفية ، وعاد للقضاء العادى اختصاصه الاصلى ، حتى بدأ عرض جميع قضايا المتهمين على القضاء من جديد .

ونتيجة للعلاقات العميقة التى كانت تربطنى بكثير من الوفديين قاموا بإرسال اكثر من محام ليدافعوا عنى ، الاستاذ « الدكتور محمد مندور » الاستاذ « حافظ شيحا » الاستاذ « عدلى المولد » ونشرت مرافعتهم الى جانب مرافعتى فى جريدة صوت الأمة ، لسان حال الوفد المصرى فى هذه الفتره .

كان ذلك موقفا فيه وفاء من الوفديين ، حيث كنا نشترك معهم فى جبهة واحده ضد السراى وضد ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء . وتقريبا كنت انا القاسم المشترك كخطيب فى سرادقات الانتخابات الوفدية ، حيث كان برنامج الجبهة فى ذلك الوقت يدور حول مطالب بسيطة ومحدده ...

إلغاء الأحكام العرفية ...

اطلاق سراح المسجونين والمعتقلين ..

اقامة حكم ديمقراطى ..

وفعلا حصل الوفد على الأغلبية المطلقة . بعد ان تجلت فى هذه الفترة عظمة الشعب المصرى واصالته اذ كان ضمن المعتقلين عناصر يهودية فطالب الشعب المصرى بإطلاق سراحها ، ولا عجب من ذلك فإن هذه العناصر اليهودية كانت معتقله لانها ضد الصهيونية ، بينما الصهاينة الاصليون يمرحون فى شوارع القاهرة . نعم كان هناك عناصر يهودية تناضل ضد العنصرية وضد الصهيونية ..

« زكى فوزنى » « هنرى كوربيل » « هليل شوارتز » وآخرون لا اذكر اسماءهم .

ان الشعب المصرى لم يعرف العنصرية يوما من الايام ، ولم يعرف التحيز الدينى .

لقد سقطت الاحكام العرفية ، وقدمنا جميعا نحن المسجونون السياسيون الذين كانوا على ذمة القضايا التى اعدتها المباحث العامة ، والقسم المخصوص (كان تابعا مباشرة للسفارة البريطانية) فى خلال سنتين الى المحكمة ، وفى هذه الفترة كان

عددنا حوالي المائه أو يزيد . وكانت المباحث تشعر بالحزن والاسى لان مجهودها فى فتره سنتين قد ينتهى الى لاشىء مادامت الاوضاع القانونية اصبحت سليمة ، وألغيت حالة الطوارىء ، فأجهزة التجسس لاتجد نفسها الا فى ظل الكبت والارهاب وغياب القانون .

بل وربما كان القاضي الذى ينظر هذه المعارضات ، شخصية غير مرغوب فيها من جهة المباحث ، لميوله الديمقراطية والقانونية ، واصراره على أن يأخذ القضاء مجراه ، كان اسمه « وجدان طاهر » قاض امين وعظيم ومؤمن برسالة القانون والقضاء .

وما كادت القضايا تعرض عليه ، حتى رفض اى طلب للتأجيل تقدمت به النيابة ، وكان وكيل النيابة فى هذه القضايا جميعها اسمه « على نور الدين » عين فيما بعد نائبا عاما ، شخص يرتدى نظارة سميكة ، ذو كرش يصل الى ركبته ، بحيث تشعر ان سترته تصل الى ركبتيه ، او انه بدون اقدام ، دائما مرعوب من قوة خفيه ، له فى كل من يديه ستة اصابع ، يتكلم بصوت خفيض فيه معانى الذله والمهانه ، يرتعد امام اى ضابط من ضباط المباحث حتى ولو كان فى رتبة ملازم ..

كان كل همه فى هذه القضايا ان يطلب التأجيل لاطالة مدة حبس المعتقلين ، ولكن القاضى كان يرفض باستمرار طلباته .

وما ان عرضت القضية التى كنت فيها ، حتى وقف وكيل النيابة هذا يترافع بصوت مرتعش متهما اياى بالخطورة ، وان المضبوطات التى معى كفيلة بان تسوقنى الى المشنقة . ولكن القاضى كان يلاحقه باستمرار ... نريد ان نعرف ما هى المضبوطات ... وبعد كثير من مناورات النيابة ، اتضح ان المضبوطات لا تعدو ان تكون رواية مترجمة تدور وقائعها حول سجن الباستيل .

واستجار وكيل النيابة فى هذه الحاله برئيس القسم المخصوص البكباشى « أحمد حلمى » (الذى اتهمته الثورة بعد ذلك انه على علاقة بالامريكان) فمال على وكيل النيابة ليوجهه بالاصرار على التأجيل ، ولما قمت بتنبيه المحكمة الى هذا الوضع المشين .. حيث أن ضابط بوليس يوجه النيابة .. استفز القاضى الجليل ، وزجر ضابط القسم المخصوص ، وسأله بامتهان عن صناعته وعن اسمه . وامر بوضعه فى قفص الاتهام .

وهنا تدخل بعض المحامين . وافرج عنه . ولم ينس قبل مغادرته القاعه ان يسر الىّ فى اذنى . لن انس لك هذا الموقف ، وسوف اكون فى المستقبل شاهدا ضدك وانت مساق الى المشنقة .. وبالطبع لم اذهب الى المشنقة ، بل ذهب هو الى لا رجعة !!!

خرجت من السجن ، وخرج باقى المسجونين ، ولم تنس النيابة ان تضغط عن طريق السراى لابعاد هذا القاضى عن القاهرة ، وفعلا ابعد عن طريق السراى الى السويس .

ولن انس ذلك القاضى العظيم ، ورئيس المباحث العامة « حسن المصيلحى » وهو يميل عليه ، ليبلغه انه قد اتعب حيث بلغت الساعة الخامسة ، وان عليه ان يؤجل هذه القضايا لصبيحة اليوم التالى ، وهو يرفض ، بل .. يأمر بالقبض عليه .. لتدخله فى امور ليست من شأنه ، ومحاولته التأثير على القضاء .

خرجت بعد عناء طويل ، وبعد مؤامرات من محافظ القاهرة « كامل القاويش » الذى أخر الافراج عنى لمدة عشرة ايام متنقلا بين سجون اقاليم وجه بحرى (كعب داير) ، عل النيابة تكون لها مواقف ضدى فى هذه الاقاليم ..

خرجت بعد هذه الرحلة الطويلة منهكا متعبا ، فى امس الحاجة الى الراحة بعد أن عرضونى على كل نيابات وجه بحرى ..

وبعد الافراج عنى ببضعة ايام فوجئت بأحد الرفاق يطرق الباب ، ويستفسر منى .. هل تعلم ان « صلاح بشرى » قد مات ؟؟ وان اليوم تشيع جنازته ؟؟؟ احسست بالمأساه ، صلاح كان زميلى فى مدة السجن .. صلاح بشرى ابن السودان ، طالب الهندسة .. المريض بالسل .. الممنوع عنه الدواء حتى يركع .. صلاح المرح الذى يعيش فى مصر كما كان فى السودان . كل من رفاقه يناديه يا زول . يضحك يرقص . يغنى الالحان السودانية فى بساطه ومرح ... صلاح ابن عطبره .

اصابتنى الصمت والذهول . لم أجد جوابا . لم اتكلم . صمت بارد طويل فى شقة فى أول دور فى المنيرة . ١٩ شارع بستان الفاضل .. لم استطيع ان اتكلم . صمت الرفيق ايضا ..

وبعد الصمت الطويل ، سألته .. وما هو المطلوب ؟

واتى الرد من الرفيق .. لقد اعددنا لمظاهرة ضخمة تطوف شوارع القاهرة

لتشهد الشعب على المآسى التى ارتكبتها الرجعية والاستعمار فى فترة الاحكام العرفية ، التى اعلنت باسم تأمين دخول الجيش لتحرير فلسطين .. وفى الواقع استخدمت ابشع استخدام في تعذيب الوطنيين بل واغتيالهم ، لا فرق بين شيوعى ونقابى أو اخوان مسلمين . الكل كان يجلد . يعذب . يعتدى على عرضه . يدفن فى الظلام . انها مأساة غياب الديمقراطية .

وبعد صمت قليل ابلغنى ان الرفاق فى اللجنة المركزية رشحونى لقيادة هذه المظاهرة . وافهمنى ان كل شيء معد ، وابلغنى بأسماء بعض الرفاق الذين يتولون تنظيم هذه المظاهرة وحمايتها من أى محاولة تخريبية تقوم بها العناصر العميلة لاجهزة المباحث او السفارات الأجنبية .

... من القاهرة الى الخرطوم .

خرجت مع الرفيق للمشاركة فى المظاهرة ، وتنفيذ التكليف الموكول الىّ حتى وصلنا الى قرب الجامعة حيث ودعنى الرفيق ومضى فى طريقه . وما كدت ارى المظاهرة وهى تخرج من حرم الجامعة ، حتى تبين لى دقة التنظيم رغم ما يسيطر على المشاركين من غضب واشمئزاز لهول الجريمة .

مضت المظاهرة ، وهى تجد الروافد التى تمدها بالجماهير ، طلبة وعمال من الجيزة ، وما أن وصلت المظاهرة الى ميدان التحرير حتى التقت بعشرات الالوف من العمال القادمين من شبرا وحلوان والوايلى والعباسية ، وتوجهت المظاهرة الى ميدان الأوبرا حيث صلى على جثمان الشهيد ، وكان الغضب قد استبد بالجماهير وهى تهتف بسقوط الاستعمار ، وسقوط الرجعية والسراى والمطالبة بمحاكمة الخونه ورجال المباحث .

وما ان خرج الجثمان من المسجد ، حتى كنت آخر الخطباء الذين بكوا صلاح بشرى ... لم يكن الموقف يحتمل الرثاء والبكاء او الكلمات الحماسية ، وانما دخلت مباشرة فى كيفية اغتيال صلاح ، والمطالبة بتحديد المسئولية ، والغاء كافة القوانين المقيدة لحرية المواطن وان تبدأ حكومة الوفد بتنفيذ البرنامج الذى سبق وان اعلنته وهى فى المعارضة .

واستبد الغضب بالجماهير التى اصرت على ارسال مندوب عنها الى الخرطوم ليقول كلمة الشعب الى جانب ممثلى الحكومة والسراى الذين سيسافرون الى

السودان . واصر المشاركون فى المظاهرة على ان اكون انا مندوبهم فى تشييع جثمان صلاح بشرى الى السودان .

وما ان أبدى بعض ضباط المباحث الرفض حتى هجمت عليهم الجماهير ، وبسرعة وافقوا على ان اصحب جثمانه مع ممثلى الحكومة والسراى .

مضت السيارة بالجثمان الى المطار وانا معها وما كادت تصل الى المطار حتى فوجئت بان الجماهير قد سبقتنا الى هناك وهى تردد نفس الهتافات .

واضطرت اجهزة الأمن الى الاسراع فى اتخاذ خطوات السفر ، فأقلعت الطائرة الخاصة بالجثمان والمشيعين ، دونما النظر الى اجراءات السفر العادية ، وما ان ارتفعت الطائرة فى المساء ، حتى بدأت انظر الى جثمان صلاح فى صندوقه الخشبى وعليه بعض الزهور وبطاقات النقابات والمدارس والكليات موضوعة على الصندوق ..

ياللفظاعة لقد كان صلاح معى فى السجن منذ مدة قصيرة . رأيته .. وهو ينزف دائما من صدره .. سمعته .. وهو يكح حتى يوشك صدره ان يتمزق . تذكرت ... معاركنا فى السجن من اجل الوصول الى مجرد تركيب زجاج لمنع البرد فى شهر يناير . اعتصامنا فى السجن من أجل السماح له بكوب من الحليب . وتذكرت .. ادارة السجن وهى ترفض بحجة ان ذلك ليس مدرجا فى اللائحة .

وكلمة اللائحة فى السجن تعنى انها فوق الدستور ، ودونها كل القوانين . اللائحة كرباج على ظهر المسجون ، مرض لابد ان ينهى حياته او يخرجه من السجن عليلا . تلك هى اللائحة التى وضعها «لوكس» اول مدير للسجون المصرية . ومضمون اللائحة ان السجين ممنوع عليه تناول اى ماده بها مواد سكرية لا حق له فى التدخين .. لا حق له فى تناول اى طعام غير طعام السجن المكون من ... نصف رغيف اسود فى الصباح مع بعض حبات الملح .. فول او عدس عدد حبات الرمل به اكثر من الفول ورغيف . وفى المساء نصف رغيف وسائل لالون له ولا طعم يسمونه ايمك .

كان هذا هو عالم السجن الذى عاشه صلاح بشرى ، وانتهى باصابته بالسل .

ومع مرور الزمن اصبح جميع العاملين فى المصلحة من المدير الى السجان من عبدة هذه اللائحة . لدرجة انه بعد الاضراب عن الطعام الذى خضناه فى سجن مصر فى عام ١٩٥٠ وانتهى بان حصلنا على حقنا فى التدخين وتناول بعض المواد

السكرية . ان احد موظفى السجن حينما رأى واحدا منا يتناول قطعة من العجوة صاح بأعلى صوته (دى خربت) ثم سقط مغشيا عليه .

كان ذلك هو السجن الذى مرض فيه صلاح بشرى ، والذى أرافق جثمانه لتشييعه حتى عطبره .

فى الطريق الى عطبرة

اقلعت الطائرة من مطار القاهرة وهى لاتضم سوى بضعة افراد لايتعدى عددهم خمسة او ستة افراد ، مندوبين عن جهات مختلفة ، ويترأس الوفد مندوب من السراى ، وكان احد الباشوات العاملين فى القصر : رجل احمر الوجه ، ذو كرش كبير ، وجلد رقيق تكاد الشعيرات الدموية ان تنفر منه الى الخارج ، يتحرك فى تؤده وضجر ، ولا يفتح فمه بكلمة ، وانما هى مجرد اشارات من يده القابضة على سيجار طويل ، ومن حين الى آخر يحرك رأسه يمينا ويسارا وكأنه على وشك الاختناق من الضيق لهذه الرحلة التى فرضت عليه ، ولمرافقته لأناس هم دونه مستوى .

كنت اجلس فى الكرسى خلفه مباشرة ، وفى مواجهتى الصندوق والذى به صلاح بشرى .. السودانى الراقص ابن عطبرة .

ولا ادرى الا وانا اتصور أن الدماء التى تجرى فى عزوق هذا الباشا مسروقة من دم صلاح ، وان هذا الباشا على علم بدقائق الاسرار فى سجن مصر حيث انتهت حياة صلاح ..

كنت اشعر برعشة فى جسمى من هذه المقارنة .

وما ان مر بعض الوقت حتى اشار الىّ الباشا ، اشارة فيها كبرياء واستعلاء .. ثم سألنى .. هل تجيد الخطابة ؟ ولكن الرد كان مفاجأة له ، حيث أجبته اننى لا اعرف الخطابة . وثنى على هذا السؤال بسؤال آخر .. هل معك ورقة وقلم ؟ فكانت اجابتى ايضا بالنفى .

وهنا نظر الىّ الباشا باحتقار واشمئزاز .. وردد اكثر من مرة بينه وبين نفسه ولكن بصوت مسموع ... وليه ارسلوك .. وليه ارسلوك ..

ثم اشار الى حقيبة صغيرة ، موضوعة بجواره ، وما ان احضرتها له ، حتى اخرج منها ورقة وقلم ، وأملى علىّ خطبة صغيرة ، واشار علىّ باستظهارها عن

ظهر قلب ، لالقيها على الجماهير بمجرد وصولنا الى ارض المطار . وهى تدور حول ان « الفاروق اعز الله ملكه ، وحمى عرشه ، يعزى شعبه فى السودان فى وفاة ابنه صلاح »

ولما اطمأن الى اننى حفظتها عن ظهر قلب ، تركنى وشأنى ، حيث اخذت اتحدث مع الطيارين وموظف اللاسلكى ، حيث اكتشفت فيهم اشخاصا فيهم الكثير من روح المجاملة والوطنية ، والتجاوب مع مشاكل الآخرين وما ان شرحت لهم قضية صلاح بشرى ، حتى احسست بمدى الاشمئزاز على وجوههم من هذه العملية .

وما ان اقتربت الطائرة من مطار عطبرة ، حتى نادى علىّ الباشا ،واشار الى ان اتقدم صف المشيعين ، وان القى الكلمة التى اعدها لى ، بعد ان اهتف بحياة الملك .

وما ان توقفت الطائرة ورأيت جموع ابناء عطبرة بملابسهم الفضفاضة وعمائهم البيضاء ، ووجوههم السمراء ، وهم يقتحمون كردون العساكر الانجليز ، ويتقدمون نحو الطائرة ، والباشا من خلفى يبتسم مشجعاً ودافعا لى الى مقدمة الطابور لالقى كلمته التى سبق ان املاها علىّ ، وجدتنى اهتف بكل ما اوتيت من قوة ... « يسقط فاروق عدو الشعب » ... «يسقط فاروق قاتل صلاح» .

ومن على سلم الطائرة القيت كلمتى عن كيفية اغتيال صلاح ، وان مصر فى ظل الاستعمار وفاروق عبارة عن سجن كبير ، وان هذا الباشا المرافق لجثة صلاح ، هو واحد من عصابة تعتمد فى بقائها على السجون ، وعلى الالاف من الجلادين .

واسقط فى يد الباشا .

ومضت جنازة صلاح بشرى ضخمة ، مزدحمة بالالاف من ابناء السودان ، وهى تهتف بكفاح الشعبين فى مصر والسودان . ويسقط الاستعمار والرجعية . ومضت المظاهرة كبحر لاشطآن له حتى وصلنا الى المقابر ، حيث استبد الحماس بطاقم الطائرة واشتركوا فى المظاهرة ، مرددين نفس الهتافات ضد الاستعمار وضد فاروق .

وبالطبع حالت الجماهير بين الباشا ممثل السراى وبين الاشتراك فى المظاهرة المظاهرة .

كنت اعرف معظم قيادة الحزب الشيوعى السودانى ، ولكن كانت هذه هى المرة الأولى التى ارى فيها « الشفيع أحمد الشيخ » ، والعملاق « قاسم امين » ، من رواد الحركة النقابية ، ومن قيادات الحزب الشيوعى السودانى البارزة .

والتقاليد السودانية فى التعازى ، لا تختلف كثيرا عن نفس تقاليدنا فى مصر ، حيث يدور الحديث ، فى فترة استراحة المقرىء ، عن الفقيد وصفاته . وكانت فرصة طيبة لشرح الظروف فى مصر ، وسجونها التى اغتيل فيها صلاح البشرى ، مع التركيز على تبرئة حزب الوفد الذى تسلم السلطة قريبا ، حيث بدأت انفراجه ديمقراطية ، من دم صلاح ، مؤكدا ان المسئولية هى فترة الحكم العرفى التى اعلنها النقراشى وعبد الهادى وغياب الديمقراطية ، الامر الذى سمح لبعض رجال البوليس ، ان يتحولوا الى عصابات متخصصة فى التعذيب وهتك الاعراض والعمل بشكل مفضوح لخدمة السراى والسفارتين البريطانية والامريكية .. الجزار « امام ابراهيم » « حسن المصلحى » « أحمد حلمى » « توفيق السعيد » « سمير رياض » .. وكان يرمز لهم جميعا فى هذه الفترة بالعسكرى الاسود .

وما ان انتهى القراء من قراءتهم بعد منتصف الليل ، حتى عدت الى الفندق الوحيد فى المدينة مع قاسم امين ، فوجدت الباشا جالسا يدخن فى الفراش ، وما ان حاول الحديث ، حتى كانت نظرة واحدة من العملاق قاسم امين ، ألزمته الصمت ، بل ودفعته الى ان يسحب الغطاء على وجهه ورأسه وينام .

ما اغرب هؤلاء القوم ، يبدون شجعانا وفرسانا مع المسجونين المضطهدين ، المقيدين ، يصولون ويجولون ... ولكن عند اول احتكاك مع الجمهور يتحولون الى جرذان .

وقضيت الليلة مع الباشا فى نفس الحجرة ، وما ان اصبح الصباح ، حتى وجدت قاسم يوقظنى وهو يبتسم وصحبنى الى الخارج ، حيث كان اعد مؤتمرا صحفيا . وبالطبع قلت فيه كل ما فى نفسى ضد فاروق والرجعية المصرية والانجليز .

ولا ادرى ما الذى دفعنى لان افكر فى قضاء بضعة ايام فى السودان استجابة لدعوة الرفاق السودانيين . ولكننى فوجئت بالطيارين وقد فكروا ايضا فى عدم العودة ، وخاصة بعد ان اشتركوا فى المظاهرة وهتفوا ضد فاروق . ولكن الشىء الذى كان يقلقهم .. ما هو مصير الطائرة .. وهل سيتركونها .. وبعد نقاش

قصير استقر رأينا على العودة وليكن ما يكون .

وما كادت الطائرة فى طريق عودتها تدخل الأجواء المصرية ، حتى تحول الباشا الذليل الى اسد مفترس يهدد ويتوعد ، ويطلب من ضابط اللاسلكى ان يتصل بالقاهرة ، ليخطر القسم المخصوص بالانتظار ، ولكن ضابط اللاسلكى بعد محاولات صورية مع الجهاز اخبره ان الجهاز عاطل .

ومن الغريب ، انه عند وصولى للمطار لم يتعرض لى احد ، وبالاتصال بالمنزل عرفت ان البوليس هناك فى الانتظار . لم اذهب الى المنزل ، وبدأت فترة هرب جديدة حتى قبض علىّ بعد رحلة الى القناطر الخيرية... ولكن لم يطل الامر حتى افرج عنى ، حيث كان الوفد فى السلطة بما يحمله معه من تراث فى الحريات والديمقراطية . ما اجمل كلمة سعد زغلول .. « الحق فوق القوة ، والامة فوق الحكومة » ..

ان الديمقراطية هى اروع انجازات البشر ، واذا كان العمل هو الذى يميز الانسان عن الحيوان ، فان الديمقراطية هى صانعة الانسان . فكره . كبرياؤه . امنه . طمأنينته . قدرته على الابتكار ، وتركيز قدرة الانسان على هزيمة الطبيعة واخضاعها لصالحه .. اما غياب الديمقراطية فتعنى .. استئثار بعض الافراد بامتيازات يعطونها لانفسهم ، ليستعبدوا الاخرين ، وليحولوهم الى عبيد ، لأنفسهم فيفقدون هم انفسهم صفاتهم الأدمية ، بعد ان يكونوا قد قتلوا فى الناس القدرة على الرفض ...

ان الذى لا يملك ان يقول لا ... لا معنى لرأيه حينما يقول نعم .

الاعتقـــال

وما ان اصدر محمد نجيب قراره بحل الاحزاب السياسية ، حتى بدأت حملة اعتقالات واسعة ، مستهدفة اساسا الشيوعيين والقوى الديمقراطية ونجح معظم الرفاق القياديين فى الافلات من الاعتقال . كانت الوظيفة الأولى الملقاه على عاتقنا كيف نؤمن وجودنا فى الخارج ، فى الوقت الذى تنطلق فيه قوى المخابرات والمباحث العامة ، لتقوم بالتفتيش فى كل مكان . الجماهير تبدأ نظرة جديدة الى الثورة فيها تساؤل وفيها استفسار ، اذ انه لم تمر سوى فترة قصيرة على فترة الأرهاب والأحكام العرفية التى اعلنها على فى اعقاب حريق القاهرة ، فقد قضينا الفترة من ٢٦ يناير ١٩٥٢ حتى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى العمل السرى

تحت الأرض ، ولم نتوقف عن الاتصال بزملائنا فى السجون والمعتقلات . وها نحن نعود من جديد الى ممارسة نفس حياة الهرب والتخفى ..

بدأنا نلتقى من جديد ، نجمع شمل فلولنا ، ونؤمن بعض الذين لم يجدوا مأوى مستقر وانتقل بعضنا الى الارياف . لقد كان معظم اعضاء المكتب السياسى فى خارج السجن ، وتم اول اجتماع لنا لمناقشة الموقف السياسى .. وكان قرارنا هو الاستمرار فى موقفنا ودعم الثورة فى خطواتها التقدميه ضد الاقطاع والرجعية وفى نفس الوقت المطالبة بالحرية والديمقراطية لكل القوى المعادية للاستعمار ، مع التركيز على مهاجمة التعذيب والاعتقال .

وكان أول منشوراصدرناه يدور حول الطلبة المعتقلين فى الثانوية العسكرية ، حيث قتل الطالب عصام سرى الطالب بكلية الطب . كانت تلك فرصة لابد ان نقتنصها لفضح الارهاب وقطع الطريق على مسيرة التعذيب التى كانت فى بدايتها .

حضر فى هذه الفترة الرفيق عبدالخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى وتمت اجتماعات طويلة بيننا انتهت الى مفهوم موحد ، ولكنه اصر فى هذه الفترة على عودة « الجنيد على عمر » السودانى الذى كان عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الشوعى المصرى ، ورغم عدم اقتناع الجنيد بالقرار ، فقد نفذه واقمنا حفلا صغيرا رغم ظروف هربنا ، واخذنا بعض الصور . وكان هذا هو اللقاء الاخير مع جنيد زميل الدراسة والنضال . وما ان وصل السودان ، ومضت عليه فترة قصيرة حتى اضيب بحالة عقلية ، اعطيت لها تشخيصات كثيرة . كان معظمها يدور حول تعاطيه الكحول ، ولكنى اعتقد انه سافر وهو غير مقتنع بالعودة ، فلقد كانت حياته قد استقرت فى مصر ، ارتبط بمسيرة نضالها . واخيرا سمعنا عن وفاته ، كان شريفا ومخلصا ومناضلا .

كنت فى هذه الفترة ، انتقل من منزل الى منزل ، ولا اشعر بالاستقرار ، واخيرا نجح بعض الرفاق فى ان يوفروا لى مسكنا هادئا تتوافر فيه كل الشروط المناسبة لانسان لايريد الاختلاط بالاخرين .

كنت فى هذه الفترة مسئولا عن منطقة القاهرة ، وعن الاجهزة الفنية ، وكانت المسئولية ، تقتضى الكثيرمن الحركة ، التى تتنافى مع وضع انسان هارب ،

ولكن حساسية المسئولية فرضت الاستمرار ، ووكان يشاركنى فى هذا النشاط المرحوم محمد عباس فهمى .

كان شريف حتاته احد المسئولين عن النشاط فى الريف ، وكان يأتى من حين لاخر لاستلام بعض المطبوعات او لطبع بعض المنشورات . كان صامتا هادئا كعادته ، ولكن الشىء الذى كان يشغل بالى ، هو عدم ملاءمة شريف لهذه المسئولية ، فهو قادر على العطاء فى اعمال اخرى . طبيب متقدم فى دارسته متفوق دائما اليس جديرا بان يعمل فى مجاله . اما مجال الريف فقد يصلح له اخرون ، قد يكونون اقل كفاءة منه ولكنهم قادرون على التأقلم مع حياة القرية اما هو فربما كان قادرا على العطاء فى مكان اخر .

كانت الصورة التى ترد عن القرية عن طريق الرفاق الذين يعملون فى الريف ان جماهير الفلاحين وعمال الزراعة سعداء بصدور قانون الاصلاح الزراعى ، الذى احدث فرزا يكاد يكون كاملا فى القرية ، فالعلاقات الاقطاعية المغلفة بغلاف الجيره والقرابة بدأت تتبخر امام شهية الفلاح ليمتلك قطعة من الأرض . لقد بدأ كثير من الأقطاعين يتملقون الفلاحين ، بل ان بعضهم ممن يمتلك علاقات قوية فى القرية بدأ يملك جزء من اراضيه لبعض الذين يثق فيهم ، ليساعدوه على عمليات التهريب ولكن ... حتى هذه الثقة التى استجار بها الاقطاعى لم تلبث ان تبددت امام المصالح المادية للفلاح .

لم تكن عملية الفرز على هذا المستوى فقط بل امتدت الى عزل الاخوان المسلمين حينما احست الجماهير ان قولهم عن الرحمة والعدل والتضامن قد سقط فى أول جولة مع حكومة الثورة حينما رفض مرشد الاخوان قانون الاصلاح الزراعى ، ثم عاد وطالب برفع الحد الاقصى الى ٥٠٠ فدان ..

اما باقى التنظيمات التى كانت تسمى قانون الاصلاح الزراعى قانون الافساد الزراعى فلم يكن لها تأثير .

بدأ الفلاح يشعر ان كلمة سياسه تعنى مصلحة ، والمصلحة التى يتطلع اليها الفلاح فى حدود مفاهيمه هى الملكية والحياة القريبة من الانسانية .

ولكن الرفاق الذين كانوا يعملون فى القرية ، ويخالطون العناصر الواعية من الفلاحين ، كانوا ينقلون الينا صوره اخرى . نعم هناك ترحيب ولكن هذا القانون لم يضع فى اعتباره ، المزيد من تفتيت الملكية الزراعية ، والمزيد من الجسور

الفاصلة بين الملكيات القزمية ، والتى تستهلك جزاء كبيرا من المساحة بالاضافة الاسراف الذى سيتم فى مياه الرى .

والنقطة الرئيسية ان الفلاحين لم تنشأ لهم التنظيمات الديمقراطية القادرة على استيعابهم وتعينهم على التعامل مع القانون الجديد .. وما يلزم للفلاح من كيماويات والات حرث ... الخ .

ولكن كل ذلك لم يكن واردا فى قانون الاصلاح الزراعى ، حيث كان الهدف الاساسى منه عدالة التوزيع والقضاء على النفوذ السياسى للاقطاعيين فى القرية . وكانت الصورة التى يقدمها رجال الثورة عن سيطرة الاقطاع على الانتخابات البرلمانية فى القرية صحيحة ومعقولة ، حيث كانوا يصورون العمد وهم يشحنون الفلاحين وعمال الزراعة فى عربات الكارو ليدلوا باصواتهم الى البك او الباشا . هذه الصورة حقيقة واقعة فى تاريخ بلادنا ، وشاهدتها طفلا فى القرية ، حينما كانت الانتخابات فى القرية تعنى المفاضلة بين اسرتين من كبار الاقطاعيين ، اسرة نور أو اسرة الشناوى .

ولكن هذه الصورة كانت ينقصها الاطار الذى يوضح هذه المأساة ،مسألة شحن الفلاحين وعمال الزراعة ليدلوا بأصواتهم للبك أو الباشا .. هذا الاطار هو غياب الديمقراطية على امتداد عهود طويلة فى تاريخ مصر .

oooooo

وحينما كان محمد نجيب او عبد الناصر يقدم هذه الصورة الكاريكاتورية لادانة الديمقراطية ، كانت تقفز الى ذهنى صور من تاريخ قريتنا . حيث تعلمت اول درس فى الديمقراطية ، وعرفت منه انه لا يوجد ثمن يعادل الديمقراطية .. فقد يتوافر الخبز للانسان توافره للسجين ولكنه يظل فاقدا حريته فاقدا انسانيته . قد تتوافر المدرسة للانسان ولكنه بدون الحرية يتحول الى صفر فى المجتمع ، ويتحول الى كرباج يعد لجلد المجتمع .

ولازلت اذكر اول مظاهرة رأيتها فى طفولتى المبكرة ، حيث سار الفلاحين فى مظاهرة كبيرة وهى تهتف

يسقط صدقى   يحيا الدستور

لم اكن اعلم من هو صدقى هذا الذى يهتفون بسقوطه وما هو الدستور الذى يهتفون بحياته .

القرية صغيرة . شوارعها ضيقة . مليئة بالحجارة والتراب . والفلاحون يرددون الهتافات ووجوههم غاضبة ، وبأيديهم النبابيت ، وتستمر مسيرتهم حتى نقطة البوليس وهم يرددون هتافاتهم ويحاصرون مبنى البوليس حيث اجتمع العساكر وحضرة الضابط خلف الابواب المغلقة . ثم ينصرفوا بعد ذلك الى مكتب التلغراف ، حيث يرسلوا برقية الى النحاس باشا ، كنت أول مرة اسمع فيها اسمه . وهم يهتفون :

« النحاس خليفة سعد ، النحاس خليفة سعد ، هل هلالك يانحاس » ويعود الجميع الى بيوتهم ، وهم يتجمعون حلقات صغيرة ، يناقشون ... واسمع بعضهم وهو يقول :

ان صدقى باشا حلف يمينه بالطلاق لازم كل اثنين يلبسوا جلابية واحدة !!!

فى هذه الفترة عين عمدة جديد للقرية ، وهو واحد من اقربائى ، كان هو الوحيد الذى يدافع عن صدقى هذا فى القرية ، وبمجرد تعيينه استن تقاليد جديدة ، لم تكن نعرفها من قبل ، هى الضرب بالكرباج وكان يسميه « الاذعر » والويل لمن يبتلى بمقابلته ، فالاذعر هذا كان يتناول جسده دون تفرقة بين وجهه وظهره وقدميه .

وأمام منزله وضع جذع شجره ، به حلقات من الحديد يربط بها الفلاحين الذين يخالفون اوامره أو يتأخرون فى دفع ضريبة كانت تسمى « ضريبة العتبة » وهى لاتتجاوز فى اغلب الاحيان خمسة قروش ولكن الفلاح لم يكن بقادر على دفعها ، فيظل يجلد ويجلد حتى يتطوع من يفك اسره .

وكان قريبى هذا او عمى شخصا قاسى القلب ، فظا فى سلوكه ، شاذ فى تصرفاته . كان رجلا طويل القامة ذو عنق طويل مجعد ، اصلع الرأس الى حد أنه كان الفلاحون يسمونه (بالاذعر) لايمل الحديث بصوت عال عن انجازات حكومة صدقى .

وكانت تأتيه مجموعة نسخ من صحيفة « الشعب » التى كان يصدرها حزب صدقى باشا « حزب الشعب » ولم يكن احد يقراها او يتداولها ، وانما تظل مكومه فى منزلة لا يعرف احد من الشعب شيئا عنها .

ومن جهة اخرى كان هناك جريدة اسمها الجهاد تاتى لبعض افراد فى القرية

معظمهم من الحرفيين منهم الحاج مصطفى السقا ، الشيخ محمد شمس الدين المأذون وغيرهم وكان الناس يتجمعون لقراءتها فى حلقات صغيرة . ولازالت اذكر هذه الصحيفة وقد كتب فى أول صفحة منها : —

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا   إن الحياة عقيدة وجهاد

وكثيرا ما كان العمدة ، هذا يهاجم التجمعات ، ولما عجزت قوة الخفر التابعة له عن ملاحقتهم ، قام بتعيين عددا اخر من الخفر يماثلهم فى العدد ، ولم تكن هذه المجموعة تتسلح بالبندقية الطويلة التى يحملها باقى الخفر ، ولكن كان كل منهم يحمل نبوتا ، وعرفت فيما بعد ان القرية هى التى تقوم بدفع مرتباتهم الشهرية .

ولكن هذه القوة التى اضافها حضرة العمدة الجديد ، لم تساعد على استقرار الامن حيث ازدادت الحلقات التى تقرأ « الجهاد » وحيث زاد عدد جرائم تقليع القطن والحرائق .

وفى ليلة من الليالى هبط على القرية عدد من الجمال ، يمتطيها عساكر سود وبأيديهم الكرابيج ، ومعهم حضرة العمده ، وهو يعلن ممنوع الخروج بعد المغرب « يابلد هلس » .

ولكن الفلاحين وجدوا وسيلتهم للخروج ، اذ كانوا يشعلون الحرائق فى اى مكان دون قصد محدد الا الخروج الى الشارع وتحطيم قرار حظر التجول حيث كان العمده ، والهجانه انفسهم يطوفون بالبيوت ليدفعوا الناس الى الخارج لاطفاء الحرائق . وتوجت تلك المأساة بأن قبض على ابى ولم اشاهد عملية القبض هذه ولكنى رايته بعد الافراج والناس يهنئونه فى المنزل ، وعرفت انه قبض عليه هو وكثير من الاعيان فى القرى المجاورة لالقائهم بصناديق الانتخابات فى الترعة .

وهكذا كرهت القهر والاستبداد ، فكلاهما ليس كلمة تقال فى صحيفة ، أو قرار يصدره حاكم ، وانما هى موقف ينعكس على المواطنين ، ولو كانوا فى اقاصى الزيف ، فالحاكم المستبد الذى يسلب حرية مواطنيه ، يتحول شيئا فشيئا الى نصف ادمى . فلقد وصل الأمر بعمدتنا هذا وهو الامى ان كان يفتى فى الدين ويصادر اراء العلماء ، مما فيهم اخوه المدرس فى الأزهر ، ويقيم الليالى والندوات السياسية ، وبالطبع عثر على بعض اعوان له فى القرية من اصحاب الوشايات والعواطليه والمرتزقه والقادرين على تقديم الرشاوى لصغار الحكام .

تذكرت القرية فى هذه الفترة ، وانا استمع الى بعض اعضاء مجلس الثورة وهم يهاجمون الحياة الدستورية والحرية والنحاس باشا ، واحسست بعدم الراحة . وهم يسخرون من الديمقراطية على اساس انها شحن فى عربات الكارو وهم ذاهبون لاعطاء اصواتهم للباشا أو البيه .. ولكن لم يقدموا صورهم ومسيرتهم وهم يهدمون عدوان صدقى على الحياة الديمقراطية والدستور . ولم يقدموا موقف الفلاح وهو يصوت رغم الكرباج والعمده لحزب الوفد ليأتى بالاغلبية ، حقيقة اغلبية لم تصل الى ٩ر٩٩٪ ولكنها كانت اغلبية حجبت السراى واحزاب الاقليات وتبعدهم عن السلطة .. احسست فى هذا الوقت ان الثورة قد فرضت نفسها وصيا على الشعب ، عليها ان تعطيهم فقط ولكن ليس لهم الحق فى ان يطالبوا . عليهم ان يأكلوا وفى نفس الوقت عليهم ان يصمتوا عن اى كلام فيه اساءة لهؤلاء الثوار .

كان هذا هو اول درس تعلمته فى قريتنا عن الحرية ، ولذلك توقعت بعد هذه الاحاديث التى يدلى بها رجال الثورة ان يقوموا باعتقال كل من يفكر ان يتحرك حتى ولو كان شريكا لهم بالامس . احسست باتجاه الريح فتركت منزلى حيث بدأت الاختفاء ...... وفى المساء كان الهجوم على منازلنا ولكن من حسن الحظ انهم لم ينجحوا فى اعتقال اى رفيق من اعضاء المكتب السياسى . .

الصــــراع

لم يكن المعتقلون جميعا يمثلون اتجاها واحدا ، وانما كانوا يمثلون اتجاهات مختلفة من طليعة العمال والحزب الشيوعى (الرايه) ... وبعض افراد ديمقراطيين نقابيين ، وكان العدد الاكبر من اعضاء حدتو .

لم يشترك فى الاضراب سوى مجموعة (حدتو) وبعض العناصر الديمقراطية .. وفشلت كل المحاولات لاقناع الاخرين بالاشتراك فى الاضراب ، ولم يكن الجو صالحا لعزل نقطة مطالب الاضراب عن باقى الخلافات .. فمن حين لآخر كانت تنهمر علينا الاتهامات من كل جانب .. فاعضاء تنظيم (الراية) يصرون على ان حكومة ثورة ٥٢ فاشية ،وانها انقلاب امريكى وتمثل اعلى قمم الرأسمالية ، وفى أى مناقشة تستهدف عزل مطالبنا كمعتقلين عن الخلافات ترتفع اصواتهم بالاناشيد الحماسية الإستفزازية ، بسقوط الفاشية وعملاء السلطة .. ويقصدون بذلك اعضاء حدتو .. لقد كانوا فى معظمهم يمثلون عناصر صغيرة السن من الطلبة لم تعركها السياسة بعد ، او من العناصر التى لم تعرف السياسة الا عن طريق الكتب فقط .

وكان إعضاء طليعة العمال يخفون صفاتهم كشيوعيين ، ويصرون على انهم مجرد عناصر تقدمية ونقابية ، ولم يكن عندهم وضوح سياسى فى تحليل السلطة ، سوى انهم يريدون اسقاطها ، وكانوا يعلقون آمالاً كبيرة على حزب الوفد فى هذه الفترة .

لقد كان الموقف دقيقا ، اذ اننا كنا نلمح ان هجوم السلطة على الشيوعيين يشتد يوما بعد يوم ، وان هذا المعتقل انما يستهدف فى النهاية تحطيم معنوياتنا ، ولم نكن نملك الا ان نقاوم بسرعة ، فان توالى الهجوم مع الاستسلام يجعل المواجهة فى المستقبل شاقة ان لم تكن مستحيلة ، وكنا نشعر ان زملائنا فى القاعدة من الممكن أن ينحرفوا إلى أقصى اليسار فى ظل هذه الظروف .

كانت مطالبنا تنحصر فيما يلى ...

.. السماح بقراءة الصحف .
.. السماح بالزيارة .
.. السماح بالمراسلة .
.. نقل وجهة نظرنا الى السلطة فى عودة الديمقراطية .
.. رفض المفاوضات مع الانجليز كاسلوب ، واستمرار الكفاح المسلح الذى اوقفه حريق القاهرة .

ولكن باقى التنظيمات رفضت بالكامل الاضراب ومطالبه ، واستمرت فى حملتها علينا مرددة .. اننا شاركنا فى جريمة ٥٢ (يقصدون ثورة ٢٣ يوليو) ومدعية ان عبد الناصر كان عضواً فى تنظيم حدتو تحت اسم « موريس » .. وبلغت المأساة ذورتها باتهامنا باننا شاركنا فى اعدام « خميس » و « البقرى » مع اننا كنا التنظيم الوحيد الذى اثبت ان حريق كفر الدوار كان وراءه « حافظ عفيفى » وانها مؤامرة راسمالية تستهدف ضرب الحركة العمالية ، وانزلنا العديد من المنشورات فى هذا الاتجاه .. ورتبنا اللقاء بين اللجنة المسئولة عن تكوين الاتحاد ومجلس قيادة الثورة فى هذا الوقت لتوضيح هذه المؤامرة .

لم ننجح فى اقناع الاخرين بالاضراب عن الطعام من اجل المطالبة بتحسين اوضاعنا ، واقصى ما وصلنا اليه هو ان يقفوا على الحياد ، دون محاولة اضعاف معنويات الزملاء . كان عددنا فى ذلك المعتقل حوالى ١٥٠ من اعضاء حدتو وهم يمثلون الاغلبية ، فاخذنا نعمل على اعداد الزملاء معنويا لخوض المعركة ، وتوضيح مطالبنا واسلوب التعامل مع الادارة فى هذه الفترة ، وارسلنا الى خارج المعتقل لباقى الزملاء والاسر والرفاق فى السجون الاخرى ، وقسمنا الزملاء الى دفعات ، تدخل كل دفعة الاضراب فى تاريخ محدد لها ..

وتولى الزملاء الفنانون اصدار مجلة فكاهية كاريكاتورية تصور حالة المعتقلين المضربين ، وتنشر اخبارهم بطريقة فيها نوع من الفكاهة ، هذا الى جانب قصص قصيرة من مختلف انحاء العالم عن معارك الشيوعيين فى المعتقلات ..

وبعد ان تأكدنا من وصول اخبار استعدادنا للاضراب الى الخارج ، بدأنا نتعمد ان تكون مناقشتنا لهذا الموضوع بصورة علنية ، وتقدمنا بمطالبنا بشكل واضح الى الادارة والى الجهات المختلفة .. ولكن الادارة اصمت آذانها عن كل شيء .. وكان كل ما يقوله مدير الليمان ان هذه المطالب ليست من سلطاته .

ودخلت الدفعة الأولى للاضراب واخلى لهم عنبر خاص . واستمروا فى الاضراب اربعة ايام . وفى اليوم الخامس دخلت دفعة ثانية ، وبعد ثلاثة ايام دخلت دفعة ثالثة . ووصل عدد المضربين حوالى ستين والى اليوم العاشر لم تتحرك ادارة السجن او يأتى مندوب الحكومة .. ولكن ادارة السجن كانت من حين الى آخر تبلغنا نتائج اتصالها بالمباحث ، وكانت تتلخص فى كلمة واحدة .. فليموتوا .. وفى اليوم السادس عشر كانت المفاجأة ... اعداد ضخمة من قوات الامن تتولى حراسة السجن والليمان تتقدم صارخة وهى تحمل الشوم وواضح من حركاتها انها اعدت اعدادا كاملا لهذه المعركة .. فهى ترقص وفى ايديها الشوم ، وتركض بسرعة جنونية فى اتجاه عنبر واحد الذى كان يضم حوالى ثلاثين من المضربين وتبدأ معركة رهيبة بين المضربين وقوات الامن .. المعتقلون يحاولون ان يغلقوا الباب من الداخل والقوة المجنونة تدفع وتحطم وكأنها تتسابق الى الداخل ، تضرب يمينا وشمالا دون وعى او تحديد لاتجاه الضربات .. صراع غير متكافىء سواء من الناحية العددية أو من الناحية الجسمانية .

ويقف « سعد الساعى » بطل مصر فى الملاكمة واول ليسانس الاداب وقفة الملاكم الذى يتصور أنه قادر على الصراع .. ولكن شومة غاشمة تصرعه ، ويعاود الوقوف فى تحدى الملاكم ، ولكن الشوم يلقى به ارضا وتصل المأساة الى حد مضحك .. ففى هذا الصراع يعز على سعد بأن ينهزم فيطلب منا مأمور السجن .. ولا تكتمل كلماته حتى يتحول الى قطعة من اللحم تتقاذفها الاقدام وتنوشها العصى بصورة محمومة . ويقود هذه المعركة مدير الليمان ، ويصرخ كما لو كان جنرالا فى معركة حربية .. ومن الغريب انه كان يصطحب ابنه فى هذه المعركة كما لو كان يشهد على بطولة ابيه .

ووسط هذا الجو المحموم تنطلق صرخة مدوية . ونفاجأ بطفل يجرى بين الجنود متقدما ليحتضن احد المعتقلين ، ويصرخ وهو يدفع بالجنود بعيدا عنه .. استاذى استاذى لا تضربوه .. ويتوقف الضرب للحظات . ويعم سكون بارد .. ويكتشف مدير السجن ابنه وهو يحتضن احد المعتقلين ، فيرتجف الرجل وينظر الى ابنه نظرة استنكار واستفسار . ثم ينقل بصره الى المعتقل والدماء تنزف من رأسه وهوشبه عارى .. انه استاذى فى الفلسفة « جميل عبد الشفيع » .

ويرتبك المدير ويدفع بالمدرس والتلميذ بعيدا لتستمر المعركة ..... يا للمهانه الانسانية .. عندما يصفع الاب امام ابنه . او يضرب المدرس امام تلميذه .. ويا لنذالة الاب الذى تتحجر عواطفه وهو يعرض نفسه على ابنه فى صورة السفاح .. لا ادرى لماذا تركزت عواطفى كلها فى هذه اللحظة فى جميل عبد الشفيع مدرس الفسلفة الرقيق المهذب الذى يشبه العصفورة ، وفى هذا التلميذ الذى اثار فى نفسى اشياء كثيرة .

لقد احسست فى هذه اللحظة ان الذى ضرب هم كل مدرسى مصر ، تراثها حضارتها تاريخها ، وان صراخ هذا الطفل لم يكن الا عويل مصر .. التى تعيشها بلا حرية ، بلا ديمقراطية ، بلا كلمة شريفة وانطلقت الكلاب المسعورة تضرب فى كل مكان . لم تترك نظارة الا وحطمتها ، زجاجات الدواء دهستها ، الكتب مزقتها .. الى اين المسير يابلدى .. المريض يحرم من دواء ، ضعيف النظر تحطم نظارته والكتب تثير الرعب والكراهية . انهم يريدوننا قطيعا اعمى ومجموعة من المرضى وجماعة من ذوى العقول الفارغة . فالديكتاتورية لاتستطيع ان تعيش الا اذا جردت الشعب من كل مقوماته . فكرة ثقافية ... وهكذا عاشت مصر فى تلك الفترة . مصر التى صارعت الاستعمار طويلا ، مصر التى ما انخفض صوتها فى اشد الفترات ظلاما ، مصر التى اعتادت الا تعطى ثقتها لزعيم الا بعد سنوات وسنوات من النضال .. مصر الآن عليها ان تصمت وتعطى ثقتها لضباط لم تعرفهم الا من شهور .. عليها ان تصمت فالزعيم يتفاوض مع « هانكى » فى السفارة البريطانية . وكانت هذه المفاوضات محل انتقاد دائم من الشيوعيين . ويسرع « صلاح سالم » الى الاذاعة ليؤكد ان المفاوضات كانت ستنجح لولا هؤلاء الشيوعيين الملاعين . ومن هنا كانت عمليات التعذيب والاعتقال .

وينتهى يوم التعذيب الطويل ، وتتراجع القوات التى قامت به ، ويقف مأمور السجن متغطرسا صارخا .. من يريد الاستمرار فى الاضراب عن الطعام يتقدم خطوة الى الامام .. ويفاجأ الرجل بأن جميع المعتقلين المضربين عن الطعام لمدة ستة عشر يوما والمعرضين للتعذيب طوال يوم كامل .. يتحاملون على انفسهم ، ويتساندون على بعضهم البعض حاملين جرحاهم ويتقدمون الى الامام .. خطوة واحدة . ويصعق الرجل وتتراجع الادارة والمباحث .. وتبدأ المساومات .

واقبل المساءِ وبدأ المعتقلون يعودون الى زنازينهم الانفرادية . بعد فسحة العصر المسموح بها وقدرها نصف ساعة ، يملأون فيها الجرادل التى سيشربون منها طوال الليل ، وينظفون الجرادل الإخرى المعدة للتلبية نداء الطبيعة ، ويستلمون فيها عشائهم ، ولكنها لم تكن تخلو من دردشات وعلاقات انسانية وتبادل الذكريات الحلوة . والحقيقة ان ما كان يهمني فى هذه الفسحة ان اتناول العشاء بمنتهى السرعة رغم انه كان يأتى فى الساعة الخامسة اى بعد موعد الغذاء بساعتين فقط ، ولكن الذى كان يعنينى فى هذا كله ان اجد من يشاركنى العشاء .. وكان دائماً عشائى مع « فتحى خليل » ابن السويس وعاشقها .

لقد كان انسانا بكل معنى الكلمة ، رغم السخرية القاتلة التى يمارسها حيال كل الزملاء حتى حيال نفسه ، لقد كان يسرع بعشائه الى حجرتى لنأكل سويا ، فهو يعلم جيدا اننى لا استطيع الاكل بمفردى ولو أدى ذلك الى ان أنام بدون عشاء أو اصبح بدون أفطار .. لا استطيع ان اكل الا مع الاخرين . وليس كل الاخرين فلابد وان تكون لى معهم علاقات انسانية حسنة ، وطالما عذبتني هذه اللازمة .

وما ان اغلقت الزنازين وتم التمام حتى عاد الشاويش « عبد الرازق » ، ذلك السجان العجوز الماكر الداهية ، لينادى على اسماء ثلاثة من المعتقلين ...

أحمد الرفاعى ... كمال عبد الحليم ... عبد المنعم الغزالى .

ولم يكن متوقع من الشاويش ان يعطى معلومات اكثر مما يبلغ اليه ، ولو انه يعلم اشياء كثيرة ، لخبرته الطويلة وثقة الادارة به .

وعبد الرازق شاويش فى مصلحة السجون منذ ثلاثين عاما . نحيل الجسم ، بارز عظام الوجه ، ذو سحنة تميل الى الخضرة المشربة بالصفرة ، متوسط القامة ، لا يثور ولا يرتفع صوته ، ولكنه ذو عين نافذة ، قاسى الوجه ، ينظر الى الناس كما لو كان واحد منهم قد ظلمه فى رزقه أو حظه ، فالجميع مجرمون مخطئون ما دام قادرا على ان يستذلهم ، ومن لم يستطع ان يستذل فهو سيد مميز ودائما على حق .

لقد كانت حياة الشاويش عبد الرازق صورة معبرة عن معاناة الفلاح المصرى فى ظل الاستعمار والاقطاع فهو فلاح منحدر من ريف الصعيد ، اخذته السلطة البريطانية فى ابان الحرب العالمية الثانية ، وأرسلته للعمل فى فرنسا ... ولاول مرة اعرف ان المصريين الذين كانوا يعملون فى السخرة ، قد عملوا فى اوربا .. فكتب

التاريخ لاتذكر انهم عملوا الا فى منطقة الشرق الأوسط . ولكن عبدالرازق كان يعطى تفاصيل دقيقة عن فرنسا وعن نوع الحياة التى كان يعيشها هناك .

ومن الغريب ان هذا الظلم لم يولد عنده اى رغبة فى الاحتجاج عليه او العطف على المظلومين .. ولكنه خلق منه كائنا يعتقد ان الاصل فى الحياة ان تظلم او تظلم . فاذا لم تكن قادرا على ان تظلم فليس امامك الا ان تعيش مظلوما .... قانون وضعه لنفسه استباح به ان يكون قاسيا وفظا مع الجميع .

وقفنا نحن الثلاثة داخل العنبر ، والزنازين مغلقة ، والرفاق ينظرون من العيون السحرية الينا ، وبعضهم قفز الى الشبابيك ليلقى علينا نظرة الوداع .. اذ ان مجلس قيادة الثورة قد اعلن عن تشكيل (محكمة الثورة) لمحاكمة السياسيين .. وهى محاكم خاصة بلا قانون ، وكان قد سبق لها ان اصدرت حكما باعدام بعض الذين كانوا يتعاونون مع الانجليز ، وكذلك حكما بالأعدام على احد رؤساء الوزارات السابقين . وهو « ابراهيم باشا عبد الهادى » ، رئيس الحزب السعدى حزب كبار الرأسماليين المتعاون مع السراى ، كذلك حكما بالسجن المؤبد على « فؤاد باشا سراج الدين » وزير الداخلية . وكان صلاح سالم قد اعلن ان الشيوعيين سيحاكمون امام محكمة الثورة .. اذن فنحن ذاهبون الى محكمة الثورة .

النتيجة معروفة مقدما ...... الاعدام .

وارتفع من الداخل صوت الرفاق يرددون الاناشيد ، فها هم رفاق لهم عاشوا معهم الحياة حلوها ومرها ، هزائمها وانتصاراتها ، عاشوا معهم معارك مصر ... يرسلون الى الاعدام .

واقبل السجانة لنقلنا من داخل العنبر لنرحل الى القاهرة ، وكلما ابتعدت خطوة عن العنبر ، كانت كلمات الاناشيد تلاحقنا ...

بين صخر وحديد   واعاصير وسيل
وقيود وسدود   قتلوا منا بطل

نشيد حزين . فيه قوة واصرار ، فى كل كلمة منه احس رائحة الدم ، ومعنى التطابق بين الموقف السياسى ومواجهة الموقف . ان الانسان الكامل هو الذى تتطابق عواطفه وارائه مع موقفه السياسى . كلمات صاغها الرفيق « كمال عبد الحليم » عندما مات احد المناضلين السودانيين فى السجون المصرية ، وهو طالب الهندسة « صلاح بشرى » .

ومع النشيد الحزين والليل الذى يزحف فى عتمة داكنة على سجن بنى سويف ، وجدنا مئات العساكر مصطفين على جوانب الطريق ابتداء من السجن حتى محطة بنى سويف . وفى داخل المحطة كانت هناك قوات ضخمة من رجال الامن موزعة على ارصفة المحطة شاهرة السلاح تحت قيادة مدير المديرية .

ان النتيجة واضحة ، وواضح ان الحكم اعد سلفا . والا لماذا المظاهرة الضخمة المكونة من اكثر من الف جندى لحراسة ثلاثة من المعتقلين المكبلين بالاغلال .

ولا اقول صعدنا الى القطار ، وانما حملونا حملا الى احدى عربات الدرجة الأولى . ومعنا عدد ضخم من الضباط والجنود للحراسة ، وبدت فى نظرات الضابط المكلف بحراستى صورة من صور الرثاء ، فهو يحاول ان ينظر الىّ ، ولكن نظراته تهرب كلما ابصر الحديد على معصمى . وكأنه هو المسئول عن ذلك ، او انه يتأفف من مشاركته فى عملية قذرة . ومن حين الى آخر كان يسألنى .. هل يؤلمك الحديد .. ولكن لا ادرى لماذا لم اكن ارد عليه ، فلقد كانت افكارى سارحة فيما هو ابعد من نفسى ......

الى اين المصير .. ؟ ... وما هى القضية ؟

وفى خضم هذه الافكار التى تُنازعنى ، وجدت ضابط برتبة رائد يستأذن فى الدخول الى الصالون ، وجلس بجوارى ، وبدأ فى عينيه أنه يريد الحديث معى ... ولكن الضابط المكلف بحراستى اشار اليه اننى ممتنع عن الحديث . ويبدو انهم كانوا زملاء دراسة فى كلية البوليس ، فأستأذن الضابط المكلف بالحراسة للذهاب الى دورة المياه ، مطمئنا الى وجود العساكر وزميله الذى استأذن فى الدخول ... وهنا نادنى الضابط باسمى التنظيمى .. ولكننى لم ارد . فالعقل الباطن مع التدريب المستمر يعيش فى يقظة دائمة ، حتى امام اسرع المفاجأت ... وهى عملية مجهدة ... ولكن لابد منها ..

ولما لم يسمع جوابا اخذ يلح علىّ ان استمع اليه . فاخبرنى انه زميلى فى التنظيم وان هناك مجموعة من الرفاق قد قبض عليهم . وهم فى السجن الحربى .. حيث سنذهب هناك فى هذه الليلة .. وان هناك بعض اعترافات عليكم .. واخذ يعدد اسماء الزملاء المقبوض عليهم ..

يوسف حلمى .. زكى مراد المحامى .. دكتور شريف حتاته .. محمد شطا .. حليم طوسون .. بكر سيف النصر .. إبراهيم حسن .. إبراهيم يونس .. خليل

قاسم .. البير أرييه .. الضابط مصطفى كمال صدقى .. سيد البكار .. واخرون ..
لقد احسست بخنجر بين اعماقى .. اذن لقد قبض على اغلبية المتبقين من اللجنة المركزية مع قيادة الجبهة المكونة من الوفديين وبعض عناصر الحزب الاشتراكى .
فألتفت اليه وقلت له .. متشكر هذه الاسماء لا اعرفها ، ولا ادرى ماذا تقصد ؟ .. لقد كاد الرجل ان يجن من اصرارى . ولكنى كنت احس انه اعطانى الكثير . ولا داعى للاستمرار فى المناقشة اكثر من ذلك مادمت لا اعرفه .. وفى المحطة التالية نزل بعد ان القى علىّ نظرة حب ووداع ، لقد كان مأمور مركز بوليس « بوش » محافظة بنى سويف فى ذلك الوقت ، والذى اصبح بعد ذلك « يوسف صبرى » الصحفى فى روزاليوسف .
لا ادرى لماذا تداعت الى ذهنى خواطر كثيرة متلاحقة ، وتذكرت ابنى الذى مات من ايام ، وسعادة الضباط وتشفيه وهو يبلغنى الخبر وكأنه حقق انتصارا كبيرا .. ان المصائب تترابط مع بعضها . فالقبض على اى رفيق فى مثل هذه الظروف يمثل نعى عزيز علىّ ، وخاصة اذا كانوا رفاقا لهم تاريخهم واخلاصهم ونضالهم .
زكى مراد صديق العمر . الرفيق شريف حتاته القريب الى قلبى والذى افهم نظراته دون حديث .. محمد شطا القائد العمالى .. حليم الهادىء الرزين .. يوسف حلمى سكرتير انصار السلام .. بكر سيف النصر ابن البرجوازية الذى لفظها ورفضها .. ابراهيم حسين صديق الدراسة .. مصطفى صدق الضابط الذى كان ملىء السمع والبصر فى وقت من الاوقات ، منافس الملك فاروق فى غرامياته .. البيراريه .. عبداللطيف جمال الدين .. فؤاد منير .. عثمان غالب .. سعد كامل .. الشاعر خليل قاسم .. عبدالمنعم الغزالى .. احمد طه .
اذن فهى قضية الجبهة الوطنية .. لقد احسست بثقل التهمة التى ستلقى علىّ . فلقد كنت ممثلا للشيوعيين فى هذه الجبهة . انا الذى وضعت برنامجها ، وكتبت اول بيان لها بخطى .
وكان الذى يشغلنى فى هذه اللحظة .. من هم الاخرون الذين لم يذكرهم الرائد .. ؟ على كل حال فما باليد حيلة . ومادامت قد وقعت الواقعة فلامتع عينى بجمال الحقول .... فلعلها آخر مرة اراها .. من يدرى ؟.

وانطلقت اغنى بينى وبين نفسى لحنا ريفيا لاعلاقة له بالموضوع ، انما فيه ذكريات القرية والطفولة .. يابهية وخبرينى على اللى قتل ياسين .. وبدأت اضحك مع الضابط المكلف بالحراسة .. وكم كان سعيدا ولطيفا . واشعل لى سيجارة ، واخذ يحدثنى عن شقيقه الذى سبق له وان اعتقل . وبدا من كلامه انه يريد ان يخفف عن نفسه عبىء هذه المهمة ، والا انظر اليه نظرة فيها احتقار وازدراء . من خلال الحديث عرفت ان هذا الضابط شقيق لزميل لى فى المدرسة الثانوية اسمه « نشأت » ، وكان من حين الى آخر يلمح عن شقيقه هذا الذى بدأ حياته ثوريا وانتهى به الامر الى يأس قاتل ، وكأنه كان يقول .. ليته استمر معكم ، حتى ولو لقى نفس مصيركم ...

وما كاد القطار يتوقف فى محطة القاهرة ، حتى اسرعت قوات لا حصر لها ، واحاطتنا من كل جانب نحن الثلاثة المعتقلون . كمال عبدالحليم .. عبدالمنعم الغزالى ، وانا . وكل من رجال المباحث يبالغ فى استخدام العنف ورفع الصوت وكأنه يشهد الجميع على اخلاصه وتفانيه فى تنفيذ واجبه .

ومضى رتل السيارات المخصص لنقلنا تتقدمه صفارات مرعبة ، وتحيط به سيارات جيب من كل مكان حتى وصلنا الى مبنى فى الصحراء ..... انه السجن الحربى العتيد .

* * *

السجن الحربى

نزلنا أو انزلونا الى ادارة السجن الذى انشأه الانجليز لتعذيب العساكر المصريين حتى يصلوا الى مرحلة يتمنون فيها الانتحار .

وبدأ تفتيش امتعتنا الفقيرة البائسة .. ملابس داخلية ، بيجامات ، بعض القصص العربية والاجنبية . ويتم التفتيش بفظاظة . ويرتفع صوت احد الضباط .. خونة يقرأون كتب انجليزية .. ويتم تحريز هذه الكتب وكأنها الغام خطرة . ونعاد الى السجن . والمح قرب البوابة بعض الاسماء التى ذكرها يوسف صبرى .

ويدفعوننى الى زنزانة ضيقة مظلمة لا اتبين شيئا فيها . وبعد دقائق تمر مجموعة من الجنود تدفع الىّ رغيف ومعه بعض الملح .. العشاء .. العشاء .

الحجرة مظلمة لا أعرف محتوياتها او ابعادها .. اقبض على الرغيف بيد من حديد ، واتلمس طريقى فى الظلام حتى اهتدى الى الجدار . وابدأ فى تناول العشاء بروح لا تشعر بالاطمئنان . ينحصر كل تفكيرى فى شىء واحد ، لاثانى له . لابد وأن اعيش . لابد ان تمر المحنة .. ان الاصرار هو ابن الارادة الواعية بابعاد المأساة .. ومن اجل ذلك لابد وان اتعود الحياة الجديدة ، وان أتأقلم معها .. فقد كان بعض اعضاء مجلس قيادة الثورة يدلى بتصريحات عن العنف والبطش وعن الهجوم على الحياة الديمقراطية . وكان تصوراتهم عن الشيوعية كما قال عبدالناصر فى ذلك الوقت .. انها افعى ذات مائة رأس تتكور وتتكور ثم لا تلبث ان تنقض عليك من جديد .

انهم يتصورون انفسهم فوق الجماهير التى عليها ان تثق بهم .. وطنيون حقا ولكن يرفضون الديمقراطية يضعون الوطنية والتحرر فى تعارض مع حرية الجماهير .. يضربون كل الاتجاهات . كأن مصر لم تولد الا فى ٢٣ يوليو . ما ابرأهم من شباب ولكن ما اخطرهم على مسيرة الشعب .

وانطلق فى تفكيرى حتى يصل الىّ صوت احد الجنود وهو يغنى الصعيدية .. ان مال عليك الزمن . ميل على دراعك .. انتبه الى الرغيف الذى فى يدى ، فاقضم نصفه واحتفظ بالنصف الباقى حتى الصباح ، علهم لايقدمون غيره .

وما ان وضعت رأسي حتى غلبنى النوم ، واستيقظت فى الصباح الباكر لاكتشف مكونات الحجرة .. انها زنزانة صغيرة لا تختلف كثيرا عن زنازين السجون التى سبق أن سكنتها منذ نهاية الاربعينيات وفى اوائل الخمسينيات .. اتطلع الى الجدران وأحاول ان اقرأ الكتابات عليها ، فانا اعرف ان المسجون انما يحاول ان يترك اثرا يذكر الاخرين به .

كتابات كثيرة ، ولكنَ استوقف نظرى كتابة على باب الزنزانة الحديدية المكتوبة بمسمار .....

محمود صبرى ... الشهير بصبرى كينج

« ارفع يدك الى السماء واقرأ لى الفاتحة »

وكنت قد عرفت من زملائى المعتقلين فى سجن اسيوط والذين رحلوا الينا الى سجن بنى سويف ان محمود صبرى الشهير بصبرى كينج قد اعتقل مع عدد من المصريين المتعلونين مع القوات البريطانية بتهمة التجسس . وكنت قد قرأت فى الصحف ، انهم نفذوا فيه حكم الاعدام . ولكن الذى اثار فى نفسى الالم اننى الشيوعى اعامل معاملة صبرى كينج ، واسجن فى نفس الزنزانة التى مر بها من قبل . لقد احسست برأسي يلتهب .

كنت اسمع عن صبرى كينج منذ اشتركت فى معارك الفدائيين فى عام ٥١ التى انتهت فى ٢٦ يناير ٥٢ بحريق القاهرة .

اليس غريبا ان اقدم الى نفس المحكمة التى تحاكم صبرى كينج .

اليس غريبا ان اقرأ وداعه للحياة .. وقد تواجهنا انا وهو فى معركة مسلحة .. انا كفدائى وهو كعميل متعاون مع الانجليز .. وتذكرت قول ابى العلاءِ ..

رب لحد صار لحدا مرارا ساخرا من تعانق الاضداد

ايقنت فى هذه اللحظة ان رجال ٢٣ يوليو ، رغم عظمة العمل الذى انجزوه ، لا يعرفون طريقهم .. انهم يتصورون الخيانة فى بعض العناصر التى قبضوا عليها فى منطقة القناة من العمال الفقراء . « صبرى كينج » « حسن قدرى » « سعد الحلاق » ، ونسوا ان الخيانة تعيش معهم فى القاهرة وفى القصور وفى اجهزة الحكومة .

عشت في هذه التأملات لفترة لا ادرى اطالت ام قصرت حتى فتحت الزنزانة ، واطل منها ثلاثة جنودوضابط اشاروا الىّ ان ارتدى ملابسى .

وما كدت امشى خارج الزنزانة لبضع عشرات من الامتار حتى ادخلت الى حجرة يجلس فيها وكيل المدعى العام « على نور الدين » . كنت اعرفه منذ زمن طويل كوكيل لنيابة امن الدولة . وما كدت اجلس حتى بدأ التحقيق معى . وبعد السؤال عن الاسم ومختلف البيانات . بدأ السؤال عن التهمة الموجهة الىّ .. انت متهم بانك عضو فى المكتب السياسى لتنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) ، وانك عن طريقه اسهمت فى انشاء جبهة من الاحزاب المنحلة « حزب الوفد » « الحزب الاشتراكى » ، لاسقاط نظام الحكم بالقوة المسلحة .

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى يوجه الىّ فيها الاتهام بالاشتراك فى تنظيم شيوعى ، ولكن الجديد فى هذه التهمة ، هو انشاء جبهة من الاحزاب السياسية المنحلة .

وكان ردى على السيد وكيل المدعى العام ، هو النفى ، واننى لا اعرف ما هى اهداف هذه الجبهة التى يتكلم عنها ، فأخذ سيادته فى شرحها من ورقة امامه ...

اطلاق الحريات الديمقراطية .

حق الشعب فى تكوين احزابه الوطنية .

طرد الاستعمار عن طريق الكفاح المسلح .

عقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى .

اسقاط المشاريع الامريكية .

اعادة محاكمة خميس والبقرى .

وبعد ان شرح السيد وكيل المدعى العام هذه البنود ، اجبته اننى لا ارى فى هذه البنود ما يدعو الى التجريم ، فاى نظام وطنى لا يعارض هذه المطالب .. وهنا استدعى السيد وكيل المدعى العام احد زملائى المتهمين وهو « ابراهيم حسين » ، واجهنى به مستفسرا عن مدى معرفتى به ، وكان مفاجأة له اننى لم انكر معرفتى به ، بل اكدت له إنه صديق لى .. وهنا ظهرت البهجة على وجه المدعى العام ، الذى اكد ان ابراهيم حسين ضبط فى منزله مطبعة ، هو وحليم طوسون وانه وجد ايصال باسمى بشراء نجفة فى هذا المنزل ، مما يؤكد ان لى

علاقة بهذه المطبعة ، التى دأبت على طبع منشورات تطالب بالديمقراطية . كان ردى الوحيد ان ابراهيم صديق ، وكان يسكن بحى المنيل قبل ذلك وليس فى الهرم كما تقول . واذا وجدت اوراق تخصنى بمنزله فهذا امر لا يستغرب بين صديق وصديقه .

تفرست فى وجه ابراهيم ، اكتشفت اللطمات التى على وجهه ومدى التعاسة التى يعيشها ، خاصة انهم قبضوا عليه مع اخيه الطفل الذى قدم من قرية المطرية ليقدم اوراقه الى الجامعة .

لقد كان ابراهيم صديقا قديما .. وهو عضو فى حزب الوفد المصرى .

وبعد دقائق استقدموا شاهدا اخرا . اكد انه يعرفنى واننى كاتب البيان الأول للجبهة ، واننى كنت مندوب حدتو مع حزب الوفد والحزب الاشتراكى .. قال هذا وانصرف . كدت ابكى فى نفسى للوضع الذى وصل اليه . خاصة حينما عرفت انهم اخذوه الى المشنقة وهددوه بالشنق .

انتهى التحقيق وذهبت الى الزنزانة الانفرادية ... لاعلاقة مع انسان .. لا ارى احد .. اللهم الا وجوه الضباط الذين يهاجمون الزنزانة ويفتشونها ويتأكدون من ان الحديد الذى يقيد قدماى ويداى مربوط جيدا ، وكأنما يعتقدون اننى استطيع ان احطمه !!!

....

تهديد بالاعدام :ـــ

وفى مساء احد الايام يتقدم ضابط ويتلو علىّ من ورقة انه تقرر اعدامى فى صبيحة اليوم التالى انا ، و « زكى مراد » ، و « شريف حتاته » ، و « محمد شطا » .

ثم يصيح باعلى صوته : علم ؟

فاجبته : علم .

فيقول : قل نعم يافندم .

فقلت : نعم يافندم .

ثم يعطينى ورقة وقلم لاكتب ما اريد من وصايا . ولكننى ارفض استلام الورقة والقلم .. حيث لا يوجد شيء عندى اوصى به ولا يوجد عندى ما اقوله ، ولكن

التاريخ نفسه هو الذى سيقول .

ثم يغلق الباب بعنف ويعود بعد قليل .

هل تريد شيئا ؟

لا فقط اريد العشاء .

ويخرج الضابط ناعتا اياى بأحط الالفاظ .... حيوان ... بليد الحس

فاجبته فى هدوء : لماذا انت غاضب ؟

فيقول : انت عديم الاحساس ..

فاجبته : انا الذى سأموت وليس انت . فلا تغضب .

واقضى الليل افكر فى احتمالات الموت . وتشغلنى فكرة غريبة مؤداها ان الذين يسرعون فى قتلى لا اكن لهم اى شعور بالكراهية ، وانما هم جزء من معسكر الشعب .. وفى نفس الوقت يمتد فكرى الى ما بعد الموت . ماذا ستقول الاجيال القادمة .. لماذا قتلت ؟ هل سيضيع دمى هدرا لان الذين قتلونى كانوا وطنيين ايضا ؟

انها تراجيديا اعيشها ليس بمفردى ، ولكن بالقطع ايضا يعيشها هؤلاء الضباط . انهم بلا شك ضد الاستعمار ، لكنهم يحملون ايدولوجيا فيها الكثير من تاثيرات الفكر الاستعمارى والرجعى من كراهية شديدة لاى بعد اجتماعى لمعركة التحرر من الاستعمار . ان المعركة فى ذهنهم بين شعب باجمعه . منسجم فى كل شىء ... لا ظالم ولا مظلوم ، لا صغير ولا كبير .. الاقطاعى مجرد ظالم لفلاح ، الرأسمالى مجرد ظالم بعض الشىء للعامل .. ولكن امعان الفكر فى هذا الرأسمالى او الاقطاعى .. وان كلا منهم يمثل طبقة شىء غائب عنهم تماما .. لايستطيعون ان يمتدوا بأفكارهم الى مدى عمق التناقض بين مصالح الفلاح والعامل والاستعمار ، مرورا بالاقطاع والرأسمالية .. المعركة فى مفهومهم محدودة المعالم . انهم وحدهم هم الملائكة الابرياء المجردون عن المصالح .. وتنطلق كلمات ساذجة مثل قول « جمال سالم » للبعض .. والله لو شنقتنى الثورة بهذه الكرافتة لما ندمت ..

طبعا لن تشنقه الثورة .. ولكن هل فكر ان الثورة تشنق غيره ... ؟

واذا شنقت غيره ، فلماذا تشنقه ... ؟ وفى اى معسكر يقف هذا المشنوق .

امتد تفكيرى بهذا الاسلوب حتى الصباح . حتى افقت على صوت الضابط

نفسه .. التنفيذ اتأجل حتى العصر .. هل توجد لديك طلبات ... ؟

احسست فى نفسي بمدى سذاجته وطفولته حتى الكلمة كنت ابخل عليه بها .

اعاد السؤال مرة واثنين وثلاثة .. واخيرا قلت له بنوع من القرف ..

اريد الفطور فقط والخلوة الى نفسى .

سب ولعن وانصرف ..

امتدت هذه المهزلة لمدة ايام عديدة ، ونحن فى نفس الوقت نسمع عن محاكمة « سراج الدين » سكرتير حزب الوفد المصرى وهو واقف صامد فى محنته حتى صدر الحكم ضده بالحكم المؤبد على ماذكر ، وكان ذلك بعد ان اصدرت المحكمة حكمها بالاعدام على « ابراهيم عبد الهادى » رئيس الوزراء السابق والذى سبق ان حكم عليه الانجليز بالاعدام فى ثورة ١٩١٩ .

كان الحبس انفراديا بشكل كامل ومطلق .. كل مسجون يسمح له فقط بالخروج خمس دقائق او عشر دقائق يذهب فيها الى دورة المياه ، ويأخذ تموينه من المياه ويفرغ البول ويغسل ملابسه وفى نفس الوقت يلازمك السجان حتى داخل المرحاض ، ولكن يبدو ان هذه الشدة بدأت تضغط ايضا على اعصاب الجنود السجانين ، الذين بدأت قبضاتهم تتراخى ، وبدأت مدة الفسحة تطول ، وبدأنا نتبادل بعض الكلمات مع السجانين . عرفت من هذه المحادثات البسيطة حجرة شريف حتاته ، وزنزانة ابراهيم حسين وزنزانة زكى مراد .

ومن خلال المراحيض عرفت عن طريق بعض الكتابات الموجودة على الحائط ان « تيتو » حضر الى القاهرة وان حديثا ما ثار بين جمال عبد الناصر وبين تيتو عن المعتقلين الشيوعيين .

وما ان اكتشف السجانة هذا الامر ، حتى بدأت هجمة بربرية من ادارة السجن على المعتقلين ، صفعا وضربا بمختلف الادوات . عصى ، حجارة .. ربط الحديد من الخلف ... الخ .

ولن انسى زكى مراد وهو مقيد اليدين ، ومربوط بحبل ، والسجان يجبره على ان يأكل التراب وهو يرفض ، والضرب مستمر لا يتوقف .

وبعد ايام توقف الضرب ، ونقلونا فجأة الى مبنى اخر ، حيث أتت دفعة كبيرة من المعتقلين .. عرفت من هتافاتهم انهم من الاخوان المسلمين . نقلنا الى مبنى اخر فى السجن الحربى ، وبدأت المعاملة السيئة تخف قليلا بعض الشيء .

وفى نفس المبنى وفى القسم الآخر اكتشفنا وجود بعض قيادات الاخوان المسلمين ، « الشيخ فرغلى » « الاستاذ الهضيبى » « الاستاذ عبد القادر عودة » ! وبدأت بعض المناقشات معهم ولكن كان الغريب ان بعضهم حتى فى هذه المحنة يرى ان مجرد لمس يد الشيوعى شيء دنس من وجهة نظر الشيخ فرغلى .. وللحقيقة والتاريخ كان الاستاذ الهضيبى والدكتور خميس والاستاذ عودة اوسع افقا .

وان احسسنا بيأس كامل من الوصول معهم الى اى حد ادنى من الاتفاق ، الا أننا كنا حريصين حرصاً كاملاً على استمرار هذه العلاقة حتى لا نفقد علاقتنا بقراءة الصحف ، حيث كان مصرحا لهم بها ، فى الوقت الذى كنا ممنوعين فيه من قراءتها . وفجأة تبدلت المعاملة وبدأ بعض الضباط يكونون فى منتهى اللطف ، ويحاولون الحديث معنا فى السياسة . وكانوا يركزون على محاولة معرفة ايهما نفضل .. عبد الناصر ام نجيب .. وكأن القضية هى كشف هيئة لجمال او نجيب .. عرفنا منهم ان هناك حركة فى سلاح الفرسان تطالب بالديمقراطية والحياة النيابية . كان معظم هؤلاء الضباط مع محمد نجيب . وكانوا يوحون لنا ان يوم الافراج قريب وما علينا الا ان نؤيد محمد نجيب . وما ان امتد المناقشات حتى كان ردنا . نحن مع جمال عبدالناصر وضد الاستعمار وامريكا ..

وهنا اشاحوا عنا بوجوههم .... وعاد الحبس الانفرادى من جديد : وسحبت كل المكاسب التى كنا قد اخذناها مثل قراءة الجرائد او التصريح لنا بتقبل بعض النقود عن طريق الامانات .

سحب كل هذا وعاد للحياة جفافها السابق . وعادوا من جديد لوضع الحديد فى ايدينا من الخلف طيلة النهار . ماعدا بعض دقائق نتناول فيها الطعام أو نذهب فيها الى دورة المياه .

انه وضع بشع ان تنام ويداك فى الحديد خلف ظهرك .. والحديد يقيد قدميك . وكانت المأساة ان بعض حضرات الضباط من المرضى نفسيا يحلو لهم المناقشة معك وانت فى هذا الوضع .

ولم تمضى سوى ايام قليلة حتى توقف التعذيب ، وبدأنا نتصل مع بعض من جديد فى فترة المساء عن طريق احد السجانة الذى كان يتعاطف معنا بشكل عاقل ورزين . ومن خلال لقاءاتنا المسائية عرفنا ان الاخوان المسلمين قد افرج

عنهم واننا وحدنا فى السجن

وكان واضحا ان الاخوان المسلمين قد انحازوا بالكامل الى محمد نجيب ضد عبد الناصر ، كنا نعرف هذا من السجانين .

لكن المشكلة بالنسبة لنا اصبحت اكثر تعقيدا . نحن مع عبدالناصر فى مسيرته . ولكن محمد نجيب يرفع شعارات الديمقراطية والحرية والحياة النيابيه .. وضع معقد وصعب . ولكننا بحكم تجربتنا السابقة فى تنظيم الضباط الاحرار ، كنا نعرف طبيعة هؤلاء الضباط . انهم اساسا ضد الاستعمار ، وهم من اوضاع طبقية تفرض عليهم مسيرة لابد وان تتعارض مع الرجعية ان اجلا او عاجلا ، وبالتالى كان تأييدنا لجمال عبد الناصر مشروطاً بما سبق ان أعلناه برنامجا للجبهة قبل ان نعتقل ...

اطلاق الحريات الديمقراطية .

حق الشعب فى تكوين احزابه وتنظيماته الوطنية .

طرد الاستعمار عن طريق الكفاح المسلح .

عقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفييتى .

اعادة محاكمة خميس البقرى .

واضفنا اليها .. إطلاق سراح المعتقلين والمسجونين السياسيين .

ولم تمضى سوى ايام قليلة حتى حضر مندوب القيادة ، وعلى ماأذكر كان اسمه « أحمد محمود » وبعد نقاش طويل ، غير منظم ، كانت تتخلله بعض الاستفزازات من كلا الطرفين ، ابدى اندهاشه اننا لازلنا فى المعتقل . فان ما ترفعونه من شعارات انما هو ما تمضى فيه الثورة ، بل اكثر من ذلك ؛ فباالنسبة للعلاقات مع المعسكر الاشتراكى ، فيوجد هناك تقدم ملحوظ مع الاتحاد السوفيتى .

وانتهى النقاش بان كتبنا بيانا نوضح فيه موقفنا ، والذى عرف بعد ذلك باسم بيان السجن الحربى ، وهو لا يخرج عن النقاط التى سبق الاشارة اليها .

وظللنا فى سجننا كما نحن ، بلا تغير او تبديل .. حتى نقلنا الى سجن مصر ، حيث توجد معظم كوادر تنظيم حدتو ، والتنظيمات الصغيرة الاخرى ، بموقفها اليسارى الذى يتهم الثورة بأنها تمثل الفاشية ، والبعض الاخر يتهمها انها انقلاب امريكى ..

رغم اننا انتقلنا من سجن الى سجن ، وليس الى الحرية ، كنا سعداء اننا سنلتقى برفاقنا من جديد . وما كدنا ندخل الى سجن مصر ، حتى بدأت الهمهمات ترتفع عن (بيان السجن الحربى) واننا يجب ان نقصى بعيدا عن الشيوعيين . لقد ذهب البعض فى نظرتهم الى مطالبة ادارة السجن بان يسكنوننا بعيدا عن الشيوعيين ... لقد كان موقفا مؤلما .. ولكن كان يخفف من وقع هذه الصدمة ان هذه التنظيمات فى معظمها لاتعدو أن تكون حلقات معزولة من المثقفين ، أو تحت قيادة المثقفين ، ولا واقع نضالى لها .. تنظيم (الراية) لا تعدو أن (الحزب الشيوعى المصرى) و (النجم الاحمر) و (النواة) و (الطليعة) .. عناوين واسماء كثيرة لا اذكر تفاصيلها .

ولكن هناك رفاقنا فى قيادة (حدتو) « مبارك عبده فضل » و « فؤاد حبشى » واخرون لا اتذكر اسماءهم ، وقفوا معنا فى صلابة وعناد ، وعرفنا منهم بعد ذلك مدى المعاناة التى لاقوها من الرفاق فى القاعدة ، ومن التنظيمات الاخرى فى الدفاع عنا ، اذ كانوا يتهموننا بالخيانة والعمالة .

وما ان اقبل المساء ، واغلقت الابواب حتى وقف احد المعتقلين ، واظن اسمه « عبد الخالق الشهاوى » والقى قصيدة معذبة يتهمنا فيها بالخيانة والعمالة . ثار رفاقنا حتى الذين كان لهم نفس موقفهم ، وفى الصباح كان علينا ان نقابل هذا التهور والاندفاع بالشرح والتوضيح . لقد اكتشفنا ان اعضاء ل . م قد اعتقلوا ، وانه قد تشكلت قيادة مؤقته فى الخارج من اعضاء جدد لم يكونوا فى ل . م هم .. « محمود توفيق » « عبدالجابر خلاف » « صلاح حافظ » « بدير النحاس » .. وان هذه القيادة اتخذت مواقف يسارية التقت فيها مع باقى التنظيمات . واولها طردنا من الحركة الشيوعية بلا رجعة .. بل تطوع بعضهم وهو صديق لى احبه واحترمه بالمطالبة بتصفيتنا جسديا ... والكارثة التى تفوق هذا ان كل كوادر التنظيم توحدت مواقفها فى النقطة التالية ..

ادانة بيان السجن الحربى .. محاكمة الخونة الذين وقعوا على البيان .

البلبلة

لقد ادى تأييدنا لثورة ٢٣ يوليو الى خلق نوع من البلبلة فى صفوف التنظيم ، وخاصة ان الحركة الشيوعية العالمية لم تتعود ان ترى انقلابات عسكرية لها طابع وطنى ، فكانت معارضة هذه الحركة جزءاً لا يتجزأ من تراث الاحزاب الشيوعية ، ماعدا الحزب الشيوعى الايطالى الذى تحفظ فى موقفه ، وعلق على موقف حركة انصار السلام فى مصر من ثورة يوليو .

وزاد من هذه البلبلة ان الثورة كانت تمضى فى طريق معاد للديمقراطية بشكل واضح ، وابقت على عدد من المعتقلين ممن سبق وان اعتقلوا بعد حريق القاهرة . وحينما صدر قانون الافراج عن المسجونين السياسيين ، استثنى منه الشيوعيين . وشكلت محكمة برئاسة احد المستشارين لينظر فى قضايا الشيوعيين كل على حدة ، وانتهى امرها بقرار مضحك مؤداه ان الشيوعية ، جريمة اجتماعية ، رغم ان وزير الاعلام فى ذلك الوقت سبق وان صرح بان الشيوعية جريمة سياسية .. ولاغرابة فى ذلك فقد كان معتقلا مع الشيوعيين قبل ذلك ولم يفرج عنه الا فى صبيحة ٢٣ يوليو .

كان تأييدنا لثورة ٢٣ يوليو نابعا من مشاركتنا فيها عضويا وسياسيا . اذ كان لحدتو تنظيم فى داخل الجيش ، يساهم مع تنظيم الضباط الاحرار ، بل كان معظم اعضائه فى تنظيم الضباط الاحرار .

....

وكان العمل فى الجيش يرجع الى منتصف الاربعينيات ، باعتباره فضيلا من الفضائل الوطنية ، ولم يكن تنظيم الضباط الاحرار الا صورة من صور الجبهة الوطنية ، فقد كان برنامجها يتشابه مع برنامج اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال ، بل يكاد يتطابق معه ..

لذلك فعلاقتنا الوثيقة والعضوية بهذا التنظيم كانت تفرض علينا ان نكون او المؤيدين له . وهكذا لم يكن مصادفة ان أصدرنا نحن أول بيان لتأييد حركة الجيش طبع ووزع فى القاهرة فى الصباح الباكر لثورة ٢٣ يوليو . كانت مطبعة التنظيم فى ذلك الوقت لا تسمح بطبع منشور يوزع على مستوى واسع ، وبالتالى كلفت من الرفاق الموجودين فى الخارج بطبع المنشور باى وسلة كانت .

ذهبت مع احد الرفاق الى مطبعة فى السيدة زينب فى حى المالية ، ودفعت الى صاحبها بالمنشور ، وما كاد بصره يرتفع عن البيان ليناقش ، حتى اصدرنا له امرا بالبدء فورا ، وكان بيان الثورة قد اذيع . ارتبك الرجل حينما طلبنا منه التنفيذ فورا بلغة الواثقين ، وانه لايوجد وقت لنضيعه ... وبالفعل بدأ الرجل فى التنفيذ . وما هى الا ساعة واحدة حتى كان البيان يوزع فى كل الاحياء وفى وقت واحد .

اجتمعنا على الفور فى حى الزيتون ، ومعنا احمد فؤاد عضو حدتو والذى كان مسئول الاتصال بقسم الجيش ، وبدأنا المناقشة فورا فى الواجبات الملقاه علينا ، وانتهى الاجتماع الى ضرورة ..

الافراج فورا عن المسجونين السياسيين . وكذلك المعتقلين .

تأمين الثورة داخليا ضد المؤمرات .

وعاد أحمد فؤاد ليؤكد ان كل شىء على مايرام ، وافراج فعلا عن المعتقلين السياسيين ، ولكن لم يعد برد عن المسجونيين السياسيين ، وفعلا استمروا فى السجن كأن شيئا لم يحدث ، وكنا نركز فى هذه الفترة على الافراج عن « شهدى عطية الشافعى » أول شيوعى حكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة سبع سنوات يقضيها فى سجن طره .

اخذنا فى موالاة الاتصال برجال الثورة ، مطالبين باتخاذ الخطوات السريعة فى الجبهة الداخلية ، والافراج عن المسجونيين الشيوعيين .. اذ كان قد افرج عن بعض السياسيين واستثنى الشيوعيين .

بدأ بعض الرفاق فى التنظيمات الاخرى يؤكدون وجهة نظرهم ، فى ان ماتم هو انقلاب امريكى وليس ثورة وطنية ، ووجدوا فى هذا التلكؤ تكأة لوجهة نظرهم المتطرفة يساريا ، وزاد الطينة بلة ، ان استغلت الثورة بعض احداث « كفر الدوار » واقامت هناك مجلسا عسكريا ، يترأسه احد الضباط الرجعيين من قادة ثورة يوليو « عبدالمنعم امين » واصدر المجلس حكما ارعن ضد « خميس والبقرى » بالاعدام ، ولم يجهدوا انفسهم من اجل التعرف على الفاعل الحقيقى والمدبر الخفى الذى اظهرت الاحداث بعد ذلك انه ينتمى الى « حافظ عفيفى » رئيس الديوان الملكى .

وقامت قيامة الاحزاب الشيوعية والديمقراطية فى العالم ، وكلها تدين هذا الاتجاه ، وهذه البداية الدموية .

حاولنا المستحيل فى ايقاف هذه الجريمة ولكن لم ننجح . وبذلك اضيفت ورقة جديدة للمنظمات الاخرى المتطرفة يساريا : بل اكثر من ذلك اصبحوا يتهمون حدتو انها شريك فى هذه المجزرة .. وتبعت الثورة ذلك بان قامت بمهاجمة مطبعة حدتو ، والتى كانت تطبع لهم مجلتهم ومنشوراتهم قبل الثورة ووضعوا الرفاق العاملين بها فى السجن . ومن المضحك انه فى أول عرض عسكرى ، قامت الثورة بعرض هذه المطبعة كجزء من تراث الضباط الاحرار ، وهى فى حقيقتها مطبعة حدتو التى كانت تطبع لهم منشوراتهم واوراقهم .

وفى وسط هذا الجو اصدرت الثورة قانون الاصلاح الزراعى ، وكانت لنا مساهمتنا فيه ، ولو انه صدر بصورة اخرى ، استهدفت العدالة فى توزيع الملكية ولم تلتفت الى ان يكون الهدف منه هو زيادة الانتاج ، الامر الذى ظل يعانى منه هذا القانون حتى الان ، وحال دون انطلاقة ثورية فى الزراعة .

بدأت التنظيمات الصغيرة وبالذات منظمة (الراية) فى التركيز فى الهجوم على قانون الاصلاح الزراعى متهمة اياه بأنه صدر لصالح البرجوازية ضد الاقطاع . ولكن ذلك لم يلق اذنا صاغية لدى الفلاحين ، الذين رحبوا به كل الترحيب .

ولكن الثورة كانت تتجه يوما بعد يوم الى التضييق فى مجال الحريات ومحاولة البطش بكل السياسيين القدامى ، دون التفرقة بين مواقفهم . فلا فرق لديهم بين النحاس الشخصية الوطنية الشعبية وحافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى وصديق الانجليز .. او بين عبد الفتاح حسن وسراج الدين وابراهيم عبد الهادى الذى انشق على حزب الوفد وعمل لصالح السراى .

كان الاتجاه واضحا نحو تصفية الحياة السياسية من كل العاملين فيها . على امل ان يخلو لهم الجو وحدهم .. ومن الغريب انهم وجدوا فى هذه الفترة الدعم والمساندة والتحريض من بعض رجال الحزب الوطنى ، الذين عملوا معهم لفترة كوزراء .. وافرزوا كل عداواتهم الموروثة منذ الحزب الوطنى القديم ضد الوفد ، ونسيانهم بالكامل للسراى والرجعية والملوك .. وكان التركيز بصفة اساسية على الوفد والنحاس . ولم يستطيعوا ان يكتشفوا أن التناقض التاريخى بين حزب الوفد والسراى ، وان الوفد كان باستمرار يمثل خطوة ديمقراطية للجماهير الشعبية .

ومن الغريب ان مستر « ايدن » الذى لم يتعاطف مع ثورة ٢٣ يوليو ، والذى ظل عدوا لها حتى اطيح به فى اعقاب العدوان الثلاثى عام ٥٦ ، صرح قائلا .. انه اذا لم يكن لثورة ٢٣ يوليو من فضل فيكفيها انها ازاحت النحاس وحزب الوفد من ميدان السياسة .

خلا الجو فى هذه الفترة لـ « سليمان حافظ » الذى كان يعمل فى هذه الفترة مستشارا بمجلس الدولة . فاستخدم كل مواهبه القانونية واحقاده ضد الوفد فى تصفية الحياة السياسية ، وركز عدوانه على النحاس ، فاصدر قانون حل الاحزاب السياسية ، بعد ان اصدر قانونا قبل ذلك بتنظيم الاحزاب السياسية .

وقد يكون غريبا انه قد ظهر فيما بعد انه كان ملتاسا فى عقله ، اذ كان يصور اعضاء مجلس قيادة الثورة على انهم مجموعة من اصحاب الرسول ... فعبد الناصر هو عمر .. وصلاح سالم هو ابو بكر .. ولم يلبث ان صب جام غضبه عليهم بعد ان تناقض معهم بعد ان رفضوا مسيرته على اعتبار ان وراءها الارتماء فى احضان الرجعية وامريكا .

فى هذه الفترة تقدمنا بطلب تشكيل حزب جديد « حزب التحرر الوطنى » واهدافه لاتخرج عن اهداف برنامج اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال .. وبرنامج الضباط الاحرار مع التركيز على اضافة ابعاد اجتماعية للمعركة وتدور حول حقوق العمال والفلاحين فى تكوين منظماتهم ونقاباتهم تأميم قنال السويس . وشكلنا اللجنة التحضيرية من ... « محمد كامل البندارى باشا » « يوسف حلمى » « زكى مراد » « احمد الرفاعى » « حنفى الشريف » « احمد طه » « عبد العظيم الصيفى » .. وبعض اسماء لا أذكرها .

وما كدنا نتقدم بالطلب حتى اصدرت الثورة قانون الاحزاب ومصادرة املاكها .. وصدر الامر باعتقالنا . ولكن المباحث لم توفق فى عملية الاعتقال . وانتقلنا الى النشاط السرى مع استمرار تأيدنا الكامل لثورة يوليو فرغم كل هذه الاتجاهات المعادية كنا على بينة من ان الصبغة الاساسية للضباط الاحرار هى صبغة وطنية ، وان الجيش لم يكن فى يوم من الايام اداة فى يد الرجعية .

كان الوضع فى غاية التعقيد ، نؤيد الثورة ونحن هاربون نعمل تحت الارض ، وكل الاحزاب الشيوعية والديمقراطية فى العالم تشن حملتها على رجال يوليو لمعادتهم الديمقراطية ولقتلهم العمال .

اخذت البلبلة طريقها الى قواعد التنظيم . واخذوا يتجادلون مع فكر المنظمات الاخرى ، ولكننا صممنا على موقفنا فى التأييد ومقاومة الاتجاهات الخاطئة لثورة ٢٣ يوليو واتهامها بانها انقلاب امريكى ، وانها تمثل الفاشية الجديدة فى المستعمرات ، بل اكثر من ذلك ردا على اعتقالهم لعدد كبير من رفاقنا قررنا ان نطلق سراحهم وان نأخذ المبادرة بيدينا ، فأيدنا لا يعنى الاستسلام او ترك ارارة الحليف طليقة دون ان يشعر بوجودك او دروك .

وكان المعتقل الرئيسى فى هذه الفترة موجودا فى حى روض الفرج وكان به اربعة عشر من اعضاء القيادة . اخذنا فى دراسة الموضوع بشكل هادئ ودقيق بعد ان نظمنا عملية الاتصال بهم فى داخل المعتقل .

وبعد دراسة كاملة للمنطقة وفى الموعد المحدد ، كانت هناك ثلاث سيارات فى انتظار اشارة البدء . كان من بينها سيارة المرحوم « يوسف حلمى » وسيارة « ابو بكر سيف النصر » وكان هناك المرشحون للعملية وكنت مسئولا عن هذه المجموعة . ومن الامور المضحكة انه اثناء قيادتنا لسيارة المرحوم يوسف حلمى هذه اصطدمت باحدى سيارات النقل ، اذ ان الرفيق الذى يقودها مضطرب الأعصاب . وقضينا وقتا طويلا فى تصفية الموضوع مع عسكرى البوليس وصاحب سيارة النقل .

وما ان قاربت الساعة الثانية حتى كان المعتقل خاليا من الشيوعيين . اذ هربوا من المعتقل . وكانت السيارات فى انتظارهم وما هى الا دقائق قليلة حتى كان الجميع فى الاماكن المحددة لهم .

ومن الغريب انه لم يكتشف امر هرب الشيوعيين من المعتقل الا فى الصباح الباكر ، وانهار قومندان المعتقل الذى اصبح اضحوكة لدى باقى المعتقلين من الرجعيين ، الذين لم نسع بالطبع الى تهريبهم ، بل كنا مع اعتقال البعض منهم ، وما ان اصبح الصباح حتى اصيب رجال السلطة بالهستريا .

بورسـعيد

ولم تمر سوى فترة قصيرة على خروجنا من معتقل « ابى زعبل » فى يونيو ٥٦ حتى بدأنا نندمج فى الحياة من جديد . وبدأت العلاقات التى قطعتها فترة الاعتقال تتواصل ، وتعود الى سابق عهدها .

لقد تغيرت نظرة الجماهير الى الشيوعيين ، واصبح المناخ الذى يعيشه الشارع مختلفا تماما عن الفترة التى دخلنا فيها المعتقل .

لقد كان المناخ السياسى فى مصر بعد حريق القاهرة فى يناير عام ١٩٥٢ مسرحا لحملة صليبية ضد اليسار .. حملة تطالب بذبح الشيوعيين فى الشوارع ومطاردتهم كخونة وعملاء .. فقد ركزت الدوائر الحكومية غداة حريق القاهرة على ابراز ان الشيوعيين هم الذين قاموا بالحريق والتخريب ، فعلقت افيشات على الجدران يبدو فيها احد اصحاب المحال المحترقة ووراءه الدمار واثار الحريق ، وكتب تحتها « الشيوعيين فعلوا هذا » .

وبقيام ثورة ٢٣ يوليو توقفت هذه الحمله ، وبدأ شهر عسل قصير بينهم وبين اليسار . انقطع فى اثر بدأ المفاوضات مع الانجليز واثر احداث كفر الدوار ... وها هى الثورة تعود من جديد الى احضان الشعب ، بعد ان احست ان الامريكان لن يصبروا عليها الا اذا احتووها بالكامل .. فهم يرفضون مدها بالسلاح ، فقد تأكد هذا بعد رحلة على صبرى الى امريكا ، كما انهم يسعون لجرها الى الاحلاف العسكرية . وهم يرفضون تقديم المساعدات الإقتصادية من اجل التنمية ، بل اكثر من ذلك يحرضون البنك الدولى على رفض تقديم تمويل لقيام مشروع السد العالى .

لقد اصبح الجو مهيئا تماما لالتقاء الثورة من جديد مع اليسار على ارضية .. عدم الانحياز .. مؤتمر باندونج .. علاقات صداقة مع الاتحاد السوفيتى . تخطيط واسع للتنمية .

خرجنا من المعتقل فى ظل هذه الظروف ، وكان علينا ان نعمل بسرعة لندعم هذا الاتجاه ونعمقه .. فكان ان اقمنا « دار الفكر » للثقافة والنشر حيث نجحت فى اقل من ثلاث سنوات فى اصدار عشرات الكتب التقدمية وكلها تبرز الجوانب الايجابية فى خطوات الثورة والوجه الكئيب لامريكا « هذه هى امريكا » .. « التاريخ يحذر من امريكا » وفى نفس الوقت تدعم التضامن العربى « سلسلة القومية العربية » ، وتدعم قضية الجزائر « قضية الجزائر والتضامن العربى » .

فى ظل هذا الجو المملوء بالحماس والاندفاع ، قام عبدالناصر بتأميم شركة « قناة السويس » تلك الشركة التى تسبب حفرها ، مع سفه الحكام ، فى افلاس مصر ، وموت آلاف من الفلاحين فى حفر القناة عن طريق السخرة وتحولت الى وكر للتجسس .. كانت قناة السويس تمثل فى ضمير كل مصرى لعنة لا

يستطيع نسيانها . فالنضال ضدها مرتبط بتراث من المآسى .. بغدر امبراطور فرنسا لمصر ، عندما اختاره اسماعيل باشا محكما فى شئونها ، فكان قراره فى التحكيم قرار رئيس عصابة (شيخ منسر) يتعامل مع ضحاياه .. كانت هذه المأساة هى التى دفعت « ابراهيم الوردانى » « لاغتيال » « بطرس غالى باشا » .

واستمر النضال ضد هذه المأساة ، حتى نجحنا فى اثارة القضية من جديد وشكلنا لجنة من اجل ذلك فى عام ٥١ اذكر من اعضائها « زكى مراد » «أسما حليم» « احمد حسين » (الحزب الاشتراكى) « سعد زغلول فؤاد » .. واصدرنا كتابا عن تاريخ القناة وما يحمله من مآسى كما دعونا الى تأميمها . ولكن كان نصيب معظم النسخ ان اشترتها السفارة الامريكية من السوق واحرقتها .

لقد اعلن عبدالناصر بصورة بطولية ودرامية تأميم شركة قناة السويس فى مهرجان بالاسكندرية .... اعلنه بصورة مسرحية .. قدم فيها صورة كاركاتيرية لسعيد باشا وهو يوقع الاتفاق مع ديليسبس .. وفى اللحظة التى اعلن فيها هذا كانت القوات المسلحة تحتل الشركة . وانطلقت الجماهير فى حماسة مجنونة .. الناس يقبلون بعضهم فى الشوارع .. على طول الطريق من الاسكندرية الى القاهرة والشوارع مزدحمة تنتظر البطل الذى رد لمصر ... قناتها .

وبقدر السعادة التى كانت تغمر الجماهير بقدر ما كانت الامبريالية والرجعية العالمية فى حالة توتر . بل ان البرجوازية المصرية اخذت على عبد الناصر عملية التأميم . وكانت ترى ان التمصير هو الحل الاسلم . اى انها كانت تريد ان تكون هى لا الشعب الوريثة للنهب الاستعمارى ، وان تكون ثمار الثورة قاصرة عليها وحدها .

وفى ظل هذا الاطار كان علينا ان نعمل من جديد ، وان نجمع صفوفنا . فالمعركة ضد الاستعمار قادمة لا محالة . وعلينا ان نأخذ عدتنا لها وان نحول شعاراتنا التى سبق ان رفعناها الى واقع عملى .

وكان لابد من العمل السريع ، واجتمعنا نحن القياديون الموجودون فى خارج السجون ــ حيث انه كان هناك زملاء لنا فى السجون لم يفرج عنهم بعد ــ لمناقشة ما العمل ؟ ومناقشة احتمال وقوع عدوان مسلح .

وبعد نقاش قصير كان علينا ان نوقف كل الشعارات ماعدا شعار واحد علينا ان نرفعه ... وهو التأييد المطلق لعبد الناصر فى معركته ضد الاستعمار ... وكان

بعض المشاركين فى الاجتماع يتصورون ان المعركة انتهت بتأميم القناة ، ورفعوا شعار التحذير من خلط الأوراق بيننا وبين البرجوازية ، ونسوا ان البرجوازية نفسها وان كانت مع استرداد القناة ، الا انها تريدها خالصة لها غير مؤممة .. وفى مثل هذه المواقف تكون بذور الفكر اليسارى المتطرف . حيث لايتمكن من التفريق بين مواقف الطبقة التى عليه ان يتحالف معها حتى ولو كانت بعض شرائحها غير واعية بقيمة هذا التحالف ، فعلية ان يقنعها به وان يدفعها اليه .

وبالفعل ما ان بدت نذر العدوان المسلح تبرز فى الافق حتى اتضح لهم ان جزءا من البرجوازية لا تريد التمصير ولا التأميم بل تأمل فى ان تظل الاوضاع كما هى عليه ، وبالفعل فما ان بدت نذر العدوان فى الافق حتى شكلت شريحة من البرجوازية العليا وفدا منها لمقابلة عبدالناصر ، لاقناعه ان ما اقدم عليه خطأ ، وان عليه ان يترك لهم الامر لتسويته مع الانجليز ، اذ انهم اكثر معرفة منه بالانجليز ، وكان موقفه قاطعا اذ طلب تشكيل فرقة صغيرة لاطلاق الرصاص على اى واحد منهم يحاول ان يتقدم ليتفاهم معه فى موضوع التراجع عن تأميم القناة أو التسليم بمطالب البريطانيين .

حينئذ شعرت هذه المجموعة ذات الموقف اليسارى ان موقفها خاطىء ولكنها كانت تستبعد العدوان المسلح ، مبالغة منها فى قوة حركة السلام العالمى وتهوينا منها بشأن الاستعمار والرجعية المحلية ... ولكن الاجتماع التالى انتهى الى ان العدوان واقع لا محالة وعلينا ان نتخذ عدتنا له ، وان نعرف الاجراءات التى سيتخذها الاستعمار لتنفيذ جريمته .

واستمرت المناقشة طويلا فى هذه الجلسة الى ان قطعها احد الرفاق بشكل حاسم .. محددا ماهو المطلوب بالدقة .. مادمنا قد وصلنا الى ان المعركة واقعة لا محالة .

ونظر الرفاق الى بعضهم وانتهى الاجتماع الى القرارين ...

أخذ المبادرة فى مقاومة العدوان المتوقع ، وحشد كل الجهود من اجل الكفاح المسلح .

تجميع اكبر قدر من المعلومات عن تحركات العدو وتجمعاته .

وكان ذلك هما القراران الذى انتهى اليهما الاجتماع ، وعند مناقشة موضوع المقاومة والكفاح المسلح ، واخذ المبادرة بين قوات التحالف الوطنى . توقف

الجميع عن المناقشة ، واستمرت المناقشة دون نقاش ، ولكن مجرد نظرات فيها معنى الحيرة والمفاجأة ومواجهة موقف جديد لم يعرفه بعض المشاركين فى الاجتماع ، اذ كان الاجتماع يضم قيادة لها اصول تاريخية مختلفة ، بعضها سبق له الخبرة فى النضال المسلح وبعضها لم يتعرف عليها ... كنا فى ذلك الوقت اعضاء فى الحزب الشيوعى الموحد .

وبعد صمت طويل اقترح الرفيق « مبارك » اسناد قيادة ونظر الرفاق الى بعضهم فى صمت طويل وكان الرد على الاقتراح الموافقة بالاجماع . وبعد ان تحول الاقتراح الى قرار شكرت الرفاق على اسنادهم هذا الشرف لى .. وانتهى الاجتماع .. وبدأت مواجهة الموقف الصعب مع الزوجة .

احسست بمدى فداحة المسئولية الملقاة على عاتقى وعلى عاتق الحزب ، وان امام حزبنا ان يكتب صفحة جديدة مشرفة تتفق والطموحات التى يطرحها على الجماهير ، صفحة تحول الكلمة المكتوبة الى واقع عملى ، وتمتحن فيه شجاعة الشيوعيين ، وصدقهم فى مواجهة الموقف ، فالعدوان واقع لا محالة والمقاومة هى المحك ، وصدق المناضل يتلخص فى موقف واحد .. فى موقفه مواجهة الموت والاستشهاد .

حملت اعبائى واستأذنت من الرفاق ، وخرجت من الاجتماع ، حيث كان منعقدا فى احدى الغرف فى سطح منزل بالعتبة ، وقطعت الطريق مشيا على اقدامى حتى المنيرة ، عل المشى يوصلنى الى حل استطيع به ان اتقدم بما انتويه الى زوجتى ، وهى المحملة بكثير من الاعباء . فقدان ابنها الوحيد وانا فى المعتقل . موت امها فى حادث مؤلم ... سنين المعتقل الطويلة التى عاشتها بمفردها فى اسرة لا تعترف بهذا الطريق ، بل وترفضه وتقاومه فى كثير من الاحيان .

كنت اشعر ان زوجتى قلقة ، فهى تستمع الى الاذاعة ، وما تنشره عن اجتماعات المنتفعين من شركة قناة السويس ، ولقاءاتهم المتوالية فى لندن وباريس ، ثم تفويضهم لرئيس وزراء استراليا « منديس » ، لما عرف عنه من صلافة لمقابلة عبدالناصر .. كل هذه الاخبار وغيرها تنشرها الاذاعة المصرية ، والاذاعات العربية والعالمية .. ثم يلى ذلك رحيل العديد من المرشدين وخبراء الملاحة فى القناة .. كل هذه الاخبار كانت كفيلة بان تجعل كل مواطن يشعر اننا مقبلون على وضع جديد .

وفى صباح اليوم التالى ، ناقشت زوجتى مناقشة قصيرة تدور حول غيابى لبضعة ايام اقضيها لانجاز بعض الاعمال .. لم اترك لها فرصة للمناقشة او البكاء وانما انصرفت شبه هارب من مواجهة هذا الموقف .

اتجهت الى منزل احد الرفاق الذى أكد لى انه وصلته رسالة من باريس عاجلة ، تؤكد ان القوات الانجليزية والفرنسية تتجمع لا اذكر فى قبرص أو مالطة ، وان العدوان واقع لا محالة .. وبذلك اسقطت حجج الذين كانوا يتصورون ان الانجليز والفرنسيين لن يقدموا على هذه المغامرة ، حتى عبدالناصر نفسه كان الى هذه اللحظة يجزم باستحالة وقوع عدوان مسلح .

اتصلت ببعض الرفاق ممن اعرفهم معرفة جيدة . « ابراهيم المناسترلى » « فتحى مجاهد » « عبد السلام الخشان » « منير موافى » « محسن لطفى » ... واتجهنا الى الاسماعيلية وهناك توقفنا قليلا فى قرية « طويحر » لاستلام بعض الاسلحة ، حيث اقترح الرفيق الضابط « محمود المناسترلى » ان يقوم بنوع من التدريب السريع للرفاق على الاسلحة الجديدة المستعملة ، وفى هذه الاثناء تم العدوان المسلح ... وسقطت بورسعيد .

تغيرت خطتنا ، فبدلا من الذهاب الى الاسماعيلية ، فكرنا سريعا فى الدخول الى بورسعيد المحتلة المحاصرة ، حيث قضى تماما على القوة العسكرية التى كانت موجودة هناك .

قبل الذهاب الى بورسعيد انتقلت الى الاسماعيلية حيث يعسكر « كمال رفعت » فى قرية « نفيشة » فى فيلا . صاحبها من العرب اسمه « ابو خزيم » .. عرضت عليه خطتنا لدخول بورسعيد ، ولكنه اسر الينا انه سيدخلها عن طريق الاسماعيلية ولما عرضنا عليه استحالة ذلك اصر وطلب فرصة للتفكير .

وفى المساء فوجئت به يسير الىّ حيث خرجنا فى مهمة استطلاعية لبحث امكانية استخدام الطريق .. وفى الطريق فوجئنا بسيارة عسكرية انجليزية تستكشف الطريق .. وفى الحال اشار كمال رفعت الىّ وشخصين آخرين ان ننبطح ارضا على جانبى الطريق لتغطيته ، وقام هو فى الحال وبصورة مفاجئة باطلاق النار على السيارة وانهمرت طلقاتنا عليها فولت الفرار . رحم الله كمال رفعت فلقد كان بطلا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانى عظيمة ، كان انبل الفرسان الشجعان ، كما قال احد اصدقائه فى رثائه ..

عدنا الى المعسكر ... وما كدت افاتحه ، حتى ابدى عدم قناعته بدخول بورسعيد عن طريق الاسماعيلية .. وفى نفس الوقت ابدى تساؤله .. هل عندكم وسيلة اخرى لدخول بورسعيد .. ولم تكن هذه التساؤلات تحتاج اجابتها الى تفكير ، فلقد ذهبت اليه وانا اعرف تماما ومن معى طريق التسلل الى بورسعيد ، اذ ان معظم الرفاق الذين معى من هذه المنطقة ، ويعرفونها جيدا ، وسبق ان شاركنا سويا فى محاولة لانشاء نقابة للصيادين فى الاربعينيات .

ولما شرحت له ان الدخول سيتم عن طريق المنزلة ، وبواسطة الصيادين ، ابدى مخاوفه ولكنه وافق مؤكدا انها مغامرة لابد ان يخوضها .. ولكنه فوجىء بى وانا اقول له .. ولكن المجموعة التى تعمل معك لا يمكن ان تصلح لهذه المغامرة .. اذ ان معظمهم من اللصوص وقطاع الطريق وممن سبق لهم العمل مع القوات البريطانية فى القنال ، او ممن كانوا يسرقون المعسكرات .. وهنا ضحك كمال رفعت طويلا ، وشرح وجهة نظره فى استخدام هؤلاء الناس . فأكد انهم خير من يعرف منطقة القنال .. ولكن مقدارتهم لا تتعدى القتال الفردى فى هذه المنطقة فهم لا يصلحون للعمل فى خارجها .

وفى المساء استدعى كمال رفعت عددا من رجاله المقربين « عبدالفتاح ابو الفضل » ضابط المخابرات الوطنى الذى يعرف منطقة القنال شبرا شبرا . « صلاح زعزوع » الضابط الحر وابن الاقطاع المتمرد عليه . « سمير هريدى » ... واجتمعنا سويا ومعنا محسن لطفى واتفقنا على ان نسافر الى بورسعيد فى نفس الليلة .

لم يكن احد من المجتمعين يعرف الطريق الى بحيرة المنزلة ، حيث يوجد موقعها مباشرة فى ظهر بورسعيد واتفقنا على ان اتولى توجيه الثلاث سيارات التى كنا نستعملها ، وما كدنا نصل الى المنصورة ، حتى وجدنا استحالة فى مواصلة السير فى الطريق الى المنزلة ، حيث الضباب كثيف يحول دون الرؤيا واتفقنا على ان يجرى كل واحد منا امام السيارات كدليل تركز عليه الاضواء لمسافة ٣٠٠ متر . كانت مهمة ثقيلة وصعبة حيث البرد والضباب ، ولم يكن الطريق معبدا . واستمر هذا النضال الطويل ونحن نتبادل الجرى حتى اقتربنا من قريتى « طناح » وهناك اشرت عليهم ان نقضى الليل فى القرية ونستأنف المسيرة فى الصباح . وفعلا توجهنا الى منزل العمدة وهو ابن عمى وفى نفس الوقت زوج اختى ، وكان

استقباله لنا حافلا ، فلقد اصر على ان نتناول العشاء ولكن الاجهاد الشديد كان يشكل استحالة دون تلبية دعوته ، ونمنا كما كنا بملابسنا حتى الصباح . وبعد ان تناولنا الطعام اتصلت بعدد من الرفاق من ابناء القرية الذين اظهروا استعدادهم الكامل للاشتراك فى القتال بشرط ان ينالوا قسطا من التدريب فى اقرب مركز .

ومن الذكريات التى لا انساها اننا فى الصباح ، ونحن لازلنا فى القرية ، فى طريقنا الى بورسعيد ، غرست عجلات السيارة فى وحل الشتاء ، وكانت هناك استحالة لانتشالها الا بمجهود شديد ، وكانت المفاجأة ان ابناء قريتى ، ومعظمهم اصدقائى واقاربى ، وقفوا يتفرجون ويتضاحكون . الأمر الذى دفعنى الى نهرهم . وفعلا تقدموا لدفع العربة .. ولكن قبل ان يقوموا بذلك التفتوا الى احد المرافقين لى من الضباط وتهكموا عليه بشكل مرير قائلين له .. لماذا لاتأتى بالطلبة « بتوعك » ليدفعوا السيارة . والا الحكاية منظرة ، فاكرين ان الفلاحين ماينفعوش فى حمل السلاح .

واستفسرت منهم وهم يدفعون السيارة فكانت اجابتهم .. انهم ذهبوا الى معسكر طويحر والى نفيشة ولكن حضرات الضباط صرفوهم ، وابقوا على الافندية وقالوا لهم ... سنستدعيكم عند اللزوم ...

...... قفزت الى ذهنى فجأة قضية الطبقية . ان المعركة رغم ضراوتها ، فكثيرين لازالوا فى اعماقهم يرون ان المعركة معركة المثقفين واولاد الناس ، اما الفلاحين فلا مكان لهم . تلك هى المأساة التى نعيشها ، الثورة لاتثق فى السلاح فى ايدى العمال والفلاحين ، ولكنها تطمئن اليه حينما يكون فى أيدى المثقفين وابناء الناس من البرجوازية . لم يكن الوقت وقت الحديث فى هذه القضية . فهذا هو جرح الثورة الذى سيظل ينزف حتى يقضى عليها ، وتستسلم لشريحة من الطفيليين .

وفعلا دفع الفلاحون السيارة . وتقدم واحد منهم اعرفه جيدا هو « الشحات الصعيدى » الذى كان زميلنا فى « حدتو » ... والله الحكاية ماتنفعش من غيرنا . سيبك منهم احنا الرجالة وبس .. كفك ياراجل ... وضحكنا سويا وايضا مع الزملاء الضباط .

وما كادت السيارة تنطلق الى الطريق العادى ، حتى انخرطنا فى الضحك .. وبدأت اسأل حضرة الضابط عن حكاية الفلاحين ، ولماذا طردهم من المعسكر ، فكانت اجابته ان احساسه حدثه بان الطلبة اقرب الى فهم القضية ، واقدر على

تعلم السلاح ولكنه الان من خلال تهكمات الفلاحين وعمال الزراعة احس ان المعركة اكبر منا ومن الطلبة والمثقفين .

ومضت السيارات فى طريقها من قرية طناح حتى وصلنا الى « المطرية » وهى قرية صغيرة ، كل سكانها من الصيادين ، وتقع على شاطىء البحيرة فى ظهر بورسعيد ، بل هى اقرب مكان الى مدينة بورسعيد .

وما كدنا ننزل فى المطرية ، ونحتل مبنى الوحدة المجمعة ، حتى كانت عيون المرافقين تتجه الىّ . وكأنها تسألنى .. ثم ماذا بعد ذلك ؟ ماذا نحن فاعلون .. ؟

اعرف المطرية جيدا وكذلك القرى المحيطة بها ، ولكنى احسست فى القرية الكبيرة بحركة غير عادية ، فلقد اصبحت مليئة بالمهاجرين منذ ان احتل الانجليز والفرنسيين مدينة بورسعيد .. صغار يهيمون على وجوههم بحثا عن اسرهم ، أو لقمة خبز يبتلعونها .. امهات تبحث عن صغارها .. شيوخ مسنون لايقوون على السير .. وأنشئت هناك ادارة لتسهيل حياة المهاجرين ، تحت قيادة ضابط هرب من معركة بورسعيد ، ووجد فى قضية المهاجرين تسلية له ، قد تحفظ له وظيفته فى الجيش ، وتعطيه الحق فى لبس البدله العسكرية .

لقد كانت جميع الطرق الزراعية المتفرعة من مدينة المنزلة مملوءة بالأسر التى خرجت على عجل من بورسعيد بعد احتلالها .. اطفال بلا اسر .. امهات يبحثن عن اولادهن . زوجات يبحثن عن ازواجهن .. يمضون على الطرق الزراعية بلا هدف . الفلاحون يقفون على الطرق الزراعية ومعهم الخبز والجبن والبيض وكل ما يملكون تقديمه الى المهاجرين . يدعونهم للنزول فى قريتهم . بعض المهاجرين يستقر فى هذه القرية . وبعضهم يواصل السير ليستقر فى قرى اخرى ، ولو سألت احدهم لماذا فضل هذه القرية عن تلك .. لما وجدت عنده اجابة .

ومع هذه الصورة تبرز صورة اخرى لبعض الضباط الهاربين من بورسعيد ، فى سياراتهم الجيب وهم يطوفون على الطرق الزراعية يوزعون الأوامر على الفلاحين والمهاجرين ، وهم متأكدون ان الأهالى يكنون لهم فى نفوسهم اعمق انواع الاحتقار .. لقد اصبحت مأساة المهاجرين قضية يعيش عليها الكثيرون ، وسوقا لتجار السوق السوداء ، الذين يستولون على انصبتهم من التموين ، ليعيدوا بيعها لهم من جديد .

وفى المقابل كان الضباط الذين معنا ، بعضهم يتعجل الانتقال الى بورسعيد

بشكل فيه رعونة وبدون ان يعرف ماذا سيفعل .. كل ما يفكرون به مجموعة من القنابل تلقى على الانجليز او حركة اغتيالات يقومون بها .. والبعض الاخر فى حيرة من امره .. ولا يعرف موقف القيادة من الاشتراك مع الشيوعيين .

وبعد فترة يعود الضباط الشيوعى محمد منير موافى من مقابلة مع عبد الحكيم عامر ، بعد أن أوضح له عن طريق احد كبار الضباط ان مشاركة الشيوعيين فى المعركة اصبح شيئا اساسيا وضروريا . عاد اليوزباشى منير موافى بهذه الموافقة التى بددت تردد البعض من الضباط من قضية مشاركتهم الشيوعيين فى المعركة . وكأن الشرط الاساسى لمحاربة الانجليز ، هو الا تكون شيوعيا ... ولو تذكروا فداحة الهزيمة العسكرية فى بورسعيد لكان عليهم ان يتعرفوا على الحقيقة ، انهم كانوا يحاربون الانجليز والفرنسيين وعينيهم الحذرة على العمال والفلاحين ، يخشون تطور المعركة وانتقالها الى صفوف هؤلاء ، حيث سيفرض ذلك ابعادا اجتماعية لمعركة التحرير .

وفى صباح اليوم التالى وصلت رسالة من « سعد رحمى » من داخل بورسعيد ، يحملها « ابراهيم هاجوج » من ابناء بورسعيد .. وزميلى فى المعتقل فى عام ١٩٥٤ .

الرسالة كانت تتضمن اشياء كثيرة .. ان هناك عشرات الجماعات التى تحاول ان تعمل ولكنها لا تعرف كيف تعمل ... بل ان بعضها يحاول ان يتخذ من المأساة التى حلت بالبلد وسيلة لاثبات مجده .

وكما قال سعد فى رسالته .. الآن يوجد امامى « الف نصاب وكذاب زفه » اسماء المنظمات التى تدعى انها تعمل كثيرة وكبيرة اذكر منها « الانتقاميون » « الاحرار » « المدمرون » « هاتاشاما » تلخيص لاسم هيئة التحرير التى ولدت وماتت فى بداية الثورة والتى كان شعارها « الاتحاد والنظام والعمل » .. كلام لا يمثل شيئا فى المجتمع او للمجتمع ، ولذلك ماتت بالسكتة القلبية بعد ان افرزت عشرات العناصر المتطفلة التى لازمت الثورة وهى تئن بحملهم بعد ان نجحوا فى ضرب كل العناصر المناضلة الوطنية والوفدية والاشتراكية والشيوعية .

كانت منشورات هذه الهيئات تعبر عن القائمين بها ، فهى شعارات ساذجة بعيدة كل البعد عن المعركة فعلى سبيل المثال .. اصدرت هاتاشاما منشورا على نطاق واسع . حتى الانجليز انفسهم الصادر ضدهم المنشور ، لم يكونوا

يفهمونه ، بل كانوا يسألون الجماهير عن مضمونه .. « عودوا الى بلادكم .. ملككم امراة » .

كان لابد الانتقال بالمعركة الى صفوف الجماهير ، واشراكها بكاملها فى المعركة .. فالمدينة يسيطر عليها مسحة من الحزن .. منازل مهدمة . جثث حيوانات متعفنة فى الشوارع . التموين على وشك النفاذ . التجول محظور مساءا . معركة التجويع تفرض على الجماهير لاجبارها على العمل مع المحتلين ، جهاز السلطة انتهى وتبدد ومن تبقى منهم فى المدينة فى حماية الانجليز ... الجماهير تحس بمرارة الهزيمة وان الجميع تخلى عنها . الصحافة ممنوع دخولها الى المدينة . الدمار فى كل مكان . التمزق النفسى يسيطر على الجميع .

بدأنا بادخال بعض العناصر الجيدة الى المدينة . وكانت الوسيلة هى الاتفاق مع بعض الصيادين ممن يعرفون بحيرة المنزلة شبرا شبرا ، وممن سبق لهم ان كانت لنا بهم صلات سابقة .. كان المظهر الذى يختفون تحته هم انهم مهربون .. يهربون المؤن لبيعها باثمان عالية فى المدينة استغلالا لحاجة الجماهير وفى نفس الوقت تقديم رشوة وخلق علاقات مع نقاط الحراسة التى تحاصر المدينة ... وكان المدخل الاساسى عن طريق « عزبة فاروق » .

وفى نفس الوقت قام بعض الرفاق بمسح الجزر الصغيرة المتناثرة فى بحيرة المنزلة ، لاتخاذها نقاط مراقبة لمعرفة تحركات العدو ، ورصد حركات بعض الذين يحاولون التعاون مع المحتل ... واتخاذها مخازن لبعض البضائع التى نهربها الى بورسعيد ومعها بعض الاسلحة الصغيرة .

وكان لابد ان ينتهى ذلك بأعداد مركز لنا فى بورسعيد قريب من البحيرة ، حيث نتخذ منه مكانا لاستقبال المشاركين الجدد الذين يدخلون من المطرية الى بورسعيد ، حيث يغيرون ملابس الصيادين التى كانوا يلبسونها وارتداء ملابس عادية تجعلهم ينخرطون فى وسط السكان بشكل عادى .. كان هذا المركز هو منزل « أم سعيد الضو » البمبوطى والذى كان يعمل قبل ذلك فى طلاء السفن . سيدة ضخمة الجثة مفرطة فى السمنة ، تخطت الستين . تجلس امام منزلها الطينى فى اطراف بورسعيد ، قرب عزبة فاروق . ترعى فى جلستها قليلا من البط ، تخرط له الخيار وبعض حزم البرسيم . من يراها يظن انها جزء ثابت من المكان ، او انها تمثال جالس لا حراك فه .

ما ان يصل اليها اى انسان ويسألها عن اسم شارع متفق عليه ، ولا وجود له حقيقى ، حتى تتحرك فيها حاسة يقظة ، وتخرج عليه سجاير ومشط كبريت وتبدو كما لو كانت تساومه فى الثمن . لم تكن مساومات وانما كان شرحا له الى اين يتجه ومن سيكون فى مقابلته ، وفى بعض الاحيان كانت تشير على البعض ان يدخل من باب خلفى ليغير ملابسه ويتسلم منها سلاحا أورسالة ... سيدة مصرية عظيمة مثل الالاف من نساء مصر ممن يمكن أن يلعبوا دورا عظيما .

حينما اتذكرها اتذكر بعض اسماء مصريات بارزات « هدى شعراوى » وغيرها .. ولكن التاريخ عادة لايقف بباب الفقيرات . لا صحافة تبرزها . لا ثقافة تقدمها الى الجماهير .. لا اسرة تعتز بانتسابها اليها . من الأرض اتت وفى الأرض عاشت وللدفاع عن ارضها رصدت حياتها . وانجبت لها سعيد الضو وأخوه الذى نسيت اسمه . مصريون سمر . عمال . فيهم حسم العامل وبساطته ورؤيته الصادقة الواضحة .

مرت الايام وانتهت معركة بورسعيد . وبدأ الجميع فى العودة الى اعمالهم بل والى بيوتهم ، والاصح كل عاد الى طبقته .. والى من يعود سعيد الضو .. الى اسرته التى تماثل الالاف من الاسر المطحونة . لا عنوان لها .. لا اسم لها .. يطوف على بيوت الذين عرفهم فى المعركة او فى اعقابها .. بعضهم كان له مركز اجتماعى وحظوه عند السلطة .. الجميع يتهربون منه ...

يأتى الىّ لأحل له المشكلة . يحدثنى بمرارة .. نسيتم العجوزة أم سعيد الضو لسه عايشة وبتسأل عنكم .. وبعد ايام يعود الىّ بوجه باسم . فأسأله ... هل وجدت عمل ياسعيد .. فتتسع ابتسامته وتكون الاجابة بالنفى .. طبعا لا .. ويستطرد موجها حديثة الىّ .. يظهر انك مش منهم زى حالتنا ، مش منهم ليه يا سعيد ... بيوتهم كبيرة وعليها حراس . بيتك لا حراس ولا دياولوا . ادخل على طول . يظهر انى اللى راح اساعدك .

نضحك سويا وتتوثق علاقتنا .. ويبتعد تماما عن كل الذين كان يذهب اليهم وكان يظنهم اصدقاءه ، وتزداد علاقته معى ارتباطا وثقة . وبعد شهور يعود من بورسعيد وأراه من جديد . نضارة برسول . حزام عريض . قميص ملون ... انظر اليه باندهاش .. ما هذا كله ياسعيد .. ويبتسم ويخرج فلوس من جيبه .. انا باشتغل الان . ايدى تكسب دهب . ادهن من جديد سفن باليومية .

واتجوزت البنية . فاكرها .. ويغرق فى الضحك .. كانت زمان فاكرانى اصبحت من الحكام ... ويعلو صوته بالضحك والتهكم على نفسه .

كنت أتذكرها جيدا رغم بعد المسافة والزمن .. كان يختفى فى بعض الاحيان لمدة ساعات اثناء معركة بورسعيد . ثم اراه فجأة . واسأله ... كنت فين ياسعيد .. ويبتسم .. كنت مع الحته بتاعتى .. ولازلت أتذكره عائدا بعد غيبة من هذه المقابلات ساخطا لاعنا . اساله عن السبب . فيكون رده .. المجنونة عاوزانه نتجوز الان ... وما هو المانع ياسعيد ... الاترى الخراب والدمار والموت . ولكنه لا يلبث ان يبتسم ويعود مرحه من جديد . ويذهب ليعود بكمية من الصيد شواها عند امه . ويبتسم .. هدية ام الضو للرجاله .. بسم الله يارجاله .. ولا ينتظر ان نبدأ ونجد انفسنا فى لهفة ، تتسابق ايدينا الى السمك الصغير المشوى المملح . له طعم خاص ، ويثير الشهية . وطوال الاكل لا يمل الحديث عن أم الضو وعن الغليون اللى إشتغل عليه فى « بيريه » فى اليونان .

ومن الغريب ان هؤلاء السكان لازالوا يحتفظون بلهجتهم العربية الاصيلة التى لم تتاثر باللهجة المصرية . مما يؤكد انهم عاشوا فى داخل هذه الجزر بمعزل تماما عن سكان القرى المجاورة . فهم ينادون مثلا يافاطمة ولا يقولون يافاطنة .. وينطقون القاف مقلقلة صحيحة ، وانسابهم يعودون بها الى اسماء القبائل العربية الأولى التي نزلت الى المنطقة ، مثل بنى تميم أو النجديين . وهم يعيشون عيشة تكاد تكون بدائية ، يربون الابقار والجاموس بالمشاركة مع سكان القرى ويعيشون على البانها وعلى الاسماك التى يصطادونها من المناطق الضحلة فى صناديق تشبه المراكب .. جزر جميلة ، بقليل من الاهتمام كان يمكن ان تكون من اروع الأماكن السياحية .

حددنا فى هذه الجزر أماكن تصلح لمراقبة الطيران البريطانى ، وتخزين السلاح ، وتموين القوارب التى ستحمل الافراد الذين يعد ترتيبهم لدخول مدينة بورسعيد .

وفى ليلة بعد منتصف الليل ركبنا أحد المراكب الشرعية ومعنا كدليل « سعيد الضو » والضابط « محمد ابو نار » و « صلاح زعزوع » و « سمير هريدى » والفنان « عبد المنعم القصاص » وآخرون لا اتذكر اسمائهم . وتصل المركب محملة بالليمون والطماطم والسمك وبعض الطيور البحرية . وما ان وصلنا حتى عرضنا

بعضها على افراد منطقة الحراسة من الانجليز فى عزبة فاروق . وكان معظمهم من الشباب الصغار الذين لا يتجاوز سن اكبرهم العشرين .. بمجرد مناقشة صغيرة تختفى من على وجوههم مسحة العدوان ، ويتحولون الى اطفال يتبادلون النكات مع المواطنين بل اكثر من ذلك كان بعضهم يلعب الكرة الشراب مع اطفال عزبة فاروق .

المدينة تعيش فى كآبة صامتة .. بيوت مهدمة . بعض الاسر تعيش بالقرب من منزلها المهدم ، وتواصل حياتها بجواره كما لو كان منزلها المهدم هو المحور الذى يتجمع حوله الاسرة . يطبخون وياكلون ويغسلون ملابسهم . يعيشون فى خيام صغيرة من البطاطين وملاءات الاسرة . يتجمعون حول نار يوقدونها فى بعض بقايا اثاث الاسر المهاجرة ليحموا انفسهم من برد ديسمبر القارص . ومن حين الى آخر تتقدم بعض القوات البريطانية لتفتيش هذه التجمعات الصغيرة . ولتهدم خيامهم التى لا يلبثون ان يقيمونها من جديد .

لقد انتهى حى المناخ وتجمع الاهالى فى الحى العربى . وفى عزبة فاروق وفى القبوطى حيث انتشر بين سكانها جميع الذين هربوا من السجن حينما اسقطت الطائرات احدى قنابلها عليه .

ولكن سرعان ما وحدت المحنة بين الهاربين من السجن والاهالى ، ولم تقع اى جريمة عدوان او سرقة ، بل فى اوقات المحنة ظهر منهم مقاتلون جيدون .

بدأنا الانتشار فى المدينة ، بعد ان اخترنا بعض البيوت للسكن فيها وكان معظمها فى الحى الافرنجى حيث لا تحوم شبهات حول سكانه ، اذ ان معظمهم من الاجانب او من الاسر الثرية ، التى لا ترتاب فيها القوات المعتدية ، ريبتها فى سكان الاحياء الشعبية .

ولكن كان السؤال الذى يطاردنى فى هذه الفترة . كيف نعمل ؟ رفاق متحمسون ، ولكن ما العمل ؟ .. لا سلطة فى المدينة ، لقد تبددت مع الانزال . لا تموين . لا صحافة . الناس بمعزل عن بعضهم تماما . لقد انقطعت أواصر العلاقات .. الكراهية عميقة لرجال الحكومة الذين تخلوا عنهم فى ساعة المحنة ولاذوا بالفرار وبالذات رئيس المباحث الذى هرب بعد ان سلم أوراقه للقوات

البريطانية ليواصلوا مهمته فى مطاردة الوطنيين .

كان لابد من الخروج من هذه الحالة ، واشعار السكان انهم شعب له قوته وقدرته على النضال ، حتى ولو فقد الثقة فى حكامه ... وعلى الفور قررنا اصدار مجلة اسميناها « الانتصار » . اعدت اكليشيهاتها وبعض موادها فى « دار الفكر » وتوليت اصدارها ومعى « عبد المنعم القصاص » .. واقمنا كذلك لجنة لتنظيم التموين ومنع وصوله الى القوات المحتله .. ولجنة تتولى الاتصال ببقايا التنظيمات النقابية والشعبية لتحييها من جديد .. ولجنة تتولى التحريض ضد القوات المحتلة ، وبث الرعب فى نفوسهم ...

ولجنة تتولى أعمال العنف والقنص ضد القوات المعتدية .

كانت بداية عملنا اعادة الثقة للجماهير فى نفسها ، وفى قدرتها على الوقوف من جديد وأن توضح لهم ان العناصر التى تخلت عنها فى وقت المحنة لا يمثلون مسيرة الشعب ، وعصاة لعبد الناصر وارادته فى مواصلة النضال ... وكان على رأس هؤلاء العصاه محافظ المدينة المستسلم .

ورئيس قلم المباحث الذى ادعى أن رجله قد أصيبت ووضعها فى الجبس ، وولى هاربا تاركا مدينة بورسعيد ، بعد أن أعطى للانجليز جميع ملفاته الخاصة بأسماء الشيوعيين والديمقراطيين من أبناء المدينة ... هذا إلى جانب عشرات الضباط الذين أهدروا الشرف العسكرى ، وهربوا بعد أن تركوا كل الأوراق والخرائط الخاصة بالمعركة ، والتى قام الضابط منير موافى بجمعها اكواما وحملها فى سيارة حتى لا تقع فى أيدى القوات المعتدية .

إن اللجان التى انشأناها لتنظيم التموين أو التحريض ضد العدو أو ممارسة أعمال العنف ، لم تأت من فراغ ، وانما حرصنا على أن نضع فيها كل من كان يمارس هذا العمل ، حتى قبل احتلال المدينة .

فعلى سبيل المثال فإن لجنة تنظيم التموين ، ضمت عناصر ممن لهم سابقة عمل فى ذلك المجال ... بل بدأنا فى البحث عنهم فى كل مكان وتجميعهم من جديد ... حقيقة لقد انهار جهاز السلطة فى المدينة .. ولكن من الخطر أن تستمر المدينة بلا جهاز ... وكان الحل هو استبدال جهاز منهار بآخر فتى ، يستفيد من خبرة من سبق لهم العمل فى هذا المجال .

كانت اللجنة التى تقوم بهذا العمل تحرص أساسا على أمرين أساسيين :

أولهما .. ممكافحة أى محاوله لخلق سوق سوداء فى أقوات الشعب ، أو الاستفادة من المأساة التى تعيشها الجماهير .

ثانيهما .. عدم وصول أى سلعة للعدو ، حتى يشعر بصعوبة الحياة فى المدينة .

ومن هنا كانت النشرة اليومية التى تعلق فى كل مكان فى المدينة ، محددة اسعار السلع ، أو تنشر فى مجلة الانتصار .

فعلى سبيل المثال نشرنا فى مجلة الانتصار الآتى :ـــ

إشتر بهذه الاسعار

اصدرت مراقبة التموين هذه اللائحة التى تضم جميع اسعار الخضروات

الطماطم	٢٥ مليم	للاقة
بطاطا	١٥ مليم	للاقة
بطاطس محلية	٢٠ مليم	للاقة
بطاطس هولندية	٤٠ مليم	للاقة
كوسة	٢٥ مليم	للاقة
سبانخ	٢٠ مليم	للاقة
الباذنجان	٢٠ مليم	للاقة
قلقاس	٢٥ مليم	للاقة
كيروسين	١٩٠ مليم	للاقة

كانت أسعار السلع تنشر يومياً ، وتقوم اللجان بمراقبة الباعة والسوق وبذلك استطاعت بورسعيد فى ظل المحنة ، أن تتجاوز شراسة السوق السوداء ، والعناصر المتطفلة التى لم تنجح فى تكوين هيئة أو شريحة تتحكم فى أقدار الناس .

وإذا كانت لجنة التموين قد نجحت فى تحديد أسعار السلع ، فلقد نجحت أيضاً فى منع السلع من الوصول إلى أيدى الاعداء ، بل كان الأهالى أنفسهم حراساً لهذه العملية . فلقد حدث ان قام أحد التجار ببيع كيروسين إلى الانجليز ، متحدياً قرارات لجنة التموين ، وجريا وراء الكسب السريع ، فما كان من الأهالى من أبناء حيه ، إلا أن قاموا بحرقه حيا بعد أن اوثقوه بالحبال وصبوا عليه الكيروسين .

انتقام قاسى وسريع ، ولكنه عادل فى ظل الحرب والاحتلال .

لم تكن كل السلع متوافره فى المدينة ، ولكن الحد الأدنى كان موجوداً ، وإذا أردنا تحديدا لاسباب هذه الظاهرة فهى تكمن فى أن اللجنة وحدها لم تكن هى السبب ، وإنما أيضا يقظة جهاز الدولة فى المناطق المتاخمة لبور سعيد ، وحيلولتها دون تسرب الطفيليين للاستفادة من المأساة ، فالعناصر الطفيلية لا يمكن أن توجد إلا بمباركة من جهاز الدولة الذى يحولونه لصالحهم ، أما فى هذه الفترة فهذه العناصر كانت ترتعد فرقا رغم الآمال التى كانوا يعلقونها على عودة الانجليز .

كان بعضهم يراهن على انتصار الانجليز ، واسقاط عبد الناصر ، بل بعضهم يقسم أنه فى أول جوله سيقدم كافة التسهيلات للانجليز « نار الانجليز ، ولا جنة عبد الناصر » ولقد أحسن عبد الناصر صنعا بأن وضع معظم قيادات هذه العناصر فى المعتقلات ممن ثبت عليهم التواطؤ مع الانجليز .

وإذا كانت لجنة التموين قد نجحت فى عملها ، فإن لجنة المحافظة على الأمن ــ أمن المواطن ــ قد نجحت هى الاخرى .. إذ كانت باستمرار تحذر من الاعتداء على الأرواح أو الممتلكات ، وتدعو إلى الوقوف ضد أى فتنة تستغل ضد الأجانب ، بل وتبذل قصارى جهدها فى التعاون مع البقية الباقية من رجال الشرطة فى المدينة وتنشر مجلة الانتصار بياناتها مؤكدة ذلك .

« لقد تعودنا من أعدائنا الاستعماريين ، أنهم حيث يفشلون فى العدوان المباشر على سيادتنا ، أن يحاولوا تحقيق أغراضهم بأحط الوسائل والأساليب ولذلك وجب علينا ، وعلينا نحن أبناء بور سعيد على وجه الخصوص ، أن نتكاتف لسد أى ثغرة يحاول العدو أن ينفذ منها .

● علينا أن نحافظ على الأمن فى مدينتنا متعاونين مع قوات الأمن .
● علينا أن نمنع أى اعتداء على الأرواح أو الممتلكات
● علينا أن نحبط أى مؤامرة لاشعال فتنة داخلية ضد الأجانب .
● علينا أن نقطع دابر أى مؤامرة ترمى إلى بث البغضاء بين الحكومة والشعب . أو بين البوليس والأهالى أو بين الجيش وسائر المواطنين .

إن كل الانتصارات التى حققناها لم تتم جزافاً ، وانما تمت لأننا خضنا المعركة متحدين . وإن المحافظة على ما أحرزناه من مكاسب ، يحتم أن تستمر هذه

الوحدة .. هكذا تعلمنا من خبرة معركتنا الدامية ، هكذا تعلمنا من خبرة سائر الشعوب التى انتصرت فى معركة الحرية .

إن الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية تكونت فى خضم المعركة ، وشاركت فيها ببسالة وشرف ، وساهمت بجداره فى تحقيق الانتصار . وان استمرار جبهتنا المتحدة فى كفاحها ، واستمرار تدعيمها هو الضمان الأول لتحقيق انتصارات جديدة ولتخطى كافة ما يعترضنا من عقبات .

إن طريقنا طويل ، وعدونا غادر متربص ، وان صمام الأمان الوحيد هو أننا جميعا الشعب والحكومة والجيش حول أهدافنا التى لن نحيد عنها . وحول القائد جمال عبد الناصر ، رمز مقاومتنا الشعبية الظافرة ..

كان ذلك باستمرار هو موقف الجبهة فى معركة بورسعيد ، بقيادة الشيوعيين ، لم تفقد ولو لحظة واحدة حرصها على توحيد الجميع ، وحشد كل الامكانيات ، وإبراز جمال عبد الناصر كرمز للمقاومة ، وذلك رغم ما كان البعض يثيره من خلافات مفتعلة ، ولكن بالصبر وضبط الأعصاب ، استطعنا ترويض هذه العناصر ، حتى مضى الجميع فى صف واحد خلف الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية .

كان قد تم ذلك فى أحلك الظروف التى عاشها الوطن ، حيث قوات العدو تجوب شوارع المدينة ليلا ونهارا ، وحيث انتهت السلطة الفعلية للحكومة ، وحلت محلها قوات الجبهة فى تنظيم كل شىء ابتداء من تنظيم التموين حتى يصل إلى كل المواطنين وانتهاء بالمعارك المسلحة فى شوارع بورسعيد .

ورغما عن ذلك ، فلازال الكثيرون بسوء نيه ، يثيرون الشكوك حول شعار الجبهة حينما يدعو إليها الشيوعيون .... وحتى إذا دعى آخرون فنجد البعض يثير خطورة اشراك الشيوعيين فى الجبهة ، وهم الذين شكلوا أوسع وأعمق جبهة فى تاريخ مصر ، وفى ظل أقسى الظروف . (جبهة بورسعيد) .

بل أكثر من ذلك ، فحينما كانت الجبهة تحذر من المخربين ومن الاعتداء على الأموال والأرواح ، نجد كثيرين بسوء نيه ، يحاولون بشتى الطرق الصاق تهم التخريب بالشيوعيين ... حريق القاهرة فى سنة ١٩٥٢ قالوا أنه من فعل الشيوعيين ... والذى ثبت أنه كان وراءه السفارتين الانجليزية والأمريكية وبعض رجال المباحث ... ومن الغريب أن من يقول ذلك هم عملاء السفارتين والمباحث العامة .

وهذه الأكذوبة التى لا تمل الرجعية استخدامها فى مصر ، سبق أن استخدمتها الرجعية فى كل انحاء العالم .... فحتى هتلر نفسه عدو الديمقراطية ، وسفاح الحريات اتهم الشيوعيين بأنهم أعداء للديمقراطية ، واتهمهم بحريق الرايشستاخ (البرلمان) .. الذى قام هو نفسه بحرقه .

تعاد هذه الاكذوبه بلا خجل وبلا ملل .. ولكن الشىء المشرق أن أحدا لم يعد يصدقهم .

ومن الغريب أنه رغم أن شعار الجبهة المتحدة هو الدفاع عن عبد الناصر لم يقبل نظام الزعيم عبد الناصر استمرارها بعد المعركة ، كشكل ناجح لتجميع كل القوى المناضلة ، بل رفضت الحكومة رفضا كاملا هذه الصيغة .

لقد كان معظم الضباط الناصريين الذين اشتركوا فى معركة بورسعيد متحمسين لاستمرار الجبهة ، واتخاذها صيغة للحشد الوطنى ، بعد ان رأوا نجاحها فى معركة بورسعيد وبعد أن شهدوا بعيونهم انهيار هيئة التحرير « هاتاشاما » . وانها تحولت إلى اضحوكة لكل المواطنين فى بورسعيد .

ورغما عن ذلك فلقد أصرت الحكومة ، وأرسلت بمندوبيها إلى البرتغال لدراسة تجربة سالازار فى البرتغال ، وعادوا بفكره « الاتحاد القومى » ذلك المولد الذى اعتبر استمراراً لهيئة التحرير ، وادعوا أنه تجمع لكل المواطنين وانتهى أمره إلى أن مات بالسكته القلبية مثل هيئة التحرير .

إن تنكر ناصر وهو الزعيم الوطنى ، لفكرة انشاء الجبهة ممن سبق أن امتحنهم فى تنظيم الضباط الأحرار ، وفى معركة بورسعيد ، استمر معه حتى انشاء التنظيم الطليعى والذى انتهى أمره إلى التحلل والاندثار ، بل والتخلص من كل رجال ثورة ٢٣ يوليو لتحل محلهم البورجوازية الطفيلية وحكم الأسر التى أثرت من العمولات والسمسره والتقرب من السلطة .

لم يكن نشاطنا قاصرا على التموين ، وتأمين المواطنين ، ومحاربة كل أنواع الفتن والمؤامرات ، وانما امتد إلى محاربة الروح الانهزامية ومحاصرة دعاة الاستسلام ، عن طريق التحريض والدعاية وتعبئة الجماهير ، ومعرفة خطط العدو ، بل والدخول إلى معسكراته ، وحرمانه من بعض قواته إما بالقتل أو بحضهم على الهرب من صفوفه .

إن المأساه الحقيقيه التى يعيشها أى شعب هى أن يشعر كل فرد فيه أنه يعيش

مأساته بمفرده ، وأن يفقد انتماءه إلى المجموع ، وأنه بمفرده عليه أن يواجه عدوا باطشا منظما مدججا بالقوة والسلاح ، وان يصل إلى مرحلة ما يمكن أن يسمى بفقدان الاحساس أو المساهمة فى الرأى العام .

ذلك هو ما نجح فيه المعتدون ، وساعدهم على ذلك بقايا جزء السلطة المستسلم المنهار .

بدأنا الاتصال ببقايا التشكيلات ، التى كانت قائمة قبل العدوان ... لجان نقابية لجان طلبه .. نوادى تمثل النوبيين والسودانيين واليونانيين . كان الاتصال بهم لا يتوقف ليلا ونهارا حتى نجحنا فى استعادة بعضهم إلى المعركة .. وبعد أن أيقنا أننا وصلنا إلى تجميع بقايا هذه الهيئات ، تم الاتفاق على أن نقوم بمظاهرة فى المدينة المحتلة ليشعر العدو أن الشعب موجود فى المقاومة ، ولتشعر الجماهير بقوتها ، وإن ما بقى فى المدينة من سكان قادر على المقاومة بل وانزال الهزيمة بالعدو .

وكان الموعد الذى حددناه هو يوم جمعه فى جامع الرحمة ، عقب الصلاة وأعلنت الجبهة عن موعد المظاهرة ووزعت البيان التالى :

نداء من جبهة المقاومة الشعبية
المتحدة ببورسعيد

أيها الشعب المناضل ..

مهما تجمعت قوى البغى ضدنا ، فالنصر حتما فى جانبنا ، إننا إلى جانب الحق ، ونقاتل من أجل قضيتنا العادلة ... إن الرأى العالمى كله فى جانبنا ، الاتحاد السوفيتى .. الصين الشعبية .. الهند .. وكل الدول العربية ... حتى الشعوب فى انجلترا وفرنسا تعارض حكوماتها المجرمه .

أيها الشعب المناضل ...

لقد ضحيت وكافحت ، وكان قرار الانسحاب ثمرة نضالك وكفاحك العتيد المتواصل .

أيها المواطنون ...

فلتسر هذه الجنازة الصامتة ، التى ستخرج عقب صلاة الجمعة مباشرة فى هدوء ونظام . لتكون تعبيرا صادقا عما نكنه لشهدائنا الابطال ، وليعلم المستعمر أن شعب بورسعيد البطل لن يهدأ أبداً ، ولن ينحنى أمام الطغاه .

تحيا ذكرى شهدائنا الابرار يسقط الاستعمار عدو الشعوب
عاشت وحدة الشعب والحكومة والجيش تسقط اسرائيل اداة الاستعمار

جبهة المقاومة الشعبية المتحدةببورسعيد

قام الرفاق من اعضاء الجبهة بتوزيع المنشور قبل الموعد المحدد بأيام أذكر منهم .. أحمد حجازى .. ابراهم هاجوج .. منير موافى .. الشيخ عبد السلام الخشان .. وغيرهم ووزعت المنشورات على المنازل باليد وعلى المحلات التجارية ... على بقايا رجال البوليس وعلى بقايا الجيش .

وفى اليوم المحدد كانت المفاجأة ان بقايا أجهزة السلطة التى سبق أن استسلمت للعدو ، جذبت إلى صفها بقايا « هيئة التحرير » (هاتاشاما) .. وأنشأت هيئتين وهميتين أخرتين وأصدرت المنشور التالى ، داعيا إلى السكون والاستسلام .

بالاشارة إلى المنشور الموزع اليوم للقيام بمظاهرة احتجاجا على الاعتقالات ، التى قامت بها قوات الاعداء التعسفيه ، وبناء على رغبة السيد / محافظ القنال بمنع التظاهر ، حرصا على صالح المدينة فى هذه الظروف العصيبة ، وبعد الاتصالات بالمسئولين بخصوص الافراج عن المعتقلين ، فقد الغيت مظاهرة اليوم وليطمئن كل مواطن على المعتقلين ، فسوف يفرج عنهم فى أقرب وقت ، حيث أنه تجرى مفاوضات هامه بشأنهم .

المقاومة المسلحة هاتاشاما الهيئة التنفيذية للاتحاد .

لقد أحسسنا ببداية التخريب ، المستسلمون يحاولون أن يعيدوا العجلة إلى الوراء ورغم ذلك تجمع حشد كبير لا بأس به من أبناء بورسعيد حول جامع الرحمة وما أن شعر محافظ المدينة بذلك ، حتى حضر إلى المسجد ، ودفع بأحد رجال الدين ليعتلى المنبر ، ليوجه نصيحته إلى المواطنين بعدم تعريض انفسهم

للهلاك وقرأ بصوت منغم متهدج الآية الكريمة « ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكه » .

وما أن القى خطبته حتى ارتفع الهتاف أمام المسجد بسقوط الاستعمار وبحياة ناصر ... وتقدم المحافظ ليرهب المشتركين ، ولكنه فوجىء بشاب من بورسعيد ، يلقيه أرضا ويدوس عليه بالحذاء وهو يهتف بسقوط الخونة والمستسلمين ذلك الشاب هو « ابراهيم هاجوج » .

مرت لحظة تردد وصراع بين طليعة المظاهرة ، وعناصر الفتنة والاستسلام وفى الحال تقدمت سيدة من بين الصفوف ، لا يعرف أحداً لها اسماً أو عنواناً .. سيدة فارعة الطول ، وجذبت العلم ورفعته وتقدمت الصفوف فى وسط حشود الانجليز وهى تهتف الثأر الثأر .

يسقط الاستعمار   دماء ابناءنا لن تروح هدراً .

لقد انفجر البركان ، وجن جنون الناس وهم يهتفون .. العشرات والمئات يندفعون من الشوارع الجانبية . المظاهره تسير كالنهر الهادر بلا نظام ، عشرات اللافتات ترتفع فى السماء . تحمل أسماء هيئات تصور الناس أنها ماتت أو أنها لم تعد موجوده .

مضى النهر الهادر من مسجد الرحمة .. فى شارع صفية زغلول .. فى طريق المقابر ... لقد أحس الانجليز أن الجماهير شىء ضخم ، لم تكن قوتهم قد أعدت العده لمقابلته .. آلاف الأطفال يحرسون المظاهرة .. أكاليل الزهور تتقدم المظاهرة ... الميكرفون يذيع الاناشيد الوطنية .

تحت علمنـــــــا الحر الأخضر راح   تمشى   الملايين

أحس الانجليز بدقة تنظيم المظاهرة ، وضخامة الحشد بحيث يصعب أن يقال انه بقى فى منازل بورسعيد شخص لم يشارك فى المعركة أمهات أباء أطفال رجال نساء بورسعيد بأكملها .

الانجليز يحسون ضخامة الحشد . يقفون بمدرعاتهم على أطراف المظاهرة المظاهرة تمشى فى طريقها المرسوم ، حيث تعقد مؤتمرها فى المقابر ، حيث الشهداء .. وحيث الجثث لا تزال حيه .

يسرع الانجليز لايقاف هذا السيل ، يرسلون بطائراتهم لتحلق قريبا من رؤوس المؤتمرين فى المقابر ، الناس لا يتحركون .

السؤال الذى يقفز إلى ذهنى فى الحال ماذا علينا أن نفعله الآن . انها اللحظة الحاسمة .

جماهير مصره على القتال ... مدرعات مصوبة ببنادقها ومدافعها نحوها . طائرات تكاد تلامس الرؤوس ... أبواب المقابر مفتوحة وتظهر منها الجثث .

ولم أجد بداً من أن أصعد فوق أحد المقابر لأخاطب الجماهير باسم الجبهة ولنعلن اصرارنا على الكفاح . ورفض الهزيمة ولنقسم سويا أمام شهدائنا على المواصله .

الأم تقسم أمام قبر ابنها الشهيد
الاب يقسم أمام قبر ابنه الشهيد
الزوجة تقسم أمام قبر زوجها
الزوج يقسم أمام قبر زوجته
الصديق يقسم أمام قبر صديقه
الابن أمام قبر أمه وأبيه

كان القسم يمضى ، وكأنه رصاص مصوب إلى العدو . الانجليز تأخذهم الدهشة .. الشباب يعود إلى البلد المهزوم .. لقد تم القسم وبدأ على الفور فى نفس المساء تحطيم قرار حظر التجول .

النقطة الحمراء

الرمال الصفراء تمتد بعيدا الى مالا نهاية ، فى موجات صفراء كلها تتشابه فى خطوطها وانكسارتها والشمس تنعكس اشعتها على هذه الرمال فى دوائر صفراء تتسع وتضيق ، ولكنها لا تلبث فى النهاية ان تجبرك على ان تغلق عينيك مللا وبلادة .

وعلى هذه الرمال وتحت اشعة الشمس يجلس طابور طويل من العراه تحيط بهم خيول يمتطيها عدد من الضباط ومعهم عدد من الجنود ، وبعيدا بعيدا يجلس

عدد من القناصة على مدافعهم وبنادقهم المصوبة الى هذا الطابور من المعتقلين . مثقفون . محامون . اطباء وقادة نقابيين . قيادات بارزة من العمال والفلاحين . ومعظمهم ممن خاضوا المعارك الوطنية فى مواجهة الملكية والاقطاع واسقطوا مشروع صدقى بيفن . وبعضهم ممن حمل السلاح فى معارك القنال فى عامى ٥١ و ٥٢ .

وفى مواجهة هذا الطابور تقوم استراحة بسيطة جميلة يجلس عليها مجموعه من الضباط ، يتوسطهم ضابط صغير الحجم ، شركسى السحنة ، انفه مثل المنقار يضع عليها نظارة معدنية ، ويمسك بيده منشة صغيرة يحركها بشكل انثوى ، ويحاول بين لحظة وأخرى ان يشد جسده حتى لا يتلاشى فى وسط اجساد الضباط الفارهة ، وليؤكد رجولته التى جرحتها شائعات كثيرة حول اسباب طرده من القوات المسلحة .. ومن حين الى آخر تدور عليهم اكواب من المثلجات ، وترتفع بعض الضحكات ... واحس مع هذه المرطبات ان العطش يكاد يزهق روحى ، مع بقايا الدم التى تسيل من فمى .

ويخيم على الطابور صمت حزين ، واحس بمرارة تملأ فمى . ورغبة شديدة فى القيء .. ولكن يشغلنى عن كل ذلك هذه الدماء التى تتدفق بغزارة من ذلك الجسد الملقى على الأرض والذى يضع رأسه على رجلىّ ، والذى لا تربطه بالحياة سوى هذه الآهات المكتومة التى ترتفع من صدره بين لحظة وأخرى . وأمد يدى امسك ذراعه التى لا تربطه بجسده سوى جلده رقيقة ، بعد ان حطمت العصى الغليظه عظامها وبرزت من بين اللحم والجلد ... اننى امسكها بيدى وكأننى احتضن عزيزا سيوارى التراب بعد قليل .

ينزل همت من على المنصه ، ويدور على صفوف المعتقلين العراه ، يتحسس اجسادهم ، ويتأمل كافة اعضائهم ، ويتوقف امام بعضهم يتأملهم بصورة تبعث الحمرة فى وجوه بعض الضباط ... وبعد هذا الاستعراض الغريب يعود الى المنصة من جديد ...

ومن خلال هذا الصمت ، وبعد بعض الضحكات الناعمة يرتفع صوته وهو يستفسر فى خشونة انثوية . هل الدكتور موجود ؟ العروسة موجودة ؟ شاويش الجلد موجود ؟

ويرد عليه احد الضباط فى صوت مكتوم .. كل شيء موجود ياافندم .. ويمط

رئيسهم الشركسى جسده النحيل ، وبصوت يتصنع فيه الهدوء والتعالى يصدر اوامره ... فين الدكتور عليش .. وينصب فجأة شخص اسمر الوجه سمرة تميل الى الخضرة ، مكور الجسد ، قصير القامة ، مقوس الساقين ، وعلى وجهه ذعر دائم وفى يده حقيبة صغيره ويرد بصوت مرتعش ... موجود ياأفندم .

اكشف على المصابين اولا قبل الجلد ... حتى تتم الاجراءات بشكلها القانونى السليم ... على فكرة ياعليش . الولد اللى اسمه جمال غالى ده ذراعة بايظه خالص ممكن تقطعها وتريحه من العذاب .

واحس بنفسى احتضن جمال وترتفع الاصوات من هذا الطابور المخضب بالدم .. لا . لا . لآ

ويتقدم عليش فى خط رتيبة نحو جمال وصفرة باهتة تعلو وجهه ، ورعشة سريعة حول فمه ، ولكنه ما يكاد يسمع الاصوات حتى يتوقف فى منتصف الطريق ، وكأنه اصيب بالشلل .

ويسود صمت قاتل رهيب ويتوقف السجانة فجأة عن الضرب وتتحول الانظار الى شخص انيق يرتدى بدلة كاملة . طويل رقيق يصرخ بأعلا صوته ... مش ممكن ده يتم . اعطونى المريض . لن اسمح بقطع ذراعه . ابتعد ياعليش من طريقى . انتم مجرمون . قتله . خلاص لا استطيع الصمت . كفاية . كفايه ...... سنتين نسيت فيهم الطب . تحولت الى جلاد . تعذبون وتبطشون وتقتلون ... وتزورون شهادات طبية .. انهم ماتوا بالمرض .. سامع ياعليش . سامع ياهمت . المأساة لن تستمر . لن نقطع ذراع المصاب ... ويتقدم بخطى واثقة ويحتضن جمال .. اعطوه لى . انه مريضى . لن نقطع ذراعه . انا حالف اليمين ياظلمه ... ويقفز فجأة ويحتضن جمال ... اعطوه لى لن نقطع ذراعه أنا حالف اليمين .

ينظر الضابط الشركسى الى زملائه ويتحول وجهه الى قطعة من القماش الابيض ويتمتم بصوت مسموع ... ما هذا يادكتور عليش ألست كبير الاطباء .. وتتعثر الكلمات على شفتى عليش ، وتخرج منه اصوات غير مفهومة وغير مسموعة . ويرد الدكتور الشاب فى ثورة عارمة وفى كلمات مختلطة .. دا مش دكتور ، دا جزار . انا شاهد على كل حاجة . انا لازم ابلغ النقابة ... ويتلعثم الضابط الشركسى وتصدر عنه كلمات لا يفهم منها غير ... يظهر ان الدكتور

فؤاد متعاون مع الخونة ... وتأتى المفاجأة الاخرى من جمال ... ذلك الذى كان الى لحظة قصيرة ممدداً على الأرض من كثرة الدماء التى نزفت منه . فينتصب واقفا اصفر الوجه ، وعظام ذراعه بارزة من اللحم ، وشعره ملبد بالدم ، وذراعه تهتز فى حركة لا علاقة لها بجسده ، اذ لم يعد يربطه بجمال سوى جلده رقيقة . ويأتى صوت جمال عاليا ... احنا مش خونة ياهمت . احنا وطنيين . احنا اللى عملنا معارك كوبرى عباس . احنا الفدائيين بتوع القنال . احنا الشعب . احنا اللى هاجمنا الملك اللى انت كنت خدام له انت وامثالك .. ويتقدم الدكتور فؤاد ويندفع نحو جمال ويحتضنه .. ذراعك لن تقطع يا جمال . انت مريض . انا دكتورك .. ويرتبك الضباط ، ويضطرب السجانه ويخفضون فى خجل عصيهم التى كانت منذ لحظة قصيرة ترتفع وتهبط على رؤوس المعتقلين ، تفجر الدماء من الرؤوس الحليقة .. ويهمس ضابط كبير ، منتفخ الوجه ، ذو كرش كبير كان مديرا فى تلك الفترة لليمان ابى زعبل الذى يتبعه سجن الأوردى ، كنا نعرفه جيدا . رجل طيب القلب . ضعيف الشخصية فى مواجهة رؤسائه . ربما كانت حياته الخاصة والعائلية فيها الكثير من اللمسات الانسانية ، ولكنه بحكم السن والمهنة اصبح اسير لقمة الخبز ، ثم يرتفع صوته مرطبا الجو ... انت أخذتها جد قوى يادكتور فؤاد . خد المريض بتاعك ياسيدى . والبيه موافق .

ويحتضن الدكتور فؤاد جمال ويمضى به بعيدا فى اتجاه مستشفى السجن الذى يبعد حوالى ٢ كيلو بين الرمال والصخور ... ويسأل عن السيارة لنقله مع المريض ولكن يرد همت .. كفاية كده انت عاوز تركب الشيوعيين سيارات كمان . دا غيرنا بيحرقهم بالنار ... ويمضى الدكتور وأقدامه تغوص فى الرمل محتضنا جمال الذى لا يقوى على السير .

وتتبعهم انظار المعتقلين حتى يبتعدوا فى جوف الصحراء ويتحولوا الى نقطة حمراء ... ولكن رغم اختفائهم تظل هذه النقطة الحمراء تتسع وتتسع حتى أراها بحيرة واسعة تحتوى الصحراء ، وأتحسس رأسى فأجدها ايضا نقطة حمراء من الدماء ... وانظر الى من امامى من الرفاق فأجد كلا منهم ايضا نقطة حمراء من الدماء .

وتعلو همهمات بين السجانة . وتنخفض عصيهم ، ويشعر الضباط على المنصه ان النظام الذى وضعوه لمجزرة اليوم ، قد ينفرط عقده ، وخاصة بعد ان ارتفع

صوت سجان عجوز ، وهو بين البكاء والصراخ .. وحد الله انت وهو .. وحد الله انت وهو .. لقد انفرط عقد النظام ، وتحولت وجوه السجانة الى زميلهم الذى اوشك ان تعاوده موجة التصوف والخوف من الاخرة .

وهنا ينطلق صوت البروجى عاليا فى الصحراء ، كبومه تنعق فى الخراب ، يتبعها صوت همت ..... إبدأ الجلد ياشاويش ريحان . ١٦ جلده .

ويبدأ نداء الاسماء « شحاته عبد الحليم » . ويقف شحاته بجسمه الاسمر الطويل العريض . يقف سائق الترام كصخرة جامدة . ويتردد السجانة امامه ثم يهجمون عليه . ولكنه يرد بصوت هادىء .. لاداعى لهذا كله .. ويتقدم الى العروسة ، ويضع رأسه فى الفتحة المعدة لذلك وتقيد أقدامه ويداه الى العروسة .. ويبدأ الجلد .

ويرتفع الصوت من جديد ...

« ابراهيم عبدالحليم » . « اسماعيل المهدى » . وتهوى الكرابيج على الاجساد وتنفجر الدماء . ويصيح همت فى حنق .. الجلد مش كده ياشاويش ريحان ... أيدك طرية ، انا عاوزه يتأوه ويتلوى زى المره .. ويقول انا فعرضك ياجمال عبد الناصر .

ولكن يفاجأ همت أنه لا يسمع الاصوات المطلوبة .

وينادى من جديد على اسمى ...

أحمد الرفاعى ... وضبه ياشاويش الواد بتاع السجن الحربى . عاوزه يعرف ان الحكومة عندها حديد ونار ورجاله .. عد ١ ، ٢ ، .... ١٦ العد غلط ياشاويش ، ارجع من الأول .

وتستمر هذه المجزرة حتى يتم جلد ٦٠ معتقلا . عراه كما ولدتهم امهاتهم . اجسامهم ملطخة بالدم مضربون عن الطعام ، لم يتناولوا الطعام من ستة عشر يوما . وتأتى الخيول الجامحة تعدو من بعيد مجنونة بضباطها وتدوس صفوف المعتقلين المجلودين الجائعين المربوطين فى السلاسل . وتنطلق بعض الرصاصات فى الهواء .

ويعود الهدوء من جديد ويبدأ همت الحديث .. الجلد انتهى ياشاويش . وضب المحضر ياحضرة الضابط . وتمم كل الاجراءات القانونية ... ثم يرتفع صوته من جديد منذرا مهددا وهو منفوخ الصدر واقفا على اطراف اصابعه ...

مافيش جرايد.. مافيش ديمقراطية ..
مافيش زيارات .. مافيش كفاح مسلح .
مافيش خريات .. مافيش تنظيمات لاسرى ولا علنى .
والمفاوضات خاتم .

مطالبكم مرفوضه .. مافيش الا فك الاضراب او تموتوا زى الكلاب . انتم قاعدين فى لوكاندة ياكلاب . انتم فاكرين ان الغاء محكمة الثورة معناه انكم حتخرجوا . انتم غلطانين . صلاح سالم سافر العراق . ونورى السعيد جه مصر . والثورة باقية .

ويرفع أحد الرفاق يده ليرد ، فتنهال العصى على راسه حتى يغمى عليه .

ويرتفع صوت همت .. التشريفه انتهت . أرميهم فى التأديب فى الليمان . ... التأديب .

وبرزت فجأة من الصحراء سيارات كبيرة ذات لون أجرب ، ومغطاه بقماش باهت سميك ، ووقفت على بعد امتار من طابور المسجونين المربوطين جميعا فى سلستين طويلتين . ويتحرك الرجال فى اتجاه السيارة ، وهم لا يقوون على المسير ..... وينظر السجانون اليهم فى حيرة ، وهم يسألون أنفسهم .. لقد أكلنا مع هؤلاء الناس عيش وملح .. وعرفنا قصص اكثرهم .. لقد كانت دفاعا عن اهلنا فى القرى ، أو زملاءنا فى المصانع ... ويرتفع صوت همت .. ايه ده ياسجان انت وهو . انتم تعبتم ولا ايه . الظاهر انكم مش نافعين . كمل التشريفه أنت وهوه وحرس سلاح للمعتقلين ...

ومع صعود المعتقلين الى السيارات ينهال الشوم من جديد . فالسيارات مرتفعة ، ومرت ستة عشر يوما على الاضراب و لم يتناول واحد من المعتقلين لقمة خبز واحدة . لا يستطيعون الصعود فتنهال الشوم عليهم . ثم يتقدم بعض السجانين ليقذفوا بهم إلى السيارات ... ولكن السلسلة الغليظة التى تربط كل مجموعة من المعتقلين تحول دون السرعة المطلوبة . وتلتف بقسوة على يد بعض الذين صعدوا السيارة مع شد الذين لازالوا فى جوف الصحراء . واسمع الانات .. حاسب حاسب .. ايدى راح تنكسر .

وتستمر عملية شحن الرجال العراه ، المرضى الجياع ، الذين كانوا الى وقت قصير يعيشون الحياة بكل ما فيها من أمل واصرار رغم الجوع والمعتقل وبعد الاسرة والاولاد ... كانوا الى عهد قريب وفى وقت الجوع يغنون الحان سيد درويش ..

وبول روبسون . ويصدرون مجلة السجن ، ويتناولون صور اطفالهم ، ويرسلون بياناتهم الى الحكومة معبرة عن ارائهم بشجاعة .. مطالبين بعودة الديمقراطية .. وحق الفلاحين والطبقة العاملة فى تنظيمات تعبر عن مشاكلهم وارائهم .. والعودة الى الكفاح المسلح الذى اجهزت عليه مؤامرة حريق القاهرة .

ومن بين طابور العراة تقع عينى على « فتحى عبد الرحمن » المدرس الصعيدى الذى لم تغير الثقافة أو التعليم شيئا من عاداته او لهجته الصعيدية .. أسمر ممتلىء الجسم . قصير القامة خفيف الروح والظل ، لا يمل رواية القصص والذكريات . ومع كل مرة يحكى تزداد حكاياته حلاوة وخفة دم .. اراه فى هذا الطابور وهو يصرخ من الم السلسلة التى التفت حول رقبته . انه صوت فتحى الذى لا اخطئه ، وتكون المفاجأة انه الوحيد الذى يرتدى فانلة ، فالكل عراه . من الواضح انها ليست فانلته فهى طويلة تصل الى قدميه .. انه يصر ان يكون انيقا حتى فى احلك الاوقات . ولا ادرى لماذا اجتاحتنى موجة من الضحك !! ومع العصى التى تنهال على ظهرى وكتفى ، كان الضحك يكاد يخنقنى . وفى وسط هذا الجحيم يلتفت الىّ فتحى مستفسرا مؤنبا .. بتضحك على ايه ياابن ..... دا وقته . ويسرع الصول فيعدل من وضع السلسلة حتى لا تكسر رقبته . ويحاولون ان يجردوه من الفانلة ، ولكنه يرفض .. عيب ياشاويش ، ما يصحش أنا راجل صعيدى ... ولكن العساكر لا يستطيعون ان يجردوه من الفانلة لان معنى ذلك ان يفكوا السلسلة كلها .

وتمضى السيارات ترنخ بحملها الثقيل حتى تصل الى الليمان . ويستقبلنا صفين من الجنود ولكن المفاجأة أنهم لا يستخدمون العصى والكرابيج .. لقد اطمأنوا لرحيل همت المرتبط بالمخابرات والمباحث ، واصبحت السلطة فى يد ضباط السجون العاديين . ويلقون بنا فى الزنازين ، فى شبه زنازين .. كل زنزانه بها عشر رجال .. لا تكفى لتمديد اجسادهم . وتغلق الزنازين . وينظر المعتقلون الى بعضهم وترتفع اصوات متضاربة ، ضحك وبكاء .. والبعض يضم الاخر الى صدره .. واحاول ان اسرى عن شاب صغير .. معلش بعد شوية الألم سيزول ياقناوى .. شاب صغير فى الثانوية العامة ، مرفه فى حياته ، تفتحت عيناه وهو صغير فعرف الكثير .. ممزق الظهر ، آخذه فى حضنى ولا اكاد امسح على ظهره حتى يصرخ فى شدة الالم . واشم رائحة الجوع تتصاعد من فمه ويتناهى الىّ

صوت اسماعيل معيد الفلسفة بالجامعة وكأنه اسلاك من الصلب . اتركه يازميل عليه ان يتحمل ، لاولاده بلا الم . كلمات صادقة ولكنها قاسية . فللبشر طاقة .. واحس بالاضطراب وأضع رأسه على ساقى ويتمدد على ظهره ليشعر برطوبة الأرض علها تخفف حجم الالم الملتهب فى ظهره ..

ومع اغلاق الابواب وحلول الظلام تبدأ تشعر بالاطمئنان ، فمعنى التمام فى السجن أنك فى مأمن حتى الصباح ولكن المفاجأة ان التأديب يفتح بعد ساعة ويظهر « انور السروجى » ، سجان ضخم الجسم ، يتصور دائما ان هذه الضخامة تجعله فى مستوى اعلا من زملائه السجانين ، وكفيلة بأن تضعه فى مستوى الضباط .. وينادى على بعض الاسماء من المعتقلين وما ان يخرجوا من الزنازين حتى ينهال عليهم ضربا ويطلب اليهم ان يشربوا من جرادل البول ... ولكنهم يرفضون ، ويحاولون اقناعه بان ذلك لن يفيده فى شىء ولكنه يصر ... وتظل هذه المهزلة مستمرة حتى يشعر بالتعب فينصرف متوعدا بان ذلك لابد وان يتحقق فى الصباح .

ومن الغريب اننا اكتشفنا بعد فترة اننا ظللنا نشرب البول لمدة عشرين يوما دون ان ندرى ... اذ كنا نملأ الجرادل من بئر فى التأديب تختلط مياهها بمياه المراحيض .. ولم نندم على ذلك اذ اننا كثيرا ما تمنينا بعد ذلك نقطة ماء واحدة حتى ولو كانت بولا خالصا حينما حددوا كمية المياه التى تصرف لكل مجموعة من المعتقلين ، حيث تقوم ادارة السجن فى كل مساء بقطع المياه عن العنابر .

عشرون يوما فى تأديب ليمان ابى زعبل ، دعمت الصداقة بيننا وبين المسجونين العاديين ، رغم الحراسة المشددة ، وتضافرت عواطفهم معنا احتجاجا على عمليات التعذيب الوحشية التى انزلت بالمعتقلين ، واعجابا باصرار المعتقلين على مواقفهم ...

فالموقف القوى يبعث الدفء والقوة فى محيطه ، اما الضعف فلا يثير غير الاشمئزاز ... وكانت هديتهم لنا قلم ومجموعة من الأوراق .

٣٩ ــ محمد حلمى يس
منشور انتخابى

* كون مع زملائه لجنة نشر الثقافة الشعبية (١٩٤٠ – ١٩٤٤) وكان أهدافها محو الأمية بين جموع الشعب من فلاحين وعمال والعمل على رفع وعيهم السياسي والوطني وافتتحت هذه اللجنة فرعا لها (سكة جلال الملك رقم ٧ بشارع المطبعة الأهلية) كان يؤمه نحو ١٠٠ عامل .
* ساهم مع زملائه فى اصدار (مجلة الفجر الجديد) عام (١٩٤٥ – ١٩٤٦) التى لعبت دورا أساسيا فى توعية جماهير الشعب وتعبئتها للنضال ضد الاستعمار والرجعية حتى عطلها صدقى باشا فى ١١ يوليو ١٩٤٦ .
* كافح مع زملائه من أجل تخليص العمال من سيطرة الأحزاب القديمة ومساعدتهم فى شق طريقهم المستقبل وقد تمثل ذلك فى تكوين (لجنة العمال للتحرير القومى) فى أكتوبر ١٩٤٥ أول هيئة عمالية مصرية ببرنامج سياسى تضمنه :

١) تحديد سلطة الملك بالغاء حق اقالة الوزارة .
٢) الغاء الملكية .
٣) تأميم الاحتكارات ومنها قناة السويس .
٤) محاربة الصهيونية .

* اشترك مع زملائه فى دعوة العمال وتنظيم مقاطعة الباخرة الهولندية فوند ام التى مرت بقناة السويس تحمل العتاد الحربى للقضاء على ثورة شقيقتنا اندونسيا .
* اشترك مع زملاؤه فى فضح عصابة السراى وحكومة النقراشى أثناء حرب فلسطين وفى مقاومة الأحكام العرفية مقاومة عنيفة بالمنشورات والصحف السرية .
* اشترك مع زملاءه فى تنظيم صفوف الطلبة والعمال والمفكرين الأحرار من صحفيين ومؤلفين للعمل على منع قانون المشبوهين السياسيين عام ١٩٥٠ وقانون الصحافة عام ١٩٥١ .

* اعتقل فى نهاية عام ١٩٥٠ بتهمة النشاط الشيوعى وأفرج عنه بكفالة بعد شهرين .
* عقب إلغاء معاهدة ٣٦ نظم مع زملاؤه لجان الجبهة المتحدة التى كانت تتولى ارسال المتطوعين والأسلحة وكانت تقوم بالتعبئة السياسية .
* عقب حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ورغم أنه كان يطوف بالشوارع لمنع الجماهير من الانقياد وراء عصابة السراى وعملاء الانجليز الذين أشعلوا الحريق صدر أمر عسكرى باعتقاله فهرب وباشر نشاطه وهو مختف .
* تمكن البوليس من اعتقاله فى مايو ١٩٥٢ وأودع فى معتقل الهاكستب حتى أفرجت عنه الثورة فى يوليو ١٩٥٢ .
* وفى نهاية عام ١٩٥٣ قدم القضية للمحاكمة وصدر ضده حكما غيابيا بالسجن أربعة سنوات فاختفى عن الانظار واشتغل فى عدة مهن واستمر فى كفاحه .
* فى أوائل عام ١٩٥٥ عندما أعلنت الحكومة رفضها الحازم لحلف بغداد أعلن تأييده لهذا الموقف وناضل بكل وسيلة من أجل اقناع كافة أجزاء القوى الوطنية والتقدمية بأهمية مساندة الحكومة فى موقفها الجديد .
* عندما أممت الحكومة قناة السويس وتحقق بذلك أحد أهدافه التى كافح من أجلها منذ عام ١٩٤٤ دعا هو وزملاؤه الشعب الى الانضام الى جيش التحرير والاستعداد لمواجهة مؤمرات المستعمرين .
* عندما حدث الغزو الاستعمارى الفاجر كان عمله الأساسى هو تنظيم لجان المقاومة الشعبية وتعبئة الجماهير الشعبية وتنظيمها ودفع المتطوعين لمعسكرات التدريب وتركز نصيبه فى العمل أساسا فى روض الفرج والشرقية .

* فى مراحل كفاحه كان يصدر المنشورات والبيانات للشعب ويضع أمامهم الرأى السليم الذى يحقق مصالح الوطن .
* أصدر كتابى (الاستعمار يهزم فى المجر) وكتاب (لنسحق المؤامرة) لفضح الخطط الاستعمارية .

---

* نص منشور انتخابى وزع باسم حلمى يس فى انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٦ [قبل ان يصدر اعتراض على ترشيحه] ويعبر المنشور عن موقف برنامجى لمنظمة طليعة العمال .

الطريق الى الاشتراكية

تعيش بلادنا الحبيبة فى فترة تاريخية مجيدة ، فبعد أن تخلصت بلادنا من الاحتلال الأجنبى وحصلت على استقلالها ، أصبح لزاما علينا أن نكافح دون هواده من أجل تحويل المجتمع المصرى المتأخر شبه الاقطاعى الى مجتمع صناعى متقدم مزدهر علينا أن نكافح من أجل القضاء على بقايا النفوذ الاستعمارى وأن نستأصل كافة الآثار المدمرة التى يرتكبها فى جميع مرافق الحياة .

أن الشرط الأساسى كي تحقق هذه الهدف النبيل هو وحدة شعبنا بجميع فئاته عمال وفلاحين وطلاب وموظفين وتجار ورأسمالية وطنية وحدتهم جميعا فى جبهة وطنية متحدة تقف بحزم فى وجه مؤمرات الاستعمار وأذنابه وتكافح باصرار من أجل انجاز الاصلاحات الأساسية التى تؤدى الى خلق مجتمع مصرى متطور .

أننى وقد كرست حياتى من أجل تحقيق الاشتراكية فى بلادنا أرى أن نجاحنا فى تنفيذ البرنامج التالى سيخلق الظروف المناسبة ويهيىء الأساس كى تنقل بلادنا الى مرحلة بناء الاشتراكية .

أولا :ــ حماية الاستقلال الوطنى والسلام العالمى .

ــ حماية وتدعيم استقلالنا الوطنى والوقوف بحزم ضد كافة الأحلاف والمشروعات الاستعمارية وعلى رأسها حلف بغداد ومشروع ايزنهاور .

ــ حماية المكاسب الوطنية التى أحرزناها شعبا وحكومة مثل تأميم قناة السويس وقانون الاصلاح الزراعي وقوانين تمصير البنوك والمؤسسات الاقتصادية .

ــ تدعيم وتطوير علاقتنا التجارية والسياسية والثقافية مع كافة الدول على أساس المساواة العامة واحترام سيادتنا التامة وعدم التدخل فى شئوننا الداخلية .

ــ حماية وتطوير سياسة الدفاع عن السلام والحياد الايجابى .

ــ المشاركة الايجابية فى الجهود العالمية التى تبذل لتجريم انتاج واستخدام الأسلحة الذرية ونزع السلاح وتوجيه الطاقة الذرية للتعمير والبناء السلمى .

ــ السهر على تجهيز الجيش ورفع مستوى تدريبه وتسليحه ومساندته بقوى شعبية مسلحة .

ثانيا :ــ تحقيق الوحدة العربية الشاملة

ـــ البدء فورا فى تحقيق الاتحاد السورى المصرى كنقطة بداية نحو الوحدة القومية الشاملة .

ـــ المساهمة الايجابية للحركات التحريرية فى البلاد العربية وذلك بتنظيم مساعدة شعوب الجزائر والعراق والأردن .

ـــ توسع وتدعيم التنظيمات الشعبية العربية مثل اتحاد العمال العرب وتنظيمات الأدباء والمحامين والأطباء العرب .

ـــ توثيق روابط الكفاح المشترك بين مصر والسودان وحل مشكلة النيل بما يحقق مصالح الشعبين الشقيقين .

ـــ رفض المحاولات الاستعمارية لارغام البلاد العربية على عقد صلح مع اسرائيل والتمسك بضرورة خضوع اسرائيل لقرارات هيئة الأمم واعادة اللاجئين الى دورهم وتعويضهم .

ثالثا :ـــ تصفية بقايا الاقطاع والاحتكار

ـــ سيطرة الدولة على التجارة الخارجية وتأميم الصناعات الكبرى والمرافق العامة التى تلعب دورا رئيسيا فى معيشة الجماهير الشعبية .

وضع خطة كاملة لبناء اقتصادى قومى متحرر وموجه على أساس مشروعات الخمس سنوات كى يتحقق بناء صناعة وطنية مع التركيز على الصناعات الثقيلة .

ـــ وضع خطة قصيرة الأجل للانتعاش السريع تكفل مواجهة الحرب الاقتصادية التى يشنها الاستعمار وتهدف لتخفيف مشكلة الغلاء والبطالة .

ـــ تشجيع وحماية الرأسمال الوطنى وتوجيه أصحابه لاستثمار أموالهم فى نطاق الخطة العامة المرسوم لرفع مستوى المعيشة .

رابعا : الحريات العامة . توطيد دعائم الديمقراطية وذلك بالآتى :ـــ

١ – الغاء كافة التشريعات الموروثة من عهد الاستعمار والاقطاع والموجهه ضد حرية الشعب .

٢ – ضمان حق الشعب فى تنظيم صفوفه داخل التنظيمات النقابية والمهنية والسياسية مع حرمان الاقطاعيين وأذناب الاستعمار من ممارسة نشاطهم .

٣ – توسع القاعدة الديمقراطية لحياة البلاد بانشاء المجالس القروية والبلدية وجعلها برلمانات محلية منتخبة بالاقتراع العام السرى المباشر .

٤ – تطهير جهاز الدولة والحكومة من كافة العناصر التى تربت فى ظل الاستعمار

والتى يعوق وجودها تطور الديمقراطية بحيث يصبح جهاز الدولة فى خدمة تقدم الشعب وحماية الوطن .

— جعل الاتحاد القومى تنظيما دستوريا لقوى الجبهة الوطنية بحيث يمثل كل القوى الوطنية وتعبر من خلاله عن مطالبها وكفاحها وتحقق فى داخله التضامن الوثيق لمواجهة الاستعمار وبناء المجتمع الديمقراطى المزدهر .

الخدمات الاجتماعية العامة :

— اصدار قانون للتأمين الاجتماعى بالنسبة لجميع الطوائف ضد البطالة والعجز والمرض والشيخوخة تتحمل الدولة والمؤسسات الكبيرة الجانب الأكبر من التزاماته .

— تأمين الطب وتحقيق العلاج والخدمة الطبية المجانيه لكل مواطن فى بناء المستشفيات وتخريج الأطباء .

— رسم خطة للفحص الشامل والعلاج وتنفذ على كل الشعب للقضاء على أمراض المستوطنة والصدرية .

— جعل التعليم اجباريا حتى المرحلة الاعدادية ، وفتح التعليم الجامعى أمام كل راغب فيه والتوسع فى المجانية لطلبة الجامعة ودفع مكافآت للطلاب المتفوقين .

— اقامة مساكن ومطاعم للطلاب القادمين من الريف والطلبة الفقراء لرفع مستوى معيشتهم وحماية صحتهم .

— السماح لطلبة المدارس الصناعية والفنية المتوسطة إتمام تعليمهم بالجامعة .

— تطهير الكتب والبرامج الدراسية من مخلفات الاستعمار وانماء ونشر التراث الثقافى القومى وكذلك أمجاد الشعب المصرى وبطولاته .

مطالب الفئات والطبقات الشعبية

العمال : رفع مستوى أجور العمال وتحديد حد أدنى للاجور على أساس متحرك مضطرد مع مستوى الاستعمار وغلاء المعيشة .

— ضمان الحريات النقابية وأبعاد أشكال التدخل فى أعمال النقابات .

— تحريم فصل العامل الا بحكم من القضاء فى كافة المصانع والمؤسسات التى يزيد عدد عمالها عن ٥٠ .

— وقف غلق المصانع والتشريد الجماعى للعمال .

— الغاء المادة الخاصة بفترة الاختبار من قانون عقد العمل الفردى .

ـــ تحديد ساعات العمل اليومى بثمان ساعات وتحريم العمل الليلى أو الشاق للنساء والأحداث .
ـــ اقرار حق العمال فى يوم أجازة اسبوعية مدفوعة الأجر وكذلك أجازة سنوية بأجر كامل
اصدار كادر لعمال كل مهنة أو مجموعة من المهن المتشابهة يضمن العلاوات والترقية .
ـــ ادارة المؤسسات والمرافق الضخمة بواسطة لجنة تضم مندوبين منتخبين عن العمال وأصحاب العمل .

الفلاحون : تدعيم وتطوير قانون الاصلاح الزراعى وذلك :
ـــ تخفيض الحد الأقصى للملكية الزراعية .
ـــ تخفيض قيمة الأقساط وتخفيض الفائدة المقررة عليها
ـــ ضرورة البدء فى توزيع أراضى مصلحة الأملاك والأوقاف على الفلاحين الفقراء
ـــ تكوين جمعيات تعاونية لمد الفلاحين بالبذور والأسمدة بالأسعار الرسمية وتقدم لهم السلف وتقوم أيضا بتسويق المنتجات .
ـــ تنفيذ القانون الخاص بالحد الأدنى لأجور العمال الزراعيين والعمل على تكوين اتحادات مهنية للفلاحين وحماية العمال من نظام التراحيل والوسطاء .
ـــ ايصال المياه النقية والنور الكهربائى لكل القرى المصرية .
ـــ وضع خطة لاعادة بناء القرى المصرية بحيث يتوافر للفلاحين منازل صحية .
ـــ تصنيع الزراعة بانشاء محطات حكومية للآلات الزراعية والجرارات والمحاريث والمضخات .
ـــ حماية الانتاج الزراعى بتشجيع نشر وتعميم نظام الزراعة التعاونية .

التجار :
ـــ توحيد الضرائب ورفع حد الاعفاء من ضريبة الأرباح التجارية للتخفيف عن صغار التجار وفرض نظام تصاعدى للضرائب ومعالجة مشكلة التقدير الجزافى للضرائب .
ـــ انشاء جمعيات تعاونية لصغار التجار ومتوسطيهم ومدهم بالقروض بالشروط المناسبة .
ـــ حماية مصالح التجار بأن يشمل نظام التسعير الجبرى مصادر الشراء ذاتها مثل

تجار الجملة وملاك الأراضى والحدائق الخ بحيث تضمن مكاسب مجزية لصغار التجار ومتوسطيهم .

ــ تحويل الغرف التجارية الى مؤسسات ديمقراطية تمثل التجار وتدافع عن مصالحهم

الموظفون :

ــ الغاء التقارير السرية ومنح الموظف حق مناقشة التقارير المقدمة ضده .

ــ تثبيت جميع الموظفين فى الحكومة والمؤسسات وضمان معاش مناسب لهم .

ــ تنظيم العلاوات والترقيات بحيث يتقدم الموظف بقدر ما تزداد أعباء الحياة وبقدر ما يستفيد من خبرة وتجربة .

ــ تحطيم الروتين الحكومى الذى يقبر المواهب واعطاء مكافآت تشجيعية وترقيات لمن يساعد على وضع خطط مبسطة لاداء الأعمال وتحسينها .

ــ تنظيم دورة التنقلات الى الأقاليم بحيث لا يقضى الموظف سنوات طويلة خارج المدن الرئيسية .

مطالب أهالى الدائرة ١٩ :

ان دائرتنا جزء من الوطن وسكانها جزء من الشعب وكل تقدم أو اصلاح يحرزه الشعب سيستفيد منه أهل الدائرة ومع ذلك فهناك مطالب ملحة وعاجلة يجب أن تحقق سريعا .

١) منع ازالة المبانى والشروع فورا فى بناء مساكن شعبية ينتقل اليها الأهالى ويكون ايجارها الشهرى بمثابة قسط من ثمنها وجعلها ملكا لهم .

٢) حل مشكلة الكادر وتنظيم العلاوات والترقيات بالنسب للعمال .

٣) انشاء مدارس ابتدائية واعدادية للبنين ومدرسة ثانوية للبنات .

٥) منع تعسف البلدية مع أصحاب المحلات والباعة الجائلين .

٦) انشاء ناديين للشباب والرياضة وأوقات الفراغ والرحلات .

٧) انشاء دار لحضانة أطفال النساء العاملات مجانا أو بمصروفات زهيدة .

٨) انشاء مصنع يقتصر العمل فيه على نساء الحى الراغبات فى العمل كما يقوم هذا المصنع بتعليم وتدريب النساء الراغبات فى العمل فى منازلهم على بعض الصناعات اليدوية الخفيفة ــ وذلك ليساهم فى رفع مستوى الأسرة .

٩) تخفيض الضرائب والعوائد والرسوم المختلفة بالنسبة للفئات الشعبية .

١٠) ايجاد مصانع بالحى لتشغيل العاطلين من سكان الحى .

٤٠ ـ مهدى الحسينى

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٦ أكتوبر ١٩٨٥

س : هل لك أن تروى بعض خبراتك خلال نشاطك الشيوعى فى منظمة طليعة الشعب الديمقراطية ووحدتها مع منظمة وحدة الشيوعيين (و . ش ؟

جـ : سأبدأ أولا برؤيتى لمنظمة وحدة الشيوعيين .. وقائدها ومؤسسها إبراهيم فتحي ولكى تعرف حقيقة هذه المنظمة وهذا الرجل يكفى أن أرى لك واقعة قد تبدو طريفة لكنها كافية الدلالة .. فقد كانت وحدة الشيوعيين (و . ش) تصدر نشرة داخلية تنشر مقالات تمثل حوارا عنيفا بين شخصين كامل ، راشد . وفى حديث شخصى لاحق مع إبراهيم فتحى قال لى أن راشد هو كامل وأن أصل المسألة يبدأ من أنه منذ تمرده على قيادة حدتو وتأسيسه منظمة وحدة الشيوعيين وهو طالب صغير السن وكانت المجموعة المحيطه به من مثل مرحلة السنية وكانت بحاجة الى رمز تقليدى يواجه قيادة حدتو فإخترع لهم قصة وجود قائد شيوعى من الحركة القديمة وله خبرات كبيرة وأنه فى قيادة (و . ش) . وأختار له اسما وكتب باسمه مقالات ودخل معه فى حوار .. واستمر متورطا فى هذه الكلمة لفترة .

وهذه الواقعة توضيح طبيعة إبراهيم فتحى وأمثاله من دعاة الزعامة فى المنظمات الصغيرة .

أما تنظيم وحدة الشيوعيين فاسمه دليل كاف على هويته فهو لا يتوجه الي الجماهير ليقود نضالها ، وانما يتوجه الى الشيوعيين ليوحدهم وهذا فى أحسن الافتراضات .

وشخص آخر التقى به إبراهيم فتحى هو ا . ع وتلاقيا فى شىء أساس هو حالة التباهى المبالغ فيها بالمعرفة والثقافة المجردة وتوسم إبراهيم فى ا . ع طموحه الزائد فاقتنصه ليقدمه على أنه راشد . وقبل ا . ع مغامرة القفز من الشارع الى قيادة منظمة .

أما المجموعة الأخرى فقد كانت تنظيم جنينى ولم تكن منظمة شيوعية بالمعنى المفهوم ، وانما كانت مجموعة من الكادر يجمعهم معا الخلاف مع حدتو والخلاف

معْ الآخرين حول طبيعة الحكم فى مصر .
وكان القائد والمفكر لهذه الجماعة فوزى جرجس ، وكان فوزى جرجس قائدا لتنظيم نواة الحزب الشيوعى المصرى ، رفض وحدة الموحد مختلفا حول أسباب اتمامها والأسس التى تمت عليها وكيفية تمثيل النواة فى قيادة الموحد .
فقد تجاهلت النواة تمثيل القائد والمؤسس (فوزى جرجس) وقدمت الى ل . م الموحد ثلاثة غيره (محمود العالم ــ بهيج نصار ــ حسين غنيم) . وكان فوزى جرجس يرى أن الوحدة تمت بشكل علوى كاتفاق شكلى بين القادة دون اشراك للقواعد أو الكوادر وكان بالدقة يسميها تواطؤ بين القيادات . وكان يتشكك فى عملية الوحدة وانها محاولة لعملية تجميع أكبر عدد من الشيوعيين لتأييد عبد الناصر بلا قيد ولا شرط ، وأن الوحدة يجب أن يسبقها تحليل عميق للواقع المصرى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

وبعد الخروج من المعتقل التقت هذه المجموعة بقيادة فوزى جرجس مع مجموعة من غير الراضين عن التحول السياسى ، داخل الحركة الشيوعية عامة لصالح المؤسسة العسكرية الحاكمة ، والتأييد المطلق لعبد الناصر وتمجيد الحكم الفردى ،
وكان تنظيما جنينا وتطلب الأمر وقتا كافيا لوضع خط سياسى وتنظيمى واضح .

ولكن بدأت منظمة وحدة الشيوعيين فى الاتصال بهذه المجموعة وضغطت بشدة من أجل وحدة كل القوى المناوئه لخط حدتو ، بحجة تأسيس تنظيم لنينى ثورى حقيقى .
الكوادر الأساسية التى كانت ملتفة حول فوزى جرجس هى تحديدا : محمود المناسترلى ــ حمدى حمدان ــ حسنى تمام ــ فوزى محمد على ــ نجيب سرى ــ شعبان حافظ ــ محمود عزمى ــ مهدى الحسينى ــ محمود ماجد ــ نجاتى عزب ــ محسن الخياط ــ رمسيس لبيب .
والعدد ليس كبير لكن فيهم نوعيات جيدة .
وضغط بعض هؤلاء وخاصة محمود المناسترلى وحمدى حمدان وحسنى تمام من أجل الوحدة مع و . ش واتفق فوزى جرجس متنازلا عن موقفه الثابت بضرورة التمسك بشروطه المثالية لأية وحدة ، وجلس الطرفان وكشف فوزى جرجس كل أوراقة وقدم أسماء أعضائه وتم الاتفاق مع ابراهيم فتحى (و . ش) على كل شيىء

حتى على اسم التنظيم وكان طليعة الشعب الديمقراطية وفى اللحظة التى تصور فيها الجميع أن اتفاقا كاملا ونهائيا قد تم هرب العريس فى ليلة الفرح هكذا فعل ابراهيم فتحى بالضبط ، ففجأة وبدون سابق انذار وفى ذات يوم اعلان الوحدة وتأسيس طليعة الشعب الديمقراطية كانت أسماء ومواقع كل أعضاء مجموعتنا تعلن على المقاهي فى حين أن فوزى جرجس كان حريصا على أن يكون جماعة كاملة السرية عندما كان فى المعتقل لم يعلن أنه كون جماعة وانما اكتفى بابداء معارضته لوحدة الموحد .. وتورط فوزى جرجس فى اسم طليعة الشعب الديمقراطية وظل يعمل تحت هذا الأسم .

وهكذا هزمت المعارضة اليسارية لحدتو ، وهزمت عملية معارضة الارتماء فى تأييد عبد الناصر ، وتعطل التنظيم وأصيب كل شيىء بالارتباك وكشفت كل الأوراق وعاجلتنا حملة يناير ١٩٥٩ .

وقبض على الغالبية ، وبقى خارج السجن عدد محدود كان قليل الخبرة وان كان شديد الاخلاص والحماس ، وما لبثوا أن تساقطوا واحدا بعد الآخر وكان آخرهم رمبيس لبيب .

س : وماذا عن تجربتكم فى السجن ؟
جـ : عدم استكمال الخط السياسى والتنظيمى وعدم تحقيق حضور جماهيرى كاف أدى الي عزلتنا عن الجماهير ، كما أدى الى عزلتنا عن كادر الحركة الشيوعية ، كذلك كنا فى السجن معزولين عن مجمل الكادر ..

وكانت أفكارنا تحيل إلى الفكر الصينى مع بعض التحفظات ، وكنا نرى أن التأميمات ليست من الاشتراكية فى شيء وانها شكل من أشكال سيطرة المؤسسة العسكرية على مقدرات البلاد ، وتصفية لنواة الاقتصاد الوطنى ، ونرى أن فى تأميم الصحافة محاولة لفرض وجهة نظر السلطة من خلال كوادرها المدربة على جماهير الشعب والسيطرة على عقولها وغسل مخ الشعب لصالح المؤسسة العسكرية .

وكنا نرى فى الاتحاد الاشتراكى مجرد امتداد لهيئة التحرير وجهازاً لتصفية الديمقراطية ومحاولة اضفاء مشروعية للأجهزة البوليسية وعملائها فى صيغة تنظيم يدعى الاشتراكية .

وكنا نقول أن الاتحاد السوفييتى فى ظل قيادة خروشوف قد انحرف تماما عن

قضية الاشتراكية ، وكنا نرفض كل الاطروحات السوفييتية وخاصة اطروحات سيمينوف وبونيماريوف .

وكنا بطبيعة الحال نتناقض بشكل شبه كامل مع طابور الحركة الشيوعية الرسمية (حدتو ـ الراية ـ ع.ف) وأدى هذا طبعا الى المزيد من عزلتنا عن الشيوعيين الآخرين فى السجن .

س : وماذا عن مسالة حل التنظيم ؟

جـ : اذا كانت المنظمات الأخرى قد حلت نفسها فان منظمتنا قد تحللت . فور الخروج من السجن تباعدت العلاقات وكنا نكتفى باللقاء الشخصى الودى ونتساءل ماذا سنفعل ، وكانت أوضاعنا الشخصية منهارة لا سكن ولا وظائف ولا دخل ولا علاقة فعلية بالواقع المصرى ولا احترام اجتماعى ، ولا امكانيات لعقد صلات فعلية مع الواقع .

وكان الوضع الجبار الذى أشاعه عبد الناصر يخيف الجميع وما لبث فوزى جرجس ومحمود عزمى أن اعتقلا بعد فترة وجيزة (فى ذات عام ١٩٦٥) ولم يفرج عنهما الا فى يونيو ١٩٦٧ وكان اعتقالا وقائيا يستهدف إخافة الجميع من مجرد التفكير فى بناء تنظيم .

هذا الى جانب أن مناخ الحل كان مسيطرا على الوجود السياسى الشيوعى فى مصر ، وفقدت الكوادر الثقة فى بعضها البعض .

س : ما هو تقييمك لشخص فوزى جرجس ؟

جـ : فوزى جرجس فترة السجن الأخيرة أجهزت عليه والحقيقة أنه قد بذل جهدا كبيرا على مدى سنوات عديدة لكنه أحبط فى السنوات الأخيرة .

ويمكن القول أنه لم يكن يصل الى المدى النهائى فى أفكاره ، كان لا يستكمل أفكاره ولا يكملها ، صفته الأساسية هى روحه الانتقادية لأفكار الآخرين ، لكن ذلك لا ينفى نزعته الابداعية التى لا تكتمل أبدا ولا تصل الى مداها ..

تتلمذ على صبحى وحيده ود . عبد الفتاح القاضى .

يمكن القول أنه رجل مخلص ، مثقف انتقادى ، ولكنه بلا نسق فكرى متكامل ولا نسق تنظيمى مؤهل للتوجه للجماهير .

٤١ ــ احمد الرفاعى
محضر نقاش

أجريت المناقشة فى عدن يوم ٢٢ - ٤ - ١٩٨٣

س : اريد ان اسمع تقييمك لعملية الوحدة ، ثم لعملية الانقسام ، وهل من معلومات تريد الادلاء بها فى هذا الصدد ؟

جـ : ساد فى الموحد اتجاه جارف لاتمام الوحدة الشاملة ، اى الوحدة مع د . ش ، الراية واعتقد ان هذا المناخ كان سائدا ايضا فى هاتين المنظمتين . ولعل اتفاق الجميع على خط حدتو السابق بتأييد عبد الناصر كان أحد العوامل المشجعة للوحدة .

وتشكلت لجنة للوحدة كانت تضم محمود العالم (موحد) ، حلمى يس (د . ش) ، سعد زهران (الراية)

وكانت مجموعة د . ش تعرقل الوحدة بشتى الوسائل وبدأت تثير قضايا قديمة جدا مثل خط القوات الوطنية الديمقراطية (والذى نسى منذ عام ١٩٤٨) والمطالبه بحل مجموعة روما ، وادانة هنرى كوريل .. وكنا نحن نرفض مثل هذه الشروط

وفى بعض الاحيان كانت لجنة الوحدة تعقد فى شكل موسع فيحضر اجتماعاتها أنا أو مبارك عبده فضل (موحد) وابو سيف يوسف (د . ش) والهام سيف النصر (الراية)

ومع استمرار د . ش فى وضع العراقيل تمت الوحدة بيننا وبين الراية واقيم الحزب الشيوعى المصرى المتحد وبدأنا عملية الدمج وفوجئنا بضعف القوات التى قدمتها الراية ، كانت الغالبية مجموعة من المثقفين والطلبة وكانوا محدودى العدد وقيل ساعتها أن تنظيم الراية قد انفرط عقده عندما تكشفت اخطاؤه السياسية وهزمت شعارات الفاشية واضطروا لتأييد عبد الناصر ..

واعتقد ان الذى مكنهم من ذلك هو موقف البعض ومنهم انا الذين كانوا يدافعون عن الوحدة وبسرعة وبدون تدقيق بل وبسذاجة ، وهم استفادوا من تلهفنا على الوحدة واستولوا على مواقع فى القيادة لم يكونوا يستحقونها .

وما ان بدأت الوحدة ، حتى بدأت المشاكل ويدأ البعض فى تعكير الجو عن عمد ..

س : من تحديدا كان يعكر الجو ؟ ومن كان يسعى جديا للوحدة من مجموعة الراية ؟

جـ : اذا اردت اسماء فإن إسوأ من كان يعكر الجو عادل سيف النصر ، وسعد زهران ، اما من كانوا يحاولون باخلاص تحسين المناخ وحماية الوحدة فهما د . فؤاد مرسى والهام سيف النصر .

س : كيف تمت الوحدة مع د . ش ؟

جـ : تمت الوحدة ونحن لم نتحد بعد مع الراية ، فالوحدة تمت على اساس ارقام لم تترجم الى عضوية ، فى الجامعة لم يكن لدى الراية الا عدد محدود جدا وكذلك فى الريف .. ولكن كان للراية عدد كبير فى القيادة وهذا عقد الأمر ، فقد كنا نرسل قادة من الراية ليقودا عضوية من الموحد .. واثار ذلك عددا من المشكلات ، ومع احساس رفاق الراية بهذه الأزمة وجدوا ان الحل هو الوحدة مع د . ش ، وبدأوا فى الضغط والالحاح ، وأحست د . ش . بأن الفرصة مناسبة وتخلت عن كل شروطها السابقة ووافقت على الوحدة ، بدأت الراية تجد حليفا لها وتحالف معهم عدد من اعضاء الموحد الذين لم يظلوا على ولائهم لحدتو مثل عبد المنعم شتله وعدلى جرجس .

س : لقد كان استيلائكم على المطبعة هو بداية الانقسام ؟

جـ : الانقسام بدأ من تحالف هذه القوى ضدنا ومحاولتهم تصفية المحترفين وحبس الموارد المالية عنهم ، ونحن لم نبادر بأخذ المطبعة ، والذى حدث انهم قطعوا مرتب الاحتراف عن مسئول المطبعة لانه منا وهو محمد الزبير ثم بعد ذلك ارسلوا له بيانا ضدنا ليطبعه فاتصل بنا عن طريق المصادفة وطلب نقل المطبعة ، وحملناها فى عربة لورى ، ونقلت الى القاهرة ثم تولى فؤاد حبشى مسئوليتها وأعتقد انه ارسلها الى طنطا .

وانتهى الأمر بطردنا ..

واتذكر ان اكثر من كان يدفع بعنف باتجاه الانقسام والتحريض عادل سيف النصر وسعد زهران وقد حاول د . فؤاد مرسى تهدئة الأمر وزارنى فى منزلى ووعدنى بتصحيح الاوضاع لكن شيئا لم يحدث

س : وانتم كيف تصرفتم ؟

جـ : الذين فصلوا مثلنا تجمعوا معا ، وبقى الآخرون ، وهم كانوا اما بغباء او عن عمد يفصلون كوادرنا فكانوا يتجمعون معنا ، ولكن للحقيقة لم نشكل تنظيم حتى تمت حملة القبض فى فى يناير ١٩٥٩ .

س : فى السجن ظهرت فكرة المجموعة الاشتراكية .. فما هى معلوماتك عن هذا الأمر ؟

جـ : الحقيقة ان معركة بورسعيد عام ١٩٥٦ قد غيرت الكثير من مفاهيمنا وافكارنا ومواقفنا من ضباط يوليو من حكم عبد الناصر ، ان تجربة بورسعيد جعلتنا ندرك معنى التحالف ، معنى تحول شخص عادى الى مناضل ومقاتل ، وفى غمار المعركة نشأت علاقات حميمة بيننا وبين العديد من رجال عبد الناصر .

والحقيقة ان انهيار الجيش المدافع عن بورسعيد كان مهينا ومزريا ، ولعله ألحق اهانة بالغة بنظام عبد الناصر ، لقد فر ضباط الجيش تاركين سلاحا هائلا فى الصناديق وخرائط المعركة ملقاة فى الشوارع ..

.. وهنا برز دور الشيوعيين كأبطال حقيقيين للمعركة جمعوا السلاح ووزعوه على المواطنين ، جمعوا خرائط المعركة واخفوها ، نظموا هجرة المواطنين الراغبين فى الهجرة والحقيقة ان الذين قتلوا خلال الهجرة غير المنظمة فى البداية كان اكثر من الذين قتلوا بقنابل الانجليز ..

وعندما تحركت الجماهير تحت قيادتنا ألهم ذلك عددا من ضباط عبد الناصر الذين لم يكونوا يثقون فى الجماهير ، فلما وجدوا الجماهير تتحرك بشجاعة ونظام ادركوا قيمة حركة الجماهير ..

والى بورسعيد اتى عدد من ضباط عبد الناصر منهم عبد الفتاح ابو الفضل ، محمد أبو نار ، صلاح زعزوع ، لطفى واكد ، سمير هريدى

عشنا معا ، ناضلنا معا ، نما معا ، اعجبوا بنا واعجبنا بهم وبدأنا نشعر بتقارب شديد واحسسنا باتجاهات تقدميه ويساريه تنمو بداخلهم .

كان هذا فى خلفية قرارنا ، وكانت هناك سلسلة الاجراءات الاجتماعية الهامة ، ونحن لم نقل انها مجموعة ماركسية ، وانما قلنا ان القضية الوطنية سوف تشق طريقها الحقيقى عبر تحقيق العدالة ..

وكان عبد الناصر قد ادرك جيدا ان الرأسمالية لن تحل مطلقا مشكلة التنمية ، وتولدت انطباعات محددة عن المنهج العلمى فى التفكير ..

ففى مناقشات الوحدة مع سوريا والعراق قدم عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ملاحظات توحى باهتمامهما بالفكر الماركسى لقد قدما خلال النقاش اقتباسات من كتابى لينين ما العمل وتكتيكان ..

.. وحتى بعد الصراع العنيف مع الاتحاد السوفييتى عام ١٩٥٨ ، عاد عبد الناصر ليحسن علاقته معه ، ولم نفهم هذا على انه موقف برجماتى وانما على انه ايمان بان الاشتراكية هى الحل وان الاتحاد السوفييتى هو الصديق .

وبعد التأميمات تدعم هذا الخط .

س : نأتى الى موضوع الحل ، ولدى اسئلة محددة ، هل اتصل بكم احد من رجال عبد الناصر وانتم فى السجن ؟

ج : لا .. بالقطع .

س : سمعت ان منير حافظ كان يتصل بحسن فؤاد فى السجن .

جـ : غير صحيح على الاطلاق

ولكن انا مثلا اعددت مشروع تقرير اقول فيه ان الاشتراكية اصبحت قوة عالمية جاذبة ولهذا اتجه اليها الكثير من القادة ، اقتربوا منها ، جذبهم اشعاعها دون ان يصبحوا ماركسيين بالمعنى الكامل للكلمة .. واصبح بامكانهم ان يتخذوا مواقف تقترب من مواقف الماركسية دون ان يلتزموا ايديولوجيا بها ..

وضربت مثلا بكاسترو ، وقلت ان مهمتنا ان نكسب عبد الناصر الى صف فكرنا ، وان نتعامل معه بصبر وبهدوء وان نقترب فأكثر من العناصر المتقدمة فى مجموعته بهدف تطوير افكارهم ، وقلت فى هذا التقرير باحتمال قيام حزب واحد للاشتراكية العلمية فى مصر .. وكان ذلك عام ١٩٦٢ فى سجن الواحات .

س : وماذا كان رد الفعل ؟

جـ : قامت الدنيا ولم تقعد ، وكثير من رفاقنا رفضوا هذه الفكرة بشدة ، وانا كنت اؤكد فى مناقشاتى ان عبد الناصر يتخذ قرارات ومواقف على يسار ما هو مطلوب من امثاله ، ولكن ينقص اجراءاته وجود حزب ثورى يضع برنامج مسبق لهذه العملية ويقودها ويخطط لها ويحميها ويعبىء الجماهير حولها ، وان دورنا هو

ان نمحو فكرة العداء للشيوعية وان نسعى لجذب افضل رجال عبد الناصر نحو افكارنا ..

وفى هذه الاثناء تقدم ابراهيم عبد الحليم وعادل حسين وعلى نجيب بتقرير يطالبون فيه بحل الحزب والانضمام لعبد الناصر وهذا مختلف تماما عن فكرتى ..

وقد ادنت انا والجميع فكرة الحل وردا عليهم كتبت تقريرا بعنوان الحزب ضرورة تاريخية لكن الشيىء المؤكد اننا لم نتلق داخل السجن اى اتصال من رجال عبد الناصر ، ولا اية عروض ، ولا اى اقتراحات او ضغوط .

وحتى بعد الافراج لم يكن هناك ضغط بالمعنى المفهوم ، كانت هناك مفاوضات وعروض لتكوين حزب طليعى واحد وكان منير حافظ ينقل مقترحات الى زكى مراد ومحمود العالم من مجموعة من رجال عبد الناصر تؤيد توحيد الشيوعيين مع مجموعة الناصر فى تنظيم واحد .

وكنا نحن نقترح تشكيل حزب واحد تندمج فيه المجموعتين وان تشكل كل المستويات من الطرفين ، وانا حضرت جلسة مفاوضات بالاسكندرية حضرها عبد المعبود الجبيلى ، واحمد حمروش وانا وفؤاد حبشى وشريف حتاته وآخرين .. وقد ابدى رجال عبد الناصر تفهما لمواقفنا ..

ولكننا فى حقيقة الأمر لم نكن ندرك تعقيدات الموقف ولم ندرك ان قوة مؤثرة وكبيرة من نظام عبد الناصر كانت ضد ذلك كله ...

لكن ما اود ان اقرره اننا حتى مع فشل عملية التوحيد مع عبد الناصر لم نتوقف عن خوض المعارك الجماهيرية ، فكل منا بدأ نشاطا واسعا فى مجال جماهيرى .. وانا مثلا عملت فى الحركة النقابية واصبحت رئيس نقابة عمال الزراعة وهى اكبر نقابة عمالية فى مصر ، واصبحت النائب الأول لرئيس الاتحاد العام ، ولعبت دورا هاما فى الحركة العمالية الى درجة انهم فى الدورة التالية عدلوا قانون النقابات خصيصا بهدف استبعادى وقد تم تفصيل القانون خصيصا بهدف حرمانى من ترشيح نفسى .. وفعلا كان النقابيون يسمون هذا القانون قانون احمد الرفاعى .

٤٢ ـ محمد الجندى

محضر نقاش - ٢ -

أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٢ مارس ١٩٨٣

س : والآن نحاول ان نواصل حديثنا هل لك أن تروى لنا معلوماتك عن وحدة المتحد ؟

جـ : منذ أن تشكل الحزب الموحد وهو يرفع راية توحيد كل الشيوعيين ، وأخيرا وبعد أن تلاقت كافة الاتجاهات حول موقف سياسى موحد ازاء حكومة عبد الناصر ، أو أن شئنا الدقة بعد أن انتصر خط حدتو السياسى .. طرحت قضية الوحدة بشكل جدى وتكونت لجنة ثلاثية للوحدة ضمت ممثلى الموحد ، ع . ف . الراية .

وإذ حاولت ع . ف تعطيل الوحدة بشتى السبل انجز الموحد والراية وحدة باسم الحزب الشيوعى المصرى المتحد .. وحصل الموحد على نسبة أعلى من الراية فى اللجنة المركزية ولكن اتفق على نسبة متساوية فى المكتب السياسى .

س : ماذا عن القوات التنظيمية عند الوحدة ؟

جـ : لا شك ان الموحد كان أكثر عددا بكثير والراية قدمت معظم عضويتها فى القاهرة وواحد أو اثنين فقط فى بحرى وعدد قليل فى الاسكندرية ، وكان لهم بعض النشاط فى المنيا .

وكان زملائنا يشعرون ازاءهم انهم ارستقراطيون ، وبدأت حساسيات عديدة تنمو وكانت هناك مشكلة انتخابات مجلس الأمة فى الوايلى وجزيرة بدران مما ضاعف هذه الحساسيات وقد أثيرت فور الوحدة مسألة مجموعة روما ووجود يهود فى الحزب ، وتوسط الرفيق سبانو أحد قادة الحزب الشيوعى الأيطالى فى الأمر وبضغط منه قبلنا بتجميد مجموعة روما وقد قدمت أنا واسماعيل صبرى صياغة قرار التجميد .

وكانت المسئولية السياسية فى الحزب المتحد ثنائية د . فؤاد مرسى وكمال عبد الحليم .

س : وماذا عن الأساس السياسي للوحدة ؟
جـ : يمكن القول بأن الوحدة تمت على أساس تأييد سياسة عبد الناصر ، ولكن ما لبث بعض أعضاء الراية أن قدموا للمحاكمة فى أواخر ١٩٥٧ فبدأت من جانبهم بعض المواقف اليسارية ، وبدأوا يركزون على نقاط الخلاف مع عبد الناصر ويضخمون فيها .
س : وماذا عن ع . ف ؟
جـ : استمر المتحد يدعو للوحدة ، واستمرت لجنة الوحدة والجديد أنها كانت بين طرفين فقط المتحد ، ع . ف وهنا بدأت ع . ف لعبة جديدة فاذا كان الموحد والراية اتحدا معا ، فانها الآن تتفاوض مع منظمة واحدة وتطالب بأن تحصل على نصف المواقع القيادية فى الحزب المقترح وجرت عملية مساومة انتهت بأن حصلت ع . ف على أكثر مما تستحقه بكثير وقد تمت الوحدة تحت ضغوط هائلة من الكوادر والأعضاء ، وتحت ضغط من الحزب الايطالى .
ويمكن القول أنه أثناء الوحدة كانت كل التفاصيل مبعثرة فى الشارع وكذلك الأسماء بحيث أتت حملة القبض فى يناير ١٩٥٩ لتشمل غالبية الصف الأول والثانى .
وقد تمت الوحدة أيضا على أساس خط التأييد والمساندة لعبد الناصر .
س : تصل بنا فى حديثك الى وحدة يناير ١٩٥٨ فماذا عنها ؟
جـ : بسبب المساومات أتت الوحدة بلجنة مركزية واسعة جدا بحيث أصبحت عاجزة عن القيادة كهيئة ، وتركزت القيادة فى المكتب السياسى ، وتشكلت لجنة دائمة ثلاثية ضمت كمال عبد الحليم (الموحد) ود . فؤاد مرسى (الراية) ، أبو سيف يوسف (ع . ف) ومنذ الأيام الأولى بدأت مشاكل سياسية وتنظيمية وبدأ وجود كمال عبد الحليم يتناقص وتغيب كثيرا عن اجتماعات اللجنة الدائمة .
س : ما هى تحديداً الخلافات السياسية ؟
جـ : كان الموحد يرى تغليب عناصر التحالف على عناصر الخلاف ازاء عبد الناصر ، بينما الآخرون كانوا يغلبون قضايا الخلاف ويضخمونها ..
وتركزت الخلافات حول عدة قضايا ..
ـــ الاتحاد القومى .. كان الموحد يرى ضرورة دخوله والعمل فيه والسعى من داخله لتحويله الى جبهة وطنية حقيقية .

بينما كان الآخرون في الراية و ع . ف يرون أن الاتحاد القومى حزب البراجوازية ومن ثم يتعين مقاطعته .

ــ الوحدة المصرية ــ السورية : كان الموحد يؤيد هذه الوحدة ويؤيد عموما قضية الوحدة العربية ، وكان خطنا عموما هو تغليب خط الوحدة وعدم الوقوع فى مصيدة الاستعمار الذى ركز على بعض ما لحقها من سلبيات . ورفضنا المفاضلة بين قاسم وناصر ورفعنا شعار ناصر وقاسم ضد الاستعمار .

بينما الآخرون كانوا يبرزون الجوانب السلبية من الوحدة ، وتطور ذلك الى حالة من الهجوم الشامل على الوحدة ، والى التحالف مع عبد الكريم قاسم ضد عبد الناصر ..

ــ القضايا الاقتصادية والاجتماعية : كنا نرى عدم التركيز عليها من منطلق تغليب قضية التحالف ، والعمل على حل هذه القضايا فى اطار الوحدة الوطنية .

أما الآخرون فقد ركزوا على ابراز القضايا وأذكر أنه يوم عودة عبد الناصر من موسكو تجمع بضعة أشخاص من ع . ف فى المطار وهتفوا جعانين جعانين وكانت هناك خلافات تنظيمية وقد أكد لى محمد سيد أحمد بعد الانقسام أنه كانت تجرى اجتماعات جانبية مشتركة بين ممثلى الراية ، ع . ف فى القيادة وأنهم اتفقوا على أن هدفهم المشترك هو تصفية النفوذ السياسى والفكرى والتنظيمى لحدتو ، وأنهم كانوا يتفقون على قرارات محددة وعلى أسلوب التصويت عليها .

وقد تفجر الخلاف التنظيمى حول قضية الاحتراف اذ كان أغلبية المحترفين من كوادر حدتو وأيقنوا أن تصفية الاحتراف يعنى تصفية حدتو ، ووصف المحترفون بأنهم عاطلين ، وبأنهم أصحاب معاشات واذ حجب عنهم دخلهم من الحزب ، بدأت أول خطى الانقسام فقد قرر كادر الموحد أن تكون له مالية خاصة ليدبر منها مرتبات المحترفين .

وعندما وقعت قصة الاستيلاء على المطبعة وصدور بيان الأربعة (خليل ــ أحمد ــ فاروق ــ عاكف) وصدر قرار بفصلهم بقى من الموحد عدد من أعضاء القيادة ثم فصل مبارك عبده فضل ، أحمد خضر ، محمد على عامر ، محمد يوسف الجندى بحجة أننا كنا نتصل بالمفصولين ، وقد فصلنا فجأة وطلبنا التحقيق معنا فرفضوا ..

وبقى فى القيادة معهم محمود العالم ، سعد رحمى ، فخرى لبيب ، وكانوا معنا

سياسيا لكنهم بقوا هناك تنظيميا وبفصلنا أصبح هناك حزبان بشكل واقعى نحن واسمينا أنفسنا الحزب الشيوعى المصرى ـــ حدتو وهم اسموا أنفسهم الحزب الشيوعى المصرى وأضفنا نحن اليه اسم التكتل

س : نصل الآن الى ما بعد الانقسام والى تكون الحزب الشيوعى المصرى ـــ حدتو ، والذى يمكن أن تكون أكثر وثائقه اثاره للجدل وثيقة المجموعة الاشتراكية فما هى قصة هذه الوثيقة وما هة مضمونها ؟

جـ : عند حملة القبض فى يناير ١٩٥٩ كان موقفنا هو أن عبد الناصر يمثل الجزء المتقدم من البرجوازية الوطنية ، وأن هذه البرجوازية الوطنية ليست فئة واحدة وانما فئات عدة ، وأن الفئة التى يمثلها عبد الناصر هى فئة وطنية معادية للاستعمار وأنها تتطور وتتقدم فى اطار معركتها ضد الاستعمار ، وانه يمكننا أن نلعب دوراً فى تطويرها وتقدمها ، وكنا نقول بأنه من الضرورى توجيه عداءنا ضد الاستعمار والامبريالية ، وبضرورة تدعيم التحالف مع هذه المجموعة من البرجوازية الوطنية والعمل على عزل نفوذ الفئات الأكثر تخلفا وكنا نحلل حملة القبض (يناير ١٩٥٩) على أنها مؤامرة دبرتها القوى اليمينية فى السلطة التى نجحت فى جر القوى الوطنية الى التصارع فيما بينها سواء داخل مصر وعلى النطاق العربى . وحتى بعد الحملة وعندما تبقى عدد محدود من القيادة كال عبد الحليم، محمد الجندى ، رفعت السعيد أصدرنا عدة بيانات بهذا المعنى فانتقدنا سياسة العداء للشيوعية ونسبناها الى مصدرها الحقيقى الامبريالية واليمين ، كما رفضنا بدأ الخلاف بين عبد الناصر وقاسم ورفضنا المفاضلة بينهما باعتبارها نوع من اذكاء الخلاف .

وفى أوائل ١٩٦٠ نشر حديث عبد الناصر لهيكل فى الأهرام والذى هدد فيه عبد الناصر الرأسمالية المصرية باتخاذ حراءات عنيفة ضدها اذا لم تسهم فى عملية التنمية وهاجمها بشدة ، ثم جاء تأميم بنك مصر والأهلى وتأميم الصحافة ، وكنت آنذاك فى سجن الاسكندرية حيث تجرى محاكمتنا أمام المجلس العسكرى العالى وأجرينا مناقشات مستفيضة حول مغزى هذه الاجراءات ،.وقال البعض بوجود مجموعة اشتراكية فى قمة السلطة أما عملية السجن والاعتقال فهى تعبير عن نجاح القوى اليمنيه والاستعمار فى الوقيعة بين القوى الوطنية وبعضها البعض ، وكان تقديرنا أن الحملة ضد ا لشيوعية لا تخدم سوى الاستعمار وظل تقديرنا لعبد الناصر أنه رجل وطنى وأنه يمكن لعب دور للخروج من المأزق ليس بتصعيد

الأزمة بالعمل على رأب الصدع . واستمرت المناقشة فى سجن الاسكندرية ثم سجن أبو زعبل بعد استشهاد شهدى ثم فى القناطر حيث عقد كونفرنس محدود لكوادر الموحد القيادية وتنقل الكونفرنس من سجن الاسكندرية الى أبو زعبل الى سجن القناطر واستغرق انعقاده حوالى ستة أشهر بتقديم مشروع الوثيقة المسماه المجموعة الاشتراكية وقام بصياغة المشروع بهيج نصار .. وملخصة كالتالى :

ــ أن البرجوازية الوطنية فئات متعددة ، منها فئات متقدمة وأخرى متخلفة ، وأنه فى ظل الظروف العالمية السائدة آنذاك حيث تنتصر الاشتراكية على نطاق عالمى وتتعاظم قواها ، أصبح للأفكار الاشتراكية قوة جذب ضخمة بحيث تواجدت فى البلاد المستقلة حديثا أفكار اشتراكية غير علمية ، تختلف عن أفكار اشتراكية الدولية الثانية ، تتسم مواقفها بالعداء الحاسم للاستعمار .

ــ أن هذه الفئات التى تتبنى هذه الأفكار يمكنها أن تتطور باتجاه الاشتراكية العلمية ، وأن هذا يمكن تحققه تحت شروط منها أن يلعب حزبنا دورا ايجابيا فى هذا الاتجاه .

ــ وكانت هناك مقدمة للمشروع تبين أن الرأسمالية فى البلاد النامية أصبحت عاجزة عن مواصلة متطلبات معركة التحرر الوطنى حتى نهايتها ، وأن الفئات المتقدمة من البراجوازية الوطنية التى تتأثر موضوعيا بمناخ انتصار الاشتراكية على النطاق العالمى أصبحت تتجه نحو الاحساس بضرورة الحل الاشتراكى واتخذت تجربة كوبا دليلا على ذلك .

وطالب التقرير بضرورة السعى لتحقيق وحدة العمل مع المجموعة الاشتراكية . وهذا القرار لم يكن يعتبر أن السلطة فى مصر اشتراكية ، وانما كان يرى وجود مجموعة فى قمة السلطة يتزعمها عبد الناصر تتجه نحو اشتراكية غير علمية وانها يمكن أن تتطور من خلال معركتها ضد الاستعمار ، ومعركة التنمية المستقلة والتأثير الايجابى لحزبنا ــ باتجاه الاشتراكية العلمية .

وقد وافقت غالبية الكادر فى القناطر على هذا المشروع وعارضه محمد عباس فهمى ــ طاهر البدرى ــ عبد الحميد السحرتى .

وفى سجن الواحات وافق رفاقنا عليه .

٤٣ ـ عيد صالح مبروك

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالاسكندرية فى ٢٧ يناير ١٩٨٥

س : كنت أحد كوادر الموحد فى كفر الدوار فهل لك أن تقدم رؤيتك لتجربة الوحدة ؟

جـ : دخلت الوحدة ضمن أعضاء حدتو ، وفى عام ١٩٥٧ كان الحديث قويا عن الوحدة ، ثم فجأة ودون مقدمات أبلغت بالوحدة مع مجموعة الراية وأن الحزب الجديد اسمه الحزب الشيوعى المتحد وتمت الوحدة بشكل مفاجىء ودون نقاش أو تحضير لكن أغرب ما فيها كان تركيب القوات وتركيب القيادة هم كانوا جميعا مجرد أربعة أشخاص أحدهم مشكوك فيه شكوكا قوية بأنه عنصر أمنى ..

وكنا نحن ٣٧ عضوا ..

وعند تركيب القيادة شكلت لجنة رباعية لقيادة كفر الدوار ثلاثة من الراية هم عبد المحسن الأعسر ، ثريا أدهم عبد الفتاح هريدى .. أما الموحد فقد مثل بعضو واحد هو أنا ، وألاحظ أن الثلاثة ليس فيهم عامل واحد فى منطقة عمالية أساسا وهكذا ترى أن ٣٧ عضوا مثلوا بعضو واحد فى القيادة وأربعة أحدهم استبعد بسبب علاقته بالأمن وبقى منهم ثلاثة فقط صعدوا جميعا للقيادة بل أن المسئول كان منهم وهو عبد المحسن الأعسر .

ثم كانت وحدة ٨ يناير فأتت مجموعة ع . ف بثلاثة أعضاء فقط هم تحديدا فايز علام ، عبد الفتاح جمعه وسيد أبو زيد ، وكان سيد أبو زيد عضو خلية عندنا فاذا بهم يقدموه كعضو قيادى عندهم .. والثلاثة الذين ضمتهم ع . ف صعدوا جميعا للقيادة ..

س : لكن فايز علام كان شخصية نقابية مرموقة .

جـ : أصبح شخصية نقابية مرموقة بعد الوحدة .. وليس قبلها أما عبد الفتاح جمعه الذى صعد الى اللجنة القيادية ممثلا لتنظيم ع . ف فقد اكتشفنا أنه يحضر أول اجتماع شيوعى فى حياته .

س : وأين كان القائد النقابي البارز محمود عطا الله ؟
جـ : كان عضوا فى حدتو ثم الموحد ولكنه لم يصعد فى القيادة بسبب اصرار الآخرين على عدم تمثيلنا الا بعضو واحد . هكذا ترى أننا فى الموحد قد تساهلنا الى أقصى حد ، بل الى درجة ارتكاب أخطاء فادحة سمحت للآخرين بالصعود الى القيادة دون أدنى استحقاق بينما حجبت الأوضاع القياديه عن كوادر عمالية حقيقيه ذات ثقل جماهيرى بارز لأنهم كانوا من الموحد .
س : كيف استقرت الاوضاع فى منطقة كفر الدوار
جـ : اللجنة القيادية من سبعة ٣ راية ، ٣ ع . ف ، ١ موحد والمسئول أحمد سالم (ع . ف)
س : كيف تطورت الأمور ؟
جـ : رفاق الموحد أخذوا المسألة بشكل جدى وقطعوا علاقتهم بى نهائيا مكتفين بهذا الوضع التنظيمى الجديد فعزلت عزلة تامة عما يجرى بينما الآخرون كانوا يتلقون معلومات عن الصراع الدائر ويحددون مواقفهم على أساسها .. وكنت معزولا الى درجة أننى لم أسمع بقصة طرد رفاقنا الأربعة خليل وأحمد وعاكف وفاروق .

وأذكر أننى فصلت فى هذه الأثناء من عملى وطرحت فكرة تفرغى ولكن أعضاء الراية فى القيادة سألونى بشكل جانبى هل توافق على أن يكون الرفيق خالد سكرتيرا عاما للحزب فأجبت ببساطة أننى لا أعرفه .. وبعدها صوتوا ضد تفرغى للعمل الحزبى .

وأخيرا علمت بالأزمة وكان الانقسام قد وقع ، وقررت الاستمرار لأناضل من الداخل رفضاً لمبدأ الانقسام أيا كان السبب .

ثم بدأت مشاكل جديدة بين مجموعتى الراية ، ع . ف حول منصب السكرتير العام خالد أم عباس ودعيت الى اجتماع للجنة المنطقة استمر ٤٨ ساعة وكان الصراع على أشده بين المجموعتين وحضر الاجتماع حسنين صدقى .. الاجتماع عقد يومى ٣٠ - ٣١ ديسمبر وخرجنا ليقبض علينا .
س : ما هى اذن تجربتك فى السجن مع هذه المجموعة ؟
جـ : بوضوح إكتشفت أن هناك حزبين ، كانت القيادة الحزبية موجودة تقريبا فى عنبر واحد ، وكانوا يجلسون علنا كمجموعتين ع . ف وحدها والراية وحدها

ثم يجتمعون معا ، أما أعضاء الموحد الذين بقوا فى القيادة فكانوا عنصر التوحيد وكان كل طرف يحاول كسبهم الى صفة .. وكانت الخلافات بارزة فى كل شيء ، من الألف الى الياء .

حتى الحياة العامة ، كانت هناك حياة عامة موحدة شكليا ، وفعليا حياه خاصة بكل مجموعة . وذات مرة حدثت مشاجرة جماعية فى عنبرنا فى سجن أبو زعبل بين المجموعتين وضربوا بعضهم ضربا عنيفا وأحسسنا ببشاعة الوضع نحن أعضاء الموحد المتبقون معهم فتجمعنا معا وبقينا وحدنا سمير توفيق ــ محمود مرسى خلف وأنا وأخيرا انضم الينا محمود العالم وأعلناهم رسميا أننا لا نخضع تنظيميا لهم .. وتجمع معنا حوالى خمسة عشر شخصا أغلبيتهم من الموحد وبعضهم كان من الراية ، ع . ف فمثلا كان معنا فكرى رفاعى وصابر البياع (ع . ف) ، بولس لطف الله (الراية) . وفى الواحات عندما رحلنا الى هناك أعلنا الانضمام الى رفاقنا فى حدتو .

* * *

٤٤ -شحاتة النشار
محضر نقاش
أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٦ يونيو ١٩٨٣!!

س : كنت أحد كوادر حدتو ثم الموحد فى مدينة القاهرة فهل لك أن تحدثنا عن تجربة وحدة المتحد ثم الحزب الواحد من موقعك فى أحد لجان الأقسام ؟

جـ : فى الموحد كنت عضو لجنة قسم جنوب وتضم السيدة زينب والمنيل ومصر القديمة والمعادى وحلوان والخليفة ، وكنا نعيد بناء قواتنا التنظيمية بسرعة فى أعقاب فترة طويلة من الاعتقال والاضطهاد وكان عدد أعضاء القسم حوالى ٥٥ - ٦٠ عضوا وكان النشاط يتبع بسرعة .. وفى هذه الأثناء كان حلم الوحدة والحزب الواحد جارفا ومسيطرا على الأعضاء والكوادر .. وأبلغنا فجأة أن الوحدة تمت بين الموحد ومنظمة الراية وأننا سوف نتسلم أعضاء الراية فى القسم خلال أيام .

.. وبعد أيام اكتشفنا أن كل عضوية الراية ثلاثة أعضاء هم تحديدا محمود شندى ـــ اسماعيل عبد الحكم ـــ عبد الملك يواقيم وشخص رابع كان من المباحث ورفضنا ضمه .

ووفق تعليمات من أعلى تقرر ضم الثلاثة جميعا الى لجنة القسم . والحقيقة أننا شعرنا أن هؤلاء الثلاثة قد تنفسوا الصعداء بالوحدة معنا ، وبدوا وكأنهم خرجوا من قمقم الى ساحة عمل جماهيرى رحب ، وكانوا متجاوبين معنا ، وبدت الأمور سلسه

وفى هذه الفترة كان لنا وجود جماهيرى جيد ، وقد نظمنا مؤتمر جماهيرى حاشد بالاشتراك مع هيئة التحرير ، وسلمت لنا مصلحة الاستعلامات ثلاثة سيارات بميكروفونات للدعوة للمؤتمر وكانوا يتعاملون معنا بوضوح على أننا شيوعيين ، وفى هذا المؤتمر القى عبد الله الطوخى كلمة ممثلا للحزب .

.. ثم تمت وحدة ٨ يناير

ومن جديد طلب الينا استلام أعضاء ع . ف وكانوا أربعة فقط هم بالاسم صفوت يس (شقيق حلمى يس) وأخ آخر لهما ، وابراهيم آرنست هزارى ، وشخص رابع لا أذكر اسمه .

وتقرر ضم صفوت يس الى لجنة القسم .

والأرقام توضح لك حقيقة توازنات القوى فى العضوية على الأقل فى قسم جنوب ، وكيفية صعود قيادات الى المستويات القيادية دون وجود قاعدى حقيقى .

وعندما انضم صفوت يس الى لجنة القسم بدأت المشاكل ، والحقيقة أننى لم أشعر بأى ذرة صدق فى تصرفاته وبدأنا نلاحظ أن التحليلات السياسية الصادرة عن اللجنة الدائمة توقع دائما عباس وخالد ولا يرد ذكر لممثلنا فى اللجنة الدائمة خليل وأحسسنا أننا نحاصر ..

ثم بدأت الضربات تهوى علينا

قرار بوقف جمال غالى ، ثم قرار بوقف الرفاق الأربعة فى المكتب السياسى شهدى وفؤاد حبشى وأحمد رفاعى وكمال عبد الحليم .

وانفجر الوضع فى القسم ، وفى هذه الفترة كنت قد صعدت الى لجنة المنطقة مع استمرارى عضوا فى لجنة القسم وكان معى من الموحد محمد حجازى وشكرى عبد الوهاب وكنا فى حيرة شديدة .

وأنا شخصيا قررت فى البداية ألا أنقسم ، كانت عندنا فى حدتو عقدة ضد الانقسام وناقشنى كمال عبد الحليم وأحمد رفاعى ومبارك ولم أقتنع بل وبدأت أكتب تقريرا ضد الانقسام وكانت حالتى النفسية سيئة فرفاقى فى مكان آخر والذين بقيت معهم سيىء النية ومع ذلك قررت الاستمرار .

ودعت القيادة الى اجتماع لكوادر الموحد بالقاهرة عقد فى منزل فوزى حبشى وحضره حوالى ١٥ شخص منهم مارى بابا دوبلو ، ومحمد حجازى ، وأنا ومحمد عثمان وفوزى حبشى وعدلى جرجس وتحدث فى الاجتماع د . فؤاد مرسى وهاجم الأربعة هجوما شديدا وركز فى الهجوم على خليل واتهمه بأنه كان دوما ضد الوحدة ثم اذا به يبلغنا بقرارات طرد لعدد منهم .

وكان غريبا على أسماعنا أن نسمع هجوما على رفاقنا القياديين وكان مثيرا للسخرية أن نسمع اتهاما لهم بأنهم ضد الوحدة طوال حياتهم وأن يأتى هذا الاتهام من فؤاد مرسى .

وهاجمنا القيادة بشدة وقلنا أنها هى التى تسببت فى الانقسام وصوتنا أنا ومحمد حجازى ومارى ضد القرارات . ومع ذلك قررت الاستمرار وعدم الانقسام .

لكن تصر الآخرين بدأت تثير ريبتى فقد كنت مسئول المالية فى المنطقة ومسئول الجهاز الفنى فاتصل بى صفوت يس وطلب أن أسلمه المالية فرفضت ثم طلب أن أسلمه الجهاز الفنى فرفضت ، ثم طلب أن أسلمه العضوية فرفضت .

.. وفى العيد ذهبت أنا وأولادى وأحمد حجازى الى القناطر الخيرية للنزهة وبالمصادفة قابلنا محمد الزبير وأبلغنا أنه يعمل على جهاز فنى مركزى بالقناطر وأن الآخرين يعرفون مكان الجهاز ويسعون للاستيلاء عليه وطلب مساعدتنا فى تسليم الجهاز لرفاقنا القدامى ..

وفى هذه اللحظة قررت أن انضم الى رفاقى ، فسلمته نقود كافية وأرسلت معه أحمد حجازى ، وتركت أولادى وأسرعت الى بيت أحمد الرفاعى حيث رتبت معه تسليم المطبعة .

والحقيقة أن أحمد الرفاعى قد دهش لأنه كان يناقشنى فى اليوم السابق وكنت أرفض بشدة أن أخرج معهم ، وإذا به يجدنى أساعده فى استلام المطبعة .

وبعدها حضرت اجتماع لجنة منطقة جنوب حيث حضر عبد العظيم أنيس وأبو سيف يوسف وهاجموا رفاقى بشده وقالوا أنهم إنقساميون وخونه ورددت عليهم بشده وأعلنت خروجى مع رفاقى .

ولم يبق معهم من رفاقنا فى جنوب أحد ..

وفى حملة يناير ١٩٥٩ قبض على كل قيادة حدتو ما عدا عدد محدود وتم تشكيل لجنة قيادية لمنطقة القاهرة من رفعت السعيد (مسئول) — شحاته النشار — ليلى الشال — مارى بابا دبلو — قدرى شعراوى .

لكن الضربات توالت وفى مارس قبض على كثيرن آخرين وأنا منهم .

* * *

٤٥ ــ عبدالله الزغبى

محضر نقاش

أجريت المناقشة فى ١٠ يناير ١٩٨٥

س : كنت عضوا فى لجنة منطقة بحرى بالحزب الموحد ، هل لك أن تروى لنا تجربتك مع عملية الوحدة ؟

جـ : كانت منطقة بحرى بالحزب الموحد تشرف على النشاط الحزبى فى محافظات الدقهلية ، الغربية ، الشرقية ، دمياط ، كفر الشيخ ، الاسماعيلية ، بورسعيد ..

أما محافظة السويس فقد كانت تابعة للمركز والبحيرة تابعة للاسكندرية والمنوفية والقليوبية تابعة أيضا للمركز .

وكانت لجنة المنطقة تضم سيف صادق ــ طاهر البدرى ــ سعد عبد اللطيف ــ أحمد سليم وأنا وكان مسئولها عبد المنعم شتلة .

وعندما تمت الوحدة مع منظمة الراية وتأسس الحزب المتحد لم يطرأ عندنا أى جديد وحسب معلوماتى لم ينضم الينا أحد لا فى القيادة ولا فى القاعدة ، وهذا يوضح لك حقيقة الوضع فى العضوية والجديد الوحيد كان تغيير المسئول والغريب أنهم أتو لنا بمسئول من الراية رغم أنهم لم يقدموا للمنطقة عضوا واحدا وكان المسئول الجديد هو محمد سيد أحمد وفى أول اجتماع أبلغنى بقرار تنزيلى من لجنة المنطقة الى لجنة مركز دكرنس .

وقد عدت الى لجنة المنطقة بعد الوحدة الأخيرة فى ٨ يناير ومن جديد أقرر أن الوحدة مع ع . ف لم تضف الينا أى جديد لا فى القاعدة ولا فى القيادة .. لم تقدم ع . ف كما لم تقدم الراية عضوا واحدا فى منطقة بحرى .

وأعيد تشكيل منطقة بحرى وصعدت أنا من جديد الى لجنة المنطقة وصعد اليها أيضا الشيخ عبد السلام الخشان ورشدى عبد البارى والاثنين من حدتو ..

ولم نسمع بخلافات أو بمشاكل فقد كنا جميعا قيادة وقاعدة من الموحد ..

ولكن خلال زيارة للقاهرة أحسست بوجود خلافات ، ثم بدأت المشاكل تتفجر .. وعقدنا اجتماع فى بيت زين سليط وحضره أحمد سليم وعبد السلام الخشان ، سيف صادق ــ رشدى عبد البارى وقد أعلنوا أنهم مع مجموعة حدتو .. أما عبد المنعم شتلة وزين سليط وأنا فقد أعلنا أننا سنخضع للقيادة

أيا كانت تصرفاتها وسوف نصححها من الداخل .. كان لدينا رفض مبدئى للانقسام ..

أما طاهر البدرى فكان مقبوضا عليه .

وأذكر أن أحمد الرفاعى وطاهر عبد الحكيم حضرا لمناقشتى ولكننى رفضت الخروج ، وكان طاهر عبد الحكيم فى البداية متحمسا جدا لمجموعة حدتو . وأنا ناقشت طاهر وأقنعته بالخضوع للقيادة . وهكذا انقسمت المنطقة وكذلك انقسمت لجنة دكرنس مجموعة بقيت معى أنا ومحمد طه وحمدينو السيد على والمجموعة الأخرى خرجت مع عبد السلام الخشان والسيد يوسف . وانقسمت لجنة المنصورة ، كذلك انقسمت لجنت شربين أما لجنة محافظة دمياط فقد رفضت الخروج وكان مسئولها سعد أبو رمضان .

وهكذا يمكنك أن تدرك كم خسر الموحد من قوات عندما دخل الوحدة ثم خرج . وتشكلت لنا لجنة منطقة جديدة من عبد المنعم شتلة ــ محمد عثمان ــ سعد أبو رمضان ــ وأنا وحضر الاجتماع عبد المنعم شحتو (ع . ف) ليشرف على تشكيل المنطقة الجديدة وعقد الاجتماع فى بيت سعد أبو رمضان بعزبة البرج . ثم بدأت حملة القبض فى يناير وانضم الى المنطقة عدلى جرجس أما أنا فقد نقلت للعمل فى القاهرة وحضر معى حمدينو السيد على .

ثم جاءت حملة بوليسية جديدة وألقى القبض على غالبية من تبقى من أعضاء اللجنة المركزية ولم يبق فيما أذكر من أعضائها الا أبو سيف يوسف ، أحمد سالم ، وصدر قرار بتشكيل جديد للجنة مركزية وضم الى اللجنة سعد بطرس الطويل وشوقى مجاهد ونسيم واسماعيل المهدوى وأحمد الجبالى وأنا .

وبهذا تكونت ل . م من ثمانية أعضاء ٦ جدد واثنين أصليين . وتقرر أن تنقسم ل . م الى مجموعتين كل مجموعة تعمل منفردة حفاظا على الأمن وضمانا لعدم القبض على الجميع .. وهكذا كانت هناك مجموعتين للجنة المركزية كل منها مكونة من أربعة أعضاء : مجموعة من سعد الطويل ونسيم يوسف وأحمد الجبالى وأنا والأخرى من أبو سيف وأحمد سالم وشوقى مجاهد واسماعيل المهدوى .

وأصبحت مسئولا عن منطقة القاهرة وكانت لدينا عضوية لا بأس بها برغم عمليات القبض الواسعة .. وفى ٢١ نوفمبر ١٩٥٩ قبض على مجموعتنا المركزية

خلال إجتماع لها ورحلنا الى سجن القناطر حيث كانت هناك مجموعة تضم د . فريد حداد وأحمد عبد العال وأحمد البدينى وفى ٢٨ نوفمبر رحلنا جميعا الى أوردى أبو زعبل حيث عذبنا تعذيبا شديدا استشهد أثناءه د . فريد حداد .

س : كيف كانت الأوضاع التنظيمية فى سجن أبو زعبل ؟

جـ : هناك وجدنا من اللجنة المركزية الأصلية .. د . فؤاد مرسى — د . اسماعيل صبرى عبدالله — حلمى يس — سعد رحمى — سعد زهران — محمود العالم — عبد المنعم شتلة — عبد المنعم شحتو — محمد بدر وسامى عجيب — والأخيران كانا موقوفان بسبب مسئوليتها عن وقوع الجهاز الفنى فى يد البوليس وكان هناك تحقيق تنظيمى مع سامى عجيب .

وكان مسئول المنطقة د . فؤاد مرسى ثم نزل وحل محله حلمى يس بدعوى أن د . فؤاد هتف باسم جمال عبد الناصر فى طابور خارج السجناء .

وبدأ خلاف حقيقى ، وكان واضحا أن هناك محاولة لتغليب ع . ف . على مجموعة الراية وكان هناك أيضا خلاف سياسى فعندما كنا قيادة للحزب خارج السجن تبنينا فكرة رأسمالية الدولة الاحتكارية وكان صاحبها ومنظرها د . فوزى منصور بينما كان د . فؤاد مرسى ود . اسماعيل صبرى ومحمود العالم يتمسكون بفكره البرجوازية الوطنية المترددة .. وخلال عملية الصراع الدائر داخل القيادة تقدمت باقتراح بتنزيل المجموعة الجديدة التى ضمت الى ل . م بعد حملة القبض ووفق على الاقتراح كمحاولة لتهدئة الخلافات وفعلا تم تنزيلنا أنا ونسيم يوسف وسعد الطويل وأحمد الجبالى ثم رحلنا الى سجن القناطر لنجد أن المجموعة هناك منقسمة على نفسها ، مجموعة مسئولها محمود العطار وتضم صبرى عد العال وماهر سمعان ومحمد مستجير ود . مختار السيد ، والمجموعة الأخرى مسئولها سامى عجيب وعندما وصلنا وضع الجميع أنفسهم تحت تصرفنا على أساس أننا أعضاء ل . م فأبلغتهم أننا تركنا ل . م واقتراحت عليهم حلا للخلاف اجراء انتخابات لتشكيل القيادة وانتخبت مسئولا للمنظمة وانتخب ماهر سمعان ومحمد مستجير ومختار السيد وفوزى حبشى وصبرى عبد العال أعضاء .

وواضح أن هذه المجموعة القيادية كلها من الموحد فيما عدا صبرى عبد العال من الراية ، فقام أعضاء ع . ف بتشكيل قيادة مستقلة تضم سامى عجيب ونسيم يوسف وأحمد الجبالى وكلهم من ع . ف . ثم قبض على أبو يوسف وأتى به

الى سجن القناطر فعرضنا عليه الأمر بصفته السكرتير العام فأيد مجموعتنا ثم عاد فغير رأيه بعد اجتماع مع مجموعة ع . ف وبقى الوضع كما هو منقسما ..

كذلك كان الحال فى سجن القناطر نساء

وفى سبتمبر ١٩٦١ هربت من القصر العينى ثم قبض على وأودعت فى التأديب عاما كاملا فعزلت عن المجموعة وعن الصراع ورحل الجميع الى الواحات وبقيت فى القناطر مع مجموعة محدودة وأحسست أننا على وشك الافراج عنا ، وأننى بعد الافراج سأعود الى بحرى حيث لا يوجد أحد الا مجموعة حدتو .

كذلك أحسست ببشاعة الصراعات غير المبدئية بين الراية و ع . ف فقررت الأنضمام الى حدتو .

* * *

٤٦ ــ سعد رحمى

محضر نقاش ٢

أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٨٣

س : سنواصل الآن حديثنا .. ولكن أود أن أسألك أولا عن معلوماتك عن انقسام ت . ث عن حدتو ؟

جـ : الحقيقة أنه بعد انقلاب حركة يوليو ابتداء من يناير ١٩٥٣ على المطالب الديمقراطية للشعب شعر كادر حدتو بالاحباط بل الهزيمة ، وبدأت مشاعر التشكك فى صحة الخط السياسى تسوده ، ونجم عن ذلك وجود تيارات معادية للقيادة ..

وكان هناك سباق بين خليل وبدر فى توسيع ل . م حدتو كل يريد أن يعزز أنصاره ، وعندما حدث اقسام ت . ث قررت القيادة تثبيت ل . م على ما هى عليه ، وأن كل ما يأتى بعد ذلك يعتبر احتياطى للجنة المركزية وليس عضوا أصلياً ..

ويمكننى أن أقرر أن مشاعرى واحترامى كان يتجه بدر ولكننى بقيت مع حدتو ورفضت الانقسام .

س : والآن نتحدث عن تجربة وحدة الحزب المتحد .

جـ : كانت منظمتى الراية ، ع . ف ضد الوحدة ، وقد قاومتا الوحدة لأمد طويل ، وأود أن أورد تقييما شخصيا لقبول هاتين المنظمتين لمبدأ الوحدة .. فأنا أعتقد الوحدة قد تمت فقط تحت مظلة الانبهار بالناصرية ، هذا بالاضافة الى بعض الضغوط الخارجية من أحزاب شقيقة .

وعندما تمت وحدة المتحد أنا كنت مسئول الاسكندرية فى حزب الموحد ، وكانت الراية حتى آخر لحظة تردد شعارها التقليدى لا شيوعية خارج الحزب وأن جماعة حدتو جماعة بوليسية عميله للفاشية ، وأتى تبريرهم للوحدة أسوأ من ذلك فقد برروا الوحدة تبريرا سخيفا اذ قالوا لكوادرهم أن حدتو عميله للنظام وطالما أن النظام قد أصبح وطنيا أصبح من الممكن الوحدة معها .

س : ماذا عن عملية الدمج فى الاسكندرية ، وأرقام كل من المنظمتين ؟

جـ : عندما تمت الوحدة اكتشفت هزال تنظيم الراية بالاسكندرية فقد كانت نسبتهم الينا ١ : ١٠ بدون أى مبالغة ، ومع ذلك تم تمثيلهم فى لجنة المنطقة بالتساوى معنا .

س : ثم جاءت الوحدة الشاملة فكيف تمت ؟

جـ : ع . ف كانت ضد الوحدة بشكل قطعى ، ولكنها دخلت الوحدة مرغمة .. وكما يقول ماركس أن الحرب هى امتداد للسياسة بشكل آخر فقد قررت ع . ف قبول الوحدة لتكرس الانقسامية بشكل آخر .. ولم يكن من الممكن بسهولة اذابة الة العداء التاريخى بين هاتين المنظمتين وبين حدتو .. وما أن تمت الوحدة حتى تحالفت الراية ، ع . ف ضد حدتو ، وانضم اليهم بعض المعادين التاريخيين لحدتو من الموحد ..

والحقيقة أن حدتو قد تعرضت طوال تاريخها لعداء من العديد من الحثالات الديماجوجية .. على آية حال بدأت الوحدة ، وبدأت ع . ف والراية تمارسان كل عدائهما التقليدى لحدتو ولكن بأساليب أخرى وأسجل للتاريخ أنهم كانوا أبعد ما يكون عن الأمانة فيما يتعلق بالأرقام ، وأذكر عنى أننى شخصيا حضرت اجتماعات حزبية حضرها من الراية ومن ع . ف أشخاص عاديين تماما لم تكن لهم أية علاقات حزبية أو حتى سياسية وانما أتوا بهم من الشارع إلى الحزب مباشرة بهدف زيادة أرقامهم .

وكان اللجنة الدائمة ثلاثية خالد ــ عباس ــ خليل وقد اكتشفت ع . ف عقده الزعامة عند خالد ولعبت عليها مؤقتاً

وانتهى الأمر بالانقسام ولكننى وكثيرين غيرى من أبناء حدتو رفضنا الانقسام فقد عاهدت نفسى الا أنقسم عن الحزب مهما كان الأمر .. كنت أعرف أنهم أغلبية شكلية فى قيادة مفتعلة ، وكنت أعرف أنهم متكتلون لكننى كنت أقرر دوما أنه ليس أمام الثورى سوى الخضوع مهما كان سبيل التغيير صعبا وشاقا .

س : كيف بدأت الأزمة ؟

جـ : الخلاف الفكرى كان محدودا جدا ، وكان يمكن أن يوجد أشد منه داخل التيار الواحد ، فقد كان الاطار العام ، هو الانبهار بالناصرية .

ولهذا لم يكن مصادفة أن يبدأ التصادم حول قضية تنظيمية هى الموقف من المحترفين الثوريين ، وقد كانت ع . ف والراية تمتلكان موقفا سيئا للغاية من المحترفين ، بينما كانت حدتو تعتبر المحترفين نواة عمل ثورى ، ولهذا كانت تمتلك عددا كبيرا من المحترفين .

وأذكر أول اجتماع للجنة المركزية ونوقشت قضية المالية ، وأقحمت على الاجتماع ، بهدف تصفية المحترفين وكان الاجتماع يثير الغثيان .. عندما أسمع عبارة أن المحترفين صايعين و أرباب معاشات كنت أشعر بالرثاء .

.. وعندما وقع الانقسام بقيت خاضعا للقيادة لكننى كنت أطحن بشده .. فرفاقى القدامى كانوا يعتبروننى أبنا عاقا ، والذين بقيت معهم كانوا يعتبروننى مجرد قنبلة زمينة .

وكانت العلاقة بين الراية ، ع . ف فى منتهى النفاق ، وكان هدف ع . ف البدء بتصفية حدتو ثم الانفراد بالراية والسيطرة عليها .. وبعد طرد حدتو تفرغوا لبعضهم البعض .

وباختصار كانت سنوات السجن التى قضيتها معهم سنوات محنة ومزايدات لا مبدئية وصراعات شللية ، ولم يكن من الممكن لهذه الوحدة الشكلية أن تستمر لولا اغراق الطرف الآخر فى اليمينية ورفعه لشعار المجموعة الاشتراكية ..

س : وماذا عن قصة الحل ؟

جـ : خرجت كما كنت عضوا فى ل . م وكلفت شكليا بمسئولية المنيا ، لكننى أشعر أن ثمة شيء يجرى من خلف ظهرى .. وكانت هناك ضغوط هائلة للحل .. وأتت الضغوط أساسا من مجموعة العاملين بالأهرام وكان ميشيل كامل الذى ترك الكفاح منذ خروجه من المعتقل فى عام ١٩٥٠ كان يهددنا بالاعتقال اذا لم نقبل الحل ، ويمكن القول أنه رغم ما يدعيه الآن من ثورية واحد من أبطال الحل ، وكذلك كان من أبطال الحل اسماعيل صبرى ، وأبو سيف يوسف .

وأنا شخصيا أعطيت صوتى فى الكونفرنس مع الحل لأننى لم أكن بعيدا عن موجه اليمين الطاغية ، والكونفرنس كان شكلى ، وبلا أى محتوى جدى .

٤٧ ــ فوزى حبشى
محضر نقاش
أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٧ يناير ١٩٨٧

س : هل لك أن تروى لنا تجربتك مع مسيرة الوحدة فى الحركة الشيوعية ؟

جـ : فى أوائل الخمسينات أنا كنت عضو قاعدى فى النجم الأحمر .. وقبض على عام ١٩٥٤ وقد أسهمت فى ادخال نسخة من تقرير الرفيق بالم دات القائد الشيوعى الانجليزى والذى أشار الى أوضاع الحركة الثورية فى مصر وتمنى توحد الشيوعيين المصريين وقد كان لهذا التقرير تأثيرا فى انجاز وحدة الموحد .

وقد أفرج عنى فى أكتوبر ١٩٥٥ ولم اعتقل وكنت أول شيوعى يفرج عنه القضاء ولا يعتقل فكان ذلك بداية لتحسن الأوضاع .

وعندما قامت وحدة المتحد كنت فى قلب العاصفة فقد كنت عضوا فى لجنة منطقة وسط القاهرة حيث كان الصراع محتدما قبل وفى أثناء معركة انتخابات مجلس الأمة فى الوايلى التى تصارع فيها علنا أعضاء الحزب المتحد ضد بعضهم البعض فقد رشح عبد العظيم أنيس نفسه ضد مرشح تؤيده مجموعة الموحد .. وكنت محايدا فى هذه الصراعات وأحسست أننى وسط صراع ديناصورات ..

س : يقال أن الوحدة تمت على أساس قوائم عضوية وهمية من البعض ، فما هى رؤيتك الواقعية لذلك ؟

جـ : فى وحدة المتحد كان الأمر طبيعيا ولم نشعر بأى خلل تقريبا قدمت الراية مجموعة لا بأس بها ولكنها تتميز بأنها مجموعة مثقفين ، الموحد قدم مجموعة أكبر ولكن بعضها كان حديث التجنيد وأغلبها كان يهتم بالنشاط العملى واليومى والجماهيرى أكثر من الوعى النظرى .

ويمكن القول أن المتحد قد انكسر ، أى تمزقت وحدته فى معركة انتخابات مجلس الأمة وتحديدا فى دائرتى الوايلى حيث كان عبد العظيم أنيس مرشحا للراية مجلس الأمة فى الوايلى التى تصارع فيها علنا أعضاء الحزب المتحد ضد بعضهم مرشحا للراية وعايده فهمى مرشحه لحدتو ، ولم يكن عبد العزيز مصطفى ولا عايدة فهمى عضوين فى حدتو وإنما كانا عاملين وكانت حدتو ترى ضرورة تأييد المرشحين العمال واخلاء الدوائر لهم ..

وكان الطرف الآخر يقول أن تأييد المرشح الشيوعى أوجب من تأييد عامل لا علاقة له الحزب وأستطيع أن أقول أن السلطة لعبت دورا هاما فى اذكاء نيران التيفرقة عبر هاتين الدائرتين وأسهمت فى تمزيق وحدة الحزب .

وفى يناير ١٩٥٨ تمت الوحدة مع ع . ف وأشهد للتاريخ أن ع . ف قدمت عضوية وهمية تماما قد يكون الطرف الآخر قد قدم عضوية جديدة أو عناصر غير ناضجة لكن قوائم ع . ف كانت وهمية بشكل كامل ودخلنا فى دوامات الحصر وتعداد العضوية والتهرب من التعداد واستغرق الأمر شهورا انتهت بحملة قبض واسعة فى يناير ١٩٥٩ .

س : تحديدا كيف كانت معسكرات الصراع داخل الحزب ؟

جـ : فى المتحد كان الصراع بين جماعة حدتو والراية وبعض عناصر الموحد من غير حدتو كانت تلعب دور المهدىء وعندما تمت الوحدة مع ع . ف وأتى أعضاء هذه الجماعة الى الحزب اختلطت الأوراق وبدأنا نشعر بتقارب أو بالدقة تحالف بين أعضاء الراية و ع . ف ضد أعضاء حدتو أما التيار المحايد فكان متواجداً ولكن بشكل ضعيف للغاية ففى منطقة وسط كان عدد أعضاء لجنة المنطقة ١١ عضوا وكان المحايدون ثلاثة فيما اعتقد وعندما بدأ الخلاف حول موضوع الوحدة مع سوريا بدأ أعضاء حدتو يتخذون موقفا متباعدا ..

س : ما هو عدد العضوية فى منطقة وسط ؟

جـ : حوالى مائه عضو .

س : هل صحيح أن موضوع الموقف من المحترفين هو الذى فجر الخلاف ؟ اذ يقول البعض أن عناصر الراية و ع . ف فى القيادة أرادوا ضرب حدتو بضرب محترفيها خاصة وأن غالبية المحترفين كانوا من حدتو .. وأن المعركة بدأت بهذا الموضوع :

جـ : ليس صحيحا .. فالخلاف سياسي فى الأساس وكان متركزا حول مواقف سياسيه .. الموقف من عبد الناصر ، الموقف من الوحدة السورية ، ثم فيما بعد الموقف من ثورة العراق وهكذا ولكن الخلاف السياسى أدى لخلاف تنظيمى وبدأت عملية ضرب وتصفية المحترفين من أعضاء حدتو وبدأ الصراع .. الراية تقول أن أعضاء حدتو بتوع جرى فى الشوارع وليس لهم علاقة بالوعى النظرى . وحدتو تقول أن الآخرين متفلسفين .. وفى وسط كان محمد عمارة هو رأس

الرمح فى الهجوم وكان عنصر الصدام الأساسى عند أعضاء حدتو .

وعندما سرقت المطبعة بواسطة بعض أعضاء حدتو وقفنا (مجموعة وسط) ضد ذلك كما وقفنا ضد اصدار الآخرين لقرارات الطرد .. وبرغم عدم موافقتنا على قرار طرد الأربعة قررنا الاستمرار فى الحزب وكان يوم صدور قرارات المكتب السياسى بفصل الأربعة يوم حزن حقيقى ورفضنا القرار ولكننا بقينا .

س : وماذا عن تجربتك فى السجن ؟

جـ : فى السجن بدأت الأمور تتضح ، واتضح تشنج أعضاء الراية ، ع . ف ورفضهما لأى عنصر غير متفق معهما تماما وبدأ أعضاؤهما فى السجن يتحالفون ضدنا .

وبدأت مواقف عبد الناصر تتغير بينما لايتجاوب معها المتشددون ويهلل لها المعتدلون وعندما جاءت قرارات التأميم اشتد تشنج المتشنجون وصمموا على حديثهم الأخرق عن رأسمالية الدولة الاحتكارية أما مجموعة حدتو فقد بدأت تهلل للمجموعة الاشتراكية .

وبدأت اهتز تنظيميا وانتهى الأمر بأن اجتمع أربعة من كوادر الموحد الموجودين مع جماعة الراية ، ع . ف وهم عبد الله الزغبى ومختار السيد ومحمد مستجير مصطفى وأنا وأصدرنا بيانا عرف فيما بعد ببيان الأربعة .. وهاجمنا القيادة ووصفناها بالتكتل (يلاحظ أن جماعة حدتو كانت تطلق وصف التكتل على هذه الجماعة) وأعلنا أننا لن نخضع لقرارات التكتل وقلنا أنه خطر على الحزب بل وخطر على الوطن ذاته .

وقلنا أن لنا تحفظات أربعة على جماعة حدتو أذكر منها الآن ثلاثة هى : سرقة المطبعة ، مجموعة روما ، المجموعة الاشتراكية . وأعلنا أننا لن ندخل حدتو الا بعد تصفية هذه التحفظات ..

وكنا قد تركنا المجموعة الأخرى بالفعل .

والحقيقة أن تجربتى مع أعضاء التكتل (الراية ، ع . ف) كانت تجربة مريرة فبرغم نوايانا الحسنة وبرغم عدم خروجنا مع رفاقنا القدامى واصرارنا على البقاء فى الحزب والنضال من داخله الا أنهم كانوا بعد فترة وجيزة من الاحتضان المفتعل يتعاملون معنا كبقايا حدث بغيض غير مرغوب فى استمراره .
على أية حال بعد فترة من النقاش وبعد صدور الميثاق قررنا دخول حدتو كمعارضة فى صفوفها .

* * *

٤٨ ــ فخرى لبيب

محضر نقاش - ٢

أجريت المناقشة بالقاهرة (ابريل ١٩٨٣)

س : اذ نواصل حديثنا فأننى أود أن استمع منك الى تقييمك لعملية الوحدة فى الحركة الشيوعية المصرية ؟

جـ : كنت بعيدا عن الاشتراك المباشر فى عملية الوحدة عام ٥٧ - ١٩٥٨ . وان كنت قد شاركت فى انجاز وحدة الموحد وأعتقد أنه من الضرورى اجراء مقارنة مع وحدة الموحد .

وفى تقديرى أن ثمة أركان ثلاثة للوحدة :ــ

١ - هزيمة الفكر الانقسامى سواء نشأ منقسما أو انقسم على نفسه .

٢ - اتفاق سياسى .. استراتيجى وتكتيكى .

٣ - شكل تنظيمى ملائم تتم الوحدة على أساسه .

وفى تقديرى أن الوحدة التى أنجزت عام ١٩٥٨ لم تتم فى اطار هزيمة الأفكار الانقسامية ، الوحدة تمت على أساس فكر انقسامى وممارسات انقسامية . فمنظمة الراية كانت ترى أنها هى الحزب ولا شيوعية خارج الحزب ، وأن القضية ليست قضية وحدة وانما قضية تصفية أوضاع انقسامية ، وتحت ضغط التيار التوحيدى عدلت موقفها المعلن لكن جوهر الموقف ظل كما هو ، قالوا أن الفاشية تحولت وأصبحت وطنية وعملاؤها أيضا تحولوا .. ومن هنا اذا كان من المفترض التحالف مع الحكم الناصرى فانه من الممكن الوحدة مع عملائه وهو قول سخيف وغير علمى وأن كان ينم عن حقيقة الفكرة التى قبلوا الوحدة على أساسها .

وفى اعتقادى أن هذه المنظمة لم تحل نفسها ، وبرغم الوحدة ظلت لها علاقات رأسية وأفقية باعضائها القدامى .

أما منظمة ع . ف فقد كان هناك صراع شديد فى صفوفها حول قضية الوحدة ، وقد حسم هذا الخلاف داخل مؤتمر المنظمة ، وتم التصويت لصالح الوحدة ، وهذه تجربة جديدة فى حد ذاتها ، ولكن القيادة التى انتخبها المؤتمر كانت فى واقع الأمر معادية للوحدة ، فقد ظلت هذه القيادة تقول بفكرة وجود تيارين فى الحركة الشيوعية تيار ماركسى وتيار متمركس ولكن الفارق بين ع . ف والراية أن

كثير من كوادر ع . ف كانت مؤيدة للوحدة فعلا بغض النظر عن موقف القيادة .

بالنسبة للموحد فان تجربته فى الوحدة تجربة ناضجة ، ولكن فى اعتقادى أن بعض قادة حدتو ظلوا دوما يعتقدون أنهم التيار الثورى الوحيد فى الحركة الشيوعية المصرية ، ومن ثم فانهم كانوا يشعرون بأنهم يتعاملون مع خصوم تاريخيين ..

كما أن حدتو كانت قد اعتادت فى عمليات الوحدة التى تشارك فيها الا تدقق كثيرا فى الوثائق السياسية على أساس أن النضال سيحسم كل شيء .

لكننى رغم ذلك اقرر أن القطاع الأساسى والغالب فى الحزب الموحد قيادة وقاعدة كان يعمل من أجل الوحدة وقد ضحى من أجل انجازها ، ولعب دورا أساسيا فى انجازها .

.. ومن الناحية السياسية كان الاتفاق حول وحدة ١٩٥٨ سهلا لأن الفترة التى تمت فيها الوحدة كانت فترة صعود للحركة الوطنية والاجتماعية ، وكان الجميع قد اتفقوا حول موقف متقارب من عبد الناصر ، وبرغم ذلك كانت جذور الخلافات والممارسات الفكرية والسياسية كامنة .

.. ومن الناحية التنظيمية كان هنك خطأ فادح جدا وقعنا فيه هو خطأ التمثيل بالقوات وحصر القوات وترتب على ذلك أنه فى عام ١٩٥٧ وهى فترة مد وطنى تمت حركة تجنيد واسعة حريصة بهدف زيادة العضوية المقدمة فى عملية الحصر ، ومثل هذا الحشد غير الحريص من العضوية الجديدة ستكون له تأثيرات خطيرة عندما بدأت الضربة البوليسية .

كذلك فان عملية حصر القوات كانت عبارة عن عملية لفتح بطن الحزب واخراج كامل امعائه وأسراره وعضويته وبهذا سهلنا الأمر على أجهزة الأمن فى ضربتهم فى يناير ١٩٥٨ .

.. ومع ذلك كله فاننى أعتقد أن وحدة يناير ١٩٥٨ كانت صحيحة فى مجملها وضرورية ، فقد كان من الصعب تكرار تجربة الموحد .. التى يمكن القول أنها نموذجية .

اذا فأنا أعتبر أن يوم ٨ يناير كان يوم انتصار حقيقى ، ومهرجانات احتفالية فى مصر والأحزاب العربية الشقيقة .

س : الآن ما هى تجربتك كعضو ل . م فى الحزب الذى تم توحيده ؟
جـ : فى الاجتماع الأول للجنة المركزية القيت كلمات تحية .. ووزعت المسئوليات فى المناطق والمكاتب المركزية ثم بدأت مشكلة المحترفين ، وقد نوقشت عبر قضية المالية ، وقد القى عادل سيف النصر (الراية) عبارة استفزت الكثيرين فقال المحترفين مجرد صايعين وثرنا بشدة وألاحظ أن الراية لم تقدم فى قيادتها المركزية ولا محترف واحد بينما كانت كل أعضاء ل . م من الموحد محترفين ، كما كانت هناك نسبة من المحترفين فى قيادة ع . ف وأقرر أن الصراع حول قضية الاحتراف كان سياسيا فى الدرجة الأولى .. فقيادات الراية لم تكن متفرغة للعمل السياسى ، بل كانوا مشغولين بأعمالهم البرجوازية وكانوا يخشون من سيطرة المحترفين المتفرغين ..

وكان التمويل الأساسى يأتى من رفاق الراية وتصوروا أنهم يدفعون لمن يهددون نفوذهم فى الحزب وحجبوا تمويلهم عن المحترفين ، ولك أن تعرف أن مرتباتنا كمحترفين كانت هزيلة للغاية (كانت تتراوح بين ١٢ ، ٢٠ جنيه شهريا) وردا على حجب الامكانيات قام رفاق الموحد بحجب اشتراكاتهم لتمويل مرتبات محترفيهم . وعلى آية حال فقد كان الممكن ايجاد حل ما لمشكلة المحترفين .

كما كان هناك اتجاهين سياسيين داخل ل . م ، فثمة اتجاه يرى الوحدة مع الصراع مع البرجوازية الحاكمة ، وخط آخر اتجاهه العام مع التأييد بشكل مطلق لعبد الناصر (حدتو) ، وهنا تفجرت خلافات يومية حول المواقف السياسية وثبت أن اتفاقا استراتيجيا لم يعد كافيا ..
وبرغم أن الخلاف كان فى جوهره سياسيا الا أنه عولج تنظيميا .

ولكننى أود أن ألاحظ أن اليمين الحقيقى فى ل . م لم يكن رفاق الموحد وانما كان رفاق الراية الذين رغم تشددهم الظاهرى يقولون بخط ثبات وطنية البرجوازية ، وانها قد حكم عليها بالوطنية فى اطار تطورات عالمية واقليمية محددة .

كان رفاق حدتو يمينيين ، ولكن المنظرين لليمين الحقيقى كانوا رفاق الراية ، ومن ثم فإن أى مناقشة سياسية كانت ستجر اليها رفاق الراية ، ولهذا تعجلوا اتخاذ اجراءات تنظيمية ضد رفاق حدتو .

كما أن الراية كانت قد برزت الوحدة معنا بشعار أطلقته قيادتهم يقول الوحدة

مع الانتهازية تصفية لها .. فبدأت فى التحالف مع ع . ف التى كانت جاهزة تماما للاجهاز على حدتو . وقالوا أن الهدف ضرب القيادة ثم تثقيف القاعدة .

واعتقد أن قيادة ع . ف كانت تدرك أن الراية هى اليمينى الحقيقى ، لكنها فضلت تحقيق حلمها التاريخى بضرب عدوها التاريخى حدتو .

س : هل كان الانقسام حتميا ؟

جـ : لا والحجة التى أطلقها رفاق حدتو حجة غير صحيحة ، قالوا أن الآخرين تكتلوا ناسين أنه لا تكتل فى المستوى الواحد ، فقد قبلوا تركيب القيادة ثم لم يقبلوا أعمال التصويت فيها ..

وفى اعتقادى أنه كان من الممكن البقاء حتى بعد فصل بعض قادة حدتو ، وقد بقينا وطالبنا بعقد كونفرنس وكتبت تقريرا بعنوان وجهة نظر ثالثة فى الصراع أدنت فيها الاجراءات التنظيمية كما أدنت الانقسام وقد ووفق على عقد الكونفرنس ، لكنه لم يعقد فقد أجهزت الضربة البوليسية على امكانيات عقده ..

لكن الملفت للنظر أن الرفاق الذين انقسموا عام ١٩٥٨ لم يخرجوا تحت اسم الموحد ولا اسم المتحد وانما ارتدوا الى اسم حدتو وهذا دليل على أن قناعتهم حتى بوحدة الموحد قد اهتزت .

س : كم خرج من الموحد ، وكم بقى ؟

جـ : بقى تقريبا حوالى ٣/١ من دخل من الموحد .

س : كيف سارت الأمور بعد خروج رفاق حدتو ؟

جـ : أعيد تشكيل ل . م ، وتم تضييقها الى ١٣ عضوا وشكلت كالآتى :

د . فؤاد مرسى (راية) ، د . اسماعيل صبرى عبد الله (راية) سعد زهران (راية) ، فخرى لبيب (موحد) محمود العالم (موحد) عبد المنعم شتلة (موحد) ، سعد رحمى (موحد) ، أبو سيف يوسف (ع . ف) حلمى يس (ع . ف) ، فؤاد شحتو (ع . ف) ، محمد بدر (ع . ف) ، لويس اسحق (ع . ف) حسن صدقى (ع . ف)

أى أن التوزيع كان كالاتى :

٦ (ع . ف) ٤ (موحد) ، ٣ (راية)

وشكلت سكرتارية خماسية من أبو يوسف (سكرتير عام) د . فؤاد مرسى

(دعاية) — عبد المنعم شتلة (تنظيم) ، فخرى لبيب (عمل جماهيرى) — حلمى يس (القاهرة) .

.. ولم يكن هناك مكتب سياسى .

ونلاحظ أنه فور ابعاد حدتو بدأت السهام تتجه الى الراية ..

فقد انكمش وجودها فى ل . م الى ٣ ، وانكمش وجودها فى السكرتارية الى ١ ، وانحصرت المسئوليات التى تولتها فى مسئولية الدعاية .. وفقد د . فؤاد مرسى طموحه للوصول الى موقع السكرتير العام .. كما بدأت السهام السياسية تتجه أيضا ضد الراية ففور خروج رفاق حدتو بدأت الراية تبدو وهى الوجه اليمينى الواضح وتحالفنا نحن رفاق الموحد مع ع . ف ضدضها .

وكانت الراية تتهمنا بأننا يسار ونغلب عنصر الصراع ضد الحكم ..

ثم كانت حملة يناير ١٩٥٩ حيث قبض على كل أعضاء ل . م ما عدا أربعة أبو سيف يوسف ، فخرى لبيب ، عبد المنعم شتلة ، محمد بدر .

وشمولية حملة القبض ووقوع القادة دون اتخاذ أبسط الاجراءات الأمنية يوحى بسيطرة فكر يمينى رغم الكلمات المتشددة ، فالحذر من السلطة كان مفتقدا .

وشكلنا ل . م جديدة .. وضم اليها عبد الله كامل — نبيل صبحى — سامى عجيب — انجى أفلاطون وآخرين ..

وشكلت سكرتارية ثلاثية أبو سيف يوسف ، فخرى لبيب ، محمد بدر وتوليت أنا مسئولية التنظيم ، وأعيد بسرعة تماسك البناء الحزبى ، وأصدرنا بيانا طبع ووزع بكميات كبيره وفى هذا البيان ادخل الحزب فى خطه السياسى عباره هامة تقول أن الحكم متأثر فى قرارته بالاحتكار وشبه الاحتكار .

ثم وضع الحزب خطه سياسية أسميت خطه مايو ١٩٥٩ ، كان محورها الديمقراطية والتحذير من سياسة معاداة الشيوعية ، وتأثير القوى اليمينية على النظام .

وفى اعتقادنا أن اعادة بناء التنظيم بسرعة ، وتحركنا الواسع ، وسرعة نزول المطبوعات وبكثرة أعطى انطباعا عن حزب قوى وواسع الانتشار ولم يكن هذا صحيحا ، ولعله عجل بالضربة البوليسية التالية فى مارس ١٩٥٩ وقد قصد بها اجتثاث الحزب ، وشملت الضربة أعضاء الأقسام والمناطق وعدد من الأعضاء النشطين وقد أربكت العمل الحزبى ارباكا شديدا ومع ذلك أعيد بناء الحزب

وتوالت الضربات ، وتوالت معها محاولات التجميع .. لكن الضربات تلاحقت بشكل سريع .

س : وتجربتك داخل السجن ؟

جـ : كانت الأوضاع صعبة وحصدنا فى السجن ثمار أخطاء ارتكبها غيرنا ، فمثلا الراية عندما أوفدت ممثليها الى اللجنة المركزية عند الوحدة تجاهلت رفاقا من مؤسسيها ، وعندما تجمعنا سويا فى السجن سببوا كثير من المشاكل وجماعة الأفق (شكرى عازر ، ثروت الياس ، رؤوف نظمى .. الخ) كانت تقول أنه تقف ليس فى مواجهها القيادة الحالية وانما فى مواجهة القيادة التاريخية للراية ..

كذلك طبقنا نحن فى خارج السجن بعد حملة القبض الأولى نظرية ع . ف بأن القيادة هى دوما لمن فى الخارج فأصدرنا خطه سياسية رفضها رفاق الراية ، كما رفضوا بيان ٩ يناير وقالوا أنه ليس من حقنا أن نغير فى الخط السياسى .

وكذلك أصدرنا قرارا بالخارج بأن كل من يحاكم من أعضاء ل . م (باستثناءات محددة بالاسم) يتعين عليه أن يدافع عن عضوية الحزب ..

ورفض رفاق الراية تنفيذ القرار ، ولم يتجاسر أحد على محاسبتهم ..

وهكذا بدأت التشققات فى بنية الحزب .

وبدأت عملية صراع ايديولوجى داخل السجن لكنها حادة جدا وعنيفة جدا بحيث تجاوزت حدود وامكانيات وقدرات أعضاء جندوا سريعا فى عام ١٩٥٧ ودون تكوين فكرى كاف ، هذا فوق أنه تجاوز الحدود العصبية لسجناء يتعرضون لضغط شديد .. وارتبك الناس ، وسادتهم الحيرة .

س : وماذا عن الحل ؟

جـ : الحقيقة أننا خرجنا لنجد أن برنامجنا المرحلى قد استنفد أغلبه ، ووجهنا بأوضاع سياسية واجتماعية وأسرية صعبة ، وأحسسنا بعزلة شديدة عن المجتمع ، وكنا عاجزين عن تطوير برنامجنا وطرح أفكار جديدة ، وبهذا كان من الصعب الاستمرار بلا برنامج ، وبلا راية مستقلة .

ورغم أن الشيوعيين خرجوا من السجون ومن تحت سطوة التعذيب الوحشى أبطالا الا أنهم لم يستطيعوا مواصلة المسيرة ..

ولابد أن نضع فى الاعتبار الموقف السياسى لخروتشوف وللمفكرين والكتاب

السوفييت كذلك فاننى أرى أن الأساس الاجتماعى لغالبية العضوية كان البرجوازية الصغيرة .. وهذا موضوع جوهرى ..

وعندما خرجنا وجدنا مجموعة من الشيوعيين السابقين متربصة بنا تلح علينا بفكرة الحل ، بل وتضغط علينا ضغطا شديدا لكى نصل الى الحل ومن هؤلاء أحمد فؤاد ـــ أحمد حمروش ـــ لطفى الخولى ـــ ابراهيم سعد الدين ـــ ميشيل كامل ..

وكانت عملية النقاش من جانبهم تستند الى تهديد واضح وصريح أما الحل واما السجن ..

* * *

٤٩ ـ جمال الشرقاوى

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٦ يناير ١٩٨٥

س : كأحد كوادر حدتو ثم الموحد فى القاهرة نريد أن تروى لنا تجربتك فى الوحدة ؟

جـ : الوحدة تمت وأنا فى السجن ، فالوحدة تمت فى ٨ يناير ١٩٥٨ وأنا أفرج عنى فى ١٨ يونيو ١٩٥٨ وعندما أفرج عنى وأنا أتصور أن هناك حزب واحد ، لكننى فوجئت بمناقشات صاخبة فى القاهرة ودردشات المنازل والجلسات الخاصة تعلن عن خلافات واسعة فى الحزب .

س : أين تم تنظيمك عندما أفرج عنك ؟

جـ : عندما أفرج عنى وجدت حالة من الاضطراب التنظيمى ، ولكنى نظمت فى لجنه قسم الزيتون وتضم أحياء الزيتون ــ مصر الجديدة ــ المطرية وكان كل أعضاء لجنة القسم من الموحد ولهذا لم نشعر بصراعات حقيقة ولكن عندما وقع الأنقسام البعض خرج والبعض ومنهم أنا صمم على عدم الانقسام كنا نرفض الانقسام من حيث المبدأ وبعد حملة القبض فى يناير ١٩٥٨ أنا هربت وأقمت فى الزاوية الحمراء وصعدت الى لجنة منطقة القاهرة ثم الى سكرتارية المنطقة حتى قبض على فى سبتمبر ١٩٥٩ وعندما قبض على كنت مسئول قطاع الزيتون والمطرية .

س : ما هى اذن تجربتك فى السجن مع هذه المجموعة ؟

جـ : فى سجن القناطر كانت الأوضاع عادية ، مع وجود بعض الخلافات ، ولكن بدأت تظهر بعض المسائل الحلقية التى أشعرتنى بالغربة عن هذا المناخ ، ثم كانت واقعة غريبة عندما أفضى الى شاب كان من مجموعة الراية بمعلومات غريبة قال فيها أنه كان عضوا فى منظمة الراية ، وعند الوحدة اتفقوا معهم على أن يظلوا فى مجموعة موازية ولا تنضم للحزب ، وقال أنه كان منظما فى هذا التنظم الموازى الذى أرادت الراية أن يكون خط تراجع لها اذا اضطرت للانقسام ، وقال أن مسئوله فى هذا التنظيم الموازى كان صبرى عبد العال .

وأبلغت صبرى عبد العال فنفى نفيا قاطعا ، لكن الشكوك بدأت تساورنى فى مدى صدق هذه المجموعة ومدى ارتباطها بمبدأ الوحدة .. وترافق مع ذلك ظهور

قصة الشبح ، فقد تواترت أنباء عن أن مجموعة ع . ف هى الأخرى حجبت جزء من عضويتها و لم تسلمها للحزب وأن هذه المجموعة أطلق عليها اسم الشبح ..

وكانت تلح على فكرة التوحد من جديد ، وكان الآخرين يسيطر عليهم عداء شديد لمجموعة حدتو وحالة من الجمود العقائدى التام وشبه المطلق ، عندما استشهد شهدى أثر الحادث فى تأثيرا شديدا ، ولازلت أذكر الواقعة جيدا ، عدت أنت الى القناطر من رحلة العذاب وقلت لى عبر الزنازين المغلقة شهدى استشهد فى أبو زعبل ، بدأت المسألة تؤرقنى ، شهدى الذى يوصف بأنه يمينى وعميل للسلطة يموت واقفا وشامخا وهو يقول أنا شيوعى

وعندما رحلنا الى الواحات كان الأمر أكثر تفجرا وكانت هناك مجموعة الأفق وكان منظمها الأساسى رؤوف نظمى الذى دعا الى فكر صينى واضح ومجموعات أخرى والتشققات المعلنة وغير المعلنة كانت أمرا ملحوظا وعاديا ..

س : وماذا عن قصة الحل ..

جـ : عندما خرجنا من السجن لم أشعر أن هناك رغبة حقيقية فى اقامة تنظيم شيوعى بشكل جدى .. وتلخصت واقعة الحل فى اعداد تقرير أعتقد أن كاتبه أبو سيف يوسف وكان التقرير يحيى كفاح الشيوعيين ثم يؤكد على ضرورة وحدة كل القوى الاشتراكية ، ويتحدث عن حل التنظيم المستقل كمساهمة من جانبنا فى خلق هذه الوحدة ..

وقد قمت أنا بطبع هذا التقرير كتبته على الآله الكاتبة عند صديق ليس عضوا بالحزب وطبعته على رونيو خشبى صنعناه لهذا الغرض ولعل هذا يوضح لك طبيعة الأوضاع والامكانيات .. ووزعت هذه الورقة على عدد محدود جدا ثم عقد كونفرنس ضم أعضاء ل . م وعدد محدود جدا من الكادر ويمكن القول أن القياديين من كوادر القاهرة حضروا الكونفرس وعدد ضئيل من كوادر الأقاليم .. وكان المجموع كله حوالى ١٩ شخص وطرحت مسألة حل الحزب للتصويت برفع الأيدى ورفع الجميع أيديهم . كان البعض معارضا وكلنا كنا نعرف ذلك لكنه لم يجد جدوى من المعارضة ، ولم يجد مبررا لاعلان هذه المعارضة فى مناخ كهذا المناخ الذى كان يتوعد كل معارض لعبد الناصر .

وانتظرنا طويلا قيام الحزب الواحد للاشتراكيين دون جدوى ، ويوما بعد يوم تبدد الوهم وتبددت القوى ولم يهتم أحد الاتصال بأحد .. وأخذ كل طريقه .

٥٠ ـ حلمي يس
محضر نقاش ـ ٢ ـ
اجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٠ - ١١ - ٨١

س : هناك اقوال كثيره حول رفضكم الدائم للوحده ، ثم حول دوركم فى وحده ٨ يناير ١٩٥٨ ، فهل نسمع منك عرضا لهذا الدور ، وهل صحيح انكم دعوتم الى مؤتمركم واستسم حزب العمال والفلاحين للابتعاد عن ساحة الوحدة ؟

جـ : حقيقة كان لنا تقييم سلبى لحدتو ، وللراية معا ، وانت لا يمكن ان تكتب عن منظمة د . ش الا اذا تعرفت على عقليتها وتكوينها الفكرى كنا نرى ان حدتو يمين متطرف ، وان الراية يسار مغامر ، وكنا ننظر للوحدات السابقة على انها وحدات متعجلة ولم تتم على أسس مبدئيه ومن هنا قررنا ان نعبىء ورفاقنا وان نقدم لهم الوعي الكافى بحقيقة هاتين المنظمتين قبل ان نسرع فى الوحده معها ..

ولهذا دعونا للمؤتمر بهدف توحيد كادرنا على اسس مبدئيه وواعيه بحقيقة المرحلة المقبله كى يدخل رفاقنا الى الحزب الجديد مسلحين بوعى ثورى كاف وبفهم سياسى واحد كى يكونوا عصبا ثوريا لهذا الحزب الجديد .

وعندما عقد المؤتمر ، كان قسم الطلبه عندنا يرى ان عقد المؤتمر واعلان حزب العمال والفلاحين انما يستهدف عرقلة توحيد الشيوعيين وكان هناك عضو واحد من القيادة يتعاطف مع قسم الطلبه هو فؤاد عبد المنعم شحتو .

س : كيف تمت الوحدة ؟

جـ : كان هناك المناخ العام الشديد الحماس للوحده ، وكان هناك التقارب فى الموقف السياسى ، وكان قسم الطلبه متحمسا للغاية للوحده ، كذلك كان هناك ضغط خارجى فرفاق الحزب الشيوعى الايطالى (الرفيق سبانو) والحزب الشيوعى العراقى (عامر عبد الله) وغيرهما كانوا يمارسون ضغطا شديدا ايضا .

س : يقال انكم دخلتم الوحده بخطه التحالف مع الراية ضد حدتو وتصفيتها ؟

جـ : هذا غير صحيح فقد كنا فى البداية نعتقد ان حدتو اقرب الينا من الراية فاعضاء حدتو من أصول شعبيه مثلنا .

وهم أيضا يتميزون بالعمل الجماهيرى النشط مثلنا . لكن الأمور سارت عكس ذلك .

س : متى ؟

جـ : عندما فاجأنا كمال عبد الحليم ممثل الموحد فى اللجنة الدائمة يطلب اجازه طويلة واحسسنا أننا أمام عملية انقسامية بدأ التفاهم بيننا وبين الراية لكننى أؤكد اننا لم نكن نعقد اجتماعات جانبيه معهم .

س : يقال انكم لم تقدموا كل عضويتكم الى الوحده وانه كانت هناك مجموعة من اعضائكم لم تنضم للوحده واسميت الشبح فما هى حقيقة ذلك ؟

جـ : الأمر كله غير صحيح على الاطلاق ، ولكننى اعترف اننا كنا نربى عضويتنا على مدى تاريخى بروح العداء للآخرين لحدتو والراية وكنا احيانا نبالغ فى هذا العداء ، وعندما دعوناهم فجأه للوحده مع من كنا نتهمهم باتهامات متشدده رفض البعض الجلوس مع هؤلاء .. اى رفضوا الوحده ..

س : قيل ايضا انكم اتفقتم مع الراية على تصفية المحترفين من كوادر الموحد ؟

جـ : لم يبدأ الأمر هكذا ، ولكن عند الوحده فوجئنا بقائمة المحترفين من الموحد وكانت كبيره جدا ، ويمكن القول ان غالبية الكادر المتفرغ كان من الموحد ، وهذا غير طبيعى لأنه يعنى أن تيارا معينا يسيطر على قنوات النشاط الأساسية لكننى اعترف اننا عالجنا الأمر بشكل غير سليم ، فقد كان الأفضل ان نناقش الأمر بموضوعية ، وان نعيد توزيع الكادر المحترف بشكل متوازن ووفق الاحتياجات الفعلية للحزب .. لكننا وعلى اساس النظره التاريخية ضد حدتو والموحد عالجنا الأمر علاجا خاطئا ومنعنا التمويل الحزبى وهم بدأوا فى جمع اشتراكاتهم بشكل جانبى لتغطيه متطلبات المحترفين .. وبدأت الروح الانقساميه بشكل فعلى ..

س : يقال انكم قدمتم قوائم عضويه وهميه ، وان عضويتكم كانت محدوده جدا ؟

جـ : ليس هذا صحيحا ، والصحيح اننا كنا فى اماكن محدده اقوى من الأخرين مجتمعين مثل المنيا وبنى سويف واسيوط .

س : ولكن البعض ممن ناقشتهم قال مثلا انكم لم تقدموا ايه عضوية فى كل مناطق بحرى ؟

جـ : انا متأكد مثلا انه كان لنا نشاط هام فى المحلة وفى سمنود ، ولكننى اعود فاذكرك ان بعض اعضائنا رفضوا الوحده بعد هذا التاريخ الطويل من العداء ، وعلى العكس من كل هذه الاقاويل فانا اقرر ان الموحد والراية قدما فى بعض الاماكن عضوية جديده جدا بل واحيانا قوائم وهميه .

* * *

٥١ ــ صابر زايد

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالاسكندرية فى ٥ يوليو ١٩٨٣

س : تبدوا قصة اشتغالك على الجهاز الفنى لحدتو ثم الموحد مثيره للاهتمام فهل يمكن أن ترويها لنا ؟

جـ : عملت فى حدتو على الجهاز الفنى لفترة ، ثم قبض على فى ابريل ١٩٥٣ ، وأرسلت إلى معتقل روض الفرج حيث شاركت فى ملحمة الهروب الكبير التى هرب فيها عدد من كوادر حدتو وكنت من بينهم .. ومنذ هروبى فى أواخر إبريل ١٩٥٣ وحتى ديسمبر ١٩٥٩ حيث قبض على بالزقازيق كنت أعمل على الجهاز الفنى المركزى بلا انقطاع وتنقلت فى أكثر من مدينة واتخذت أكثر من غطاء .. وفى أثناء العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ، أرسلنى التنظيم الى بورسعيد المحتلة لاعمل على الجهاز الفنى بالمدينة حيث كنا نطبع البيانات والنشرات المعادية للاحتلال .

س : هل من تفاصيل ؟

جـ : فى حدتو كان الأمر سهلا .. وكنت أنتقل بجهازى الفنى وأسرتى من قرية لأخرى ومن مدينة لأخرى وتواصل عملنا دون انقطاع ودون أخطاء أمنية ولم تستطع يد الأمن الوصول الى ..

وفى الموحد تطور العمل كثيرا ، وكان مسئول الاتصال بى سمير توفيق وهو مهندس ميكانيكى متمكن استطعنا أن نطور جهازنا الفنى وصنعنا مطبعة حروف وقمت أنا بشراء حروف وعلمت نفسى كيفية صف الحروف ، كما سبق أن علمت نفسى الكتابة على الآلة الكاتبة .

.. وكنت أنتقل من مدينة لأخرى لأقطع أية خطوط يكون الأمن قد توصل اليها وقد تنقلت كثيرا وفيما أذكر تنقلت بين ميت غمر ، شبين الكوم ، المحلة ، السنبلاوين ، طنطا ، كفر الزيات ، بنى سويف ، الواسطى ، أسيوط ، المنيا ، الزقازيق ، ولم يكن لدى أثاث كثير وانما ما يكفى لتغطية أمن العمل فأحمل الجهاز والأثاث وانتقل من مدينة لمدينة .

وعندما قام الحزب المتحد ظل سمير توفيق هو مسئول الاتصال بى وكان يلتقى

بى ليسلمنى الميزانية المخصصة لى وللعمل وأصول النشرات ، وليتسلم المطبوعات .

وعندما تأسس الحزب الواحد كان الجهاز فى القناطر الخيرية ، وكان محمد الزبير يعمل كمساعد لى ثم تقرر أن يكون هناك جهازين وانتقلت أنا بجهازى الى شبين الكوم ، وبقى هو بجهاز طباعة آخر فى القناطر ، وعندما وقع الانقسام سلم هو المطبعة لمجموعة حدتو ، أما أنا فرفضت مبدأ الانقسام رغم تعاطفى مع رفاقى القدامى فى حدتو ورغم أننى كنت منهم لحما ودما ورغم ملاحظاتى الشديدة على الآخرين لكننا كنا فى حدتو تربينا على كراهية الانقسام من حيث المبدأ وكنا نعيش ونعمل كمحترفين ثوريين وفق شعار اخضع وناقش .

.. وعلى أية حال أنا كنت معزول تماما عن الجميع ولم أكن أقابل ألا مسئول الاتصال وهو شخص من المجموعة الأخرى هو سامى عجيب وذات يوم أبلغنى أن هناك انقسام ، ولم أسأل من انقسم ولا لماذا فأنا محترف ثورى أعمل فى عمل حساس وأرفض مبدأ الانقسام .

س : ما هو غطاؤك الأمنى ؟

جـ : كل مرحلة تختلف عن الأخرى ، مرة عملت كسمكرى فى قرية ، وفى المرحلة الأخيرة عندما كنت فى الزقازيق استأجرت بيتا بأكمله وأعلنت أننى تاجر ورق ، والحقيقة أن اخوتى فى الاسكندرية كانوا تجار ورق وكنت أتسلم الورق من المصنع أو من تاجر الجملة بأسم أخى ثم تحضر السيارة الى مسكنى لأنزل منها بعض الورق ، حيث يشاهد الجيران كميات كبيرة من الورق تنزل وكميات أخرى تحمل على السيارة فيبدو الأمر طبيعى ، كما يبدو الغطاء الأمنى محكما ..

.. وبعد فترة قبض على مسئول الاتصال بى سامى عجيب وأعتقد أنه اعترف على مكانى فى التحقيق والحقيقة أن أوراق التحقيق فى القضية تتضمن أنه اعترف على مكان الجهاز الفنى وعلى .

وقد حضر عبد الرحمن عشوب بنفسه للقبض على ومعه عدد كبير من الضباط وضبطوا بالبيت رونيو واثنين آلة كاتبة ومطبعة الحروف التى صنعها سمير توفيق أيام الموحد ..

وفى التحقيق قلت أننى تاجر ورق وكرتون وجميع مستلزمات وأدوات الطباعة ،

والذى حقق معى كان وكيل نيابه اسمه سمير ناجى وكان يضربنى بنفسه أثناء التحقيق .

س : كم نسخة من النشرات كنت تطبع ؟

جـ : من كفاح الشعب (النشرة الخارجية) كنت أطبع ألف ، ومن المجلة الداخلية ٥٠٠ .

س : وماذا عن فترة السجن ؟

جـ : دخلت السجن بعد فترة هروب طويلة جدا ، كنت فيها معزولا عن الرفاق والصراعات ، وعندما دخلت وجدت رفاقى فى المكان الآخر ووجدت الآخرين يتصارعون صراعا غير مبدئى فيما بينهم ، وكان هناك صراع شرس بين مجموعة الراية ومجموعة ع . ف

وقررت البقاء لأنهى التحقيق التنظيمى مع سامى عجيب وأدينه ، أما هم فكانوا يريدون ابعادى بأى طريقة حتى يتخلصوا من الحاحى المستمر بضرورة التحقيق فى الموضوع ..

وبما أن سامى عجيب كان من مجموعة من المجموعتين المتصارعتين فقد استخدم كورقة فى الصراع بينهما دون رغبة فى الوصول الى الحقيقة . فإذا اختلفوا معا أثير موضوع اعترافه وضرورة التحقيق معه ومعى حول الأمر ، وأن اتفقوا نسوا أو تناسوا موضوع التحقيق ..

وبعد فترة اكتشفت أن الأمر كله يدخل فى اطار الصراع اللامبدئى .. وعدت الى رفاقى .

* * *

٥٢ ــ أنور ابراهيم

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٥ يناير ١٩٨٥

س : بصفتك أحد كوادر منظمة ع . ف فى منطقة المنيا ، هل لك أن تروى تجربتك مع الوحدة ؟

جـ : مع بداية مرحلة الوحدة ، كان التيار الداعى للوحدة جارفا وكنا فى المنيا نؤيد الوحدة وكان لويس اسحق مسئول المنطقة من المتحمسين للوحدة .. وكنا فى المنيا أقوى المجموعات كان لدينا حوالى خمسين عضوا وكان للراية حوالى أربعين عضوا معظمهم فى ملوى أما الموحد فكانت مجموعته محدودة وتصل الى حوالى عشرة أعضاء .

وعندما اتحدنا .. تبلور محور منا ومن مجموعة الراية ضد مجموعة الموحد ..
أما فى بنى سويف فلم يكن لمنظمة الراية أية عضوية تقريبا ، أما ع . ف فكان لها هناك محمد شبل اسماعيل وكان صاحب مدرسة وحوله مجموعة جديدة من شبان أما مدرسين أو طلاب فى مدرسته وكان لدى الموحد حوالى ٢٠ عضو

فى عام ١٩٥٥ فصلت من عملى الحكومى بحجة سابق اعتقالى فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ والغريب أننى عملت فى المنيا ذاتها مدرسا بمدرسة الأمريكان ثم ذهبت الى بنى سويف متفرغا حزبيا وعملت شكليا فى مدرسة شبل . وكان مسئول بنى سويف شكرى عازر من الراية ثم جاء محله محمد سيد أحمد وأذكر أنه كان هناك فى سمسطا فلاح محترف ثورى من حدتو ..

وشكلت لجنة المنطقة من ٩ منهم ستة من ع . ف هم شبل اسماعيل ، عبده وزبى ، محمد المهداوى ، وعبد القادر مفتاح وسعد التركى وقد استشهد الأخيران فى السجن ولا يذكرهما أحد والثلاثة الأخرون من الموحد وهم نبيل قاسم ، ابراهيم الشريف ، فلاح من سمسطا (كان محترفا ثوريا) .

وعندما بدأت حملة القبض قبض على كل لجنة المنطقة فقد كان النشاط جماهيريا مفتوحا سواء شبل ومجموعته أو مجموعة حدتو وكان الجميع يعملون بشكل شبه علنى ..

أما فى المنيا فالوضع كان مختلفا وقبض على عدد محدود .

س : كيف تمت عملية حل التنظيم فى ١٩٦٥ ، وماذا كان موقفكم منها ؟
جـ : يقال أن فكرة الحل كانت تناقش داخل السجن سرا ، وعلى أية حال لم يناقش معنا أى شيء وتعرف أن لويس اسحق استشهد فى آخر أيام السجن أى فى ٤ ابريل ١٩٦٤ ، وفى الأربعين أى فى ١٤ مايو حضر الى المنيا عدد من أعضاء ل . م وقيادات الحزب ولكنهم كانوا جميعا من ع . ف ولم يحضر أحد من الراية ولفت ذلك نظرنا .. وفى محطة السكة الحديد حيث كنا فى استقبالهم ثار نقاش حاد حول الموقف من عبد الناصر بين شبل واسماعيل وأحمد عبد العزيز وقال أحمد محتدا أنت عايز تبقى محافظ فقال شبل ببساطة منصب المحافظ لا يكفينى فأنا أريد أكثر . وبدأنا نشعر أن هناك شيئا ما .

وفى المؤتمر الذى عقد للموافقة على الحل وجهت القيادة الدعوة لمن تعلم أنهم موافقون على الحل فحضر من المنيا نبيل عزيز وعبد المحسن حسين ومن بنى سويف شبل اسماعيل وآخر ، أما نحن فلم توجه لنا دعوة بل لم يناقشنا أحد ولم نعلم أصلا بالأمر حتى قرأنا فى جريدة الأهرام خبر الحل ..

.. وقد سمعت فيما بعد أنه كانت هناك اتصالات ومراسلات بين محمد حسنين هيكل ود . محمد أنيس وبين بعض القادة عن طريق أنجى أفلاطون التى حضرت لزيارة د . إسماعيل صبرى فى الوحات ويقال أن فكرة الحل ـــ بناء على هذه الرسائل ـــ نوقشت فى الواحات بين عدد محدود جدا من أعضاء القيادة وأن لويس اسحق عارضها بشدة .

وهكذا وبعد الخروج من السجن كان الأمر جاهزا ومعدا للحل .

والحقيقة أن الكوادر القاعدية كانت تردد عبارات رأسمالية الدولة الاحتكارية لكنها كانت فى أعماقها منبهرة بعبد الناصر .

٥٣ ـ محمد الزعفرانى

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٢٧ - ١٠ - ١٩٨٠

س : كنت واحدا من هؤلاء الذين واصلوا نشاطا ملحوظا فى صفوف الحزب الشيوعى المصرى حدتو فى أعقاب حملة القبض فى يناير ١٩٥٩ ، فهل لك أن تروى لنا بعضا من معلوماتك عن هذا الوضع ؟

جـ : صباح ١ يناير ١٩٥٩ دخل الى مكتبى بالموسكى رفعت السعيد وكنت قد تعرفت به منذ أيام قلائل عن طريق محمد حجازى الذى قدمه لى قائلا أنه قد خرج من السجن حديثا ، وقد فاجأنى رفعت السعيد بأن هناك حمله قبض واسعة للغاية وأن كثيرا من الرفاق القياديين قد ألقى القبض عليهم ، وأنه بسبب خروجه من السجن منذ عدة أيام فقط يحتاج الى امكانيات وعلاقات للاتصال بمن تبقى من الرفاق خارج السجن ..

.. وبعد ساعات من النقاش كان قد استقر الرأى على أن يختفى رفعت السعيد والا يخضع لنظام المراقبة الليلية تنفيذاً للحكم الصادر ضده ، وبدأت مسألة البحث عن مكان يختبىء فيه ، وفى البداية استقر الرأى على أن يختفى فى منزل أقاربى بأبى زعبل لكننا عدنا فوجدنا أنه سيكون بعيدا عن القاهرة وسيضطره ذلك للانتقال الكثير بما يهدد أمانه ، وأخيرا تقرر أن يختفى بمنزلى بجوار مسجد الرفاعى ومنذ اليوم الأول من يناير أصبح هذا المنزل مقرا لنشاط واسع يستهدف تجميع خيوط حدتو التى أربكتها ضربة واسعة ومؤثرة جدا .

س : ما هى معلوماتك عن حجم هذه الضربة ؟

جـ : أولا لعلنا سياسيا لم نكن نتوقعها ، ومن ثم كانت المفاجآة أشد بالنسبة لنا ، وثانيا وهذا هو الغريب بل والمريب فى الأمر أن الضربة ضد حدتو أى ضد القوى التى كانت تؤيد النظام الناصرى بحماس كانت أشد وأوسع منها ضد الآخرين .. من المعارضين . ولعل جهاز الأمن كان يريد اسكات صوتنا بهذه

يعتذر المؤلف عن وقوع اختصارات فى هذا المحضر وذلك فى الفقرات التى تضمنته تفاصيل عن دوره الشخصى ، التزاما منه بموقف ثابت إزاء كل ما يخص دوره شخصيا .

الضربة ، أي اسكات أى صوت عاقل فى معركة يراد لها أن تختفى منها آية مسحة من العقل ..

س : كيف بدأ العمل ؟

جـ : فى المساء كانت قد تجمعت لدينا بعض المعلومات عمن تبقى من القيادة وعمن قبض عليه وكان هناك عدد محدود من القيادة أفلت من الضربة فؤاد حبشى الذى ما لبث أن قبض عليه بعد عدة أيام ، كمال عبد الحليم الذى وضع لنفسه نظاما خاصا من الاتصالات منحه حماية كافية لكنه قلل كثيرا من دوره فى فترة صعبة كهذه ، ومحمد الجندى وأحمد خضر ، وبعد فترة اتصلنا بمحمد يونس من الاسكندرية ووضعت ترتيبات لاعادة تجميع الاسكندرية لكنه ما لبث أن قبض عليه أيضا .

وتقرر أن نركز نحن جهدنا فى تجميع كوادر وعضوية القاهرة ، حيث تركزت الحملة البوليسية بشكل مكثف وحيث قبض تقريبا على جميع قيادات المنطقة ..

وكانت هناك أيضا مشكلة الأجهزة الفنية التى سقطت جميعا فى يد البوليس .. .. ومشكلات أخرى عديدة مالية وادارية ، وخاصة بتوفير أماكن للاختفاء ، كل ذلك فى ظل حملة عنيفة وأعلام شرس وتخويف وارهاب لم يسبق له مثيل ، مع مراعاة أن أمن الكثيرين كان مكشوفا الى درجة كبيرة ..

وهكذا فى الجلسة الأولى لمساء أول يناير ، والتى عقدت بمنزلى حددنا هدفنا على أساس محورين تجميع القاهرة — بناء أجهزة فنية ..

واقترح رفعت السعيد أن يتم تجميع القاهرة فى ثلاثة مجموعات مستقلة كل منها تعمل منفصلة عن الأخرى وكأنها لجنة المنظمة الوحيدة وذلك بهدف ضمان أطول استمرار ممكن للعمل ..

وبالفعل بدأنا فى الاتصال وتكوين المجموعات ، كنت أجلس معه طويلا لنتفق على الاتصالات المطلوبة وأرتب معه مواعيد المقابلات ثم أقوم أنا ومجموعة محدودة بتجميع هذه الاتصالات وترتيب المواعيد ، وكانت زوجتى تعاوننى فى هذا العمل .

وقد استقرت الترتيبات فى النهاية على تكوين ثلاث مجموعات مستقلة

الأولى تضم قدرى شعراوى .ليلى الشال ــ مارى بابا دوبلو ــ شحاته النشار ، ومجموعة طه دياب ــ سعاد زهير ــ على خنيطر ، مجدى نصيف ومجموعة ثالثة تضم محمد الزعفرانى ــ أحمد عز الدين ــ عبد الله اسماعيل ــ محمد حسن جاد ..

كما كانت هناك مجموعة طلابية كبيرة تضم فتحى مجاهد ــ عيد اروس القصبير ــ سمير عبد الباقى ــ حسين عبد ربه وآخرين وقد رؤى أن تستمر فى النشاط بشكل مستقل نظر للتركيز الأمنى فى ذلك الحين ضد النشاط الطلابى بسبب انعقاد مؤتمر شباب أسيا وأفريقيا بجامعة القاهرة فى ذلك الحين . وبدأ كل من هذه المجموعات عملها بحماس ونشاط ..

كما نجحنا فى بناء جهاز فنى عبارة عن آلة طباعة ذات كفاءة متوسطة وقد تفرغ للعمل عليها طه دياب (عامل نسيج) وأقمنا له شبكة اتصال وقد تم ذلك بصعوبة بالغة حيث كانت الامكانيات محدودة والملاحقات متواصلة والغالبية العظمى من الكوادر مكشوفة ..

.. ولكن صدور أول مطبوع أدى فيما أذكر الى ارتباك شديد ، فقد استمرت المطبوعات تنتهج خطه للدعوة للتحالف مع عبد الناصر بينما كانت القواعد تغلى بالغضب ضد الضربة البوليسية المباغتة وضد الحملة الاعلامية الشرسة ، وكانت قواعدنا تتعوض لهجوم عنيف من جانب قواعد المجموعة الأخرى التى بدأت تعلن أن الحملة البوليسية هى تأكيد لصحة منطلقاتهم هم ..

ومع كل مطبوع كانت الأزمة الداخلية تتفاقم ، وأذكر أن كمال عبد الحليم قد حرر منشورا حلل فيه الأوضاع ووجه الانتقادات لحملة القبض ، لكنه وجه أيضا انتقادات لثورة العراق وكانت تتمتع بتعاطف واسع من القواعد وانهى المنشور بشعار لتلتف الصفوف حول قائد الأمة العربية وقائد القومية العربية المتحررة المدافعة عن السلام جمال عبد الناصر .

وانفجر الوضع فى القواعد ووصل الأمر الى أن أصدرت القيادة تعميما داخليا قالت فيه عبارة لم أزل أذكرها بالنص وهى « نحن نفكر ونعمل بين فكى كسارة البندق » أى تحت ضغط السلطة المتصاعد وضغط القواعد الحزبية .

س : وماذا عن التطورات اللاحقة ؟

جـ : استمر تركيز حملات القبض على رفاق حدتو أكثر من غيرهم ، وقد فزع

المخططون لاستمرار الحملة ضد الشيوعية من اللهجة المعتدلة لبيانات حدتو ، ولعلهم خشوا من أن تؤتى بعض الثمار ، بل لعلهم دهشوا من استمرار قدرة الحزب على مواصلة العمل وعلى بناء جهاز فنى وتوزيع المطبوعات بكفاءة وتركيز وتساقط العديد من الرفاق ، وكانت حملات البوليس ضدنا تشبه حملات التمشيط .. ولكننى لا أزعم معرفتى بما تم فى المناطق الأخرى أو حتى مجموعتى القاهرة اللتين عملتا بشكل منفصل عنا ، أما عن مجموعتى فقط إتسع نشاطنا بصورة لم أكن أتوقعها واستمر لفترة طويلة نسبيا وعندما أجريت انتخابات الاتحاد القومى فى النصف الأول من عام ١٩٥٩ قررنا أن نرشح فيها بعض رفاقنا لنجد فرصة لعمل جماهيرى في مواجهة الارهاب البوليسى والفكرى ولبث الشجاعة في نفوس الجماهير بل ونفوس رفاقنا . وأذكر أننى استخدمت خبرتى فى صناعة وتجارة الملابس الداخلية حيث طبعت شعارات جيدة على فانلات خارجية (تى شيرت) ولبسها عشرات من رفاقنا ومؤيدينا فى حملتنا الانتخابية بقسم الخليفة وإستأجر هؤلاء المؤيدين دراجات وكانوا يسيرون فى مجموعات للمرور بالحى .. ولعل هذا النشاط الجماهيرى قد أزعج البوليس أكثر من أى شيء آخر فبدأت حملات قبض جديدة ضد مجموعتنا ..

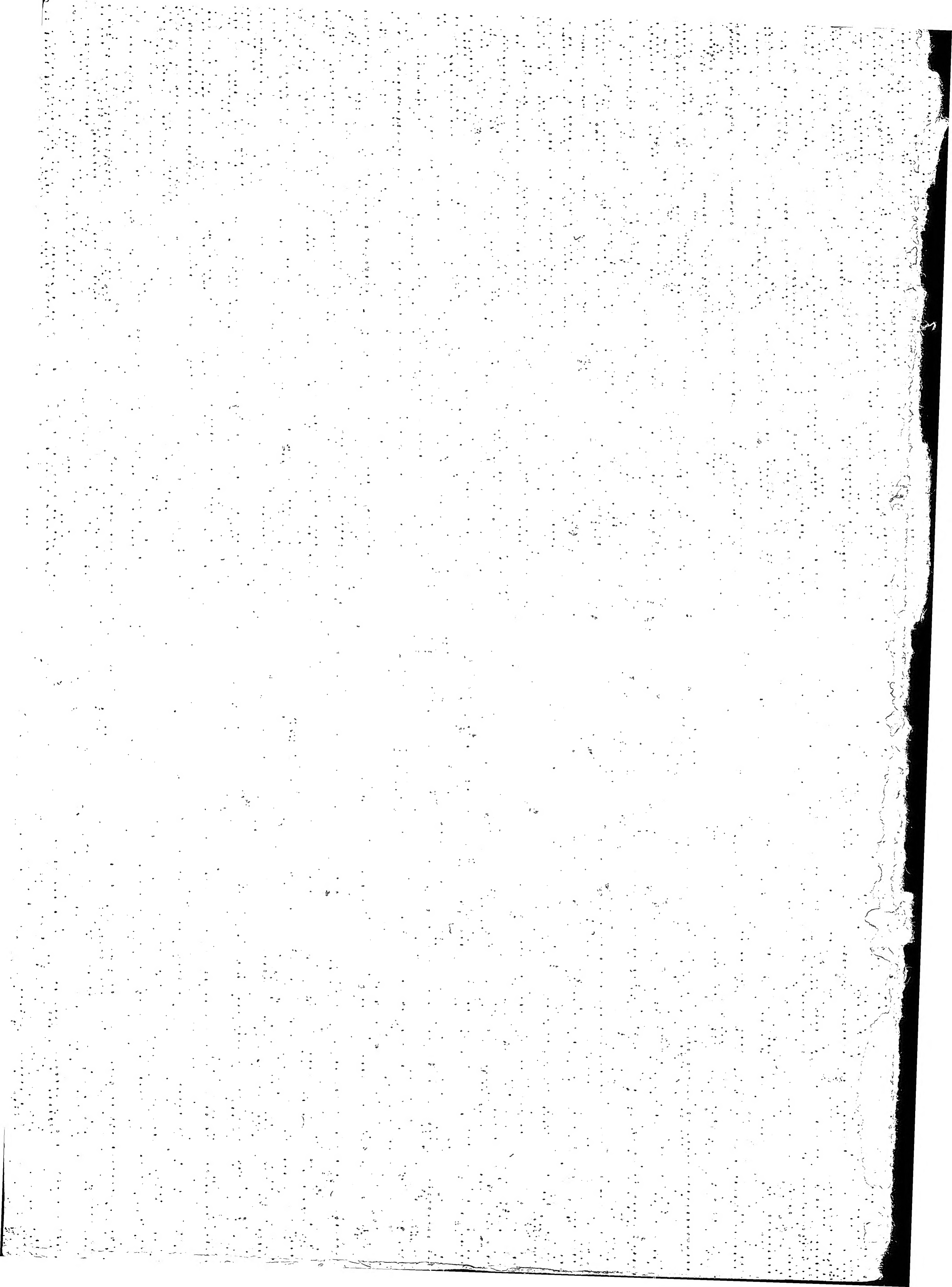
وبعد فترة قبض على رفعت السعيد كما قبض على بقية المركزيين ما عدا كمال عبد الحليم والذى قطع علاقته بنا ، وتركزت علاقتنا برفاقنا فى سجن مصر ، حيث نظم رفعت السعيد مراسلات متصلة معنا كانت تفيدنا كثيرا فى عملنا ، وقد استمرت هذه المراسلات وكانت هى الرابطة الوحيدة بيننا وبين القيادة وأذكر أن بعضا من هذه الخطابات قد ضبط مع أحد الرفاق ، وقد وقف البكباشى مصيلحى ليدلى بتفسيرات مضحكة عن هذه الرسائل التى كانت موجهة دوما الى عزيزتى سونيا و لم يعرف أحد أن سونيا هو الأسم الذى اختاره رفعت السعيد ليراسلنى به من السجن وبعد فترة ليست بالقصيرة قبض على محمد حسن جاد ، وعبد الله اسماعيل ، وأحمد عز الدين أثناء مقابلتهم معا لعقد اجتماع ثم القى القبض على حيث أرسلت الى معتقل أبو زعبل .

أ ـ فهرس الموضوعات

* * *

رقم الايداع ٤٤٠٨٦ / ٨٩

طبعت بمطابع شركة الأمل للطباعة والنشر
« إخوان مورفيتلي سابقا »
عادل الرفاعي وشركاه
تليفون ٣٩٠٤٠٩٦



أبو سيف يوسف • أحمد الرفاعي • أحمد خضر

أحمد صادق سعد • أحمد نبيل الهلالي

ألبير آرييه • السيد سليمان الرفاعي • أنور إبراهيم

جمال الشرقاوي • جمال الدين محمود غالي

د. جمال عزسه • حلمي يس • زكي مراد

سعد رحمي • شحاته النشار • صابر زايد

عبد الرحمن الخميسي • عبد الله الزغبي • عبد صالح مبارك

فوزي جرجس • فاطمة زكي • فخري لبيب

فوزي حبشي • مبارك عبده فضل • محمد الجندي

محمد الزعفراني • محمد سيد أحمد • محمود الأطرش

محمود حمدي عبد الجواد • مارسيل إسرائيل

د. مصطفى هيكل • مصطفى طيبة • مهدي الحسيني

نقولا غاريس • هنري كورييل • هليل شوارتز

شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع